الفصل

في

الملل والأهواء والنحل

تأليف

الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦هـ

الجزء الأول

تحقيق

الدكتور محمد إبراهيم نصر
كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور عبد الرحمن عميرة
كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الجيل
بيروت



مقدمـــة

نحمدك اللهم حمدًا يوافى نعمك ، ويكافىء مزيدك ، ونصلى ونسلم على خاتم أنبيائك ، وصفوة خلقك ، سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الهداة الراشدين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

اللهم إنا نبرأ إليك من الحول والطول ، ونسألك التوفيق لما ترضاه من العمل والقول ، ونعوذ بك أن نتكلف ما لا نحسن ، أو نقول ما لا نعلم ، أو نمارى فى الحق ، أو نجادل عن الباطل ، أو نتخذ العلم صناعة ، أو الدين بضاعة « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا(*) » « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلًا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم(**) » .

يسعدنا أن نقدِّم للقرّاء كتاب « الفِصل : فى الملل والأهواء والنّحل » لابن حزم الظاهرى .

ابن حزم نسبه وحياته

وابن حزم : هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم . لقب ألقابًا كثيرة منها الإمام الأوحد ، الحافظ ، العالم ، ناصر الدين .

ولد ابن حزم « بقرطبة » (٣٨٤هـ - ٩٩٤م) ، وكان أبوه وزيرًا للحاجب المنصور ،

(*) سورة البقرة رقم ٢٨٦ .
(**) سورة الحشرة آية رقم ١٠ .

وهو بحق كما ذكر ابن بشكوال : من أهل العلم والأدب والخير وكان له فى البلاغة يدقوية « ولا جرم أن هذه الخلال الكريمة التى أضفتها الأقدار على والد ابن حزم هى التى أهلته لمنصب الوزارة الذى اختاره له ابن أبى عامر الذى عرف بدقة حكمه ونفوذ بصيرته فى الحكم على الرجال وتمييز جواهرهم »[١].

فشب ابن حزم « فى منت ليشم » فى كورة « لبلة » فى حياة مترفة شأن أبناء الوزراء والأمراء الذين يجدون كل وسائل المتع والبذخ ميسرة لهم ، ويصور لنا ابن حزم جانب من حياته المترفة فى رحلة مع أصدقائه فيقول :

« تنزهت أنا وجماعة من إخوانى من أهل الأدب والشرف إلى بستان لرجل من أصحابنا ، فجلسنا ساعة ، ثم أفضى بنا القعود إلى مكان ، فتمددنا فى رياض أريضه وأرض عريضة ، للبصر فيها منفسح ، وللنفس لديها مسرح ، بين جداول تطرد كاباريق اللجين ، وأطيار تغرد بألحان تزرى بما أبدعه معبد[٢].... وظلال مظلة تلاحظنا الشمس من بينها فتتصور بين أيدينا كرقاع الشطرنج ... وأنهار متدفقة تنساب كبطون الحيات لها خرير يقوم ويهدأ ... الخ[٣]

غير أنَّ سقوط الدّولة العامرية – التى رفع الحاجب المنصور قواعدها – طوَّح فجأة بمجد أسرته وجاهها ، فقذفت به الحرب الأهلية بادىء الأمر إلى (أَلْمَرِيَّة) ، حتى إذا غلب سليمان على أمره – اتُّهم بالتواطؤ مع الأمويين ، ونفى بعد اعتقال دام عدة شهور . وفى « بلنسية » اتصل بعبد الرحمن الرابع الأموى الذى استطاع أن يحتفظ بخلافته فترة من الزمان هناك ، فلما كانت (١٠١٨ م) تمكن ابن حزم من العودة إلى مسقط رأسه حيث وزر « لعبد الرحمن الخامس » الخليفة الأموى سبعة أسابيع بين أواخر سنة ١٠٢٣ م وأوائل سنة ١٠٢٤ م ، وفى سنة ١٠٢٧ م نجده فى شاطبة حيث اختتم صفحة شبابه برسالته فى الحب الإنسانى التى تحدث عنها فى كتابه « طوق الحمامة » ، وهو من أقدم المؤلفات التى شرحت نظرية الحب الإنسانى .

وما هى إلَّا فترة يسيرة حتى شرع فى وضع مؤلفه الدينى التاريخى العظيم « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » وهو كتاب لم يسبق إلى مثله فى الفكر العالمى ، عرض فيه لمختلف الفرق الإسلامية ، وللديانتين اليهودية والنصرانية أيضًا بأقسى النقد وألذعه .

وكان ابن حزم فى أول أمره شافعى المذهب ، ولكنه أصبح من الظاهرية الذين يرفعون لواء

---

(١) ابن حزم للأستاذ طه الحاجرى ص ٣٢ .
(٢) أحد رجال الغناء والموسيقى المميزين .
(٣) طوق الحمامة لابن حزم ص ١٣٣ وما بعدها .

الإسلام كما كان عليه منذ نشأته الأولى ، وشاركهم مواقفهم ضد الأشعرية ، وضد الصوفية ، وتقديس الأولياء وضدّ الخرافات جميعها .

وفى النصف الثانى من حياته وضع عددًا ضخمًا من المؤلفات التاريخية والفقهية وقد وجد الأمن عند حاكم جزيرة « ميورقة » أحمد بن شدياق طوال عشر سنوات تمكن فى نهايتها أبو الوليد الباجى أحد فقهاء المالكية من إبعاده عنها بسبب خلاف نشب بينهما .

ومهما يكن من أمر فقد قضى ابن حزم آخر سنى حياته مع أسرته حيث توفى عام ٤٥٦ هـ[٤].

(٤) راجع تاريخ الشعوب الإسلامية : لبروكلمان ص ٣١٣ ، ٣١٤ - نقله إلى العربية أمين فارس ومنير البعلبكى ط دار العلم للملايين - بيروت وكذلك الإسلام والعرب لروم لاندو - ط دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٢ م وللاستزادة من التفاصيل التاريخية لحياة ابن حزم راجع كتابه (طوق الحمامة) .

شيوخ ابن حزم

ابن حزم الذى نشأ فى قصور الأمراء ، وتربى على موائد الوزراء ، وفتح عينيه على جهابذة الفكر والأدب ، فنهل من ينابيعهم وقطف من بساتينهم ، وعرف فى مقاعد الدرس شوارد اللغة وأسرار الشريعة وفقه الحياة ، ولقد اختار له والده مجموعة خيّرة من رجالات الإسلام وعمالقة الأدب . وكان ثمرة ذلك تكوين ابن حزم فقيه الإسلام وشيخ العلماء . ومن هؤلاء الشيوخ :

١ – أبو محمد الرهونى عبد الله بن يوسف بن نامى . وكان رجلًا صالحًا خيرًا فاضلًا لا يقف بباب أحد ، وكان مجودًا للقرآن ، حسن الخلق ، جيد العقل خاشعًا ، كثير البكاء متحريًا فيما يسمع متحفظًا ورعًا فى دينه[٥].

٢ – مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار – وعنه أخذ القول بالظاهر حتى صار فيه إمامًا متفردًا قال الضبى : مسعود فقيه عالم زاهر يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر ذكره أبو محمد ابن حزم وكان أحد شيوخه »[٦].

٣ – أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى يزيد المصرى الذى ذكره ابن حزم فقال : وأذكر فى مثل هذا إبان الاضطرابات السياسية أنى كنت مجتازًا فى بعض الأيام بقرطبة فى مقبرة باب عامر فى جماعة من الطلاب ونحن نريد مجلس الشيخ أبى القاسم عبد الرحمن بن أبى يزيد المصرى بالرصافة أستاذى – رضى الله عنه[٧].

---

(٥) ابن حزم – طه الحاجرى ص ٧١ وما بعدها .
(٦) بغية الملتمس ص ٤٦٧ .
(٧) طوق الحمامة ص ١٠٢ .

٤ – أبو عمر أحمد بن محمد بن الجسور ، وكان أول من جلس بين يديه واستمع إلى حديثه ولا شك أنه كان عالمًا جليلًا حبب اليه العلم وقربه من العلماء ووضعه على أول الطريق .

٥ – محمد بن الحسن المذحجى القرطبى المعروف بابن الكنانى ، وكان أديبًا شاعرًا طبيبًا له فى الطب رسائل ، وكتب فى الأدب ، ومات بعد الأربعمائة ذكر ذلك ابن ماكولا فى كتاب « الأكمال » فى باب الكنانى نقلًا عن الحافظ أبى عبد الله الحميدى[٨] وابن حزم يدعوه باستاذه حين يعرض فى رسالته فى فضل علماء الأندلس . ويذكر كتبه فى الطب ويصفها بأنها « كتب رفيعة حسان » ويذكر رسائله الفلسفية ويصفها بأنها مشهورة متداولة وتامة الحسن ، فائقة الجودة ، عظيمة المنفعة » .

٦ – على عبد الله الأزدى المعروف بابن الفرضى ، وهذا الشيخ لم ير فعله بقرطبة فى سعة الرواية ، وحفظ الحديث ، ومعرفة الرجال والافتنان فى العلوم ، إلى الأدب البارع ، والفصاحة المطبوعة ، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة[٩].

هؤلاء بعض شيوخ ابن حزم ولا نستطيع أن نحيط بهم جميعًا لأنهم فوق الحصر والعد ومن تلقى المعرفة على هؤلاء العلماء الأفذاذ يستحق ما وصفه به ابن بشكوال حيث قال :

كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم أهل الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار[١٠] .

---

(٨) ابن خلكان – الوفيات جـ ٣ ص ١٤ .
(٩) ابن بشكوال الصلة ١/٢٥٣ .
(١٠) ابن خلكان الوفيات جـ ١٤/٣ .

آثاره العلمية

آثاره العلمية

تحتل آثار ابن حزم العلمية مكانا هامًا فى كل مجال من مجالات العلم والمعرفة ، ولا يفوتنا فى هذا المجال أن نشير إلى أهم هذه الكتب والمؤلفات :

١ – إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد : بروكلمان « المعلمة الإسلامية »

٢ – الاتصال : هكذا ذكره فى كشف الظنون : ٢ / ٢٥٨ .

٣ – الإحكام لأصول الأحكام : بروكلمان : مطمع الأنفس ، كشف الظنون ، مطبوع فى مجلدين – طبع بالقاهرة ١٩٠٨ .

٤ – الأخلاق والسير : طبع بالقاهرة .

٥ – الاستقصاء : (لم يذكره أحد ، وإنما يوجد فى رسالة الزركشي : « الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة » ص ٧٩ – طبع المكتبة الهاشمية بدمشق .

٦ – أسماء الصحابة الرواة ، وما لكلٍّ منهم من الأحاديث : بروكلمان – الذيل .

٧ – أسماء الله الحسنى : بروكلمان : الذيل . قال الغزالى : « وجدت فى أسماء الله الحسنى كتابًا ألفه أبو محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه . (تذكر الحفاظ) .

٨ – الأصول والفروع : بروكلمان – الذيل .

٩ – إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل ، وبيان تناقض مابأيديهم من ذلك

مما لا يحتمل التأويل . : بروكلمان – الذيل – كشف الظنون .

١٠ – الإمامة والسياسة : إرشاد الأريب : فى قسم سير الخلفاء ومراتبها ، والندب والواجب منها : (ياقوت : المقرى – واسمه فى المقرى « الإمامة والخلافة » .

١١ – الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام : (بروكلمان – الذيل) . قال فى « كشف الظنون » بصدد الكلام على كتاب الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام : شرحه ابن حزم وسماه : « الإيصال إلى فهم كتاب الخصال ، وهو شرح كبير أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من الأئمة فى مسائل الفقه ودلائله ، زاد ابن خلكان : « والحجة لكل طائفة وعليها ، وهو كتاب كبير ، قال الإمام أبو محمد بن العربى ، أحد كبار تلاميذ ابن حزم القارئين عليه أكثر تواليفه : « كان عند الإمام أبى محمد بن حزم كتاب الإيصال فى أربعة وعشرين مجلدًا بخط يده ، وكان فى غاية الإبداع : (إرشاد الأريب) .

١٢ – البيان عن حقيقة الإيمان : الذيل .

١٣ – التحقيق فى نقد زكريا الرازى فى كتابه العلم الإلهى – الذيل – أشار إليه ابن حزم فى كتاب الفصل ١ : ٣ .

١٤ – التقريب لحدود المنطق : الذيل . صاعد . كشف الظنون ، والمدخل إليه بالألفاظ العامية ، والأمثلة الفقهية لا بألفاظ الفلاسفة ، جاء فى كشف الظنون : ١ / ٣١٩ تقريب فى المنطق لابن حزم الظاهرى ، وهو مختصر جعله مدخلًا إليه ، وأورد الأمثلة الفقهية بألفاظ عامية . بحيث أزال سوء الظن عنه .

وقد عاب هذا الكتاب كثير ممن ترجموا له ، فقال « صاعد » فى الطبقات ص ١١٨ : « بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف ، واستعمل فيه أمثلة فقهية ، وجوامع شرعية ، وخالف « أرسطاطاليس » واضع هذا العلم فى بعض أصوله مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض فى كتابه ، فكتابه من أجل هذا كثير الغلط ، بيّن السقط » .

وقال أبو مروان بن حيان فى « إرشاد الأريب – فى ترجمة ابن حزم : وله فى بعض تلك الفنون ، يعنى المنطق والفلسفة ، كتب كثيرة ، غير أنه لم يخل فيها من غلط وسقط ، لجراءته فى التسوّر على تلك الفنون ، ولا سيما المنطق فإنهم زعموا أنه زلّ هنالك ، وضلّ فى شكول المسالك ، وخالف أرسطاطاليس واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض . وقد حقق

هذا الكتاب الدكتور إحسان عباس ، وسماه : « التقريب لحد المنطق ، والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية : « منشورات دار مكتبة الحياة – السودان » .

١٥ – التلخيص لوجود التخليص – الذيل . وفى بعض المصادر ، التلخيص والتخليص فى المسائل النظرية وفروعها التى لا نصّ عليها فى الكتاب والحديث .

١٦ – تنوير القياس : الذّيل ..

١٧ – التوفيق إلى شارع النجاة باختصار الطريق – الذيل .

١٨ – الجامع فى صحيح الحديث باختصار الأسانيد – الذيل ، زاد ياقوت : والاقتصار على أصحها ، واجتلاب أكمل ألفاظها ، وأصحّ معانيها .

١٩ – جمهرة الأنساب : بروكلمان – المعلمة الإسلامية – كشف الظنون . عينت المعلمة الإسلامية وضع هذا الكتاب فى سنة ٤٥٠ هـ ، وذكرت أن ابن خلدون يعتمد عليه ، ويذكره كثيرًا فى كتابه ، نشر وترجم فى مدريد عام ١٨٩٢ هـ – وحققه الاستاذ : عبد السلام هارون

وجاء فى النشرة الشهرية لدار الكتب يوليو سنة ١٩٣٨ م عن هذا الكتاب ما يلى :

أوله : الحمد لله مبيد القرون الأولى ، ومزيل الدول ، خالق الخلق ....

صدره بجملة من الأحاديث الدالة على فضل النسب ، وبيّن أنّ من فوائده اختيار الخليفة من القرشيين ، وذكر بابًا فى أقسام الفن جملة ، ثم ذكر أولاد عدنان من ولد إسماعيل ، وأولاد كنانة ، وأولاد النضر ، وأولاد فهر ، وأولاد عبد المطلب ، وأولاد أبى طالب ، وغيرهم على سبيل الإجمال ، ثم ذكر قبائل العرب ، وأنسابهم ، وبطونهم ، وأفخاذهم ، وما تفرّع منهم .

٢٠ – الدّرة : فى تدقيق الكلام فيما يلزم الإنسان اعتقاده ، والقول فى الملة والنحلة باختصار وبيان (الذيل) .

٢١ – طوق الحمامة ويعتبر من أوائل مصنفات ابن حزم كتبه فى شاطبه حوالى عام ٤١٨ .

٢٢ – الرد على ابن النغريلة حققه د . إحسان عباس .

٢٣ – المحلى حققه الشيخ أحمد شاكر وعبد الرحمن الجزيرى واتمه محمد منير الدمشقى فى أحد عشر مجلدًا عام ١٩٥٨ م .

٢٤ – الفصل فى الملل والأهواء والنحل : وهو موضوع هذا التحقيق .

هذا ثبت بأهم المؤلفات التى نسبت إلى ابن حزم وقد وجد بعضها عناية المحققين ، وما زال

بعضها الآخر فى حاجة إلى أن يعكف عليه بالدراسة والتحقيق لتحقيق الفائدة من علم هذا العالم الكبير . وقد اعتمدنا فى هذا الثبت على ما ذكره الأستاذ سعيد الأفغانى ورسالته المفاضلة بين الصحابة فى كتابه ابن حزم ، وعلى ما جاء فى كشف الظنون وما ذكره المحققون المحدثون .

عناية المسلمين بدراسة الأديان

عناية المسلمين بدراسة الأديان :

ويهمنا فى هذا التمهيد أن نكشف عن منزلة كتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » بين الكتب التى ألفت فى الأديان ، وبالتالى نوضح عناية المسلمين بهذه الدراسة :

فكثير من المشتغلين بدراسة الأديان ـــ فى الشرق والغرب – يكادون يتفقون على أن المسلمين كانوا أول من وضع بعض القواعد المنهجية لدراسة الملل والنحل وأنَّ غيرهم ممّن اشتغل بهذه العلوم اتّبع قواعدهم ، واستفاد من محاولاتهم .

ولقد بدأ اهتمام المسلمين بدراسة كتب الأديان السماوية والعقائد المذهبية مبكرًا .

ويذكر صاحب كتاب الفهرست : أن أحمد بن عبد الله بن سلَّام ترجم للخليفة هارون الرشيد التوراةَ والإنجيل ، وأنه تحرَّى الدِّقة فى الترجمة[11] .

فإذا صحَّ ما يقوله أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادى المعروف بالوراق صاحب كتاب الفهرست فإنَّ معناه وجود ترجمة عربية للعهدين ؛ القديم والجديد فى أواخر القرن الثانى للهجرة .

---

(١١) كتاب الفهرست للنديم ط المطبعة التجارية : ٣٢٥

والمستعرض للجزء الأول من الكتاب المعروف بتاريخ اليعقوبى يجد بيانات عن الأناجيل الأربعة ، واستشهادات من نصوصها تدلّ على اطّلاعه عليها ، والعكوف على دراستها [١٢].

ويذكر ابن جرير الطبرى فى تاريخه أيضًا فقرات عن عيسى عليه السلام ، ونماذج من أقواله [١٣].

وأورد المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » بعضًا من أخبار ملوك الروم المتنصرة ، ذكر فيها المجامع الدينية التى أسماها « سندوسات[١٤] » .

وذكر فى موضع آخر من كتابه السابق أنه تناول دراسة الملل والنحل فى كتابه المسمى « المقالات فى أصول الديانات [١٥] » .

وقد أفرد « البيرونى » كتابًا فى ديانات الهند أسماه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة » .

وعقد « البارون كاردى فو » موازنة بين ما كتبه كل من البيرونى والمسعودى عن المسيحية فقال :

(أما البيرونى : فكان أكثر معرفة من المسعودى بالمسيحية ، وقد أخذ عن « النساطرة » عندما صنّف كتابه « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ، وكان يعرف كثيرًا من نصوص الأناجيل [١٦]) .

ومما يلفت النظر فى المؤلفات الخاصة « بالملل والنحل » الحيز الكبير نسبيًا الذى تشغله ديانات الفرس والهنود مما يدل على قوة التيارات الفكرية ، والمستعرض لكتاب الفهرست يرى صدق ما نرمى إليه :

ففى الجزء الخاص الذى عقده أبو الفرج الوراق للمذاهب والاعتقادات يستغرق أكثر من خمسين صحيفة ، ويخص الحديث عن التوراة والإنجيل خمس صفحات ، والفرق المسيحية صحيفة واحدة[١٧].

ومن القواعد التى التزمها المسلمون فى الدراسات المقارنة للملل والنحل الحيدة التامة فى عرض وجهة نظر الآخرين ، دون أية محاولة للرد عليها أو إظهار بطلانها أو تهافتها قبل إتمام العرض .

---

(١٢) تاريخ اليعقوبى : ٥٢ - ٦٣ .
(١٣) تاريخ الرسل والملوك : ٢ ص ٢٤ ، ٢٥
(١٤) سندوسات : أى مجمع دينى : مروج الذهب ط بولاق جـ ١ ص ١٥٢
(١٥) المصدر السابق : جـ ١ ص ١٧
(١٦) مقدمة كتاب الرد الجميل للغزالى - تحقيق الأستاذ/عبد العزيز عبد الحق : ٧٦
(١٧) المصدر السابق : ٧٧ بتصرف

ومما يصدق عليه ذلك كتاب « مقالات الإسلاميين » لأبى الحسن الأشعرى ت ٣٢٤ هـ . وكتاب « الملل والنحل » للشهرستانى المتوفى ٥٤٨ هـ ، وكتاب « مقاصد الفلاسفة » للغزالى .

أما فيما يتعلق بالمؤلفات الجدلية الخاصة بالمسيحية فمن أقدم ما ذكر منها رسالة الجاحظ « الردّ على النصارى » .

ونشطت الحركة الجدلية بين المسلمين والمسيحيين فى العراق والشام ومصر ولكنها بلغت ذروتها فى الأندلس لكثرة المسيحيين واليهود فى تلك البلاد .

ومن الرسائل الجدلية القصيرة التى كتبها علماء المسلمين فى الأندلس :

١ – الرَّد على اليهود : للرقيلى .
٢ – الرَّد على النصارى : لأبى القاسم القيسى .

وقد نشر « بلاثيوس » النصَّ العربىّ لهما مع ترجمته إلى الأسبانية . وكتابًا لابن أبى عبيدة فى الردّ على النصارى .

على أن أعظم ما ألف من الكتب الجدلية فى الأندلس هو كتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » لأبى محمد على بن حزم المتوفى ٤٥٦ هـ .

كتــاب الفصــل

« **كتاب الفصــل** » :

حرص « ابن حزم » على أن يبدأ أيّا من مؤلفاته بتحديد موضوع بحثه ، وتعيين خطته فى الدراسة ، والنص على الهدف الذى قصد إليه من وراء تأليفه .

فقد نص فى مقدمة كتابه « الفصــل » على الغرض الذى من أجله تعرض لدراسة الديانات والملل فقال :

« إن كثيراً من الناس كتبوا فى افتراق الناس فى دياناتهم ، ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً ، فبعضهم أطال وأسهب ، وأكثر وهجّر واستعمل الأغاليط والشغب ، فكان ذلك شاغلًا عن الفهم ، قاطعاً دون العلم . وبعضٌ حذف وقصَّر ، وقلّل واختصر وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات ، فكان فى ذلك غير منصف لنفسه فى أن يرضى لها بالغبن فى الإبانة ، وظالماً لخصمه فى أنْ لم يوفه حقَّ اعتراضه ، وباخساً حق من قرأ كتابه إذ لم يغنه عن غيره ، وكلهم .. عقّد كلامه تعقيداً يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم ، وحلّق على المعانى من بعد ، حتى صار ينسى آخر كلامه أوّله ، وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم فكان هذا منهم غير محمود فى عاجله وآجله » .

وهذه المقدمة تدلنا على منهج « ابن حزم » الذى أخذ به نفسه منذ البداية منهج التزام الوضوح فى الرأى ، واجتناب التعقيد فى الفكر ، واستيفاء حجج الخصوم عند العرض .

وكتاب « الفصـــل » مكوّن من خمسة أجزاء .

الجـــزء الأول :

تحدَّث فيه بعد مقدمة مختصرة عن رءوس الفرق المخالفة ، ثم وضع البراهين الجامعة الموصلة إلى الحق ، وانتقل بعد ذلك إلى الكلام عمن أبطلوا الحقائق ، وهم السوفسطائية فعرض أقوالهم ، وناقشهم وردّ عليهم ، ثم تكلم بعد ذلك عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وعدد فرقهم ، وناقش الإنجيل والتوراة التى بين أيديهم ، وبيَّن أنّها من وضع أفَّاكٍ جاهل غرَّو بهم وضحك على عقولهم .

وختم الجزء الأول بالحديث عن التناسخ ، مع عرض مستفيض لحقيقة الروح فى منهج الإسلام .

وبالإضافة إلى ما سبق نجد أنه فى عرضه للجزء الأول دافع عن الفلسفة بقوله :

« إنَّ الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها ، والغرض المقصود نحوه بتعلمها ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس ، وهذا نفسه لا غيره هو الغرض فى الشريعة ، هذا ما لا خلاف فيه بين أحدٍ من العلماء بالفسلفة ، ولا بين أحدٍ من العلماء بالشريعة .. اللهم إلا لمن انتمى إلى الفلسفة بزعمه وهو ينكر الشريعة بجهله على الحقيقة بمعانى الفلسفة ، وبعده عن الوقوف على غرضها ومعناها[١٨] » .

وخلاصة هذا النص : « أن ابن حزم يرى أن غاية الشريعة هى الحكمة العلمية أو إصلاح النفس » ، وهذا ما ترمى إليه الفلسفة .

ويدحض ابن حزم حجج السوفسطائيين بالأدلة العقلية المعروفة فيقرر أنه لا موجب للطعن فى شهادة الحواس بحجة أنها قد تخطىء أحياناً ، فإن الخطأ قد يكون لآفة داخلة على الحواس .

ويردّ على الشكَّاك منهم فيقول :

« أشكّكَم موجود صحيح منكم أم غير صحيح ولا موجود .. ؟

فإن قالوا : هو موجود صحيح منّا أثبتوا أيضاً حقيقة مَّا ، وإن قالوا : هو غير موجود نفوا الشكَّ وأبطلوه ، وفى إبطال الشك إثبات الحقائق أو القطع على إبطالها[١٩] » .

---

(١٨) الفصل : جـ ١ ص ٩٤

(١٩) الفصل : ١ : ٩٠٨

والجزء الثانى :

يتكلم فيه عن الأناجيل الأربعة وبيان ما فيها من التناقض والكذب ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن فرق أهل الإسلام ، وخروج أكثر هذه الفرق عن دين الإسلام ، ثم يفرد الكلام عن التوحيد وقضايا الذات والصفات الإلهية وما يتصل بهذه القضايا من آراء وأفكار .

وابن حزم فى تفنيده لآراء الأناجيل أو التوراة يعتمد على الأوليات العقلية والمقدمات البدهية ، فيقدم بين يدى القارىء النصَّ من الإنجيل أو التوراة ثم يوضح ما فيها من تناقض أو استحالة أو خروج على قواعد العقل .

من ذلك ما أورده نقلا عن سفر الخروج من أن الله قال لموسى : « إنه سيهلك بنى إسرائيل ، وسيقدمه هو على أمة أخرى عظيمة ، وكان الله يكلم موسى فمًا لفم كما يكلم المرء صديقه ، فلم يزل موسى يتودّد إلى ربه ويطلب إليه المغفرة حتى أخذ الرب بقول موسى ، ورضى عن شعب إسرائيل » . ثم يعقب ابن حزم على هذه الواقعة بقوله .

« إنَّ فى هذا الفصل من السخف غير قليل ، لأن فيه البُداء ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً ، وفيه التكليم فمًا لفم ، وتحقيق التجسيم والتناقض على البارى تعالى فى كلامه وفعله دون تأويل ، ولا مخرج لهم من هذا[٢٠] » .

وهو فى ردّه على أهل الكتب السماوية يتبع طريقته الظاهرية فى معالجة المواضيع بوضوح وصراحة بعيداً عن الغموض والتعمية والتزييف الفكرى ..

فهو لا يؤول كالباطنية ، ولا يقيس كالحنفية ، ولا يكنّى ولا يورّى ، ولا يغمغم بل يمشى قدماً واضحاً صريحاً ، ولا يحمّل اللفظ أكثر مما يطيق من معنىً ، ولا يدَّعى دعوى إلَّا أرفقها بشاهدها ، وأيّدها بمروى متسلسل الإسناد[٢١] » .

والجزء الثالث :

تناول فيه الكلام عن القرآن وإعجازه ، والقضاء والقدر ، والاستطاعة ، والهدى ، والتوفيق ، وخلق الله عزّ وجلّ لأفعال خلقه ، وعن الإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، والوعد والوعيد ، ومكان المشيئة الإلهية من كفر الكافر وفسق الفاسق .

ولقد نالت مشكلة الجبر والاختيار اهتمام ابن حزم ، ويبدأ حديثه فيها بحصر الإجابات الممكنة على هذه المشكلة ، ورأى أنها تنقسم إلى رأيين أصليّين : رأى يرى أهله أن الإنسان مجبر

(٢٠) الفصل : ١ : ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢١) مقدمة كتاب حجة الوداع لابن حزم ، تحقيق ممدوح حقى ط دمشق دار اليقظة العربية ص ٨ .

على أفعاله ، وأنه لا استطاعة له أصلًا ، وهذا قول « جهم بن صفوان » ، وطائفة من الأزارقة .

ورأى آخر يرى أصحابه أن الإنسان ليس مجبراً بل هو يملك قوة أو استطاعة بها يفعل ما اختار فعله .

وأصحاب هذا الرأى الأخير منقسمون إلى فريقين : فريق يرى أن الاستطاعة التى يكون بها الفعل لا تكون إلا فى الفعل ولا تنفذ منه ألبتة . وهذا رأى الأشعرى وبعض طوائف المرجئة .

وفريق آخر : يرى أن الاستطاعة التى يكون بها الفعل موجود فى الإنسان قبل الفعل ، وهذا هو رأى المعتزلة .

وقد انقسم أصحاب هذا الرأى الأخير إلى فرق ، فقال بعضهم إنَّ الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل أيضاً ، وأنَّ فى وسع الإنسان أن يقبل على فعله أو أن يتركه ، وهو قول بشر ابن المعتمر ، بينما ذهب « أبو الهذيل العلَّاف » إلى أنَّ الاستطاعة لا تكون مع الفعل ألبتة ، ولا تكون إلَّا قبله ، ثم تفنى مع أول وجود الفعل . فى حين ذهب آخرون وعلى رأسهم النّظام إلى أن الاستطاعة ليست شيئاً آخر غير نفس المستطيع[٢٢] » .

الجزء الرابع :

يتناول فيه الكلام عن الأنبياء والرسل ، والكلام عن الملائكة ، والكلام فى الشفاعة والميزان ، والكلام فى القيامة وتغيير الأجساد ، والإمامة ، والفضل والمفاضلة بين الصحابة ، ويتناول الكلام عن حرب على ومن حاربه من الصحابة ، وبم يصلح عقد الإمامة ؟ ، وذكر العظائم المخرجة إلى الكفر . ثم ذكر شنع الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة .

الجزء الخامس :

تكلم فيه عن السحر ، والمعجزات ، والجن ، والطبائع . ونبوة النساء ، وتكلم عن الرؤيا ، وأى الخلق أفضل ؟ وعن الفقر والغنى ، والاسم والمسمى ، وقضايا النجوم ، وفى البقاء والفناء ، وفى المعدوم ، والحركة والسكون ، وفى الجواهر والأعراض ، والجسم والنفس .

ويختم الكلام عن المعارف بعرض أقوال العلماء فيقول : « اختلف الناس فى المعارف فقال قائلون : المعارف كلها باضطرار إليها ، وقال آخرون : المعارف باكتساب لها ، وقال آخرون : بعضها باضطرار وبعضها باكتساب .

---

(٢٢) الفصل : ٢٢/٣ .

قال أبو محمد : والصحيح فى هذا الباب : أن الإنسان يخرج إلى الدنيا ليس عاقلًا ، لا معرفة له بشىء ، كما قال عزَّ وجل : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا[٢٣] » .

ثم يقول : العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد ، وهو اعتقاد الشىء على ما هو عليه ، وتيقنه به ، وارتفاع الشكوك عنه ، ويكون ذلك إمَّا بشهادة الحواسّ ، وأول العقل ، وإمَّا ببرهان راجع من قرب أو من بعد إلى شهادة الحواسّ . أو أوّل العقل ، وإمّا باتفاق وقع له فى مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ما افترض الله عزَّ وجل عليه اتباعه خاصة دون استدلال .

وأما علم الله تعالى فليس محدودًا أصلًا ، ولا يجمعه مع علم الخلق حدّ ، فلا حسَّ ، ولا شىء أصلًا .

* * *

« رأى العلماء فى كتاب الفصل »

يقول « دى لابوليه » فى كتابه « الدراسات المقارنة للأديان » : « إن كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل يشهد بسعة اطلاع مؤلفه ابن حزم .. إذ أفرد فيه حيزاً كبيراً للمسيحية وفرقها ، أورد فيه ملخصاً عن نشأة كل فرقة ومدى انتشارها ، ثم اليهودية وأحبارها .. وأضاف أيضاً « دى لابوليه » « إن هذه البيانات على إيجازها تعدّ بالغة الدقة ، وأننا إزاء هذا الاستناد المستفيض إلى النصوص لا نعرف ما يرجع من هذه البيانات إلى أبحاثه الشخصية لتعذر مقارنة كتاباته بأبحاث من سبقه من العلماء العرب فى هذه الموضوعات[٢٤] » .

يقول « ابن حيان » : « ولهذا الشيخ أبى محمد مع اليهود – لعنهم الله ومع غيرهم من أولى المذاهب المرفوضة من أهل الاسلام – مجالس محفوظة ، وأخبار مكتوبة » ثم إنه رأى أن الاطلاع على نصوص كتبهم يقوى موقفه ، وينفى عنه تهمة الجهل بما يوردونه عليه من آراء ، فقرأ التوراة وهى الأسفار الخمسة الأولى [٢٥]، ويبدو أنه كان منها نسخ مترجمة ترجمات مختلفة ، ولم تكن هناك ترجمة واحدة معتمدة لقوله : « ورأيت فى نسخة أخرى منها[٢٦] » .

ويقول : « دى لابوليه » فى موضع آخر من كتابه السابق : « إن المسائل التى عالجها فيما بعد أحبار المسيحية سبق أن بحثها ابن حزم وناقشها فى كتابه « الفصل » .

---

(٢٣) سورة النحل : آية ٧٨

(٢٤) الدراسات المقارنة للديانات : جـ ١ ص ١٠٨ نقلا عن مقدمة كتاب الرّد الجميل ص ٨١ بتصرف .

(٢٥) الذخيرة : جـ ١ ص ١٤٣

(٢٦) كتاب الفصل جـ ١ ص (١٢١) .

ويؤيد ما ذهب إليه « دى لابوليه » : ما يقوله أحد الباحثين المعاصرين من أن ابن حزم سبق الكثير من علماء الأديان ، ورجالات النقد التاريخى إلى دراسة التوراة والإنجيل بروح الفيلسوف المتعمق ، والمؤرخ الفاحص المدقق حتى إننا لنجد فى تضاعيف كتبه الكثير من الآراء التى يردّدها من بعده خصوم المسيحية من أمثال « دافيد شتراوى » و « برونو باور » و « رنان » وغيرهم(٢٧)

وقد يكون من المسلم به إذا فكّر بعض الباحثين القيام بدراسة مقارنة لكتب ابن حزم فى نقد الديانتين : اليهودية والمسيحية ، ومؤلفات أنصار الفكر الحر من رجالات المدرسة الغربية المعاصرة – فإنه واجدّ بلا شك لدى فيلسوفنا العربى الكثير من الآراء المطابقة لما انتهى إليه أولئك المفكرون .

ويكاد يتفق معنا فى هذه النتيجة التي يقول بها المستشرق « مرجليوث » فى قوله : إن دراسات ابن حزم للأسفار الخمسة فى العهد القديم أدت به إلى السبق فى إيراد بعض الاعتراضات التى أدلى بها النقاد الحديثون من أمثال الأسقف « د . كولنو(٢٨) » .

وقال الشيخ « عبد الله الترجمان » فى كتابه « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » :

« وجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين رضى الله عنهم محتوية على ما لا مزيد عليه إلّا أنهم رحمهم الله – قد سلكوا فى معظم احتجاجهم على أهل الكتاب من اليهود والنصارى مسالك مقتضيات المعقول إلا الحافظ إبا محمد بن حزم رحمه الله ، فإنه قد ردَّ عليهم بالمعقول والمنقول ، غير أنه لم يرد عليهم بمقتضى المنقول إلّا فى النادر من المسائل(٢٩) » .

ونحن نعتز بهذا الرأى ونقدر قيمته لأنه لم يصدر عن رجل قريب الصلة بالمسيحية فحسب بل كان واحداً من قسيسيها(٣٠) تلقى قبل تكريسه دراسة فى الكتاب المقدس .

ويقول الأستاذ « محمد محفوظ » :

« إن منهج بن حزم فى نقده يتمثل فى معارضة نصوص الكتاب المقدس بعضها ببعض ، وبيان ما فيها من اضطراب ، وتناقض واختلاف ، وردّ الروايات التاريخية التى تصادم مقررات العلوم على ما وصلت إليه فى عصره من الحساب والهندسة والجغرافية ، والحيوان ، والنبات ، والمعادن ،

---

(٢٧) ابن حزم الأندلسى المفكر الظاهرى الموسوعى . د . زكريا إبراهيم ص ١٥٣ .

(٢٨) موسوعة الدين والأخلاق مادة « أسفار العهدين ، القديم والجديد » ، ولهذا الأسقف كتاب ضخم عنوانه : « الفحص النقدى للأسفار الخمسة – وسفر يوشع هاجم فيه دعوى تأليف موسى للأسفار الخمسة .

(٢٩) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب – المقدمة : ٢ ط مطبعة التمدن بالقاهرة ١٩٠٤ م ونقل ذلك عنه الأستاذ عبد العزيز فى مقدمة كتاب الرد على الجميل ٨٤ .

(٣٠) كان الشيخ عبد الله الترجمان قبل إسلامه قسيسًا فى جزيرة « ميورقه » إحدى جزر البليار شرق أسبانيا ، قدم تونس فى زمن أبى العباس أحمد الحفصى وأسلم ، وأولاه أحمد الحفصى قيادة البحر بالديوان .

وبالجملة كل ما يتعارض مع القوانين اليقينية الثابتة المطردة التى يسير العالم والمجتمع الإنسانى على حسب مقتضياتها ، وهذا يعدّ عند ابن حزم كذباً ، ومحالًا من باب ما يتسلّى به العجائز من الخرافات والأسمار[٣١].

من ذلك ما يورده فى كتابه « الفصل » عن قصة تعبد بنى إسرائيل لعجل من ذهب صنعه لهم « هارون » أخو « موسى » ، وكيف أن « موسى » عليه السلام وجد بنى إسرائيل عراة بين يدى العجل يتغنون ويرقصون ، وكان « هارون » قد عرَّاهم بجهالة قلبه .

ويعقب على هذه القصة بقوله :

« هذه نصوص كتابهم ، أفتسوغ لمن له أدنى مسكة من عقل أن يكون نبى يعمل عجلا للعبادة من دون الله ، ويأمر قومه بعبادته ، ويرقص هو وهم تعظيماً للعجل على أنه إلههم ؟ ! ..

ثم يقول : « والذى لا شك فيه عندى أن من بدّل توراتهم ، وأدخل فيها مثل هذا إنما قصد إلى إبطال النبوة جملة[٣٢] » .

لماذا حرصنا على تحقيق كتاب الفصل مع أنَّه طبع مرتين أو ثلاث مرات ؟!

الحقيقة التى وقفنا عليها : أن هذا الكتاب من أهمّ الكتب التى يجب العناية بها ودراستها وتحقيقها ، لأنَّ مثله فى مجال العقائد كمثل ديوان المتنبى فى الشعر العربى ، غير أن ديوان المتنبى قد وجد عناية المحققين ، فأخرجوه محققًا مرَّات عدة وترك المهتمون بدراسة العقائد تحقيق هذا الكتاب حتى الآن ، وإخراجه فى الصورة التى تحقق الفائدة ، وتبعد عنه الخلط ، واللحن ، والتضارب .

لقد لقى ابن حزم اهتمامًا كبيرًا فى هذا العصر ، فدارت حوله دراسات متعدّدة تناولت نواحى التفكير التى اتجه إليها ، فقد ثبت أنه بين المؤرخين يحتل مكانة مرموقة ، وبين الأدباء أديب يشار إليه بالبنان ، وهو بين الفقهاء فقيه صاحب رأى واجتهاد ، وبين علماء الكلام عالم وصل إلى منزلة لا يتسنمها إلّا القلائل ، وها هى ذى الأطروحات العلمية حول تفكير ابن حزم وآرائه تناقش فينال أصحابها الدرجات العلمية من (ماجستير أو دكتوراه) .

ولا ندرى لِمَ ترك المحققون هذا الكتاب حتَّى هذه الآونة . . ربّما كان ذلك لأن القدر أراد

---

(٣١) « بين ابن حزم وابن خلدون » مقال للأستاذ محمد محفوظ نشر فى مجلة الفكر التونسية . عدد يناير سنة ١٩٦٣ ص ٤٢ – ٤٨ نقلا عن الرد الجميل .

(٣٢) الفصل : جـ ١ ص١٦١، ١٦٢

أن يقترن اسمنا بهذا العالم الكبير ، وبهذا العمل العظيم الذى نرجو أن نكون قد بذلنا فيه جهدًا يحقق الغاية التى نهدف إليها ، وهى تيسير هذا الكتاب وتيسير الانتفاع به أمام هذا الجيل الذى يتعرّض لأعتى ضروب التحدّى ، وأقسى حملات التشكيك من تلك المذاهب المادية التى انتشرت سمومها فى شتّى نواحى المعرفة بطريق مباشر أحيانًا ، وبطريق غير مباشر فى كثير من الأحايين ، والصحف المسمومة تغذى هذه الاتجاهات الضالة تحت شعارات براقة مرة باسم التقدمية ، ومرة تحت اسم التحرر الفكرى ، أو النضال من أجل التقدم ، أو الطلائع المبشرة بميلاد جديد ، أو غير ذلك من الأسماء البراقة التى تخفى وراءها الكفر والإلحاد ، والزّيغ والضلال .

وقد ظهر فى هذا العصر من يقول : « إنَّ الصراع الاقتصادى بين الفقراء والأغنياء هو العامل الأساسى فى تحريك الصراعات والثورات ، وكافة التطورات الاجتماعية ، ومن ثم يرى أن الديانات كلها – لم تكن إلا ثورات بشرية تمثل الصراع بين الأغنياء والفقراء على مصادر النتاج الاقتصادى ، وينتهى من هذا كله إلى أن الإسلام لم يكن دينا موحى به ، وإنما كان مجرد ثورة بشرية من اليسار الفقير على اليمين الغنى .

ومن المبتدعين الضالين من بشر بالفكرة المادية القائلة بأن العلم المادى التجريبى أبطل القول بوجود الإله ، وحلَّ هو محل الديانات والنبوّات فى قيادة البشرية وسيرها الحثيث نحو التقدم .

فما أشبه اللّيلة بالبارحة !! وما أشبه هذا القول المنكر بقول السوفسطائية ، وبقول القائلين بإثبات الحقائق ، وأن العالم لم يزل ، وكذلك القائلون بإثبات الحقائق وأنَّ للعالم مدبرين وأنهم أكثر من واحد . . إلى آخر الفرق الست التى ذكرها ابن حزم وفنّد آراءها ، وناقشها مناقشة علمية عقلية بطريق يتفق تمامًا مع المناهج العلمية الحديثة بعيدًا عن النصوص الدينية ، لا يأتى بها إلَّا بعد أن يستكمل البرهان ، ويقيم الدليل العقلى الواضح لأن أمثال هؤلاء ينكرون الديانات أصلًا ، فكيف يعتدّون بالنصوص التى أتت بها .

وممَّا أضفى أهمية بالغة على هذا الكتاب : أنَّ ابن حزم قرأ العهد القديم والعهد الجديد (التوراة والإنجيل) وأورد نصوصًا منها ، وبيَّن تضارب هذه النصوص وتعارضها ، كما أورد قصصًا منها وحكايات لا يمكن أن تصدر من إله ، بل لا تصدر إلَّا من مجموعة من البشر يضمهم مجلس يتناجون فيه أحيانًا أو يتبادلون فيه الشراب والتهديدات ، ثم يتصافون ويعود بعضهم إلى بعض بعد ذلك . . فكم عرضت التوراة صورًا لغضب الرَّب على بنى إسرائيل ، وتهديدهم بالويل والثبور ، وعظائم الأمور فلم يزل موسى معه يرضيه ويتودّده حتى ينقلب غضبه على بنى إسرائيل إلى رضى وتنقلب تهديداته لهم إلى وعدٍ بالأرض الموعودة ، وإلى تحقيق للنصر والغلب والفتح والاستعلاء .

إنَّ مناقشة ابن حزم لهذه الآراء ، وإبطالها ، وإقامة الحجج العقلية ، والبراهين المنطقية ، جعلت لهذا الكتاب أهمية كبرى ، وستظل أهميته قائمة على مدى الأيام ما دامت هناك فرق تعادى الإسلام ، وتتخذ منه موقف التحدِّى والإنكار .

* * *

بقى أن نذكر أن هذا الكتاب طبع مرات عدّة من غير أن يبذل فى تحقيقه جهد يذكر ، فقد اطلعنا على النسخ المطبوعة فظهر لنا فيها ما يأتى :

١ – اضطراب فى المعنى ، وتناقض فيه بسبب عبارات متروكة أو كلمات محرّفة .

٢ – الأعلام متروكة بغير تحقيق ولا ضبط .

٣ – الأحداث والبلدان التى وردت فى الكتاب تركت بغير تعريف بها ، أو إشارة إلى ما يوضح ما فيها من غموض وإبهام .

٤ – النصوص القرآنية وقع فى بعضها تحريف ، وفى بعضها الآخر تصحيف .

٥ – الأحاديث النبوية لم تُخَرَّج .

٦ – الكلمات التى يقع فيها لبس فى النطق لم تضبط بالشكل .

٧ – طبع الكتاب بدون مراعاة للترقيم ، فالعبارات التى تبدأ بفكرة جديدة لم تبدأ من أول السطر ولم يهتم بوضع النقط فى نهاية العبارة ، وكذلك الفصلات بين العبارات المتعاطفة .

وهكذا كان الكتاب فى حاجة ماسة إلى التنسيق والتبويب ، وملافاة هذه الأخطاء والعيوب .

الخطوات التى اتبعناها حتّى تمَّ تحقيق الكتاب

○ رجعنا إلى فهارس المخطوطات لنعثر على الأصل المخطوط ، وقد استعنا بفهارس دور الكتب المختلفة فى أنحاء العالم العربى والإسلامى والغربى ، ومن حسن الحظ وجدنا فى عمادة شئون المكتبات التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – نسخًا من هذه الفهارس ، وبعون من المشرفين على قسم المخطوطات – بعد عون الله تعالى – أمكننا أن نقف على النسخ الخطية الأصلية لهذا الكتاب ، ونتعرف على أمكنة وجودها .

وقد تبين لنا أن أوفى نسخة منه موجودة فى قسم المخطوطات بالجامعة العربية بالقاهرة .. فيممنا وجوهنا نحو الجامعة العربية ، واستطعنا أن نحصل منها على صورة (بالميكروفيلم) ، ثم عدنا إلى الرياض ، واتصلنا بقسم المخطوطات فى جامعة الرياض وهو قسم معدٌّ إعدادًا جيدًا . . وتمكنا من تصوير هذا الفيلم على ورقٍ مصقول ، وحصلنا على نسخة واضحة .

○ لقد اتخذنا هذه النسخة المصورة أصلًا ، قابلنا عليها النسختين المطبوعتين (أ ، ب) وسيأتى وصف لهما ، وقد هالنا ما رأينا ..!!

وجدنا عبارات كاملة تتجاوز السطور الخمسة متروكة ، وقد تكرر هذا فى أكثر من موضع .. وكان يدفع إليها فى معظم الأحيان تكرار كلمة واحدة فى سطور متقاربة ، كأن تكون كلمة (المتمكن) مثلًا قد وردت فى السطر السادس ثم تكررت بعد ذلك فى السطر العاشر ، فتنتقل عين الناسخ من الأولى إلى الثانية وسوف نضرب أمثلة لذلك فى هذه المقدمة .

كما وقع كثير من التحريف فى الكلمات مما أدّى إلى فساد المعنى ، والبعد به عن الصواب ، فمثلا كلمة (تَحِلَّةُ القسم) بالتاء المثناه والحاء المكسورة واللام المشدّدة ، تكتب (نحلة) بالنون المكسورة ، والفرق كبير بين المعنيين . وكلمة (يُفَنِّد) تكتب (يُغْنِيه) ، وكلمة (تَتَوَخَّوا) تكتب (تَبُوحوا) وهكذا مما وضحناه فى أثناء التحقيق .

وأحيانًا تكون الكلمة منفية فيسقط حرف النفى فتصبح مثبتة ، ويضطرب المعنى ويفسد .

وكما ذكرنا من قبل : تُركت الأعلام كلُّها من غير ضبط ولا ترجمة لها ، فقمنا بتلافى هذا النقص بقدر الإمكان ، وإخراج الكتاب على نحو يحقّق الفائدة المرجوَّة منه إن شاء الله .

أمثلة لما وقع فى النسخ المطبوعة من قصور :

○ بدأت النسخة الخطية بـ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا ، قال الشيخ الإمام الأوحد ، الحافظ ، العلم ، ناصر الدين » .

وسقطت هذه البداية فى النسختين (أ ، ب) .

○ وفى (خ) فى المقدمة « أحمد بن سعيد بن حزم » وفى (أ ، ب) سقط من نسبه (سعيد ابن) . وفى « خ » (إلَّا تَحِلَّة القسم) وفى (أ ، ب) حرّفت فصارت (نِحْلة) بالنون . وقد ذيلنا ذلك بالتحقيق الذى يوضح المعنى حيث ورد فى قول الرسول عليه السلام : « لا يموت لأحدٍ من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلَّا تحلّة القسم » كأنه يريد قول الله تعالى : « وإن منكم إلَّا واردها كان على ربك حتمًا مقضيا » لأنه فى حكم القسم من الله تعالى .

○ وفى ص ١٧ فى النسخة (أ) جاء ، (وادَّعوا ما لا سبيل إلَّا معرفة) . وهو تحريف والصّواب كما جاء فى (خ) ، (وادَّعوا ما لا سبيل إلى مشاهدته) .

○ وفى ص ٥٠ سقطت عبارة كاملة وهى : « كلها فقط ، والبارى تعالى لا زمان له ، ولا هو من النّوامى» .

وقد سقطت هذه العبارة لأن كلمة (النوامى) مكررة فى سطرين متتالين فنسخ الناسخ الكلمة الأولى ، ثم سبقت عينه إلى الثانية فترك ما بينهما .

○ وفى ص ٥٤ سقطت عبارة (أم لا داخل ولا خارج) من (أ ، ب) . وهى ضرورية فى توضيح السؤال الذى يوجهه ابن حزم فى مناقشته للذين يقولون بقدم الزمان والمكان ، فيسألهما : أهما داخل الفلك أم خارجه ، (أم لا داخل ولا خارج ؟) وهو التصور الثالث للمسألة ، وحذفه يترتب عليه نقص فى المعنى .

○ وفى الصفحة نفسها جاء فى (أ) (التمكن) بدلًا من (المتمكن) وهو تحريف يؤدى إلى فساد المعنى .

○ وفى ص ٥٥ من (خ) : « وأنه مكان لا متمكن فيه » وقد سقط حرف النفى فى (أ) فجاء « وأنه مكان متمكن فيه » .

○ ويتحدث عن النار والهواء فيقول : (ولا يفارق هذا الطبع إلا بحركة قسر تدخل عليهمو) ، وهو تحريف صوابه (عليهما) كما فى (خ) .

○ وفى ص ٥٥ : جاء فى (أ ، ب) « ولا ينسفك » والصواب (ولا يسفل) حيث يقول : « يبقى الماء صعدًا ولا يسفل » فحرفت إلى « ولا ينسفك » .

○ وفى ص ٥٦ : حرفت كلمة (تمص) فكتبت (تمس) .

○ وفى ص ٥٧ : سقطت من (أ ، ب) عبارة : « وهذا القول يوجب وجود جسم لا نهاية له ، وكل ما أوجب كون ما لا يكون فهو باطل لا يكون أصلًا » .

وواضح أن هذه العبارة تحمل قضية تلخص رأى ابن حزم واستنتاجه ، وحذفه يؤدّى إلى ضياع رأيه فى هذه القضية .

وفى الصفحة نفسها : « ومن قال إنَّ فى خارج الفلك نارًا غير محرقة ليست من جنس هذه النار » . وفى (أ) سقطت كلمة (غير) . فأصبحت (نارًا محرقة) والمعنى على النفى .

○ وفى الصفحة نفسها سقط من (أ ، ب) عبارة كاملة وهى : « قال أبو محمد : وكل ما أدخلنا فى الباب من إبطال قولهم بأزلية المكان والزمان فهو لازم لهم فى قولهم بأزلية النفس أيضًا ، ولا فرق ، وبالله تعالى التوفيق » .

○ وفى ص ٥٩ : حرفت كلمة (الأصلين) فزادت ياء فأصبحت (الأصليين) فى (أ)

وفى الصفحة نفسها سقطت جملة يصف بها الكواكب السبعة ، والبروج الإثنى عشر من (أ ، ب) وهى جملة (ويقولون بقدمها) .

○ وفى صفحة ٦٢ : سقطت العبارة التالية من (أ ، ب) وهى (فإذا ثبت أنه تعالى واحد بطلت الأقوال التى ذكرنا كلها) .

وواضح أهمية هذه العبارة فى مساق الدليل والوصول إلى النتيجة .. كما أشرنا إلى ذلك فى موضعه .

○ وفى (أ ، ب) : سقطت عبارة هامة حين يناقش ابن حزم من يقول : بأن خالق العالم ومدبره متعدّدون فيقول : ولا يخلو فاعل الخيرات عندكم من أن يكون قادرًا على تغيير الشّر والمنع منه (أو لا يكون قادرًا على ذلك ، فإن قلتم إنه قادر على تغييره والمنع منه) ، فالعبارة من أول (أو لا يكون ..) سقطت بأكملها وهى هامة فى إثبات الحقيقة التى يريدها المؤلف .

○ وفى ص ٦٩ تحريف يخل بالمعنى ويفسده ، فقد ناقش ابن حزم المانية فى زعمهم أن النور كان فى العلو إلى ما لا نهاية ، وأن الظلمة فى السفل إلى ما لا نهاية فيقول : « فكل علوٍّ فهو سفل لما فوقه حتى تنتهى إلى الصفحة العليا من الفلك الأعلى التى لا صفحة فوقها ، وهم يقرون بهذا .. » . وقد سقط فى (أ ، ب) كلمة (من الفلك الأعلى) . وزيد فيها حرف نفى فقال (وهم لا يقرون بهذا) بالنفى . وهو تحريف ظاهر لأنه أصل قضيتهم .

○ وثمة كلمات كثيرة محرّفة فكلمة (تبوحوا) حرّفت إلى (تتوخّوا) ، وكلمة (نبيَّة) حرفت إلى (نبتية) . وكلمة (يوآش) حرّفت إلى (بواس) .

وقد ساعدنا فى ضبط كثير من الأعلام المحرّفة رجوعنا إلى العهد القديم والعهد الجديد .

فقد حرصنا على مراجعة النصوص التى أوردها ابن حزم من التوراة والإنجيل على الأصل الحالى من التوراة والإنجيل ، ووقفنا على كثير من التحريفات ، وكثير من النقص ، فأشرنا إلى ذلك فى هامش الصفحات .

* * *

ولا نغالى إذا قلنا : إنَّ الكتاب المطبوع به مئات الأخطاء من حذف ، وتحريف ، وتصحيف ، وتبديل ، وقد أشرنا إلى ذلك فى موضعه من التحقيق .

* * *

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أننا قد أحدثنا بعض التعديلات التى تتعلق بتنسيق الكتاب ، وحسن إخراجه ، كالعناوين الجانبية التى استحدثناها ، وترقيم البدايات التى تحتاج إلى ترقيم ، حتى تظهر أهميتها وتتضح . وبدء كل فكرة جديدة من أول سطر جديد .. كما حرصنا على أن نضع العناوين الرئيسة فى وسط السطر بعد أن كانت مكتوبة فى ثنايا السطور أو كيفما اتفق .

* * *

طريقة ابن حزم فى المناقشة :

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن ابن حزم له فى هذا الكتاب نمط فريد فى المناقشة يعرف به ويدلّ عليه ، حتى أن من تمرّس بأسلوبه يستطيع أن يتعرف عليه من غير أن يدله أحد على أن هذا هو أسلوب ابن حزم .

ومن خصائص هذا الأسلوب : دقته فى المناقشة حتى يسدّ كل مسلك على معارضه ، ولا يترك له منفذاً ينفذ منه ، لاستيفاء الحجج العقلية والمنطقية ، وقد اتضح ذلك فى مناقشته نصوصًا من التوراة والإنجيل ، وبيان ما فيها من تحريف وخلط ، وتجلى ذلك فى إظهاره اضطراب التوراة فى الحساب والعدّ ، ففى سفر من الأسفار يعدّ أولاد لاوى ، والجنود الذين ينتسبون إليهم ، وفى سفر آخر يتحدث عن عددهم مرة ثانية فيذكرهم بالزيادة أو بالنقص .

وكذلك الحال بالنسبة للمدن ، ورؤساء العشائر .

ويكشف بدقة عن المبالغة التى تقع فى التوراة ، فقد ذكرت أن عدد بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر كان ستمائة ألف ونيف ، وقد ناقش ابن حزم ذلك وبيّن استحالة هذا العدد .

وكشف عن اضطراب وتناقض فى عدد المدن التى احتلها بنو إسرائيل . وناقش ما ذكرته التوراة من عدد بنى دان ، فقد ذكرت أنهم كانوا عند خروجهم من مصر اثنين وسبعين ألفًا وسبعمائة رجل لم يعد فيهم ابنٌ أقلّ من عشرين سنة . ويتساءل كيف تأتَّى ذلك العدد كله ، وهم يرجعون إلى « حوشيم بن دان » وحده إذ لم يكن لدان غير « حوشيم » فكيف استطاع أن ينجب هذا العدد ؟

ويتساءل فى إنكار : كيف بلغ أحفاد يهوذا أربعًا وسبعين ألفًا وستمائة مع أن « يهوذا » لم يكن له إلَّا ثلاثة أولاد فقط ؟

وكيف يزعمون أن بنى يوسف كانوا اثنين وسبعين ألفا وسبعمائة رجل وكلهم يرجع إلى « أفرايم » و « منسى » ولم يكن لأفرايم غير ثلاثة أولاد ، ولمنسى ولدان فقط . وقد زعمت

توراتهم أنهم أنجبوا فى مدة مائة وسبعة وعشرين عامًا نحو مائة وستين ألفًا ... ويتساءل ابن حزم قائلًا : فهل هذا معقول ؟ !

وذكرت التوراة أنَّ بنى جرشون بن « لاوى » من ابن شهر فصاعدًا كانوا خمسمائة وستة آلاف رجل ، ثم ذكرت أبناءهم تفصيلا ، فوقعت فى خطأ فى الحساب والعد .

وابن حزم حادّ اللسان فى مناقشة خصومه ، يستعمل معهم كلمات جارحة قاسية ، كقوله : (فعليهم ما يخرج من أسافلهم) وقوله : (لقد هان من بالت عليه الثعالب) . وقوله : (هؤلاء الأنذال الكفرة) ، (ولو لم يكن فى توراتهم إلّا هذه الكذبة وحدها لكفت فى أنها موضوعة مبدّلة من حمار فى جهله) ، (وأراد أن يخرج هذا الساقط من مزبلة فوقع فى كنيف عَذِرة) (وما افتراه الكفرة أسلافهم الأنتان) ، (لعنة الله وغضبه عدد كل شيء خلق الله) . (أتراه بلغ المسخم الوجه الذى كتب لهم هذا الكتاب الأحمق من الجهل بالحساب هذا المبلغ ؟) ، (لقد كان الثور أهدى منه ، والحمار أنبه منه بلا شك) .

وهكذا تظهر حدة انفعاله ، حتى يخرجه الغضب والحنق إلى استعمال هذه الشتائم ، وتلك الأساليب القاسية العنيفة .

وتكثر الجمل الاعتراضية فى أسلوبه ، ممّا يعوق فهم المعنى أحيانًا .

النّسخ التى اعتمدنا عليها

١ - النسخة (١) المصورة (الميكروفيلم) : برقم ١٧٨ توحيد ، وهى منقولة عن نسخة فى مكتبة رئيس الكتاب باستنبول تحت رقم ٥٥٥ ، و تقع فى اثنتين وعشرين وخمسمائة ورقة ، وقد نسخت سنة ٧٢٢ هـ ، وقوبلت على نسخة انتسخت وقوبلت على نسخة المؤلف[٢٤].

وهذه النسخة مكتوبة بخط النسخ الجميل ، ومضبوطة بالشكل ، وتدل التصويبات على هامشها على أنها قد روجعت بدقة .

وتبدأ هذه النسخة بـ : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا ، قال الشيخ الإمام الأوحد ، الحافظ ، العالم ، ناصر الدين ، أبو محمد على ابن أحمد بن سعيد بن حزم » .

وعدد السطور فى كل صفحة واحد وعشرون سطرًا ، يحوط الكتابة إطار يحدّد بداية السطور ونهايتها .

وفى آخر النسخة : « صور هذا المخطوط بالمكتبة السليمانية باستنبول فى يوم الاثنين الموافق ٢٠ من يونيه سنة ١٩٤٩ م .

وقد رمزنا لهذه النسخة بالرمز (خ) .

٢ - **النسخة (ب)** : وهى نسخة موجودة فى مكتبة الأزهر رقم ١٠٣٤٩/١٤٥١ توحيد وهى نسخة فى مجلد واحد بقلم معتاد بها أكل أرضه فى ٣٨٦ صفحة وتبدأ هذه النسخة ببسم الله الرحمن الرحيم ، عونك اللهم . قال الفقيه الأصولى الفاضل الحافظ المحدث أبو محمد على أحمد بن حزم رضى الله عنه . الحمد لله رب العالمين كثيرًا وصلى الله على محمد عبده ورسوله وخاتم أنبيائه . أما بعد .

فأن كثيرًا من الناس كتبوا فى افتراق الناس فى دياناتهم ومقالتهم كتبًا كثيرًا . الخ وفى آخرة « فكفروا وجحدوا نعمة الله عز وجل فحل بهم البلاء وزوال النعمة كما قال عز وجل : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وفى آخره تم الكلام عن الجزء الثانى وبه تم الكتاب ومسطرتها ٢٩ سطرًا ٢,٦ سم .

٣ - **النسخة** (أ) : وهى نسخة مطبوعة على ورق مساحته ٢٠ × ٢٨ سم وبهامشها « الملل والنحل » للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، قام بطبعها ونشرها مطبعة ومكتبة محمد على صبيح وأولاده بميدان الأزهر عام ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م ، وعدد السطور فى كل صفحة اثنان وثلاثون سطرا ، وهذه النسخة لم تحقق تحقيقًا علميًا ، وبها كثير من العبارات المتروكة ، والكلمات المحرّفة ، وقد تركت فيها الأعلام بغير تحقيق ، وكل موضوع من موضوعاتها يبدأ فيه بعنوان (فصل) . وفى بداية كل كلام جديد : (قال أبو محمد رضى الله عنه) .

وانتهى الجزء الأول منها فى صفحة ١٦٠ ، وآخر الموضوعات التى انتهى بها الجزء الأول : « الكلام على أن التوراة لم تكن موجودة إلّا فى الهيكل عند الكوهن » . بينما انتهى الجزء الأول فى النسخة (ب) بانتهاء الحديث عن اليهود ، وبدأ الجزء الثانى بالحديث عن الإنجيل وكتب النصارى .

* * *

خاتمــة

وبعد : فلقد بذلنا فى تحقيق هذا الكتاب جهدنا ، وتخيّرنا الأوقات المباركة التى تنشط فيها النفس ، وينقدح فيها الخاطر للعمل فيه ، ولكن لا يسعنا فى نهاية المطاف إلّا أن نردّد ما قاله عماد الدّين الأصفهانى :

« إنه ما كتب كاتب فى يومه كتابًا إلّا قال فى غده ، لو زيد كذا لكان أحسن ، ولو حذف كذا لكان يستحسن ، ولو أضيف كذا لكان أفضل ، وهذا دليل على جملة النقص على جميع البشر » .

فالله نسأل أن ينفع بهذا الجهد ، وأن يبعث فينا العزم والقوة لإتمام هذا العمل الجليل . إنه سميع مجيب .

المحققان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا ، قال الشيخ الإمام الأوحد ، الحافظ ، العلم ، ناصر الدين(١)، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد(٢) ابن حزم (رضى الله عنه)(٣).

الحمد لله حمدًا(٤) كثيرًا ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وخاتم أنبيائه بكرة وأصيلا ، وسلم تسليمًا .

أما بعد : فإنّ كثيرًا من الناس كتبوا فى افتراق الناس فى دياناتهم ومقالاتهم كتبًا كثيرة جدًّا ، فبعضٌ أطال وأسهب ، وأكثر وهجَّر(٥)، واستعمل الأغاليط والشغب ، فكان(٦) ذلك شاغلًا عن الفهم ، وقاطعًا(٧) دون العلم ، وبعضٌ حذف وقصّر ، وقلّل واختصر ، وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات فكان فى ذلك غير منصفٍ لنفسه فى آنٍ لا يرضى لها بالغبن فى الإبانة(٨) وظالمًا لخصمه فى آنٍ(٩)، لم يوفِّه حق اعتراضه ، وباخسًا حقَّ من قرأ كتابه ؛

(١) فى (أ ، ب) سقط الكلام من أول « بسم الله إلى ناصر الدين » . وذكر ذلك فى (خ)
(٢) فى (أ، ب) سقطت كلمة « سعيد » وذكرت فى (خ) .
(٣) راجع ترجمته فى مقدمة التحقيق .
(٤) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (حمدًا) .
(٥) هجَّر : قال الهُجْرَ من الكلام ، وهو البذىء الفاحش . وفى (خ) « أهجر » بمعنى أكثر الكلام فيما لا ينبغى .
(٦) فى (خ) « وكان » .
(٧) فى (أ ، ب) : [قاطعا] بدون واو العطف .
(٨) فى (أ ، ب) : [أن يرضى] .
(٩) فى (أ ، ب) : « أنْ » .

إذ لم يفنّد به(١٠) غيره . وكلهم – إلّا تحلّة القسم(١١) – عقّد كلامه تعقيدا يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم ، وحلّق على المعانى من بعد حتى صار يُنسى آخرُ كلامه أوّلَه ، وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم(١٢)، فكان هذا عملاً(١٣) منهم غيرَ محمود فى عاجله وآجله .

قال « أبو محمد رضى الله عنه » : فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله عزَّ وجلَّ فى جمعه ، وقصدنا به(١٤) إيرادَ البراهين المنتجة عن المقدّمات الحسية أو الرّاجعة إلى الحسِّ من قرب أو من بُعدٍ على حسب قيام البراهين التى لا تخون أصلاً مخرِّجة(١٥) إلى ما أخرجت له ، وألّا يصح منه إلّا ما صححت البراهين المذكورة فقط ، إذ ليس الحق إلّا ذلك ، وبالغنا فى بيان اللفظ وترك التعقيد ، راجين من الله عزَّ وجل(١٦) على ذلك الأجر الجزيل ، وهو تعالى ولىّ من تولّاه ، ومعطى من استعطاه لا إله إلّا هو ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه)(١٧) فنقول وبالله التوفيق : رءوس الفرق المخالفة لدين الإسلام ستٌ ، ثم تتفرق كل فرقة من هذه الفرق السِّتِّ على فرق ، وسأذكر جماهيرها(١٨) إن شاء الله تعالى(١٩).

فالفرق السِّت التى ذكرناها على مراتبها فى البعد عنّا .

أولاها : مبطلو الحقائق : وهم الذين يسميهم المتكلمون « السوفسطائية »(٢٠).

---

(١٠) فى (أ ، ب) : « لم يغنه عن » .

(١١) فى (أ ، ب) « نحلة القسم » بالنون ، والصواب ما أثبتناه ، وقد وردت فى حديث الرسول ﷺ : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلّا تحلة القسم » كأنه يريد قوله تعالى : « وإن منكم إلّا واردها كان على ربك حتما مقضيا » ، لأنها فى حكم القسم من الله تعالى وهو مثل يضرب للقليل المفرط فى القلة ، والمعنى لا تمسه النار إلا مسة يسيرة (القرطبى : تفسير حـ ١١ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ط دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٠ هـ) .

(١٢) يقصد بذلك : أنهم اتجهوا هذا الاتجاه سترا على معانيهم الفاسدة .

(١٣) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « عملا » . وفى « خ » سقطت كلمة « منهم » .

(١٤) فى « خ » « وقصدنا به قصد » .

(١٥) فى (أ ، ب) « مخرجها » .

(١٦) فى (أ ، ب) [تعالى] بدلًا من عز وجل .

(١٧) كلمة (رضى الله عنه) لم تذكر فى (خ) فهى من زيادات النساخ .

(١٨) أى رءوسها والمشهور منها .

(١٩) فى (أ ، ب) [عز وجل] .

(٢٠) السوفسطائية : أصل هذا اللفظ فى اليونانية (سوفسيا) وهو مشتق من لفظ « سوفوس » ومعناه : « الحكيم والحاذق » . وقيل إن السفسطة قياس ظاهره الحق وباطنه الباطل ، ويقصد به خداع الآخرين أو خداع النفس ، و « السوفسطائى » هو المنسوب إلى السفسطة ، وتطلق هذه الكلمة على كل فلسفة ضعيفة الأساس متهافتة المبادىء ، وينقسم السوفسطائيون إلى ثلاث فرق : اللاأدرية : وهم القائلون بالتوقف فى وجود كل شىء وعلمه ، وثانيتهما : العنادية : وهم الذين يعاندون ويدّعون أنهم جازمون بأنه لا موجود أصلًا . وثالثتهما : العندية : وهم القائلون إن حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات دون العكس (كشاف اصطلاحات الفنون : للتهانوى – نقلا عن المعجم الفلسفى – للدكتور جميل صليبا) .

وثانيتها : القائلون بإثبات الحقائق[٢١]، إلَّا أنهم قالوا : إنَّ العالَمَ لم يزل ، وأنه لا محدث له ولا مدبر .

وثالثتها : القائلون بإثبات الحقائق ، وأن العالم لم يزل ، وأنَّ له مدبِّرًا لم يزل .

ورابعتها : القائلون بإثبات الحقائق . وقال[٢٢]بعضهم : إنَّ العالم لم يزل ، وقال بعضهم[٢٣]: بل هو محدث . واتفقوا على أن له مدبِّرين لم يزالوا ، وأنهم أكثر من واحد ، واختلفوا فى عددهم .

وخامستها : القائلون بإثبات الحقائق ، وأن العالَمَ محدَث ، وأن له خالقًا واحدًا لم يزل ، وأبطلوا النبوَّاتِ كلَّها .

وسادستها : القائلون بإثبات الحقائق ، وأن العالم محدَث ، وأن له خالقًا واحدًا لم يزل ، وأثبتوا النبوَّات ، إلَّا أنهم خالفوا فى بعضها فأقروا ببعض الأنبياء عليهم السلام ، وأنكروا بعضهم .

* * *

قال : « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد تحدث فى خلال هذه الأقوال آراء هى منتَجةٌ من هذه الرءوس ، ومركبة منها ، فمنها ما قد قالت به طوائف من الناسِ مثل ما ذهبت إليه فرق من الأمم ، من القول بتناسخ الأرواح[٢٤]، أو القول بتواتر النبوّات فى كلِّ وقت ، وأنَّ[٢٥] فى كل نوع من أنواع الحيوان أنبياء[٢٦]، ومثل ما قد لقيت جماعة من القائلين به ، وناظرتهم عليه من القول بأن العالم محدَث ، وله مدبِّر لم يزل ، إلَّا أن النفس والمكان المطلق ، وهو الخلاء والزمان المطلق لم تزل معه .

قال « أبو محمد » : وهذا قول قد[٢٧] ناظرنى عليه عبد الله بن خلف بن مروان[٢٨] الأنصارى ، وعبد الله بن محمد السلمى الكاتب ، ومحمد بن على بن أبى الحسين الأصبحى

---

(٢١) أى إثبات الموجودات .

(٢٢) فى (أ ، ب) [فبعضهم قال] .

(٢٣) فى (أ ، ب) [وبعضهم قال] .

(٢٤) تناسخ الأرواح : يؤمن به طائفة كبيرة من الهند ، وهم يعتقدون أن النفس لا تفنى ولكنها تنتقل فى أكثر من جسم حتى تصفو وتعلم ، وبعدها تصير إلى الله تعالى الذى إليه تصير الأمور . (تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة – للبيرونى ص ٧٢) طبع مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن سنة ١٣٧٧ هـ .

(٢٥) فى (أ ، ب) « أو أنَّ » .

(٢٦) يعتمد من يقول بهذا الرأى من المسلمين على قوله تعالى : وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلَّا أمم أمثالكم « سورة الأنعام آية ٣٨ . ويستدل بقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » سورة غافر – آية ٢٤ ، على إرسال الرسل إلى هذه الأمم من الحيوان والطير ، وقد تحدَّث المؤلف عن ذلك فى هذا الكتابْ .

(٢٧) فى (أ ، ب) ذكرت « قد » وسقطت من (خ) .

(٢٨) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (ابن) .

الطبيب ، وهو قول يؤثر عن محمد بن زكريا الرازى الطبيب[٢٩]، ولنا عليه فيه كتاب مفرد فى نقد كتابه فى ذلك ، وهو المعروف بالعلم الإلهى ، وكمثل ما ذهب إليه قومٌ من أن الفلك لم يزل ، وأنه غير الله تعالى ، وأنه هو المدبر للعالم الفاعل له إجلالًا بزعمهم لله عزّ وجل عن أن يوصف بأنه فعل شيئًا من الأشياء وقد كنّى بعضهم عن ذلك بالعرش . ومنها مالا نعلم أن أحدًا قال به إلَّا أنه غير الله تعالى ، وأنه هو المدبر للعالم الفاعل له إجلالًا بزعمهم لله عزّ وجل عن أن يوصف بأنه فعل شيئًا من الأشياء وقد كنّى بعضهم عن ذلك بالعرش . ومنها ما لا نعلم أن أحدًا قال به إلَّا أنه مما لا يؤمن أن يقول به قائل من المخالفين عند تطبيق الحجج[٣٠] عليهم ، فيلجئون إليها ، فلابدَّ إن شاء الله تعالى من ذكر ما يقتضيه مساق الكلام منها .

وذلك مثل القول : بأنَّ العالم محدَث ولا محدَثَ له ، فلابدَّ بحول الله تعالى من إثبات المحدِث بعد الكلام فى إثبات الحدوث ، وبالله تعالى التوفيق والعون لا إله إلَّا هو[٣١].

* * *

البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق[٣٢].

« باب » مختصر جامع فى ماهية البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق فى كل ما اختلف فيه الناس وكيفية إقامتها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه)[٣٣]: هذا باب قد أحكمناه فى كتابنا المرسوم « بالتقريب فى حدود الكلام »[٣٤] وتقصيناه هنا لك غاية التقصى والحمد لله رب العالمين ، إلَّا أننا

---

(٢٩) هو محمد بن زكريا الرازى أبو بكر فيلسوف من الأئمة فى صناعة الطب ، ولد سنة ٢٥١ هـ وتوفى سنة ٣١١ هـ من أهل « الرى » ولد وتعلم بها ، وسافر إلى بغداد بعد سن الثلاثين يسميه كتاب اللاتينية « رازيس » Razies أولع بالموسيقى والغناء ، ونظم الشعر فى صغره ، واشتغل بالسيمياء والكيمياء ثم عكف على الطب والفلسفة فى كبره ، له تصانيف ، سمى ابن أبى الأصيبعة منها : مائتين وثلاثين كتابا ورسالة ، ولخص كتاب « جالينوس » فى حيلة البرء – (الأعلام : حـ ٦ : ٣٦٤) .

(٣٠) فى (أ ، ب) « الحجج » .

(٣١) فى (خ) لم يذكر (والعون لا إله إلا هو) .

(٣٢) هذا العنوان من وضع المحقق ، وقد ذكر هذا الباب فى النسخة الخطية (خ) بعد القسم الأول الذى تحدث فيه عن السوفسطائية ، ولكن النسختين المطبوعتين (أ ، ب) أتتا به فى هذا المكان وقد تبعناهما فى هذا الترتيب لأن الترتيب المنطقى يقتضى ذكره فى هذا المكان لأنه قد أراد أن يجعل هذا الفصل أساسا يثبت فيه أولًا العقيدة الحقة ثم يبين بعد ذلك أن ما خالف ذلك من النحل الست التى سيذكرها باطل وفاسد .

(٣٣) فى (خ) : لم تُذكر (رضى الله عنه) وهذا يوحى بأن هذه النسخة الخطية نقلت عن نسخة المؤلف حيث لم يدع فيها لنفسه ، أما النسخ الأخرى التى ذكر فيها هذا الدعاء فيبدو أنها نقلت بعد وفاته بفترة طويلة .

(٣٤) حقق هذا الكتاب الدكتور « إحسان عباس » وسماه « التقريب لحدود المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية – نشرته دار مكتبة الحياة بالسودان عام ١٩٥٩ م .

نذكر هاهنا جملة كافية لتكون مقدمة لما يأتى بعدهم مما اختلف الناس فيه ، يرجع إليها إن شاء الله تعالى عزّ وجل[٣٥] فنقول وبالله التوفيق .

إن الإنسان يخرج إلى هذا العالم ونفسه قد ذهب ذكرها جملة فى قول من يقول : إنها كانت قبل ذلك ذاكرة[٣٦]، أو لا ذكر لها ألبتة فى قول من يقول : إنها حدثت حينئذ[٣٧]، أو أنها مزاج عرض[٣٨]، إلا أنه قد حصل[٣٩] أنه لا ذكر للطفل حين ولادته ولا تمييز إلّا ما لسائر الحيوان من الحسّ والحركة الإرادية فقط ، فتراه يقبض رجليه ويمدّهما ،ويقلب أعضاءه حسب طاقته ، ويألم إذا أحسّ البرد ، أو الحرّ ، أو الجوع ، وإذا ضرب ، أو قرص ، وله سوى ذلك مما يشاركه فيه الحيوان والنوامى مما ليس حيوانًا[٤٠]، من طلب الغذاء لبقاء جسمه على ما هو عليه ، ولنمائه فيأخذ الثدى ويميزه بطبعه — من سائر الأعضاء[٤١] — بفيه دون سائر أعضائه ، كما تأخذ عروقُ الشجر والنبات رطوباتِ الأرض والماء لبقاء أجسامها على ما هى عليه ، ولنمائها ، فإذا قويت النفس على قول من يقول : إنها مزاج ، أو إنها حدثت حينئذ ، أو أخذت يعاودها ذكرها وتمييزها فى قول من يقول : إنها كانت ذاكرة قبل ذلك ، أو إنها كالمفيق من مرض فأول ما يحدث لها من التمييز الذى ينفرد به الناطق من الحيوان فهمُ ما أدركت بحواسّها الخمس[٤٢]، كعلمها : أن الرائحة الطيبة مقبولة من طبعها ، والرائحة الرديئة منافرة لطبعها ، وكعلمها أن الأحمر مخالف للأخضر ، وللأصفر وللأبيض ، وللأسود ، وكالفرق بين الخشن والأملس ، والمكتنز والمتهيل واللزج ، والحار والبارد والدافىء ، وكالفرق بين الحلو والحامض ، والمرّ والمالح والعفص[٤٣]، والزاعق[٤٤] والتفه[٤٥]، والعذب والحريف ، وكالفرق بين الصوت الحادّ والغليظ ، والرقيق والمطرب والمفزع .

---

(٣٥) فى (آ ، ب) لم تذكر كلمة (عزّ وجل) .

(٣٦) وتوضيح ذلك : أن بعض الفلاسفة يرى أن النفس كانت تعرف كل شىء قبل حلولها فى الجسد فلما حلت فيه ، نسيت ما كانت تعلم ، وبدأت فى اكتساب معلومات جديدة عن طريق الحواس والعقل ، ومن هؤلاء ابن سينا ، وله قصيدة مشهورة فى النفس .

(٣٧) ويرى هؤلاء : أن النفس كانت صفحة بيضاء قبل حلولها فى الجسد ، وبدأت فى كسب المعلومات عندما حلّت فيه .

(٣٨) وأصحاب هذا الرأى يرون أن المعلومات التى تكتسبها النفس مزاج عارض وليست صفة ثابتة لها ، قال « بروقلس » : التذكر والنسيان خاصان بالنفس الناطقة ، وقد بان أنها لم تزل موجودة فوجب أن تكون لم تزل عالمة وذاهلة ، أما عالمة فعند مفارقتها البدن وأما ذاهلة فعند مقاربتها البدن ، فإنها فى المفارقة تكون من خير العقل ، فلذلك تكون عالمة ، وفى المقاربة تنحط عنه ، فيعرض لها النسيان لغلبة بالقوة عليها (تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة : للبيرونى ص ٤٤) .

(٣٩) لا معنى لهذا الاستثناء .

(٤٠) يقصد بالنّوامى مما ليس حيوانا عالم النبات .

(٤١) الأولى حذف قوله : « من سائر الأعضاء » ليستقيم المعنى ويتضح .

(٤٢) فى (خ) حُذفت كلمة (الخمس) .

(٤٣) المكتنز : الصلب كثير اللحم . المتهيّل : المترهل كالهباء المنبث . اللزج : الذى يتمطط ويتمدد . العفص : شجرة من البلوط تحمل سنة بلوطًا وتحمل سنة عفصا وهو دواء قابض مجفف يردّ المواد المنصبة ، ويشد الأعضاء الرخوة الضعيفة وإذا نقع فى الخل سوّد الشعر . . وعَفِصٌ ككتف .

(٤٤) الزاعق : من الشراب المر الذى لا يطاق ، ومن الطعام : كثير الملح (القاموس المحيط) .

(٤٥) التفه : الغث القليل ، والطعام التفه : ما ليس له طعم حلاوة أو حموضة أو مرارة . المرجع السابق

قال « أبو محمد » : فهذه إدراكات الحواس لمحسوساتها .

والإدراك السادس : علمها بالبدهيات(٤٦)، فمن ذلك علمها بأن الجزء أقلُّ من الكل ، فإنَّ الصبىَّ الصغير فى أوّل تمييزه إذا أعطيته تمرتين بكى ، وإذا زدته ثالثة سُرَّ ، وهذا علم منه بأن الكل أكثرُ من الجزء ، وإن كان لا يتنبه لتحديد ما يعرف من ذلك ، ومن ذلك علمه بأن لا يجتمع المتضادَّان ، فإنك إذا وقَّفته قسرًا بكى ونازع(٤٧) إلى القعود ، علمًا منه بأنه لا يكون قائمًا قاعدًا معًا . ومن ذلك : علمه بأنه(٤٨) لا يكون جسم واحد فى مكانين ، فإنه إذا أراد الذهاب إلى مكان مّا فأمسكته قسرًا(٤٩) بكى ، وقال كلامًا معناه ، دعنى أذهب ، علمًا منه بأنه لا يكون فى المكان الذى يريد أن يذهب إليه ما دام فى مكان واحد . ومن ذلك : علمه بأنه لا يكون الجسمان فى مكان واحد ، فإنك تراه ينازع على المكان الذى يريد أن يقعد فيه ، علمًا منه بأنه لا يسعه ذلك المكان مع ما فيه ، فيدفع مَنْ فى ذلك المكان الذى يريد أن يقعد فيه إذ يعلم(٥٠) أنه ما دام فى المكان ما يشغله فإنه لا يسعه وهو فيه . وإذا قلت له ناولنى ما فى هذا الحائط وكان لا يدركه قال : لست أدركه وهذا علم منه بأن الطويل زائد على مقدار ما هو أقصر منه ، وتراه يمشى إلى الشىء الذى يريد ليصل إليه ، وهذا علم منه بأن ذا النهاية يحصر ويقطع بالعدو(٥١)، وإن لم يحسن العبارة بتحديد ما يدرى من ذلك ومنها : علمه بأنه لا يعلم الغيب أحد ، وذلك أنك(٥٢) إذا سألته عن شىء لا يعرفه أنكر(٥٣) ذلك وقال : لا أدرى . ومنها : فَرْقُه بين الحق والباطل فإنه إذا أخبر بخبر تجده فى بعض الأوقات لا يصدّقه حتى إذا تظاهر(٥٤) عنده بمخبر آخر وآخر(٥٥) صدّقه وسكن إلى ذلك . ومنها : علمه بأنه لا يكون شىء إلا فى زمان فإنك إذا ذكرت له أمرًا مّا قال : متى كان ؟. وإذا قلت له : لِمَ تفعل كذا وكذا ، قال : متى كنت أفعله(٥٦)؟ وهذا علم منه بأنه لا يكون شىء مما فى العالم إلّا فى زمان . ويَعْرِفُ أن للأشياء طبائع وماهية تقف عندها ولا تتجاوزها ، فتراه إذا رأى شيئًا لا يعرفه قال : أىّ شىء هذا ؟ فإذا شرح له سكت . ومنها : علمه بأنه لا يكون فعل إلّا من فاعل(٥٧)، فإنه إذا رأى شيئًا

(٤٦) فى (خ) قوله : « بالبديهيات فمن ذلك علمها » غير مذكور فيها .
(٤٧) فى (أ ، ب) : « ونزع » .
(٤٨) فى (أ ، ب) : « بأنّ » .
(٤٩) فى (خ) : « قهرا » .
(٥٠) فى (خ) : « أنّ » .
(٥١) فى (خ) : « بالعدد » .
(٥٢) فى (خ) : « أنه » .
(٥٣) فى (خ) : « أنكره » .
(٥٤) أى اجتمع معه خبر آخر يكون له ظهيرًا ومساعدًا فى تقرير الخبر .
(٥٥) فى (خ) : سقطت « وآخر » .
(٥٦) فى (أ ، ب) : « ما كنت أفعله » .
(٥٧) فى (أ ، ب) : « لفاعل » .

قال : من عمل هذا ؟ ولا يقنع ألبتة بأنه انعمل بدون عامل . وإذا رأى بيد آخر شيئًا قال : من أعطاك هذا ؟ ومنها : معرفته بأن فى الخبر(٥٨) صدقًا أو كذبًا ، فتراه يكذِّب بعض ما يُخْبَرُ به ، ويُصدِّق بعضه ، ويتوقف فى بعضه .

هذا كلّه مشاهد من جميع الناس فى مبدأ نشأتهم .

قال « أبو محمد » فهذه أوائل العقل التى لا يختلف فيها ذو عقل ، وهاهنا أيضًا أشياء غير ما ذكرنا إذا فُتِّشت وجدت وميزها كل ذى عقل من نفسه ومن غيره ، وليس يدرى أحد كيف وقع له العلم بهذه الأشياء كلها بوجه من الوجوه ؟

ولا يشك ذو تمييز صحيح فى أن هذه الأشياء كلها صحاح(٥٩) لا امتراء فيها ، وإنما يَشُكُّ فيها بعد صحة(٦٠) علمه بها من دخلت عَقْلَه آفةٌ وفسد تمييزه أو مال إلى بعض الآراء الفاسدة فكان ذلك أيضًا آفة دخلت على تمييزه كالآفة الدَّاخلة على من به هيجان الصفراء ، فيجد العسل مرًّا ، ومن فى عينه ابتداء نزول الماء(٦١) فيرى خيالات لا حقيقة لها ، وكسائر الآفات الدَّاخلة على الحواسِّ .

قال « أبو محمد » : فهذه المقدمات الصحاح (٦٢) التى ذكرنا هى التى لا شك فيها ، ولا سبيل إلى أن يَطلُب عليها دليلًا إلا مجنونٌ ، أو جاهلٌ لا يعلم حقائق الأشياء ومَنْ الطفل أهدى منه ، وهذا أمر يستوى فى الإقرار به كبارُ جميع بنى آدم عليه السلام(٦٣) وصغارهم ، فى أقطار الأرض ، إلَّا من غالط حسَّه ، وكابر عقلَه ، فيلحق بالمجانين ، لأن الاستدلال على الشىء ، لا يكون إلَّا فى زمان ، ولابدّ ضرورة أن يُعلم ذلك بأوّلِ العقل ، لأنه قد عُلِم بضرورة العقل : أنه لا يكون شىء مما فى العالم إلَّا فى وقت ، وليس بين أوّل(٦٤) أوقات تميز النفس فى هذا العالم ، وبين إدراكها لكل ما ذكرنا(٦٥) مهلة ألبتة ، لا دقيقة ولا أقل ولا أكثر فلا سبيل إلى الاستدلال عليها ، إذ لا وقت يمكن فيه الاستدلال(٦٦) على ذلك فصح أنها ضرورات أوقعها الله تعالى(٦٧) فى النفس ، ولا سبيل إلى الاستدلال ألبتة(٦٨) إلَّا من هذه المقدمات ، ولا يصح شىء

---

(٥٨) فى (خ) : سقطت « فى » .

(٥٩) فى (أ ، ب) : « صحيحة » .

(٦٠) وفى (خ) « وإنما شك فيها بعدم » .

(٦١) يقصد به ما يصيب العين من بعض الأمراض كالماء الأزرق ويسمى فى الطب الحديث « بالتراكوما » .

(٦٢) فى (أ ، ب) : « فهذه المقدمات التى ذكرناها هى الصحيحة » .

(٦٣) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « عليه السلام » .

(٦٤) فى (خ) : سقطت كلمة « أول » .

(٦٥) فى (خ) : سقطت كلمة « لكل ما ذكرنا » .

(٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت العبارة من أول : « ولا أقل . . إلى الاستدلال » .

(٦٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (تعالى) .

(٦٨) فى (خ) : لا توجد كلمة (ألبتة) .

إلّا بالردّ عليها[٦٩]، فما شهدت له مقدمة من هذه المقدمات بالصحة فهو صحيح متيقّن ، وما لم تشهد له بالصحة فهو باطل ساقط ، إلّا أن الرجوع إليها قد يكون من قُرب ، وقد يكون من بُعد[٧٠]، فما كان من قُرب فهو أظهر إلى كل نفس ، وأمكن للفهم ، وكلما بعدت المقدّمات المذكورة صعب العمل فى الاستدلال حتى يقع فى ذلك الغلط إلّا للفهم القوىّ الفهم والتمييز ، وليس ذلك مما يقدح فى أن ما رجع إلى مقدّمة من المقدّمات التى ذكرنا حق ، كما أن تلك المقدمة حق[٧١]، لا فرق بينهما فى أنهما حقٌّ ، وهذا مثل الأعداد فكلما قلّت الأعداد سهل جمعها ، ولم يقع فيها غلط حتى إذا كثرت الأعداد وكثر العمل فى جمعها صعب ذلك حتى يقع فيها الغلط إلّا[٧٢] للحاسب الكافى المجيد ، وكلٌّ[٧٣] ما قرب من ذلك وبعد فهو كلّه حق ، ولا نفاضل فى شيءٍ من ذلك ، ولا تُعارضُ مقدمة كما ذكرنا مقدمةً أخرى منها ، ولا يعارض ما يرجع إلى مقدِّمة أخرى منها رجوعًا صحيحًا ، وهذا كله يعلم بالضرورة . ومن علم النفس بأن علم الغيب لا يعرف[٧٤] صحَّ ضرورة : أنه لا يمكن أن يحكى أحد خبرًا كاذبًا طويلًا فيأتى من لم يسمعه فيحكى ذلك الخبر بعينه كما هو لا يزيد فيه[٧٥] ولا ينقص إذ لو أمكن ذلك لكان الحاكى لمثل ذلك الخبر عالـمًا بالغيب ، لأن هذا هو علم الغيب نفسه ، وهو الإخبار عما لا يعلم المخبر عنه بما هو عليه ، فإذ ذلك[٧٦] كذلك بلا شك فكل ما نقله من الأخبار اثنان فصاعدًا مفترقان قد أيقنا أنهما لم يجتمعا ولا تشاعرا ، فلم يختلفا فيه ، فبالضرورة يعلم أنه حقٌّ متيقّن مقطوع به[٧٧] على غيبه ، وبهذا علمنا صحّة موت من مات وولادة من ولد ، وعزل من عزل ، وولاية من ولى ، ومرض من مرض ، وإفاقة من أفاق ، ونكبة من نكب ، والبلاد[٧٨] الغائبة عنّا ، والوقائع والملوك ، والأنبياء عليهم الصلاة[٧٩] والسلام ، وديانتهم ، والعلماء وأقوالهم ، والفلاسفة وحكمهم ، لا شك عند أحدٍ يوفِّى عقله حقه فى شيءٍ مما نقل من ذلك مما ذكرنا ، وبالله تعالى التوفيق .

---

(٦٩) فى (ا ، ب) : سقطت عبارة « ولا يصح شيء إلّا بالردّ عليها » .
(٧٠) فى (أ ، ب) : سقطت « وقد يكون » .
(٧١) أى ما قرره فى قوله : « وكلما بعدت المقدمات المذكورة صعب العمل فى الاستدلال » .
(٧٢) فى (أ ، ب) : « إلا مع الحاسب » .
(٧٣) فى الأصل « وكلما » .
(٧٤) فى (أ ، ب) : « لا يعارض » .
(٧٥) فى (أ ، ب) : زادت كلمة « فيه » .
(٧٦) فى (أ ، ب) : « وذلك كذلك » .
(٧٧) فى (أ ، ب) : زادت كلمة « به » .
(٧٨) أى وعرفنا البلاد الغائبة عنّا .
(٧٩) سقطت كلمة « الصلاة » فى (أ ، ب) .

القسم الأوّل

« السوفسطائية »[١]

« باب الكلام على أهل القسم الأول ، وهم مبطلو الحقائق وهم السوفسطائية »

قال « أبو محمد » : ذكر من سلف من المتكلمين أنهم ثلاثة أصناف ؛ فصنف منهم نفى الحقائق جملة ، وصنف منهم شكوّا فيها ، وصنف منهم قالوا : هى حقٌّ عند من هى عنده حق ، وهى باطل عند من هى عنده باطل .

وعمدة ما ذكر من اعتراضهم : هو[٢] اختلاف الحواس فى المحسوسات ، كإدراك البصر مَنْ بَعُدَ عنه – صغيرًا ، ومن قَرُبَ منه كبيرًا ، وكوجود من به حمى صفراء حلو المطاعم مرًّا ، وما يرى فى الرؤيا مما لا يشك فيه رائيه أنه حقٌّ من أنه فى البلاد البعيدة .

قال « أبو محمد » : وكل هذا لا معنى له ، لأن الخطاب ، وتَعاطى المعرفة إنما يكون مع أهل المعرفة ، وحسُّ العقل شاهد بالفرق بين ما يخيّل إلى النائم ، وبين ما يدركه المستيقظ ، إذ ليس فى الرؤيا من استعمال الجرى على الحدود المستقرة فى الأشياء المعروفة ، وكونها أبدًا على صفحة واحدة ما فى اليقظة ، وكذلك يشهد الحسُّ أيضًا بأنَّ تبدّل المحسوس عن صفته اللازمة له تحت الحس إنما هو لآفة فى حسِّ الحاسِّ له لا فى المحسوس ، جارٍ كل[٣] ذلك على رتبة

---

(١) السوفسطائية : طائفة من المعلمين متفرقين فى بلاد اليونان – اتخذوا التدريس حرفة فكانوا يرحلون من بلد إلى بلد يلقون المحاضرات منهم « بروتا جوراس » كان يعلم قواعد النجاح فى السياسة ، و « هدياس » وكان يعلم التاريخ والطبيعة والرياضة ، والمقياس الذى قامت عليه فلسفتهم هو : الإنسان مقياس كل شيء ، وتكاد تكون فلسفة « البرجماتزم » التى لا تريد أن تعترف بحقيقة فى ذاتها قريبة الشبه جدًّا بتعاليم السوفسطائيين ، ولسنا نخطىء إذا قلنا ، إنها سوفسطائية العصر الحديث ، ولا ريب أن موضوع الخطأ عند « بروتا جوراس » قديما ، ومذهب « البرجماتزم » حديثا ، هو الاعتماد على الحواس وتجاهل العقل (قصة الفلسفة اليونانية ص ١٠٨ – أحمد أمين وزكى نجيب) . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٨ هـ .

(٢) فى (خ) : « فهو » .

(٣) فى (خ) لم تذكر كلمة « كل » .

واحدة لا تتحول[٤]، وهذه هى[٥] البداية والمشاهدات التى لا يجوز أن يطلب عليها برهان إذ لو طُلب على كل برهانٍ برهانٌ لاقتضى ذلك وجود موجودات لا نهاية لها ، ووجود أشياء لا نهاية لها محالٌ لا سبيل إليه ، على ما سنبينه إن شاء الله تعالى .

والذى يطلب على البرهان برهانًا فهو ناطق بالمحال ، لأنه لا يفعل ذلك إلا وهو مثبت لبرهانٍ مّا ، فإذا وقف[٦] عند البرهان الذى ثبت لزمه الإذعان له .

فإن كان لا يُثبت برهانًا فلا وجه لطلبه ما لا يثبته لو وجده[٧]، والقول بنفى الحقائق مكابرة للعقل والحسّ .

ويكفى من الردّ عليهم : أن يقال لهم[٨]: « قولُكم إنه لا حقيقة للأشياء » ، أحقٌّ هو أم باطل ؟ فإن قالوا « هو »[٩] حق أثبتوا حقيقة مّا ، وإن قالوا ليس « هو »[١٠] حقًا ، أقرُّوا ببطلان قولهم ، وكفوا خصومهم أمرهم .

ويقال للشّكاك منهم[١١]: – وبالله تعالى التوفيق – أشكُّكم موجود صحيح منكم أم غير صحيح ولا موجود ؟ فإن قالوا : هو موجود صحيح منّا أثبتوا أيضًا حقيقة[١٢] مّا ، وإن قالوا : هو غير موجود نفوا الشك وأبطلوه .

وفى إبطال الشك إثبات الحقائق أو القطع على إبطالها[١٣].

وقد قدّمنا بعون الله تعالى – إبطال قول من أبطله فلم يبق إلا الإثبات .

ويقال – وبالله التوفيق – لمن قال هى[١٤] حق عند من هى عنده حق ، وهى باطل عند من هى عنده باطل :

« إن الشىء لا يكون حقًا باعتقاد من اعتقد أنه حق ، كما أنه لا يبطل باعتقاد من اعتقد أنه باطل » .

---

(٤) فى (خ) : « لا تستحيل » .
(٥) فى (خ) : لم تذكر كلمة « هى » .
(٦) فى (أ ، ب) : « وقفنا » .
(٧) لأن الذى لا يعترف بالبرهان أصلًا لا وجه لأن يطلب البرهان وهو غير معترف به .
(٨) فى (أ ، ب) : زادت كلمة « لهم » .
(٩) أى قولهم : لا حقيقة للأشياء ، فإن قالوا : إن قولهم هذا حق ، فقد أثبتوا حقيقة مّا وإذًا فقولهم منقوض .
(١٠) فى (أ ، ب) : زادت كلمة (هو) .
(١١) أى الذين يقفون موقف الشك والتوقف إزاء حقائق الأشياء ، فلا يقولون : إنها موجودة أو غير موجودة ، ويقولون عن الأشياء التى تقع تحت حكم الحواس : إنها من خداع هذه الحواس .
(١٢) وهى الشك ، فالشك معنى يمثل حقيقة هو الحكم بالشك .
(١٣) ذلك أنه إذا كان الشك لا يثبت حقيقة ولا ينفيها ، كان إبطاله إما إثباتًا للحقائق أو نفيا لها .
(١٤) أى الحقائق .

وإنما يكون الشيء حقًا بكونه موجودًا ثابتا ، سواء اعتُقد أنه حق أو اعتُقِد أنه باطل .

ولو كان غير هذا لكان معدومًا موجودًا فى حال واحدة فى ذاته . وهذا عين المحال .

وإذا أقروا بأن الأشياء حق عند من هى عنده حق ، فمن جملة تلك الأشياء التى تُعتَقد أنها حق عند من يعتقد أن الأشياء حق – بطلانُ قولِ من قال إن الحقائق باطل ، وهم قد أقروا أن الأشياء حق عند من هى عنده حق . وبطلان قولهم من جملة تلك الأشياء ، فقد أقروا[١٥] بأن بطلان قولهم حق ، مع أن هذه الأقوال لا سبيل إلى أن يعتقدها ذو عقل ألبتة ، إذ حسُّه يشهد بخلافها .

وإنما يمكن أن يلجأ إليها بعض المُتنَطِّعين على سبيل الشغب . وبالله تعالى التوفيق .

(١٥) أى أن الذين يعتقدون أن الأشياء حق داخل فى اعتقادهم بطلان من يقولون ببطلان الحقائق وهذا حق . .

القسم الثانى

من قال بأن العالم لم يَزَل وأنه لا مدبر له

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لا يخلو العالم من أحد وجهين : إمّا أن يكون لم يزل أو أن يكون مُحدَثًا لم يكن ثم كان .

فذهبت طائفة إلى أنه لم يزل وهم الدّهرية(١).

وذهبت طائفة من الناس(٢) إلى أنه مُحدَث .

فنبتدىء بحول الله تعالى وقوته بإيراد كل حجة شغب بها القائلون بأن العالم لم يزل ، وتوفية اعتراضهم بها ، ثم نبين بحول الله(٣) تعالى نقضَها وفسادَها ، فإذا بطل القول بأن لم يزل وجب القول بالحدوث وصح ، إذ لا سبيل إلى وجه ثالث ، لكنا لا نقنع بذلك حتى نأتى بالبراهين

---

(١) الدهرية : هم فرقة خالفت ملة الإسلام ، وادعت قدم الدهر ، وأسندت الحوادث إليه ، كما حدث القرآن الكريم عنهم فقال : « إن هى إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر » . وذهبوا أيضا إلى ترك العبادات لزعمهم أنها لا تفيد ، والدهر بما يقتضيه مجبول من حيث الفطرة على بما هو عليه فما ثم إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وسماء تقلع ، وسحاب يقشع ، وهواء يقمع ، ويسمون بالملاحدة . ويمكن ردّ أصل الدهرية إلى مدارس الفلسفة الإغريقية ، ويفرق الإمام الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال) بين الدهرية والطبيعيين ، وتقول « دائرة المعارف الإسلامية » تقدم علماء المشرق تقدما كبيرا نحو الدهرية عندما تغلغل بينهم العلم الطبيعى الأوربى كمذهب « داروين » ومذهب المادية وغير ذلك . . وقد ردّ على الدهرية « جمال الدين الأفغانى » فى رسالته بعنوان « رسالة فى إبطال مذهب الدهريين » ويتضح من ذلك إذن أن المادية مرادفة للدّهرية ، ويجيز فقهاء اللغة أيضا النطق بكلمة (الدُّهرية) بضم الدال عملًا بقاعدة تغير الحركة ، وهو أمر مألوف فى النسبه . راجع :

١ –دائرة المعارف للبستانى – مجلد ٨ مؤسسة مطبوعاتى – إسماعيليان .

٢ – مفاتيح العلوم – لطاش كبرى زاده – طبعة فان فلتن ص ٣٥ .

٣ – الملل والنحل : للشهرستانى .

٤ – الحيوان للجاحظ حـ٢ ص ٥٠ .

٥ – دائرة المعارف الإسلامية بتصرف حـ ٩ ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٢) وفى (أ ، ب) [وذهب سائر الناس] .

(٣) وفى (أ ، ب) [بحوله تعالى] .

الظاهرة والنتائج الموجبة ، والقضايا الضرورية على إثبات حدوث العالم . ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم .

الاعتراض الأول

فمما اعترضوا به : أن قالوا :لم نر شيئاً حدث إلّا من شيء أو فى شيء ، فمن ادّعى غير ذلك فقد ادَّعى ما لا يُشاهَد ولم يُشَاهَد .

الاعتراض الثانى

وقالوا أيضًا : لا يخلو مُحدِثُ الأجسام – الجواهر[٤] والأعراض ، وهى كل ما فى العالم – إن كان العالَم مُحدَثًا من أن يكون أحْدثه لأنه[٥]، أو أحدثه لعلّة ، فإن كان أحدثه[٦] لأنّه ؛ فالعالم لم يزل لأنَّ محدِثه لم يزل[٧] إذ هو علة خلقه فالعلّة لا تفارق المعلول ، وما لم يفارق من لم يزل فهو أيضًا لم يزل ، إذ هو مثله بلا شك ، فالعالم لم يَزَل .

وإن كان أحدثه لعلة ، فتلك العلّة لا تخلو من أحد وجهين ؛ إما أن تكون لم تزل ، وإمَّا أن تكون محدَثة .

فإن كانت لم تزل فمعلولها لم يزل ، فالعالم لم يَزَل .

وإن كانت تلك العلة مُحدَثة لزم من[٨] حدوثها ما لزم فى حدوث سائر الأشياء من أنه أحدثها لأنه[٩]، أو لعِلة .

فإن كانت لم تزل فمعلولها لم يزل ، فالعالم لم يَزَل .

وإن كانت تلك العلة مُحدَثة لزم من[٨] حدوثها ما لزم فى حدوث سائر الأشياء من أنه أحدثها لأنه[٩]، أو لعِلة .

فإن كان لعلة لزم ذلك أيضًا فى علة العلة ، وهكذا أبدًا .

---

(٤) وفى (خ) : [والأعراض والجواهر] .

(٥) قوله « أحدثه لأنه » هكذا فى الأصل بدون خبر إن ، وقد تكرر هذا الأسلوب فى مواضع أخرى ، وضمير لأنه يعود على البارى ، وخبر إنّ محذوف يفهم مما بعده والتقدير « أحدث البارى العالم لأنه – أى البارى – هو هو وصورته التى يتجلى فيها ، أو أحدثه لعله أخرى » .

(٦) سقطت كلمة [أحدثه] من النسختين (أ ، ب) .

(٧) فى النسختين (أ ، ب) [وإذ] .

(٨) وفى (أ) و (ب) [فى] .

(٩) (لأنه) أى هو نفس الأشياء ، وما الأشياء إلا انعكاس الصورة ، كما تنعكس الأشياء على صفحة المرآة ، وهذا مذهب الذين يقولون بوحدة الوجود ، فلا خالق ولا مخلوق فالكل خالق والكل مخلوق ، والكل عابد والكل معبود .

وهذا يوجب وجوب (١٠) محدثات لا أوئل لها . قالوا وهذا قولنا .

قالوا(١١): وإن كان أحدثها لأنه ، فهذا يوجب أن العلّة لم تزل . كما بينا آنفًا .

الاعتراض الثالث

وقالوا أيضًا : إن كان للأجسام مُحدِث لم يخل من أحد ثلاثة أوجه :

إمّا أن يكون مثلها من جميع الوجوه .

وإمّا أن يكون خلافها من جميع الوجوه .

وإمّا أن يكون مثلَها من بعض الوجوه(١٢) وخلافَها من بعض الوجوه .

قالوا : فإن كان مثلَها من جميع الوجوه لزم أن يكون محدَثًا مثَلها ، وهكذا فى مُحْدَثه أيضًا أبدًا .

وإن كان مثَلها فى بعض الوجوه لزمه أيضًا من مماثلتها فى ذلك البعض ما يلزمه من مماثلته لها فى جميع الوجوه ، من الحدوث ، إذ الحدوث لازم(١٣) للبعض كلزومه للكل ولا فرق .

وإن كان خلافَها من جميع الوجوه فمحال أن يفعلها ، لأن هذا هو حقيقة الضد والتناقض(١٤) إذ لا سبيل إلى أن يفعل الشّىءُ ضدّه من جميع الوجوه كما لا تفعل النارُ التبريد .

الاعتراض الرابع

وقالوا أيضًا : لا يخلو إن كان للعالم فاعل من أن يكون فَعلَه لإحراز منفعة ، أو لدفع مضرة ، أو طباعًا ، أو لشيء من ذلك .

قالوا : فإن كان فعله لإحراز منفعة ، أو لدفع مضرة ، فهو محل المنافع(١٥) والمضار ، وهذه صفة المحدثات عندكم فهو محدَث مثلُها .

(١٠) وفى (أ) و (ب) [وجود] .
(١١) ليست فى (خ) .
(١٢) سقطت كلمة (الوجود) من (خ) .
(١٣) فى (أ) و (ب) : اللازم .
(١٤) فى (أ) و (ب) : والمناقض .
(١٥) فى (أ) و (ب) : للمنافع.

قالوا : وإن كان فعله [١٦]. طباعًا فالطباع موجبة لما حدث بها فالفعل[١٧] لم يَزَل معه[١٨].

قالوا : وإن كان فعله لا لشيء أصلًا [١٩] فهذا لا يعقل ، وما خرج عن المعقول فمحال .

الاعتراض الخامس

وقالوا أيضًا : لو كانت الأجسام محدَثة لكان مُحدِثها قبل أن يحدثها فاعلًا لتركها ، قالوا وتركها لا يخلو من أن يكون[٢٠] جسمًا أو عرضًا . وهذا يوجب أن الأجسام والأعراض لم تزل موجودة .

قال « أبو محمد » رضى الله عنه : فهذه المشاغب الخمس هى كل ما عوّل عليه القائلون بالدّهر قد تقصيناها لهم . ونحن إن شاء الله نبدأ بحول الله وقوته فى مناظرتهم فننقضها واحدًا واحدًا .

إفساد الاعتراض الأول

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : يقال وبالله التوفيق والعون : لمن قال لم نر شيئًا حدث إلّا من شيء أو فى شيء :

« هل تُدرَك حقيقة شيء عندكم من غير طريق الرؤية والمشاهدة ، أو لا يدرك شيء من الحقائق إلّا من طريق الرؤية فقط ؟

فإن قالوا : إنه قد تدرك حقائق[٢١] من غير طريق الرؤية والمشاهدة تركوا استدلالهم وأفسدوه ، إذ قد أوجبوا وجود أشياء من غير طريق الرؤية والمشاهدة ، وقد نفوا ذلك قبل هذا[٢٢] .

فإذا صاروا إلى الاستدلال نوظروا فى ذلك إلّا أن دليلهم هذا على كل حال قد بطل بحمد الله تعالى .

(١٦) فى (خ) : فعلها .

(١٧) فى (أ ، ب) ففعله .

(١٨) وتوضيح ذلك : أن الطبائع حادثة متغيرة ، فكل ما يصدر عنها ينعكس عليه صفاتها من الحدوث والتغيير ، وتكون النتيجة اللازمة لذلك أن يكون الفعل الذى يصدر عنها لم يزل مثلها حادثا متغيرًا .

(١٩) فى (أ ، ب) : من ذلك .

(٢٠) أى المتروك ، وهو اسم يكون ، وهذا يعنى فى زعمهم أن ترك الخالق سبحانه خلق الأشياء أزلا ، كان ذلك منه سبحانه فعلا هو الترك للأجسام ، والأعراض الموجودة أزلًا من غير خلق ، فالأجسام والأعراض موجودة فى زعمهم ، وإن لم تكن موجودة على الصورة التى لبستها بعد ذلك .

(٢١) فى (أ ، ب) : الحقائق .

(٢٢) لأنهم يقولون : إنه لا تدرك الحقائق إلّا عن طريق الرؤية والمشاهدة ، فإذا قالوا : إنه قد تدرك الحقائق بدون الرؤية والمشاهدة فقد أبطلوا بهذا القول ، ما قام عليه مذهبهم من أن الحقائق لا تدرك إلّا بالرؤية والمشاهدة ، وما لا يدرك بالرؤية والمشاهدة لا وجود له عندهم .

فإن قالوا :(٢٣) لا يدرك شيء إلّا من طريق الرؤية(٢٤) والمشاهدة .

قيل لهم : فهل شاهدتم شيئًا قط لم يَزَل ؟

فلابدّ من نَعَم . أو لا . فإن قالوا لا .(٢٥) صدقوا وأبطلوا استدلالهم . وإن قالوا : نعم . كابروا . وادّعوا ما لا سبيل إلى(٢٦) مشاهدته ، إذ مشاهدة قائل هذا القول للأشياء هى ذاتُ أوَّلٍ بلا شك ، وذو الأول هو غير الذى لم يزل ، لأن الذى لم يزل هو الذى لا أول له ، ولا سبيل إلى أن يُشاهِدَ ماله أوَّل ما لا أوَّل له مشاهدة متصلة(٢٧). فبطل هذا الاستدلال على كل وجه . والحمد لله رب العالمين .

إفساد الاعتراض الثانى

قال « أبو محمد » : (رضى الله عنه) : ويقال : لمن قال لا يخلو من أن يفعَل لأنَّه ، أو لعلّه : هذه قسمة ناقصة .

وينقص منها القسم الثالث وهو الصحيح وهو أنه فَعَل لا لأنّه ، ولا لعلّه أصلا ، لكن كما شاء(٢٨).

لأن كلا القسمين المذكورين أوَّلًا ، وهما : أنّه فعل لأنّه ، أو لعلّة ، قد بطلا بما قدّمنا هنالك ، لأن(٢٩) العلّة توجب إمَّا الفعل وإمّا الترك(٣٠)، وهو تعالى يفعل ولا يفعل فصحّ بذلك أنّه لا علّة لِفعله أصلًا ، ولا لتركه ألبتة .

فبطل هذا الشغب ، والحمد لله رب العالمين .

فإن قالوا : إنَّ تركَ البارى تعالى فى الأزل فِعْلٌ منه للترّك ، فَفِعلُه الذى هو الترك لم يزل – قلنا – وبالله تعالى التوفيق : إنَّ ترك البارى تعالى الفعلَ ليس فعلًا أصلا على ما نبين فى إفساد الاعتراض الخامس . إن شاء الله تعالى .

(٢٣) فى (أ ، ب) : [لا . بل] .
(٢٤) سقطت كلمة (الرؤية) من (أ ، ب) .
(٢٥) فى (أ) : وصدقوا .
(٢٦) فى الأصل : إلّا معرفة .
(٢٧) وهذا القول يشبه فى دلالته ما نسب إلى قدماء المصريين من قولهم : « محال على من يفنى أن يكشف النقاب الذى تنقب به من لا يفنى » .
(٢٨) إذ أن القسمة المنطقية ، تقتضى هذه الفروض الثلاثة : الفرض الأول : أنه فَعَل لأنّه لا عِلّةَ للفعل ، إذ كانت الأشياء موجودةً من غير فعل ، بمعنى أنها موجودةٌ لذاتها ، والفرض الثانى أنه فَعَلَ لعِلّة اقتضت أن يفعل . . والفرض الثالث . . وهو الذى فَرُّوا منه – أنه سبحانه فَعَلَ ما شاءَ كما شاء .
(٢٩) فى (أ ، ب) [إذ] .
(٣٠) فى (أ ، ب) [أو] .

إفساد الاعتراض الثالث

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : يقال لمن قال لو كان للأجسام محدِث لم يخل من أحد ثلاثة أوجه :

إمَّا أن يكون مثلَها من جميع الوجوه . أو من بعض الوجوه لا من كلّها ، أو خلافها من جميع الوجوه .. إلى انقضاء كلامهم .. بل هو تعالى خلافُها من جميع الوجوه ، وإدخالكم على هذا الوجه – أنه حقيقة الضد والتناقض[٣١] والضد لا يفعل ضدّه ، كما لا تفعل النار التبريد إدخال فاسد[٣٢].

لأن البارى تعالى لا يوصف بأنه ضدٌّ لخلقه ، لأن الضد : ما حُمِل على[٣٣] التضاد ، والتضادّ : هو اقتسام الشيئين طرفى البعد تحت جنس واحد ، فإذا وقع أحد الضدّين ارتفع الآخر[٣٤].

وهذا الوصف بعيد عن البارى تعالى .

وإنما التضادّ كالخضرة والبياض اللذين يجمعهما اللون .

أو الفضيلة والرذيلة اللتين تجمعهما الكيفية والخُلُق .

ولا يكون الضدّان إلَّا عَرَضين تحت جنس واحد ولا بدّ .

وكل هذا منفى عن الخالق عزّ وجل ، فبطل بالضرورة أن يكون عزّ وجل ضدًّا لخلقه .

وأيضًا فإنَّ قولهم : لو كان خِلَافًا لخلقه من جميع الوجوه ، لكان ضدًّا لهم قول فاسد . إذ ليس كلُّ خلاف ضدًّا ؛ فالجوهر خلاف العرض من كل وجه – حاشا الحدوث فقط[٣٥] وليس ضدًّا له .

ويقال أيضًا لمن قال هذا القول : هل تثبت فاعلًا وفعلًا على وجه من الوجود ؟

أو تنفى أن يوجَد فاعل وفعل ألبتة . ؟

(٣١) فى (أ ، ب) : والنقيض .

(٣٢) قوله : « على هذا الوجه » معترضة ، وقوله : « إنه حقيقة الضد والتناقض » ، متعلق بقوله (وإدخالكم) ، وتكون العبارة حينئذ هكذا (وإدخالكم هذه المقولة أنه حقيقة الضدّ والتناقض ، على هذا الوجه الذى صورتموه إدخال فاسد لأن الضدّ لا يفعل ضدّه ، كما لا تفعل النار التبريد .

(٣٣) فى (أ ، ب) : هو ما حَمَل حَمْلٌ .

(٣٤) النقيضان لا يجتمعان معا ، ولا يرتفعان معا ، فإذا وجد أحدهما ارتفع الآخر كالوجود والعدم ، فلابدّ من بقاء أحدهما ، أما الضدّان فلا يجتمعان معا ، وقد يرتفعان كالأبيض والأسود .

(٣٥) فى (خ) سقطت كلمة (فقط) .

فإن نفى الفاعل والفعل ألبتة – كابر العيان لإنكاره الماشى والقائم ، والقاعد ، والمتحرك والساكن .

ومن دفع هذا[٣٦] كان فى نصاب[٣٧] من لا يُكَلَّم .

وإن أثبت الفعل والفاعل فيما بيننا – قيل له :

هل يَفْعَلُ الجسمُ إلَّا الحركةَ والسكون ؟ فلابدّ من نَعم .

والحركة والسكون خلاف الجسم – وليسا ضدًّا له ؛ إذ ليسا معه تحت جنس واحد أصلًا ، وإنما يجمعهما وإيّاه الحدوث فقط .

فلو كان كلُّ خلاف ضدًّا لكان الجسم فاعلًا لضدّه ، وهو الحركة أو السكون .

وهذا[٣٨] نفس ما أبطلوا .

فصحّ بالضرورة أنه ليس كل خلاف ضدًّا .

وصحّ أن الفاعل يفعل خلافه[٣٩]، لابدَّ من ذلك .

فبطل اعتراضهم ، والحمد لله رب العالمين .

إفساد الاعتراض الرابع

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) ويقال لمن قال : لا يخلو من أن يكون محدِث الأجسام أحدثها لإحراز منفعة ، أو لدفع مضرة ، أو طباعًا أو لا لشىء من ذلك إلى انقضاء كلامهم .

أمَّا الفعل لإحراز منفعة ، أو لدفع مضرة فإنما يوصف به المخلوقون المختارون – وأمَّا فعل الطباع فإنما يوصف به المخلوقون غير المختارين[٤٠].

وكل صفات المخلوقين فهى منفية عن الله تعالى الذى هو خالق لكل ما دونه .

وأمَّا القسم الثالث[٤١]: وهو أنه فعل لا شىء من ذلك فهذا هو قولنا[٤٢].

(٣٦) فى (أ ، ب) : بهذا .
(٣٧) أى كان فى عداد من لا يخاطب لأنه ليس أهلًا للخطاب ، لفقدانه أهلية الخطاب .
(٣٨) فى « أ ، ب) : هو نفس .
(٣٩) فى (أ ، ب) : ولابدّ .
(٤٠) كالملائكة فإنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .
(٤١) فى (أ ، ب) « الثانى » .
(٤٢) أى أنه سبحانه يفعل ما يفعل لحكمة اقتضتها مشيئته ، وليس لعلة لأن الذى يفعل لعلة واقع تحت ضرورة هذه العلة ، وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا .

ثم نقول لمن قال : إنَّ الفعل لا لشيء من ذلك أمر غير معقول : ماذا تعنى بقولك غير معقول ؟

أتريد أنه لا يُعقل حسًّا أو مشاهدة ؟ أم تقول : إنه لا يعقل استدلالا ؟ فإن قلت : إنه لا يعقل حسًّا ومشاهدة ، قلنا لك صدقت ؛ كما أن أزلية الأشياء لا تُعقل حسًّا ومشاهدة .

وإن قلت : إنه لا يعقل استدلالًا .

كان ذلك دعوى منك مفتقرة إلى دليل ، والدَّعوى إذا كانت هكذا فهى ساقطة ، فالاستدلال بها ساقط ، فكيف والفعل لا لشيء من ذلك مُتَوَهم(٤٣) ممكن متشكل(٤٤) غير داخل فى الممتنع . وما كان هكذا فالمانع منه مُبطل ، والقول به يُعقل . فسقط هذا الاعتراض .

ثم نقول ، لما كان البارى تعالى – بالبراهين الضرورية – خلافًا لجميع خلقه من جميع الوجوه – كان فعله خلافًا لجميع أفعال خلقه من جميع الوجوه ، وجميع خلقه لا يفعل إلَّا طباعًا ، أو لاجتلاب منفعة أو لدفع مضرة – فوجب أن يكون فعله تعالى بخلاف ذلك . وبالله التوفيق .

إفساد الاعتراض الخامس

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ويقال لمن قال إنَّ ترك الفاعل أن يفعل الأجسام – لا يخلو(٤٥) من أن يكون جسمًا أو عرضًا إلى منتهى كلامهم .

إنّ هذه قسمة فاسدة بينة العَوَار ، وذلك أن الجسم هو الطويل العريض العميق ، وترك الفعل ليس طويلًا ، ولا عريضًا ، ولا عميقًا ، فترك الفعل من الله تعالى للجسم والعرض ليس جسمًا ، والعرض هو المحمول فى الجسم ، وترك فعل الله تعالى للجسم والعرض ليس محمولًا فليس عرضًا ، فترك فعل الله تعالى للجسم والعرض ليس(٤٦) جسمًا ولا عرضًا ، وإنما هو عدم ، والعدم ليس معنًى ولا هو شيئًا ، وترك الله تعالى للفعل ليس فعلًا ألبتة بخلاف صفة خلقه(٤٧)، لأن الترك من المخلوق للفعل فعل .

برهان ذلك : أن ترك المخلوق للفعل لا يكون إلَّا بفعل آخر منه ضرورة ، كتارك الحركة لا يكون إلا بفعل السكون .

---

(٤٣) قوله « متوهم » صفة لشيء .
(٤٤) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « متشكل » .
(٤٥) أى المتروك فعله .
(٤٦) فى (أ ، ب) [ليس هو] .
(٤٧) أى بخلاف ما يوصف به المخلوقون من ترك الفعل ، فإن تركهم للفعل ، فعل .

وتارك الأكل ، لا يكون إلا باستعمال آلات الأكل فى مقاربة بعضها بعضًا ، أو فى مباعدة بعضها بعضًا ، وبتعويض الهواء وغيره من الشىء المأكول .

وكتارك القيام لا يكون إلا باشتغاله بفعل آخر من قعودٍ أو غيره .

فصحّ أن فعل البارى تعالى بخلاف فعل خلقه ، وإن تركه للفعل ليس فعلا أصلًا . فبطل استدلالهم ، وبالله التوفيق .

البراهين الضرورية على إثبات حدوث العالم

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فإذ قد بطل جميع ما تعلقوا به ، ولم يبق لهم شغب أصلًا بعون الله وتأييده ، فنحن مبتدئون بتأييده – عزّ وجل – فى إيراد البراهين الضرورية على إثبات حدوث العالم ، بعد أن لم يكن ، وتحقيق أن له محدِثًا لم يزل لا إله إلّا هو .

برهان أول

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فنقول – وبالله التوفيق – « إن كل شخص فى العالم ، وكل عرض فى شخص ، وكل زمان – وكل ذلك متناهٍ ذُو أوَّل نشاهد ذلك حسًا وعيانًا ، لأن تناهى الشخص ظاهر بمساحته بأول جرمه وآخره ، وأيضًا بزمان وجوده .

وتناهى العرض المحمول ظاهر بيِّنٌ بتناهى الشخص الحامل له .

وتناهى الزمان موجود باستئناف ما يأتى منه بعد الماضى . وفناء كل وقت بعد وجوده ، واستئناف آخر يأتى بعده ، إذ كل زمانٍ نهايته[1] الآن ، وهو حد الزمانين فهو نهاية الماضى ، وما بعده ابتداء للمستقبل ، وهكذا أبدًا يفنى زمان ويأتى[2] آخر .

وكل جملة من جمل الزمان فهى مركبة من أزمنة متناهية ، ذات أوائل كما قدمنا .

وكل جملة أشخاص فهى مركبة من أشخاص[3] متناهية بعددها ، وذوات أوائل كما قدمنا ، وكل مركب من أجزاء متناهية ذات أوائل فليس هو شيئًا غير أجزائه ؛ إذ الكل ليس هو شيئًا غير

(١) فى (أ ، ب) [إذ كل زمان فنهايته الآن] ولا ضرورة لوجود الفاء ، وثمة نقص لهذه القضية ؛ إذ كيف يكون (الآن) نهاية لكل زمان ؟ وهناك من الأزمنة الحاضر والمستقبل ؟ ! الصحيح أن [الآن] نهاية للماضى – وحدّ الزمانين كما ذكر فيما بعد ، وأعتقد أن ثمة كلمة محذوفة وهى كلمة [مضى] وتكون الجملة : « إذ كل زمان مضى نهايته الآن » وبذلك يستقيم المعنى .

(٢) وفى (أ ، ب) [ويبتدىء] .

(٣) فى (أ ، ب) : « أجزاء » .

الأجزاء التى ينحل إليها ، وأجزاؤه متناهية كما بينا ذات أوائل ، فالجُمل كلها بلا شك متناهية ذات أوائل ، والعالم كله إنما هو أشخاصه ، ومكانه ، وأزمانها ، ومحمولاتها ، ليس العالم كله شيئًا غير ما ذكرناه وأشخاصه ، ومكانها ، وأزمانها ، ومحمولاتها ، ذات أوائل كما ذكرنا ، فالعالم كله متناهٍ ذو أول ولابدَّ .

فإن كانت أجزاؤه كلها متناهية ذات أول بالمشاهدة والحس ، وكان هو غير ذى أول . وقد أثبتنا بالضرورة والعقل والحس إنه ليس شيئًا غير أجزائه فهو إذا ذو أوّل ، لا ذو أوّل[٤]، وهذا عين المحال .

ويجب من ذلك أيضًا أن لأجزائه أوائل محسوسة ، وأجزاؤه ليست غيره وهو غير ذى أول ، فأجزاؤه إذن « لها أول[٥] ليس لها أول » وهذا محال وتخليط .

فصحّ بالضرورة أن للعالم أوّلًا ، إذ كل أجزائه لها أول ، وليس هو شيئًا غير أجزائه . وبالله تعالى التوفيق .

برهان ثان

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : كل موجود بالفعل فقد[٦] حصره العدد ، وأحصته طبيعته .

ومعنى الطبيعة وحدّها : هو أن تقول : الطبيعة هى القوة التى تكون فى الشىء ، فتجرى بها كيفيات ذلك الشىء على ما هى عليه .

وإن أوجزت قلت : هى قوة فى الشىء يوجد بها على ما هو عليه ، وحصر العدد وإحصاء الطبيعة نهاية صحيحة ، إذ ما لا نهاية له فلا إحصاء له ولا حصر له ، إذ ليس معنى الحصر والإحصاء إلا ضم ما بين طرفى المحصى والمحصور[٧]، (والعالم موجود بالفعل[٨]) ، وكل محصور بالعدد محصى بالطبيعة فذو[٩] نهاية ، فالعالم كله ذو نهاية ، وسواء فى كل[١٠] ذلك ما وجد فى مدة

---

(٤) أى هو – أى العالم – ذو أول أى له أول ، وهو من جهة أخرى لا أول له كما تزعمون ، الأمر الذى يجمع بين المتناقضات وهذا محال .

(٥) سقطت كلمة « لها أول » من (خ) .

(٦) فى الأصل « فقد » . هذا هو أسلوب المؤلف يدخل الفاء على الخبر وهى التى تسمى « فاء الفصيح » .

(٧) فى (خ) [المحصور والمحصى] .

(٨) جملة [والعالم موجود بالفعل] ليست فى (خ) ، وإنما ذكرت فى (أ ، ب) .

(٩) فى (أ ، ب) [فهو ذو] .

(١٠) سقطت [كل] فى (أ ، ب) .

ءحدة أو فى مدد كثيرة إذ ليست تلك المدد إلَّا مدة محصاة إلى جنب مدة محصاة ، فهى مركبة من مدد محصاة وكل مركب من أشياء فهو تلك الأشياء التى ركب منها ، فهى كلها مدد محصاة كما قدمنا فى الدليل الأول . فصحّ من كل ذلك أنَّ ما لا نهاية له فلا سبيل إلى وجوده بالفعل ، وما لم يوجد إلا بعد ما لا نهاية له فلا سبيل إلى وجوده أبدًا ، لأن وقوع البَعديَّة فيه هو وجود نهاية له . وما لا نهاية له فلا بَعْدَ له[١١]، فعلى هذا لا يوجد شىء أبد الآبدين . والأشياء كلها موجودة بعضها بعد بعض فالأشياء كلها ذات نهاية .

وهذان الدليلان قد نبه الله تعالى عليهما وحصرهما بحجته البالغة إذ يقول : « وكل شىء عنده بمقدار[١٢]» .

برهان ثالث

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ما لا نهاية له فلا سبيل إلى الزيادة فيه ، إذ معنى الزيادة إنّما هو أن نضيف إلى ذى النهاية شيئًا من جنسه يزيد ذلك فى عدده أو فى مساحته .

فإن كل الزمان لا أول له يكون به[١٣] متناهيًا فى عدده الآن ، فإذن كل ما زاد فيه ويزيد مما يأتى من الأزمنة منه فإنه لا يزيد ذلك فى عدد الزمان شيئًا .

وفى شهادة الحس أن كل ما وجد من الأعوام على الأبد إلى زماننا هذا الذى هو وقت ولاية هشام المعتد[١٤] بالله هو أكثر من كل ما وجد من الأعوام على الأبد إلى وقت هجرة رسول الله ﷺ .

فإن لم يكن هذا صحيحًا فيجب إذن أنه إذا دار زحل[١٥] دورة واحدة فى كل ثلاثين سنة

---

(١١) ف (خ) [فلا سبيل إلى وجود بعد له] .

(١٢) سورة الرعد : آية ٨ .

(١٣) أى يكون لا أول له ، بمعنى أنه يكون بكونه لا أول له متناهيا فى عدده الآن .

(١٤) هو : هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، أبو بكر المعتدّ بالله ، آخر ملوك بنى أمية بالأندلس ، بويع بعد وفاة المستكفى بالله سنة ٤١٨ هـ ، ثارت به طائفة من الجند فخلعوه وأخرجوه من قصره سنة ٤٢٢ هـ فلجأ إلى جامع قرطبة بمن معه وأقام أياما يعطف عليه الناس بالطعام والشراب ، مات عقيما فى جهة لارده سنة ٤٢٨ هـ ، وانتهت بموته الدولة الأموية فى الأندلس (ابن الأثير ٩ : ٩٧ بتصرف) .

(١٥) زحل : أحد الكواكب الكبرى ترتيبه السادس من الشمس ، ويدور حولها فى ثلاثين عاما ، ويبلغ حجمه ٧٣٤ مرة من حجم الأرض ، وكتلته ٩٤,٩ مرة ، ويبدو قرصا منبعجا لامعا عند الاستواء ، وقطره الاستوائى حوالى ١٢٠,٠٠٠ كم ، وتوجد على سطحه مناطق موازية لخط الاستواء لكنها أقل وضوحا من المشترى ، وفى غلافه الجوى غاز « الميثان » و « النوشادر » ، ويدور حوله تسعة أقمار ، اكتشف الأول منها « كرستيان هاينجز » فى القرن السابع عشر ، واكتشف « كاسينى » أربعة و « وليم هرشل » اثنين ، وعثر على القمر الثامن كل من « وليم كراس » و « وليم لاسيل » سنة ١٨٤٨ م ، والقمر التاسع اسمه « فيوبا » ذو حركة تراجعية اكتشفه « وليم هنرى » الذى أعلن سنة =

– وزحل لم يزل يدور – دار الفلك الأكبر فى تلك الثلاثين سنة إحدى عشرة ألف دورة غير خمسين دورة – والفلك لم يزل يدور – وإحدى عشرة ألف غير خمسين دورة أكثر من دورة واحدة بلا شك . فإذن ما لا نهاية له أكثر مما لا نهاية له بنحو إحدى عشرة ألف مرة ، وهذا محال لما قدمنا[١٦].

ولأن ما لا نهاية له فلا يمكن ألبتة أن يكون عدد أكثرَ منه بوجه من الوجوه ، فوجبت النهاية[١٧] فى الزمان من قبل ابتدائه ضرورة ولا مخلص منها .

ويجب أيضًا من ذلك : أن الحس يوجب ضرورةً أن أشخاص الإنس مضافة إلى أشخاص الخيل أكثرُ من أشخاص الإنس مفردة عن أشخاص الخيل ، ولو كانت الأشخاص لا نهاية لها لوجب أنَّ ما لا نهاية له أكثر مما لا نهاية له ، وهذا محال ممتنع لا يتشكل فى العقل ولا يمكن .

وأيضًا فلا شك فى أنَّ الزمان مذ كان إلى وقت الهجرة جزء للزمان مذ كان إلى وقتنا هذا .

ولا شك أيضًا فى أن الزمان مذ كان إلى وقتنا هذا كلٌّ للزمان مذ كان إلى وقت الهجرة ، ولما بعده إلى وقتنا هذا .

فلا يخلو الحكم فى هذه القضية من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها :

إما أن يكون الزمان مذ كان موجودًا إلى وقتنا هذا أكثر من الزمان مذ كان إلى عصر الهجرة .

وإمّا أن يكون أقل منه .

وإمّا أن يكون مساويًا له .

فإن كان الزمان مذ كان إلى وقتنا هذا أقل من الزمان مذ كان إلى وقت الهجرة فالكل أقل من الجزء ، والجزء أكثر من الكل ، وهذا هو الاختلاط وعين المحال . إذ لا يخيل[١٨] على أحد أن الكل أكثر من الجزء ، وهذا ما لا شك فيه ببديهة العقل وضرورة الحس .

وإن كان مساويًا له ، فالكل مساوٍ للجزء ، وهذا عين المحال والتخليط .

= ١٩٠٥ م عن قمر عاشر لا زال قيد البحث ، وأكبر أقمار زحل يسمى « تيتان » وهو فى حجم عطارد ، ثبت عام ١٩٤٤ أن له غلافا جويا ، وتوجد حول « زحل » مجموعة حلقات فى مستوى خط الاستواء واكتشفها « جاليليو » (راجع الموسوعة العربية الميسرة إشراف د .محمد شفيق غربال ص ٩٢٠ ط مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر) .

(١٦) أى أنه إذا كان زحل لا نهاية له ، وكان الفلك الأكبر لا نهاية له فكيف يكون زمن أحدهما أكثر من زمن الآخر ، وكلاهما لا نهاية له – إن هذا محال .

(١٧) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « النهاية » .

(١٨) أى لا يختلط على أحد ، وقد استعمل لفظة « يخيل » لأن الخيال أكثره متصيَّد من عالم الوهم ولو استعمل كلمة « يغيب » بدلًا منها لكان أنسب .

وإن كان أكثر منه ، وهذا هو الذى لا شك فيه ، فالزمان مذ كان إلى وقت الهجرة ذو نهاية[١٩].

ومعنى الجزء إنما هو أبعاض الشيء ، ومعنى الكل إنما هو جملة تلك الأبعاض فالكل والجزء واقعان فى كلٍّ ذى أبعاض . والعالم ذو أبعاض هكذا توجد حاملاته[٢٠] ومحمولاته وأزمانها ومكانها[٢١]، فالعالم كل لأبعاضه ، وأبعاضه أجزاء له ، والنهاية – كما قدمنا لازمة لكل ذى كل ، وذى أجزاء . والزمان إنما هو مدة بقاء الجرم ساكنًا ، أو متحركًا ، ولو فارقه[٢٢] لم يكن الجرم موجودًا ، ولا كان الزمان أيضًا موجودًا ،[٢٣] والجرم والزمان موجودان فكلاهما لم يفارق صاحبه . والزمان ذو أول ، فالجرم ذو أول ، وهذا مما لا إنفكاك[٢٤] له ألبتة .

وأمّا ما لم يأت بعدُ من زمانٍ أو شخص أو عَرَض فليس كل ذلك شيئًا ، فلا يقع على شيءٍ من ذلك عدد ولا نهاية ، ولا يوصف بشيء أصلا لأنه لا وجود له بعد . فإذا وجد لزمه حينئذ ما لزم سائر ما قد وجد من أجناسه وأنواعه ، من النهاية والعدد وغير ذلك من الصفات .

وأيضًا فلا شك فى أن ما وقع[٢٥] ووجد من الزمان إلى يومنا هذا مساوٍ لما هو من يومنا هذا إلى ما وقع من الزمان معكوسا[٢٦]. وواجب فيه الزيادة بما يأتى من الزمان . والمساوى لا يقع إلَّا فى ذى نهاية ، فالزمان متناهٍ ضرورة .

وقد ألزمت بعض الملحدين وهو ثابت[٢٧] بن محمد الجرجانى فى هذا البرهان ، فأراد أن

---

(١٩) أى أن وقت الهجرة كان نهاية للزمان الذى سبقها ، وما له نهاية فلابد أن تكون له بداية ، ومحال أن يكون أزليا .

(٢٠) الحامل والمحمول : هما المسند والمسند إليه ، فالفاعل مسند إليه والفعل مسند ، والفعل لا يفعل إلا فى زمن ، والفاعل لا يفعل إلا فى زمن .

(٢١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « ومكانها » .

(٢٢) أى لو فارقه التحرك والسكون كان عدما .

(٢٣) لأن الزمان هو الوعاء الحامل للموجودات فى حركتها وسكونها ، فإذا لم تكن موجودات لم يكن للزمان وجود ، أما والأشياء موجودة فالزمان موجود .

(٢٤) فى (خ) : « لا انفصال » .

(٢٥) فى « أ ، ب » : ما وقع من الزمان .

(٢٦) أى أن ما مضى من الزمان إلى يومنا هذا فهو مساو للذى يبدأ من يومنا هذا إلى ما مضى من الزمان طردًا وعكسا .

(٢٧) ثابت بن محمد الجرجانى : ولد فى سنة ٣٥٠ هـ وتوفى سنة ٤٣١ هـ قتله باديس بن حبوس أمير « صنهاجة » لتآمره عليه ، قدم الأندلس سنة ٤٠٦ هـ ولقى ملوكها ، وكان إمامًا فى العربية متمكنا فى الأدب والمنطق ، أملى فى الأندلس كتابا فى شرح الجمل لأبى القاسم الزجاجى (راجع ترجمته فى الصلة لابن بشكوال حـ ١ ص ١٢٣ – ط الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ م) .

يعكسه على[٢٨] بقاء البارى عزّ وجل ووجودنا إياه[٢٩]. فأخبرته بأن هذا شغب ضعيف مضمحل ساقط ، لأن البارى تعالى ليس فى زمان ، ولا له مدة ولا فناء[٣٠] لأن الزمان إنما هو حركةُ كلِّ ذى الزمان وانتقاله من مكان إلى مكان ، أو مدة بقائه ساكنًا فى مكانٍ واحد . والبارى تعالى ليس متحركًا ولا ساكنًا ، فلا شك أنه ليس فى زمان ولا له مدة ولا فناء[٣١] ولا هو فى مكان أصلًا ، وليس هو جرمًا ، ولا جوهرًا ، ولا عرضًا ، ولا عددًا ، ولا جنسًا ، ولا نوعًا ، ولا فصلًا ، ولا شخصًا ، ولا متحركًا ، ولا ساكنًا[٣٢]، وإنما هو تعالى حق فى ذاته ، موجود مطلق بمعنى إنه معلوم لا إله غيره ، واحدٌ لا واحدَ فى العالم سواه ، مخترع للموجودات كلها دونه ، لا يشبه شيئًا من خلقه بوجه من الوجوه . وبالله تعالى التوفيق .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد نبه الله تعالى على هذا الدليل وحصره فى قوله تعالى : « يزيد فى الخلق ما يشاء[٣٣]» .

برهان رابع

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : إن كان العالم لا أول له ولا نهاية له ، فالإحصاء منّا له بالعدد والطبيعة إلى ما لا نهاية له من أوائل العالم الماضية محال لا سبيل إليه ؛ إذ لو أحصى ذلك[٣٤] كله لكان له نهاية ضرورة ، فإذن لا سبيل إليه[٣٥].

فكذلك أيضًا هو محال أن تكون الطبيعة والعدد أحصيا ما لا نهاية له من أوائل العالم الخالية حتى يبلغا إلينا ، وإذا كان ذلك محالا فالعدد والطبيعة إذن لم يبلغا إلينا ، وقد تيقّنا وقوع العدد والطبيعة فى كل ما خلا[٣٦] من العالم حتى بلغا إلينا بلا شك . فإذًا قد أحصى العددُ والطبيعة كلَّ ما خلا من أوائل العالم إلى أن بلغا إلينا ، فكذلك الإحصاء (منا)[٣٧] إلى أوّلية العالم صحيح موجود ضرورة بلا شك .

---

(٢٨) فى (خ) « علىَّ فى بقاء البارى » .

(٢٩) أى أن هذا المجادل أراد أن يرد هذا الدليل ، وهو أن الزمان له بدء ونهاية ويعكسه على البارى سبحانه فيجعل له بدءا ونهاية ، فقوله « إياه » يشير به إلى هذا الوجود الذى للمخلوقات من حيث أن لها بدءا ولها نهاية .

(٣٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « ولا فناء » .

(٣١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « ولا فناء » .

(٣٢) يلاحظ التكرار فى أسلوبه ، والظاهر أنه كان يملى كتابه ثم لا يراجعه حتى ينقيه من التكرار .

(٣٣) سور فاطر : آية رقم ١ - ومعنى الزيادة فى الخلق أنها كانت ناقصة قابلة لتلك الزيادة ، وما كان قابلا للزيادة فهو محتاج إلى من يمنحه إياها .

(٣٤) فى (خ) : « لو حصر ذلك لكانت » .

(٣٥) أى لا سبيل إلى إحصاء العالم والطبيعة إذا كان العالم لا أوّل له كما يزعم القائلون بأزليته .

(٣٦) أى ما مضى منه .

(٣٧) فى (خ) : لم تذكر كلمة « منا » .

وإذ ذلك كذلك فللعالَم أوَّل ضرورة . وبالله تعالى التوفيق .

برهان خامس

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لا سبيل إلى وجود ثانٍ إلا بعد أول ، ولا إلى وجود ثالث إلَّا بعد ثانٍ ، وهكذا أبدًا . ولو لم يكن لأجزاء العالم أول لم يكن ثان . ولو لم يكن ثان لم يكن ثالث . ولو كان الأمر هكذا لم يكن عدد ولا معدود .

وفى وجودنا جميعَ الأشياء التى فى العالم معدودةً إيجابٌ[٣٨] أنها ثالث بعد ثان ، وثانٍ بعد أوّل .

وفى صحة هذا وجوبُ أوّلٍ ضرورة . وقد نبه الله تعالى على هذا الدليل ، وعلى الذى قبله وحصرهما فى قوله تعالى : « وأحصى كل شىء عددًا[٣٩]» .

وأيضًا فالآخِر والأوَّل من باب المضاف ، فالآخر آخر للأول ، والأول أوّل للآخر . ولو لم يكن أوّل لم يكن آخر .

ويومنا هذا بما فيه ، آخِرٌ لكلِ موجودٍ (قبله)[٤٠]؛ إذ ما لم يأت بعدُ فليس شيئًا ، ولا وقع عليه بَعْدُ شىء من الأوصاف فله أوَّل ضرورة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد أخبرنى بعض أصدقائنا وهو : « محمد بن عبد الرحمن بن عقبة » رحمه الله تعالى : أنه عارض بهذا البرهان بعض الملحدين ، وهو : « عبد الله بن عبد الله بن شنيف » فعارضه الملحد فى قوله بخلود الجنة والنار وأهلهما فقال له ابن عقبة ، إنما أخذنا خلود دارى الجزاء ، وخلود أهلهما بلا نهاية على غير هذا الوجه .

لكن على أنَّ الله تعالى ينشىء لكل ذلك بقاء محدودًا ، وحركات حادثة ، ولذَّاتٍ مترادفة أبدًا وقتًا بعد وقت ، إلَّا أن الأول والآخر جاريان حادثان[٤١] فى كل موجود من ذلك[٤٢]، وإذا ثبت الأوّل[٤٣] فغير ممتنع تمادى الزمان حينا بعد حين أبدًا بلا نهاية ، وهذا مثل العدد فإنه لو لم يكن له

---

(٣٨) أى أن ذلك يوجب أنها ثالث بعد ثان ، وثان بعد أول . . وإيجابٌ : مبتدأ مؤخر ، خبره : وفى وجودنا . . .

(٣٩) سورة الجن : آية ٢٨ .

(٤٠) كلمة [قبله] ليست مذكورة فى (خ) ، واعتمدنا على ذكرها فى (أ ، ب) .

(٤١) فى (خ) : لا توجد كلمة « حادثان » ، وقد اعتمدنا فى ذكرها على (أ ، ب) .

(٤٢) أى من ذلك النعيم ، فهو نعيم متجدد حادث ، ولا خلود لما يتولد منه حالًا بعد حال .

(٤٣) أى أول ما يرد على أهل الجنة من نعيم .

أول لم يقدر أحد على عدّ أى[٤٤] شيءٍ أبدًا ؛ فالعدد له أول ضرورة ، يعرف ذلك بالحس والمشاهدة ، وهو قولنا واحد فإنَّ هذا مبدأً العدد الذى لا عدد قبله ، ثم الأعداد يمكن فيها الزيادة أبد الأبد لا إلى غاية ، لكن كلما خرج منه جزء إلى حَدّ الوجود ، وُجدَ للفعل فله نهاية[٤٥]، وهكذا أبدًا سرمدًا . وبالله تعالى التوفيق .

فانقطع الشنيفى ، ولم يكن عنده إلّا الشغب .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد قال بعض أهل الإلحاد فى هذه البراهين التى أوجبنا بها : استحالة[٤٦] وجود موجودات لا أوائل لها : أتقولون[٤٧] إن الله تعالى يوفى أهل الجنة ما وعدهم من النعيم الذى لا آخر له ولا نهاية أم لا يوفيهم ما وعدهم من ذلك ؟

فإن قلتم : إنه تعالى يوفيهم إياه . دخل عليكم كل ما أدخلتموه علينا فى هذه البراهين ، ولا فرق[٤٨].

وإن قلتم : إنه تعالى لا يوفيهم ذلك – ألزمتموه خلف الوعد والكذب[٤٩]؛ وهو كفر عندكم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه شغيبة قد طالما حذرنا من مثلها فى كتبنا التى جمعناها فى حدود المنطق[٥٠]. وهى منفسخة من وجهين[٥١]:

أحدهما[٥٢]: أن تعلق المرء بما يقول خصمه ضعف ، وإنما يلزم المرء أن يخلِّص قوله مجردًا ، ولا أسوة له فى تناقض خصمه ، بل لعل خصمه لا يقول ذلك .

---

(٤٤) فى (خ) لا توجد كلمة (آى) .

(٤٥) يعني أن الواحد وإن كان أصل الأعداد فإنه غير ما تركب منه أعداد ، فالثانى غير الأول ، والثالث غير الثانى ، وهكذا إلى ما لا نهاية من الأعداد ، ولكل عددٍ مبدأ عند ظهوره بالعدّ ، ونهاية عند الوقوف عنده ، أو تجاوزه إلى غيره ، وقد أراد بعض فلاسفة الغرب المعاصرين أن يدلل على وجود الله بمثل هذا المثل فجعل الله واحدًا ، ثم جعل المخلوقات منتظمة فى سلسلة الأعداد بعد الواحد ، قائلا : إن لكل موجود قيمة خاصة مثله فى أى عدد بعد الواحد وإن كان الواحد أصلًا لوجودها ، فلا يتصور عدد إلّا والواحد أصل له ، وهذا تصور باطل يؤدى إلى القول بوحدة الوجود من جهة ، ثم يجعل الواحد وهو الذى يمثل به الإله أقل درجة مما تعده من أعداد .

(٤٦) « استحالة » مفعول به لقوله « وقد قال بعض أهل الإلحاد » .

(٤٧) قوله « أتقولون » هو مقول لقول محذوف ، أى فقلنا لهم « أتقولون » .

(٤٨) وهو قولهم : استحالة وجود موجودات لا أوائل لها ، لأن الله تعالى إذا وفًى أهل الجنة ما وعدهم به كان النعيم الذى يلقونه حادثا ، وإذًا بطل قولهم باستحالة وجود موجوداتٍ لا أوائل لها .

(٤٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « والكذب » .

(٥٠) راجع ما ذكرناه سابقا ص ٤ .

(٥١) فى (خ) « من وجوه » .

(٥٢) فى (خ) « أوحدها » .

الثانى[٥٣]: أن المسئول بها إن كان جهميًا[٥٤] سقط عنه هذا السؤال المذكور .

وأمّا نحن فعلينا بحول الله تعالى بيان فساد هذا الاعتراض وتمويهه ، فنقول – وبالله التوفيق[٥٥]– إنَّ من شغب أهل السفسطة إدخال كلمة لا يؤبه لها يجعلونها مقدمة وهى كذب ، فيموّهون بها على الجهّال مما[٥٦] يبنون عليها

وهذا الاعتراض من هذا الباب .

وذلك أنهم أرادوا إلزامنا بأن الله عزّ وجل وعد أهل الجنة أن يوفيهم نعيمًا لا نهاية له ، وهذا خطأ وكذب ، وما[٥٧] وعدهم الله عزّ وجل قط بأن يوفيهم ذلك النعيم ، ولو وعدهم بذلك لكان ذلك النعيم إذا استوفى بطل وفنى وانقضى[٥٨]، وإنما وعدهم تعالى بنعيم لا نهاية له[٥٩]. وكل ما ظهر ووجد من ذلك النعيم فهو محصور ذو نهاية ، وما لم يخرج إلى حدّ الفعل فهو عدم بَعْدُ ، ولا يقع عليه عدد ولا صفة ، وهكذا أبدًا . فقد ظهر أن لفظة « يوفيهم » هى الشغبية المفسدة[٦٠] التى موّهوا بها ، فإذا أسقطها المعترض من كلامه سقط اعتراضه جملة وصحت القضية . وبالله التوفيق .

فإن قال قائل : فإن الله عزّ وجل يقول[٦١]: « وإنا لموفّوهم نصيبهم غير منقوص[٦٢]» ؟

قلنا : صدق الله تعالى[٦٣] وهذا لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما :

إمّا أن يكون أراد بذلك نصيبهم من الجزاء ، أو يكون أراد نصيبهم من مساحة الجنة .

فإن كان عنى – عزّ وجل – بذلك نصيبهم من الجزاء والنعيم فهو صحيح ، لأن كل ما خرج من ذلك إلى حد الوجود فهو مستوفى بيقين وهكذا أبدًا . وإن كان تعالى عنى بذلك

(٥٣) فى (خ) « وأيضا فإن » بدلًا من « الثانى أن » .

(٥٤) الجهمية : هم أتباع « جهم بن صفوان » الذى قال بالإجبار والاضطرار ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وكان « جهم » تلميذًا للجعد بن درهم الذى كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن ، وكان « يحمل « جهم » السلاح ويقاتل السلطان ، وقتله « سلم بن أحوز المازنى » ، فى آخر زمان بنى مروان (راجع الفرق بين الفرق للبغدادى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – نشر مطبعة محمد على صبيح – القاهرة) .

(٥٥) فى (خ) « وبالله تعالى نتأيد » .

(٥٦) فى (أ ، ب) « وما » .

(٥٧) فى (خ) : « وإنما وعدهم » .

(٥٨) لأنه لا يجتمع استيفاء النعيم واستمراره ، لأن استيفاءه نهاية له .

(٥٩) أى نعيما متجددًا لا يشبه سابقه لاحقه ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ، وأتوا به متشابها » .

(٦٠) فى (أ ، ب) : « الفاسدة » .

(٦١) فى (أ ، ب) : « إن الله تعالى يقول » .

(٦٢) سورة هود : آية : ١٠٩ .

(٦٣) سقطت كلمة « صدق الله تعالى » من (أ ، ب) .

نصيب كل واحد من الجنة والنار ، فهذا صحيح ، لأن كل مكانٍ منها متناهٍ من جهة المساحة ، وإنما نفينا التوفية التى توجب الانقضاء بلا زيادة فيها . وقد قال – عزّ وجل – « فأمَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ فيوفِّيهم أجورَهم ويزيُدهم من فضله(٦٤)» . وقال تعالى : « إنما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب(٦٥)» .

وهاتان الآيتان تبينان أن الأجر المستوفى هو كل(٦٦) ما يعطونه من مساحة الجنة ، وكل(٦٧) ما خرج إلى الوجود من النعيم ، ثم لا يزال تعالى يزيدهم من فضله كما قال تعالى : « بغير حساب » فهذا لا يستوفى أبدًا لأنه لا نهاية له ، ولا كل ، ولو استوُفِى لم يمكن أن تكون فيه زيادة ، إذ بالضرورة يعلم أن ما استوُفِى فلا زيادة فيه ، وما تُمكن الزيادة فيه فلم يستوف بعد .

والله تعالى قد نص على أن بعد تلك التوفية زيادة فصح أنها توفية لشىء محدود متناهٍ ، وإن ما لا نهاية له فلا يستوفى أبدًا .

فقد ثبت بكل ما ذكرنا أن العالم ذو أول ، وإذا كان ذا أول فلا بدّ ضرورة من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها ، وهى :

١ – إما أن يكون أحدث ذاته .

٢ – وإما أن يكون حدث بغير أن يحدثه غيره ، وبغير أن يحدث هو نفسه .

٣ – وإما أن يكون أحدثه غيره .

فإن كان هو أحدث ذاته ، فلا يخلو من أحد أربعة أوجه لا خامس لها وهى :

١ – إمّا أن يكون أحدث ذاته وهو معدوم وهى موجودة .

٢ – أو أحدث ذاته وهو موجود وهى معدومة .

٣ – أو أحدثها وكلاهما موجود .

٤ – أو أحدثها وكلاهما معدوم .

وكل هذه الأربعة الأوجه محال ممتنع لا سبيل إلى شىء منها ؛

---

(٦٤) سورة النساء : اية ١٧٣ . ففى قوله تعالى : « ويزيدهم من فضله بعد قوله » : « فيوفيهم أجورهم إشارة إلى أن التوفية ليس معناها استقصاء كل ما لهم ، وإنما لهم زيادة بعد هذه التوفية » .

(٦٥) سورة الزمر : آية ١٠ ، ففى قوله تعالى : « بغير حساب » إشارة إلى أن التوفية لا تنقطع بمالهم عند الله تعالى من أجر ، كما يقول سبحانه : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » يونس : ٢٦ .

(٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « كل » .

(٦٧) كلمة [كل] ليست مذكورة فى (خ) .

لأن الشى، وذاته هى هو ، وهو هى .

وكلّ ما ذكرنا من الوجوه يوجب أن يكون الشيء غير ذاته .

وهذا محال وباطل بالمشاهدة والحس[٦٨].

فهذاوجه قد بطل .

ثم نقول :

إن كل ما[٦٩] خرج عن العدم إلى الوجود بغير أن يُخرِج هو ذاته ، أو يُخرِجه غيره .

فهو[٧٠] أيضًا محال ، لأنه لا حال أولى بخروجه إلى الوجود من حال أخرى ، ولا حال أصلا هناك .

فإذًا لا سبيل إلى خروجه ، وخروجه مشاهد ممكن[٧١]. فحال الخروج غير حال اللا خروج ، وحال الخروج هى علّة كونه .

وهذا لازم فى تلك الحال ، أعنى أن حال الخروج يلزم فى حدوثها مثل ما لزم فى حدوث العالم من أن تكون أخرجت نفسها ، أو أخرجها غيرها ، أو خرجت بغير هذين الوجهين ، وهكذا فى كل حال .

فإن تمادى الكلام يوجب[٧٢] ألا نهاية .

ولا نهاية[٧٣] فى العالم من مبدئه باطل ممتنع محال بما قدمنا[٧٤].

فإذًا قد بطل أن يخرج العالم بنفسه ، وبطل أن يخرج دون أن يخرجه غيره ، فقد ثبت الوجه الثالث ضرورة ، إذ لم يبق غيره ألبتة فلا بدّ من صحته ، وهو أن العالَمَ أخرَجَه غيرُه من العدم إلى الوجود وبالله تعالى التوفيق .

---

(٦٨) لان ذات الشيء ، هى الشيء ، فذات الإنسان هو الإنسان ، وذات الشجرة هى الشجرة .
(٦٩) وفى (أ ، ب) [وإن كان] .
(٧٠) وفى (أ ، ب) [فهذا] .
(٧١) وفى (أ ، ب) [متيقن] .
(٧٢) فى (أ ، ب) [وجب بما قدمناه ألا نهاية] .
(٧٣) وفى (أ ، ب) [وألا] .
(٧٤) كلمة [بما قدمنا] غير مذكورة فى (أ ، ب) .

أدلة أخرى على حدوث العالم

وأيضًا فإن الفلك[٧٥] بكل ما فيه ذو آثارٍ محمولة فيه من نُقْلةٍ زمانية ، وحركة دورية ؛ فى كون[٧٦] كل جزء من أجزائه فى مكان الذى يليه ، والأثرُ مع المؤَثِّر من باب المضاف فإن لم يكن أثر لم يكن مؤَثِّر ، وإن لم يكن مؤثِّر لم يكن أثر ، فوجب بذلك أنه لابد لهذه الآثار الظاهرة من مؤثر أثَّرها ، ولا سبيل إلى أن يكون الفلك أو شيء مما فيه هو المؤثر ، لأنه هو[٧٧] المؤثر فيه ، والمؤَثَّر فيه مع المؤثِّر والأثَر من باب المضاف أيضًا ، ومعنى قولنا أنَّ الموثِّر والأثر والمؤثَّر فيه من باب المضاف إنما هو أنَّ الأثر والمؤثَّر فيه يقتضيان مؤثِّرًا ولابد .

ولم يَرِد أن البارى تعالى يقع تحت الإضافة فلابدَّ ضرورة[٧٨] من مؤثر ليس مؤثَّرًا فيه ، وليس هو شيئًا مما فى العالم ، فهو بالضرورة الخالق الأول ، الواحد تبارك وتعالى .

فصحّ بهذا أنّ العالَم كلَّه محدَث ، وأنَّ له محدِثاً هو غيره .

هذا إلى ما نراه ونشاهده بالحواس من آثار الصنعة التى لا يشك فيها ذو عقل .

ومن بعض ذلك .

تراكيب الأفلاك وتداخلُها ، ودوام دورانها على اختلاف مراكزها ، ثم أفلاك تداويرها ، والبون بين حركة أفلاك التداوير[٧٩]، والأفلاك الحاملة لها ، ودوران الأفلاك كلها من غرب إلى شرق ، ودوران الفلك التاسع الكلى بخلاف ذلك من شرق إلى غرب ، وإدارته لجميع الأفلاك مع نفسه كذلك ، فحدث من ذلك حركتان متعارضتان فى حركة واحدة .

فبالضرورة نعلم أن لها محركا على هذه الوجوه المختلفة .

ثم تراكيب أعضاء الإنسان والحيوان من إدخال العظام المحدَّبة فى المقعّرة ، وتركيب العضل على تلك المداخل ، والشدّ على ذلك بالعصب والعروق .

صناعة ظاهرة لا شك فيها ، لا ينقصها إلا رؤية الصانع فقط[٨٠].

---

(٧٥) يقصد بالفلك هذا الوجود الواقع تحت الحسّ والمشاهدة من أرض وسماء ، وكواكب ونجوم .

(٧٦) كلمة [كون] غير موجودة فى (خ) .

(٧٧) جاءت العبارة فى (أ ، ب) على النحو التالى [لأنه يصير هو المؤثِّر والمؤثر فيه ، مع أن المؤثِّر والأثر من باب المضاف أيضا] .

(٧٨) كلمة [ضرورة] غير موجودة فى (خ) .

(٧٩) يقصد بأفلاك التداوير الأفلاك (أى الكواكب) التى تدور حول مركز كوكب آخر ، كالمجموعة الشمسية التى تدور حولها الأرض ، والقمر ، وزحل ، وعطارد ، والمريخ ، وغيرها ، ويسمّى المؤلف الكواكب المركزية بالحاملة لمجموعتها التى تدور فى فلكها .

(٨٠) أى لاينقصها إلا العقل المتدبّر الذى يرى قدرة الصانع سبحانه فيما صنع .

ومن ذلك ما يظهر فى الأصباغ الموضوعة فى جلود كثير من الحيوان وريشه ووبره ، وشعره ، وظفره ، وقِشْره ، على رتبة واحدة ، ووضع واحد لا تخالف فيه ، كأصباغ الحَجَل(٨١)، والشفانين (اليمام) ، والسِّمان ، والبزاة(٨٢)، وكثير من الطير والسلاحف ، والحشرات والسمك ، لا يختلف تنقيطه ألبتة ، ولا تكون أصباغه موضوعة إلّا وضعًا واحدًا كأذناب الطواويس – وفى السمك والجراد(٨٣) والحشرات – نوعًا واحدًا كالذى يصوّره المصور بيننا(٨٤).

ثم منها ما يأتى مختلفًا كأصباغ الدّجاج والحمام والبط وكثير من الحيوان .

فبالضرورة والحس نعلم أنّ لذلك صانعًا مختارًا يفعل ذلك كله كما شاء ، ويحصيه إحصاءً لا يضطرب أبدًا عمّا شاء من ذلك ، وليس يمكن ألبتة في حسّ العقل أن تكون هذه المختِلفات المضبوطة ضبطًا لا تفاوت فيه من فعل الطبيعة ؛ ولابد لها من صانع قاصد إلى صنعة كل ذلك .

ومن درى ما الطبيعة ؛ علم أنها قوة موضوعة فى الشيء تجرى بها صفاته على ما هى عليه فقط ، وبالضرورة يعلم أن لها واضعًا ، ومرتِّبا ، وصانعًا ، لأنها لا تقوم بنفسها ، وإنما هى محمولة على(٨٥) ذى الطبيعة .

ومنها ما يُرى فى لِيفِ النخل ، والدّوْم من النسج المصنوع يقينًا بنِيرين(٨٦) وسُدًى كالذى يصنعه النسَّاج ، ما تنقصنا إلا رؤية الصانع فقط ، وليس هذا ألبتة من فعل طبيعة ، ولا بنسج ناسج ، ولا بنَّاء ، ولا صانع أصباغ مرتبة . بل هو صنعة صانع مختار قاصد إلى ذلك غير ذى طبيعة لكنه قادر على ما يشاء .

هذا أمر معلوم بضرورة العقل وأوله(٨٧) يقينًا ، كما نعلم أن الثلاثة أكثر من الاثنين . فصحّ أنه خالق أوّل واحدٌ حقٌ لا يشبه شيئًا من خلقه ألبتة لا إله إلّا هو الواحد الأول الخالق عزّ وجل .

* * *

(٨١) الحَجل : واحدة حجلة – الذكر من القبح ، لحمه معتدل ، وابتلاع نصف مثقال من كبدة ينفع فى الصرّع ، والاستعاط بمرارته كل شهر مرة يذكى الذهن جدًّا ، ويقوّى البصر (قاموس المحيط) .

(٨٢) البُزاة : جمع البازى : ضرب من الصقور .

(٨٣) كلمة (والجراد) غير مذكورة فى (خ) .

(٨٤) أى كالذى يفعله المصور فى تصوير منظر من أشجار الورد مثلا ، فيصبغ بألوانه التى بين يديه كل شجرة بلون ما عليها من أزهار .

(٨٥) فى (خ) : فى .

(٨٦) واحدها « نير » وهو الحبل ، و « السُّدى » : واحدتها « سداة » وهى ما تقابل « اللحمة » فى عملية النسيج .

(٨٧) أى أول المعارف التى هى البديهيات .

القسم الثالث

« الفرقة الثالثة : القائلون بأن العالم لم يزل وأن له فاعلًا لم يزل »★

باب الكلام : على من قال : إن العالم لم يزل ، وله مع ذلك فاعل لم يزل .

قال « أبو محمد » : (رضى الله عنه) : قد أفسدنا بحول الله وقوته بالبراهين التى قدمنا هذه المقالة . ولكن بقى لهم اعتراض وجب إيراده تقصِّيًا لكلٍّ ما موَّهوا به .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : اعتمد أهل هذه المقالة على أن قالوا : إنَّ علة فعل البارى تعالى لما فعل[1] إنما هو : جوده[2]، وحكمته ، وقدرته ، وهو تعالى لم يزل جوادًا حكيمًا قادرًا . فالعالم لم يزل ، إذ علته لم تزل .

وهذا[3] فاسدٌ ألبتة بالأدلة[4] التى قدمنا التى لا تضطر[5] إلى المعرفة والتيقن بحدوث العالم .

ثم نقول : إنه إنما يلزم هذا من أقر بهذه المقدمة أعنى أن للعالم علة ، وأما نحن فإنّا نقول : إنه لا علّة لتكوين الله عزّ وجل كلَّ ما كوَّنه ، وأنه لا شىء غير الخالق وخلقه ، ثم نقول على علم هؤلاء قولًا كافيًا إن شاء الله تعالى :

وهو أن المفعول[6] هو المتنقل من العدم إلى الوجود ، بمعنى مِنْ ليسَ ، إلى شيءٍ[7]، فهذا هو المحدَث .

---

(١) كلمة « لما فعل » غير مذكورة فى (خ) .
(٢) فى الأصل : « وجوده » .
(٣) فى (أ ، ب) : فهذا .
(٤) فى (أ ، ب) : بالدلالة .
(٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (لا) .
(٦) المفعول : هو المخلوق ، وهو الذى له فاعل .
(٧) أى أنه المتنقل من ليس موجودًا أو شيئًا إلى شىء موجود .
★ هذا العنوان ليس فى الأصل .

ومعنى المحدَث : هو ما لم يكن ثم كان .

وهم يقولون : إنه الذى لم يزل ، وهذا هو خلاف المعقول ، لأن الذى لم يكن ثم كان هو غير الذى لم يزل ، فالعالم إذن هو غير نفسه ، وهذا هو[٨] عين المحال ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال لنا قائل :

لما كان البارى تعالى غير فاعل على قولكم ثم صار فاعلًا ، فقد لحقته استحالة ، وتعالى الله عن ذلك .

قلنا له وبالله التوفيق :

هذا السؤال راجع عليكم إذ صححتموه فهو لكم لازم[٩]، لا لنا لأنا لا نصححه ، وذلك أنه إن كان عندكم الفعل منه بعد أن كان غيرَ فاعل يوجب الاستحالة على الفاعل تعالى ، فإنّ فعله لِما أحدثَ من الأعراض عندكم بعد أن كان غير محدِث لها ، وإعدامُه ما أعدم منها بعد أن كان غير معدم لها موجب عليه الاستحالة .

فأجيبوا عن سؤالكم الذى صححتموه ، ولا جواب لكم إلا بإفساده .

وأمّا نحن فنقول : إنَّ الاستحالة ليست ما ذكرتم .

وإنما معنى الاستحالة : أنه حدوث شيءٍ فى المستحيل ، لم يكن فيه قبل ذلك ثم صار فيه[١٠] مستحيلًا عن صفته المحمولة عليه إلى غيرها .

وهذا المعنى منفى عن الله تعالى ، أى أنه تعالى يجل عن أن يكون حاملا لصفة فيه[١١]. بل بذاته لم يفعل إن كان غير فاعل ، وبذاته فَعَل إن فَعل ، ولا علة لما فعل ، ولا علّة لما لم يفعل .

وأيضًا : فإنَّ الذى لم يزل هو الذى لا فاعل له ، ولا مخرج له من عدم إلى وجود ، فلو كان العالَم لم يزل لكان لا مخرج له ولا فاعل له .

وقد أقرّ أهل هذه المقالة بأنَّ العالم لم يزل ، وأن له فاعلًا لم يزل يفعل وهذا عين المحال والتخليط والفساد . وبالله تعالى التوفيق .

---

(٨) سقطت كلمة (هو) من (أ ، ب) .

(٩) أى أن هذا السؤال يجب عليكم أنتم أن تسألوه أنفسكم ، وأن تجيبوا عليه وسيظهر لكم من الإجابة أن الله تعالى فاعل مختار ، والفاعل المختار لا يستحيل أن يفعل ، « وربك يفعل ما يشاء ويختار » : ٩٨ سورة القصص .

(١٠) فى (أ ، ب) : « إذ لا »وسقطت كلمة (ثم) .

(١١) فى (أ ، ب) : صار به .

القسم الرابع

« الفرقة الرَّابعة : رأيها فى خلق العالم والنفس والمكان والزمان »

باب الكلام على من قال إن للعالم خالقًا لم يزل ، وإن النفس والمكان المطلق الذى هو الخلاء[1]، والزمان المطلق الذى هو المدة لم تزل موجودة ، وأنها غير محدثة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : والنفس[2] عند هؤلاء جوهر قائم بنفسه ، حامل لأعراضه لا متحرك ، ولا منقسم ، ولا متمكن أى لا فى مكان .

وقد ناظرنى قوم من أهل هذا الرأى ، ورأيته كالغالب على ملحدى أهل زماننا ، فألزمتهم إلزامات لم ينفكوا عنها[3]. أظهرت[4] بطلان قولهم بعون الله تعالى وقوّته . ولم نر واحدًا ممن تكلم قبلنا ذكر هذه الفرقة ، فجمعت ما ناظرتهم به وأضفت إليه ما وجبت إضافته إليه مما فيه تزييف قولهم . وما توفيقنا إلَّا بالله تعالى .

وهذا الزمان والمكان عندهم هما غير الزمان والمكان المعهودين عندنا لأن المكان المعهود عندنا : هو المحيط بالمتمكِّن فيه من جهاته أو من بعضها .

وهو ينقسم قسمين :

إمّا مكان يتشكل المتمكِّن فيه بشكله كالبرا[5]، أو الماء فى الخابية ، أو ما أشبه ذلك .

وإمَّا مكان يتشكل هو[6] بشكل المتمكِّن فيه كالماء لما حلَّ فيه من الأجسام ، وما أشبهه .

---

(١) فى النسخة (ب) والمكان المطلق هو الخلاء .

(٢) فى (أ ، ب) [النفس] بغير واو . ويشير المؤلف إلى العطار أحد رؤساء المعتزله كما صرح بذلك فى الفصل ٥/٧٠

(٣) فى (أ ، ب) [منها] .

(٤) فى (خ) [وظهر] .

(٥) فى (ب) « كالبر » والبرى : التراب (محيط) .

(٦) أى المكان ، والمكان الذى يتشكل بما هو فيه إنما يظهر فى الآنية الشفافة الملونة حيث يأخذ الإناء لون الشراب الذى يوضع فيه .

والزمان المعهود عندنا : هو مدة وجود الجرم ساكنًا أو متحركًا ، أو مدة وجود العرض فى الجسم .

ويعُمُّه أن نقول : هو مدة وجود جرم(٧) الفلك وما فيه من الحوامل والمحمولات .

وهم يقولون : إنَّ الزمان المطلق ، والمكان المطلق هما غير ما حدّدناه(٨) آنفًا من الزمان والمكان(٩).

ويقولون : إنهما شيئان متغايران .

ولقد كان يكفى فى بطلان(١٠) قولهم – إقرارهم بمكانٍ غير ما يعهد ، وزمانٍ غير ما يعهد بلا دليل على(١١) ذلك .

ولكن لابدَّ من إيراد البراهين على إبطال دعواهم فى ذلك بحول الله وقوته .

○ فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق :

أخبرونا عن هذا الخلاء الذى أثبتم وقلتم إنه كان موجودًا قبل حدوث الفلك(١٢) وما فيه .

هل بطل بحدوث الفلك(١٣) ما كان منه فى مكان الفلك قبل أن يحدث الفلك ؟ أو لم يبطل ؟ .

فإن قالوا لم يبطل – وبذلك أجابنى بعضهم

فيقال لهم :

فإن كان لم يبطل ، فهل انتقل عن ذلك المكان بحدوث الفلك فى ذلك المكان أو لم ينتقل ؟

فإن قالوا : لم ينتقل – وهو قولهم –

قيل لهم :

---

(٧) كلمة « جرم » سقطت من (أ ، ب) .
(٨) وفى (ب) « حددنا » .
(٩) أى من أنهما غير مطلقين .
(١٠) فى (أ) « من » بدلًا من « فى » .
(١١) فى (أ) « بدليل على ذلك » وفى (ب) « بلا دليل على ذلك » .
(١٢) يقصد به المؤلف « العالم وما فيه من مخلوقات » .
(١٣) سقطت من (خ) كلمة « الفلك » .

فإذا لم يبطل ، ولا انتقل ، فأين حدث الفلك ؟ وقد كان فى موضعه قبل حدوثه عندكم معنى ثابتًا قائمًا بنفسه موجودًا ؟ .

وهل حدث الفلك فى ذلك المكان المطلق الذى هو الخلاء أم فى غيره ؟

فإن كان حدث فى غيره

فها هنا إذًا[١٤] مكان آخر غير الذى سميتموه خلاء ..

وهو إمّا مع الذى ذكرتم فى حيز واحد .. أم هو فى حيّز آخر .

فإن كان معه فى حيز واحد ، فالفلك فيه حدث ضرورة ، وقد قلتم إنه لم يحدث فيه .

فهو إذًا حادث فيه غير حادث فيه ، وهذا تناقض ومحال .

○ وإن كان فى حيز آخر فقد أثبتم النهاية[١٥] للخلاء ، إذ[١٦] الحيز الآخر الذى حدث فيه الفلك ليس هو فى ذلك الخلاء ، وهذا ينطوى فيه بالضرورة نهاية الخلاء الذى ذكرتم فهو متناهٍ لا متناه ، وهذا تناقض وتخليط .

وإذا بطل أن يكون غير متناهٍ ، وثبت أنه متناه ، فهو المكان المعروف[١٧] المعهود المضاف إلى المتمكن فيه ، وهذا هو المكان الذى لا يَعرف ذو عقل سواه .

○ وإن كان الفلك حدث فيه والفلك ملاء بلا شك ، ولم ينتقل الخلاء عندكم ولا بطل .

فالفلك إذًا خلاء وملاء معًا فى مكانٍ واحد . وهذا محال وتخليط .

○ فإن قالوا بطل بحدوث الفلك ما كان منه فى موضع الفلك قبل حدوث الفلك .

أو قالوا[١٨]: انتقل .

فقد أوجبوا له النهاية ضرورة ؛

إمّا من طريق الوجود بالبطلان ؛ إذ لا يَفْسُد ويبطل إلّا ما كان حادثًا لا ما لم يزل .

وإمّا من طريق المساحة بالنقلة ، إذ لو لم يجد أين ينتقل لم تكن له نقلة ، إذ معنى النقلة

(١٤) فى (خ) « الآن » بدلا من « إذا » .
(١٥) كلمة (النهاية) سقطت من النسخة (أ) وهى موجودة فى (ب) .
(١٦) فى النسخة (أ) [إذًا] وفى (ب) : [إذ] .
(١٧) سقطت كلمة [المعروف] من (أ ، ب) .
(١٨) فى النسخة (أ) [أى قالوا] وفى (ب) « أو » .

إنما هو تصيير الجرم إلى مكان لم يكن فيه قبل ذلك ، أو إلى صفة لم يكن عليها قبل ذلك .

ووجوده مكانًا ينتقل إليه موجِبٌ أنه لم يكن فى ذلك المكان الذى انتقل إليه قبل انتقاله إليه وهذا هو إثبات النهاية ضرورة فهذا هو الذى أبطلوا[١٩].

○ ويلزمهم فى ذلك أيضًا أن يكون متحيزًا ضرورة لأن الذى بطل منه هو غير الذى لم يبطل . والذى انتقل هو غير الذى لم ينتقل .

وهو إذا كان كذلك[٢٠]:

فإمّا هو جسم ذو أجزاء .

وإمَّا هو محمول فى جسم فهو ينقسم بانقسام الجسم .

وقد أثبتنا النهاية للجسم فى غير هذا المكان من كتابنا هذا بما فيه البيان الضرورى . والحمد لله رب العالمين .

ب وأيضًا ، فإن كان لم يبطل :

فالذى كان منه فى موضع الفلك ثم لم يبطل ، ولا انتقل لحدوث الفلك فيه .

فهو والفلك إذًا موجودان فى حيز واحدٍ معًا .

فهو إذًا ليس مكانًا للفلك لأن المكان لا يكون مع المتمكن فيه فى مكان واحد ، وهذا يعرف بأولية العقل .

ولو كان ذلك لكان المكان مكانًا لنفسه ، ولما كان واحدٌ منهما أولى بأن يكون مكانًا للآخر من الآخر بذلك .

ولا كان أحدهما أولى أيضًا بأن يكون متمكنًا فى الآخر من الآخر فيه .

وكل هذا فاسد ومحال بالضرورة .

○ وأيضًا فإن الخلاء عندهم مكان لا متمكِّن فيه ، والفلك عندهم موجود فى الخلاء إذ لا نهاية للخلاء عندهم من طريق المساحة ، فإذا كان الفلك متمكنًا فى الخلاء عندهم والخلاء عندهم مكان لا متمكِّن فيه ، فالخلاء إذن مكان فيه متمكن ليس فيه متمكن .

---

(١٩) وهو نهاية الموجودات ، وعدم أزليتها ، فقد قالوا بأزلية العالم وموجوداته .
(٢٠) فى (ب) « ذلك » .

وهذا محال وتخليط .

○ وهذا بعينه لازم فى قولهم إن ذلك الجزء من الخلاء لم ينتقل[٢١] لحدوث الفلك فيه ، فإن قالوا انتقل ، فإنما صار إلى مكان لم يكن فيه قبل ذلك خلاء ولا ملاء[٢٢] فقد ثبت عدم الخلاء والملاء فيما فوق الفلك ضرورة ، وهذا خلاف قولهم .

○ وإن قالوا بطل ، لزمهم أيضًا أنه قد عدَّته المدد ضرورة ، فإذا عدَّته المدد فقد تناهى من أوله بالمبدأ ضرورة .

فإن قالوا بل لم يحدث الفلك فى شىء من ذلك المكان الذى هو الخلاء .

فقد أثبتوا حيزًا آخر ، ومكانًا للفلك غير الخلاء الشامل عندهم .

وإذا كان ذلك فقد تناهى كلا المكانين[٢٣] من جهة تلاقيهما ضرورة ، وإذا تناهيا من جهة تلاقيهما لزمتهما المساحة ، ووجب تناهيهما لتناهى ذرعهما[٢٤] ضرورة[٢٥].

○ ويُسألون أيضًا عن هذا الخلاء الذى هو عندهم مكان لا متمكّن فيه :

هل له مبدأ متصل بصفحات الفلك العليا[٢٦] أم لا مبدأ له من هنالك ؟

ولابد من أحد الأمرين ضرورة ؛ فإن قالوا : لا مبدأ له – وهو قولهم – قيل لهم إنّ قول القائل « مكان » ، إنما يفهم منه ما يتمثل فى النفس من المقصود بهذه اللفظة وموضعها فى اللغة لتكون عبارة عن التفاهم[٢٧] بالمراد بها أنه[٢٨] مساحة ، ولابدّ للمساحة من الذرع ضرورة ، ولا بد للذرع[٢٩] من مبدأ لأنه كمية ، والكمية أعداد مركبة من الآحاد .

فإن لم يكن له مبدأ من واحد ، اثنين ، ثلاثة ، لم يكن عدد ، وإذا لم يكن عدد لم يكن ذرع أصلًا .

وإذا لم يكن ذرع لم تكن مساحة ، ولا انفساح ولا مسافة .

---

(٢١) لم يتغيّر ، ولم ينتقل من حال إلى حال ، مع أنه قد انتقل فعلا بحدوث الفلك فيه .
(٢٢) الخلاء : الفضاء المطلق الذى لا شىء فيه ، والملاء : ما يحلّ فى الخلاء ، ويملأ جزءًا منه ، أو يملؤه كلّه .
(٢٣) المراد بالمكانين هنا : المكان الذى حلّ فيه الفلك ، والمكان الذى لم يحلّ فيه الفلك ، وهو الخلاء أصلًا .
(٢٤) الذّرع : المساحة ، وأصله ما يقاس بالذراع « ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه » .
(٢٥) كلمة [ضرورة] غير مذكورة فى (خ) .
(٢٦) فى (أ ، ب) [الأعلى] .
(٢٧) فى (أ ، ب) : للتفاهم عن المراد بها .
(٢٨) فى (أ ، ب) : أنه ساحة .
(٢٩) فى (أ) : للزروع .

وكل هذه ألفاظ واقعة إما على ذرع المذروع ، وإما على مذروعٍ بالذرع ضرورة ، فإن قالوا : له مبدأ من هنالك :

وجبت له النهاية ضرورة لحصر العدد لمساحته بوجود المبدأ له .

○ ويسألون أيضًا :

أمماس هو[٣٠] للفلك أم غير مماس ، وباين عنه أم غير باين[٣١]؟

فإن قالوا : لا مماس ولا مباين .

فهذا أمر لا يعقل بالحس ، ولا يتشكل فى النفس ، ولا يقوم على صحته برهان أبدًا إلّا فى الأعراض المحمولة فى الأجسام[٣٢].

وهم يقولون[٣٣]: إن الخلاء عرض محمول فى جسم .

وكل دعوى لم يقم عليها دليل فهى باطلة مردودة .

وإن أثبتوا المماسة أو المباينة وجب عليهم ضرورة إثبات النهاية له .

كما لزم بإثبات المبدأ ، إذ النهاية منطوية فى ذكر المبدأ ، والمماسة أو[٣٤] المباينة ضرورة لا شك فيها[٣٥]. وبالله التوفيق .

○ ويُسألون أيضًا عن هذا الخلاء الذى يذكرون ، والزمان الذى يثبتون :

أمحمولان هما أم حاملان ؟ أم أحدهما محمول والثانى حامل ؟ أم كلاهما لا حامل ولا محمول ؟

فأيهما أجابوا فيه : بأنه[٣٦] حامل فلا شك[٣٧] فى أن محموله غيره ؛ إذ لا يكون الشىء حاملًا لنفسه ، فله إذًا محمول لم يزل وهو غير الزمان ، فإن قالوا ذلك : كُلِّموا بما قدّمنا قبلُ على أهل الدّهر القائلين بأزلية العالم .

○ وأيضًا فإن كان المكان حاملًا فلا يخلو ضرورة من أحد وجهين :

---

(٣٠) فى (أ ، ب) : هذا الفلك .
(٣١) باين : منفصل بعيد .
(٣٢) الأعراض المحمولة فى الأجسام : هى الصفات التى تخص الأجسام من طول وعرض ولون ، وطعم ورائحة .
(٣٣) فى (أ ، ب) : لا يقولون .
(٣٤) وفى (ب) : والمباينة ، وفى (أ) (أو) .
(٣٥) فى (أ ، ب) : فيه .
(٣٦) فى (أ ، ب) : فإنه
(٣٧) فى (أ ، ب) : بلا شك .

إما أن يكون حاملاً لجرم متمكن فيه ، وهذا يوجب النهاية له لوجوب نهاية الجرم المتمكن فيه بالدلائل[٣٨] التى قدمنا فى إثبات نهايات الأجرام ، وإمَّا أن يكون حاملًا لكيفياته ، فإن كان حاملًا لكيفياته فهو مركب من هيولاه[٣٩] وأعراضه ، وجنسه وفصوله .

وبالضرورة يعلم كل ذى حس سليم أن كل مركب فهو متناه بالجرم والزمان بالدلائل التى قدمنا .

ولا سبيل إلى حَمْلٍ ثالث .

وأيهما قالوا فيه إنه محمول فإنه يقتضى حاملًا ، وبعكس الدليل الذى ذكرنا آنفًا سواء بسواء .

وأيهما قالوا فيه إنه حامل محمول وجب كل ما ذكرنا فيه أيضًا بعكسه .

وأيهما قالوا فيه لا حامل ولا محمول ، فلا يخلو من أن يكون باقيًا أو يكون بقاء .

فإن كان باقيًا فهو مفتقر إلى بقاء وهو مدته إذ لا باق إلا ببقاء .

وإذا[٤٠] كان بقاء فلا بدّ له من باق به ، وهذا[٤١] من باب الإضافة .

والمدة وهى البقاء إنما هى محمولة ، وباعثة للباقى بها ضرورة ، هذا الذى لا يقوم فى العقل سواه ، ولا يقوم برهان إلَّا عليه .

○ ويُسألون أيضًا عن هذا الزمان الذى يذكرون :

هل زاد فى مدة اتصاله مذ حدث الفلك إلى يومنا هذا ؟

أو لم يزد فى أمده ؟

فإن قالوا : لم يزد ذلك فى أمده ، كانت مكابرة لأنها مدة متصلة بها[٤٢]، مضافة إليها وعدد زائد على عدد .

---

(٣٨) فى (أ ، ب) : بالدلالة .

(٣٩) : الهيولى : لفظ مرادف للمادة ، وقد ردّ « رستو » الأشياء إلى مبدأين : الصورة والهيولى ، وكل شىء هو جزء من المادة الأولية ، اكتسب صفات معينة حدّدت طبيعته ووظيفته ، وهى صورته ، والهيولى : لا تكون أبدًا بغير صورة إلا فى التحليل العقلى والصورة لا تكون إلَّا فى هيولى ، مع بعض الاستثناءات كالله والنفس قبل حلولها فى الجسد ، وبعد مفارقتها له . والهيولى : مستعدة أن تكون أى شىء على حسب الصورة التى تحل فيها ، ويعبّر عن هذا بأن الهيولى تكون أى شىء بالقوّة ، فإذا حلت بها صورة معينة أصبحت شيئا معينا بالفعل (راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٣٣) .

(٤٠) فى (أ ، ب) : وإن .

(٤١) فى (أ ، ب) : وهو .

(٤٢) أى مدة متصلة بالزيادة .

فإن قالوا : زاد ذلك فى أمده : سئلوا : متى كانت تلك المدة أطول ؟

أقبل الزيادة أم هى وهذه الزيادة معًا ؟

فإن قالوا : هى والزيادة معها ، فقد أثبتوا النهاية ضرورة ، إذ ما لا نهاية له فلا يقع فيه زيادة ولا نقص ، ولا يكون شيء مساويًا له ، ولا أكثر منه ، ولا أنقص منه . ولا يكون هو أيضًا منفصلًا(٤٣) أصلًا ، فلا يكون مساويًا لنفسه كما هو ، ولا أكثر من نفسه ولا أقل منه .

فإن قالوا : ليست هى(٤٤) والزيادة معها أطول منها قبل الزيادة ، فقد أثبتوا أن الشيء وغيره معه ليس أكثر منه وحده ، وهذا باطل .

وهم يقولون : إن الخلاء والزمان المطلق شيئان متغايران ، فيقال لهم : فإذا هما كذلك .

فبأى شيء انفصل بعضهما من بعض ؟

فإن قالوا : انفصلا بشيء مّا وذكروا فى ذلك أىَّ شيء ذكروه ، فقد أثبتوا لهما التركيب من جنسهما وفصلهما .

وأيضًا فجعلهم لهما شيئين إيقاع منهم للعدد عليهما ، وكل عدد فهو متناه محصور ، وكل محصور فقد سلكته الطبيعة(٤٥)، وكل ما سلكته الطبيعة فهو متناهٍ ضرورة .

فإن أرادوا إلزامنا فى البارى تعالى مثل ما ألزمناهم فى هذا السؤال :

فقالوا : أيما أكثر : البارى تعالى وحده أم البارى وخلقه معًا ؟

قلنا : هذا سؤال فاسد بالبرهان الضرورى ؛ لأن هذا البرهان إنما هو على وجوب حدوث الزمان ، وما لم ينفك من الزمان ، وعلى حدوث النوامى كلها فقط . والبارى تعالى لا زمان له ولا هو من النوامى(٤٦).

وأيضًا فإن البارى تعالى ليس عددًا ، ولا بعض عدد ، ولا هو أيضًا معدودًا ولا بعض المعدود ، لأن واحدًا ليس عددًا(٤٧) بالبرهان الذى نورده فى الباب(٤٨) الذى يتلو هذا الباب إن شاء الله تعالى .

---

(٤٣) فى (أ ، ب) : مفصلا ، وسياق الكلام يدل على أن الأرجح (منفصلا) أذ هى مقابلة للاتصال .
(٤٤) أى المدة .
(٤٥) سلكته الطبيعة : أى انتظمته فى سلكها ، واحتوته فيه .
(٤٦) سقط الكلام فى (أ ، ب) من أول [كلها فقط إلى النوامى] .
(٤٧) أى لأن الواحد لا يكون عددًا .
(٤٨) سقطت [الذى نورده فى الباب] من (خ) .

ولا واحد على الحقيقة إلّا الله عزّ وجل فقط . فهو الذى لا يتكثر ألبتة ولا ينضاف إلى سواه ، إذ لا يجمعه مع شىء سواه عدد ، ولا صفة ألبتة ، لأن كل ما وقع عليه اسم واحد مما دونه تعالى ، فإنما هو مجاز لا حقيقة .

لأنه إذا قَسِّم[٤٩] استبان أنه كان كثيرًا لا واحدًا .

فلذلك وقع العدد على الأجرام والأعداد المسماة آحادًا فى العالم . وأما الواحد فى الحقيقة فهو الذى ليس كثيرًا أصلًا ، ولا يتكثر بوجه من الوجوه فلا يقع عليه عدد بوجه من الوجوه ، لأنه يكون حينئذ واحدًا لا واحدًا كثيرًا وهذا تخليط ، ومحال وممتنع لا سبيل إليه .

فلا يجوز أن يضاف الواحد الأول إلى شىء مما دونه لا فى عدد ، ولا كمية ، ولا فى جنس ، ولا فى صفة ، ولا فى معنى من المعانى أصلًا .

وبالله تعالى التوفيق .

○ فإن ذكر ذاكر قول الله تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا[٥٠]» .

فمعنى قوله تعالى : « هو رابعهم ، وهو سادسهم » ، إنما هو فعل فَعَلَه فيهم وهو أنه ربَّعهم بإحاطته بهم لا بذاته ، وسَدَّسهم بإحاطته بهم لا بذاته ، أو قد يُربِّعهم بِمَلَكٍ يشرف عليهم ، ويُسدِّسهم كذلك .

وبرهان هذا القول : أن الله تبارك وتعالى إنما عنى بهذه الآية – بلا خلاف بل بضرورة العقل من كل سامع – أنه لا تخفى[٥١] عليه نجواهم ، وهذا نص الآية لأنه تعالى افتتحها بذكر نجوى المتناجين ، إنما أراد عزّ وجلّ علمه بنجواهم لا أنه معدود معهم بذاته إلى ذواتهم ، حاشالله من ذلك .

إذ من المحال الممتنع الخارج عن رتبة الأعداد والمعدودين أن يكون الله عزَّ وجل معدودًا بذاته مع ثلاثة بالهند ، ومع ثلاثة بالسند ، ومع ثلاثة بالعراق ، ومع ثلاثة بالصين فى وقت واحد ، لأنه لو كان ذلك لكان الذين هو رابعهم بالهند ، مع الثلاثة الذين هو رابعهم بالصين ، ثمانية كلهم لأنهم أربعة وأربعة بلا شك ، فكان تعالى حينئذ يكون اثنين وأكثر وهذا محال .

---

(٤٩) أى إذا قُسّم الواحد فى الأشياء تكثرت أجزاؤه ، فكان كلّ جزء منها عددًا يمكن قسمته أيضًا ، كما تقسم القصاصة مثلًا .
(٥٠) سورة المجادلة : آية ٧ .
(٥١) فى النسخة (أ) لا يخفى .

وكذلك إذا كان بذاته سادسًا لخمسة ها هنا فهم ستة ، ورابعًا لثلاثة هنالك فهم أربعة فهم كلهم بلا شك عشرة فهو إذًا اثنان .

وكذلك قوله تعالى فى الآية نفسها « إلَّا هو معهم أينما كانوا »

إنما أضاف تعالى[٥٢] الأينية إليهم لا إلى نفسه تعالى – معناه أينما كانوا فهو تعالى معهم بإحاطته ، إذ محال أن يكون بذاته فى مكانين .

فبطل اعتراضهم والحمد لله رب العالمين كثيرًا .

○ وليس قول القائل : الله ورسوله ، أو الله وعمر[٥٣]، مما يعترض به علينا ، لأننا لم نمنع من ضم اسمه تعالى إلى اسم غيره معه ، لأن الإسم كلمة مركبة من حروف الهجاء ، وإنما منعنا من أن تُعد ذاته تعالى مع شيء غيره ، إذ العدد إنما هو جمع شيءٍ إلى غيره فى قضية مّا والله تعالى لا يجمعه وخلقه شيء أصلًا .

فصح انتفاء العدد عنه تعالى . وإذا صحّ انتفاء العدد عنه صح أنه ليس معدود[٥٤] ألبتة ، والحمد لله رب العالمين .

○ ويُسألون أيضًا : أهذا الزمان والمكان اللذان يذكران ، أهما واقعان تحت الأجناس والأنواع أم لا ؟

وهل هما واقعان تحت المقولات العشر[٥٥] أم لا ؟

فإن قالوا : لا فقد نفوهما أصلًا ، وأعدموهما ألبتة ، إذ لا مقول من الموجودات إلَّا هو واقع تحتها ، وتحت الأجناس والأنواع . حاشا الحق الأول الواحد الخالق عزَّ وجل الذى عُلِم بضرورة الدلائل ، ووجب بها خروجه عن الأجناس والأنواع والمقولات .

وبالجملة شاءوا أو أبوا ، فالخلاء والزمان المطلق اللذان يذكران إن كانا موجودين فهما واقعان

---

(٥٢) سقطت كلمة (تعالى) من النسخة (أ) .

(٥٣) فى النسخة (ب) و « عمرو » .

(٥٤) أى ليس هناك معدودٌ – فمعدود اسم ليس ، وخبرها محذوف لدلالة الحال عليه .

(٥٥) المقولات العشر : فى المنطق عند أرسطو أن المقولات هى المحمولات التى لا يمكن للفكر نسبتها إلى أىّ موضع يحكم عليه ، وهى عنده عشرة :

١ – الكمية ٢ – الكيفية ٣ – الإضافة ٤ – المكان ٥ – الزمان ٦ – الوضع ٧ – الملك ٨ – الفعل ٩ – الانفعال ١٠ – الجوهر . ومقولات العقل عند « كونت » الفيلسوف الفرنسى هى وسائل إدراك العقل لعالم الظواهر ، ولما كانت المقولات بمثابة تبويب لجوانب معرفة الإنسان للوجود اختلفت عند الفلاسفة باختلاف مذاهبهم فى المعرفة راجع « المواقف » : لعضد الدين الإيجى حـ ٨ ص ١٨ ط ١٨٥٠م حجر ، وراجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٣١ ، ١٧٣٢ والمنطق الصورى د . محمد سامى النشار الطبعة الثالثة – كلية الآداب جامعة الاسكندرية ص ٢١٨ ، ص ١٩٦٨م .

تحت جنس الكمية والعدد ضرورة ، فإذا كان ذلك كذلك فهذا الزمان الذى ندريه نحن وهم ، وذلك الزمان الذى يدَّعونه هما واقعان جميعًا تحت جنس « متى » .

وكذلك المكان الذى يدَّعونه واقع مع المكان الذى نعرفه نحن وهم تحت جنس « أين » .

وبالضرورة يجب أن ما لزم بعض ما تحت الجنس مما يوجبه له الجنس - فإنه لازم لكل ما تحت ذلك الجنس ، وإذ لا شك فى هذا فهما مركبان ، والنهاية فيهما موجودة ضرورة إذ المقولات كلها كذلك .

○ وأيضًا فإن المكان لابدّ له من مدّة يوجد فيها ضرورة ، فنسألهم ، هل تلك المدة هى الزمان الذى يدّعونه أم هى غيره ؟

فإن كانت هى هو - فهو زمان للمكان فهو محمول فى المكان ، فهو ككل زمان لذى الزمان[٥٦] فلا فرق .

وإن كانت غيره ، فها هنا إذن زمان ثالث غير مدة ذلك المكان ، وغير الزمان الذى ندريه نحن وهم ، وهذه وساوس لا يعجز عن ادّعائها كل من لم يبال بما يقول ولا استحيا من فضيحة .

ويقال لهم : إذ ليس المكان الذى تدّعونه ، والزمان الذى تدّعونه واقعين مع المكان المعهود ، والزمان المعهود تحت جنس وحَدّ واحد .. فلم سميتموه مكانًا وزمانًا ؟ وهلّا سميتموهما باسمين مفردين لهما ليبعدا بذلك عن الاشكال والتلبيس والسفسطة بالتخليط بالأسماء المشتركة .

فإن كانا مع الزمان والمكان المعهودين تحت جنس[٥٧] واحد ، فقد بطلت دعواكم زمانًا ومكانًا غير الزمان والمكان المعهودين بالضرورة .

وبالله تعالى التوفيق .

○ ويُسألون أيضًا عن هذا الزمان والمكان غير المعهودين :

أهما داخل الفلك أم خارجه ؟ أم لا داخل ولا خارج[٥٨]؟

فإن قالوا : هما داخل الفلك فالخلاء إذًا هو الملاء ، والمكان إذًا فى المتمكن[٥٩] يعنى فى داخله .

وهذا محال ، والزمان إذن هو الذى لا يُعرف غيره .

(٥٦) أى لما يحويه الزمان ، أو يقع فى الزمان .
(٥٧) فى (أ ، ب) [تحت حدٌ] .
(٥٨) سقطت [أم لا داخل ولا خارج] من (أ ، ب) .
(٥٩) فى (أ) « التمكن » .

وإن قالوا : هما خارج الفلك – أوجبوا لهما نهايةً ابتداءً مما هو خارج الفلك .

وإن قالوا : لا خارج ولا داخل ، فهذه دعوى مفتقرة إلى برهان ، ولا برهان على صحتها فهى باطل .

فإن قالوا أنتم تقولون هذا فى البارى تعالى ؟ قلنا لهم : نعم ، لأن البرهان قد قام على وجوده ، فلما صحّ وجوده تعالى قام البرهان بوجوب خلافه لكل ما فى العالم على أنه لا داخل ولا خارج ، وأنتم لم يصح لكم برهان على وجود الخلاء والزمان الذى تدّعونه ، فصار كلامكم كله دعوى .

وبالله التوفيق .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولم نجد لهم سؤالًا أصلًا ، ولا أتونا قط بدليل فنورده عنهم[٦٠]، ولا وجدنا لهم شيئًا يمكن الشغب به فى أزلية الخلاء والمدة . فنورده عنهم ، وإن لم يتنبهوا له[٦١]، وإنما هو رأى قلدوا فيه بعض قدماء الملحدين فقط .

وبالله التوفيق .

○ قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ومما يَبْطُل به الخلاء الذى سموه مكانًا مطلقًا ، وذكروا أنه لا يتناهى ، وأنه مكان لا متمكن[٦٢] فيه ، [وأنه][٦٣] برهان ضرورى لا انفكاك منه .

وأطرف شىء أنه برهانهم الذى موّهوا به وشغبوا بإيراده ، وأرادوا به إثبات الخلاء ، وهو أننا نرى الأرض والماء والأجسام الترابية من الصخور والزئبق ، ونحو ذلك طباعها السفل أبدًا ، وطلب الوسط والمركز ، وأنها لا تفارق هذا الطبع فتصعد إلّا بقسر يغلبها ، ويدخل عليها كرفعنا الماء والحجر قهرًا ، فإذا رفعناهما ارتفعا ، فإذا تركناهما عادا إلى طبعهما بالرسوب ، ونجد النار والهواء طبعهما الصعود والبعد عن المركز والوسط ، ولا يفارقان هذا الطبع إلا بحركة قسر تدخل عليهما[٦٤]. ويرى ذلك عيانًا كالزق المنفوخ ، والإناء المجوف المصوب فى الماء ، فإذا زالت تلك الحركة القسرية رجعا إلى طبعهما ، ثم نجد الإناء المسمى سارقة الماء يبقى الماء فيها صعدًا

---

(٦٠) فى (خ) : عليهم .
(٦١) سقطت : (له) من (أ ، ب) .
(٦٢) فى (أ) : متمكن بغير « لا » النافية .
(٦٣) ليست هذه الكلمة : « وأنه » موجودة فى (أ ، ب) .
(٦٤) فى (أ) : « عليهمو » .

ولا يسفل[٦٥]، ونجد الزرّاقة ترفع التراب ، والزئبق والماء ، ونجد إذا حفرنا بئرًا امتلأ هواء وسفل الهواء حينئذ . ونجد المحجمة تمص[٦٦] الجسم الأرضى إلى نفسها .

فليس كل هذا إلّا لأحد وجهين لا ثالث لهما ؛ **إمّا عدم** الخلاء جملة كما نقول نحن **وإمّا لأن** طبع الخلاء يجتذب هذه الأجسام إلى نفسه – كما يقول من يثبت الخلاء .

فنظرنا فى قولهم : إن طبع الخلاء يجتذب هذه الأجسام إلى نفسه كما يقول من يثبت الخلاء . فوجدناه دعوى بلا دليل فسقط .

ثم تأملناه أخرى : فوجدناه عائدًا عليهم ، لأنه إذا اجتُذبت الأجسام ولابد فقد صار ملاء ، فالملاء حاضر موجود ، والخلاء دعوى لا برهان عليها فسقطت ، وثبت عدم الخلاء .

ثم نظرنا فى قولنا ، فوجدناه يُعلم بالمشاهدة ، وذلك أننا لم نجد لا بالحس ، ولا بتوهم العقل بالإمكان مكانًا يبقى خاليًا قط دون متمكّن ، فصحّ الملاء بالضرورة وبطل الخلاء ، إذ لم يقم عليه دليل ولا وجد قط ، وبالله تعالى التوفيق .

ثم نقول لهم : إن كان خارج الفلك خلاء على قولكم فلا يخلو من أن يكون من جنس هذا الخلاء الذى تدّعون أنه يجتذب الأجسام بطبعه ، أو يكون من غير جنسه ، لابد من أحد هذين الوجهين ضرورة ، ولا سبيل إلى ثالث ألبتة .

فإن قالوا : هو من جنسه – وهو قَولهم – فقد أقروا بأن طبع هذا الخلاء الغالب بجميع الطبائع هو أن يجتذب[٦٧] المتمكنات إلى نفسه فيمتلىء بها ، حتى أنه يحيل قوى العناصر عن طباعها ، فوجب أن يكون ذلك الخلاء الخارج عن الفلك كذلك (أيضًا)[٦٨] ضرورة .

لأن هذه صفة طبعه وجنسه ، فوجب بذلك ضرورة أن يكون متمكنًا فيه ولابدّ وإذا كان هذا – وذلك الخلاء عندهم لا نهاية له – فالجسم المالىء له أيضًا لا نهاية له ، وقد قدّمنا البراهين الضرورية : أنه لا يجوز وجود جسم لا نهاية له[٦٩] وهذا القول يوجب وجود جسم لا نهاية له ، وكل ما أوجب كون مالا يكون فهو باطل لا يكون أصلًا فالخلاء باطل .

ولو كان ذلك أيضًا لكان ملاء لا خلاء ، وهذا خلاف قولهم .

(٦٥) فى (أ ، ب) : « ولا ينسفك » .
(٦٦) فى (أ) (تمس) .
(٦٧) فى (ب) « يجذب » .
(٦٨) كلمة [أيضًا] غير موجودة فى (خ) .
(٦٩) سقط الكلام فى (أ ، ب) من « وهذا القول إلى . . أصلًا » .

عرفتموه ؟ وبم[٧٠] استدللتم عليه ؟ وكيف وجب أن تسموه خلاء ، وهو ليس خلاء . وهذا لا مخلص لهم منه . وبالله تعالى التوفيق . وهم فى هذا سواء .

ومن قال : إنَّ فى مكان خارج من العالم ناسا لا يحدُّون بحدّ الناس ، ولا هم كهؤلاء الناس ، أو من قال : إنَّ فى خارج الفلك نارًا غير[٧١] محرقة ليست من جنس هذه النار وكل هذا حمق وهوس .

قال « أبو محمد » : وكل ما أدخلنا فى الباب من إبطال قولهم بأزلية المكان والزمان ، فهو لازم فى قولهم بأزلية النفس أيضًا ولا فرق ، وبالله تعالى التوفيق[٧٢].

« مَنْ قال من الفرقة الرابعة بتعدّد فاعل العالم ومدبّره » .

باب : الكلام على من قال : إن فاعل العالم ومدبّره أكثر من واحد .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : افترق القائلون بأن فاعل العالم أكثر من واحد فرقًا ، ثم ترجع هذه الفرق إلى فرقتين :

(أ) **فإحدى الفرقتين** تذهب إلى أن العالم غير مدبّرية ، وهم القائلون بتدبير الكواكب[٧٣] السبعة ، وأزليتها ، وهم المجوس[٧٤]؛ فإن المتكلمين ذكروا عنهم أنهم يقولون : إن البارى عزّ وجل لما طالت وحدته استوحش ، فلما استوحش فكر فكرة سوء فتجسمت فاستحالت ظلمة ، فحدث منها « اهرمن » وهو إبليس ، فرام البارىء تعالى إبعاده عن نفسه فلم يستطع ، فتحرز منه بخلق الخيرات ، وشرع « اهرمن » فى خلق الشر ، ولهم فى ذلك تخليط كثير .

○ قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا أمر لا تعرفه المجوس بل قولهم الظاهر هو أن البارى تعالى ، وهو « أورمن » و« إبليس » وهو « اهرمن » و« كام » وهو الزمان ، و« جام » وهو المكان ، وهو الخلاء أيضًا ، و« توم » وهو الجوهر ، وهو أيضًا « الهيولى » ،

(٧٠) فى (خ) : وبأى شىء .
(٧١) فى (أ) : سقطت كلمة (غير) .
(٧٢) فى (أ ، ب) سقط الكلام من أول (قال أبو محمد إلى . . وبالله تعالى التوفيق) .
(٧٣) الكواكب السبعة : تسمى الكواكب المتحيرة ، وهى القمر ، وعطارد ، والزهرة ، والشمس ، والمريخ ، والمشترى ، وزحل ، وهى تدور حول الأرض فى أفلاك تدور (الموسوعة العربية الميسرة) .
(٧٤) المجوس : عبدة النار ، ولهم شبهة كتاب ، ولهذا ألحقوا بأهل الكتاب فى فرض الجزية عليهم إذا لم يقبلوا الإسلام ، وفى هذا يقول الرسول ﷺ فيهم : « سنُّوا بهم سنة أهل الكتاب » .

وهو أيضًا « الطينة » و« الخميرة » خمسة لم تزل . وأن « أهرمن » هو فاعل الشرور . وأن « أورمن » فاعل الخيرات[٧٥]. وأن «توم » هو المفعول فيه كل ذلك .

وقد أفردنا فى نقض هذه المقالة كتابًا فى نقض كلام محمد بن زكريا الرازى الطبيب[٧٦]، فى كتابه « الموسوم بالعلم الإلهى » .

والمجوس يعظمون الأنوار ، والنيران ، والمياه إلّا أنهم يقرون بنبوّة « زرادشت »[٧٧]، ولهم شرائع يضيفونها إليه .

ومنهم « المزدكية[٧٨]» : وهم أصحاب مزدك الموبذ ، وهم القائلون بالمساواة فى المكاسب ، والنساء .

والخُرّمية[٧٩]: أصحاب بابك : وهم فرقة من فرق المزدكية ، وهم أيضًا سر مذهب الإسماعيلية[٨٠]، ومن كان على قول القرامطة[٨١]، وبنى عبيد[٨٢] وعنصرهم .

---

(٧٥) فى (خ ، ب) [الخير] .

(٧٦) سبقت ترجمته راجع ص من هذا الكتاب . ونسب ابن أبى اصيبعه إلى الرازى رسالة لطيفة فى العلم الالهى سماها ابن النديم « رسالة فى العلم الالهى لطيفة »

(٧٧) زرادشت ابن بورشب : ظهر فى زمان « كشتاسف » بن « لوهاسب » الملك ، وأبوه من أذربيجان ، وأمه من الرى ، واسمها « دغد » ، وزعموا أن لهم أنبياء وملوكا أولهم « كيومرس » وكان أول من ملك الأرض ، ونزل « زرادشت » « بابل » وأقام بها ، وزعموا أن موسى عليه السلام ظهر فى زمانه « راجع الفرق بين الفرق للبغدادى ٢٨٨ » .

(٧٨) المزدكية : هم أصحاب مزدك الذى ظهر فى أيام « قباز » والد أنو شروان ، ودعا « قباز » إلى مذهبه فأجابه واطلع أنو شروان على كذبه وافترائه فقتله ، حكى الوراق أن قول المزدكية كقول كثير من المانوية فى الكونين والأصلين ، إلا أن « مزدك » كان يقول : إن النور يفعل بالقصد والاختيار . والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور عالم حساس . والظلام جاهل أعمى ، وأن المزاج كان على الاتفاق والخبط ، لا بالقصد والاختيار . « راجع الملل والنحل : للشهرستانى حـ ٢ ص ٨٦ والتبصرة : ص ٧٩ لفخر الدين الرازى .

(٧٩) الخرَّمية : أصحاب « بابك » الخرّمى وهو رجل فارسى مجوسى الأصل ، دخل فى الإسلام وتسمّى الحسن وكان قوىّ النفس ، شديد البطش ، وحدّثته نفسه الخبيثة بأن يسترجع ملك فارس ودينها ، فاستعصم بالجبل المعروف « بالبُذين » من أصل « الران » . وفى سنة ٢٠١هـ فى عهد المأمون العباسى ظهر أمره ، وأعلن العصيان ، وفى سنة ٢١٢ هـ جهز له المأمون جيشا بقيادة محمد بن حميد الطوسى ، فهزم « بابك » جيش الخليفة ، وقتل قائده ، وفى سنة ٢٢٠ هـ جهّز المعتصم جيشا بقيادة « الأفشين » ، فالتقى الجيشان ، فهزم « الأفشين » جيش « بابك » ، وقتل من الخرَّمية نحو الألف ، ثم هرب « بابك » إلى « موقان » بلدة فى فارس ، فلم يزل « الأفشين » يتحين له حتى أسره فى جبال أرمينية ، ثم أخذه إلى المعتصم فأمر بقطع أطرافه وصلبه : (راجع الفرق بين الفرق : للامام البغدادى ص ٢٦٧ ، والعبر : لابن خلدون حـ ١ ص ٢٢٠ ، ومروج الذهب حـ ٤ ص ٥٥ .

(٨٠) الاسماعيلة : فرقة من فرق الشيعة الباطنية تنسب إلى إسماعيل الإبن الأكبر لجعفر الصادق ، انتشروا فى « نهاوند ، وخراسان ، وقندهار ، والهند ، والشام ، وبلاد المغرب ، ومن أشهر دعاتهم ميمون القدّاح وكان ولده « عبد الله » إماما للقرامطة ، و « الحسن بن الصباح » وكان زعيمًا لطائفة الحشاشين ، وراشد الدين سنان بن سليمان ، وأغاخان زعيم الاسماعيلية سنة ١٩٥٧ ، ولهم أتباع كثير فى فارس ، وأواسط آسيا ، وأفغانستان ، والهند ، وعمان ، والشام ، « وزنجبار » ، وتنجانيقا ، وللاسماعيلية كتب كثيرة تصور فلسفتهم ، وأكثرها ما يزال مخطوطا وسرًّيا ،أهمها كتاب راحة العقل للدّاعى أحمد حميد الدين الكرمانى [الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٠] ، وفهرست النديم حـ ١ ص ١٨٦ وما بعدها . ومقدمة ابن خلدون حـ ١ ص ٣٦٢] .

(٨١) القرامطة : أصحاب دعوة انتشرت فى بعض البلاد الإسلامية سنة ٩٠١ هـ بزعامة « حمدان » ولقبه « قرميطى » أى أحمر العينين ، وانتشرت فى اليمن ، حينما بعث ميمون « القداح الكوفى اثنين من دعاته إلى اليمن سنة ٩٠٤ هـ ، وهما على ابن الفضل الحميرى اليمنى ، ومنصور بن حسن الكوفى ، ونجح الأول نجاحا كبيرًا ، واستولى سنة ٩٠٦ هـ على « زمار » و « صنعاء » وتغلب على جيوش الإمام الهادى ، =

(٨٢) بنى عبيد : أصحاب عُبَيْد المكتّب ، حكى عنه أنه قال : « ما دون الشرك مغفورٌ لا محالة ، وإن العبد إذا مات على توحيده لم =

وقد يضاف إلى جملة من قال إن مدبّر العالم أكثر من واحد الصابئون(٨٣)، وهم يقولون بقدم الأصلين(٨٤) على ما قدمنا من نحو(٨٥) قول المجوس ، إلّا أنهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة ، والبروج الإثنى عشر(٨٦)، ويصورونها فى هياكلهم ويقولون بقدمها(٨٧)، ويقربون الذبائح ، والدخن(٨٨)، ولهم صلوات خمس فى اليوم والليلة تقرب من صلوات المسلمين ، ويصومون شهر رمضان ، ويستقبلون فى صلاتهم الكعبة والبيت الحرام ، ويعظمون مكة والكعبة ، ويحرمون الميتة ، والدّم ، ولحم الخنزير ، ويحرمون من القرائب ما يحرم على المسلمين ، وعلى نحو هذه الطريقة تفعل الهند بالبِدَدة(٨٩) فى تصويرها على أسماء الكواكب وتعظيمها ، وهو كان أصل الأوثان فى العرب ، والدقاقرة(٩٠) فى السودان ، حتى آل الأمر طول الزمان إلى عبادتهم إيّاها . وكان الذى ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر ، والغالب على أهل الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث ، وبدّلوا شرائعه بما ذكرنا ، فبعث الله عزَّ وجل إليهم إبراهيم خليله ﷺ بدين الإسلام الذى نحن عليه

ــواستباح كثيرًا من المحرمات ، ذكر بعض مؤرخى اليمن أنه ادّعى النبوة ، ولم تهدأ الحالة إلا فى سنة ٩١٥ هـ عندما مات مسمومًا بيد أحد الأشراف ، وبموته انتهت دولة القرامطة فى اليمن ، ولكن بقى من أتباعهم عدد كثير كانوا يقطنون فى « حرار » على مقربة من « صنعاء » . وقد قضى على نفوذهم الإمام ابن حميد الدين ، بعد تولّيه الملك ، واستولى على ما كان لديهم من مخطوطات ، تشرح مذهبهم وتعاليمهم ، [الفرق بين الفرق : للبغدادى ص ٢٨١ والملل والنحل : ص ٢٩ حـ ٢ والموسوعة العربية الميسرة ١٣٧٣] .

= يضره ما اقترف من الآثام ، وحكى « اليمان » عن عبيد المكتّب وأصحابه أنهم قالوا : أنّ علم الله تعالى لم يزل شيئًا غيره ، وزعم أن الله تعالى عن قولهم – على صورة إنسان وحمل عليه قوله ﷺ : « خلق آدم على صورة الرحمن » ، [الملل والنحل : للشهرستانى حـ ١ ص ٢٢٤ مكتبة الحسين التجارية ط ١٣٦٨ هـ] .

(٨٣) الصابئة : هذه الكلمة آرامية الأصل تدل على التطهير ، وتطلق على فرقتين : أولاهما جماعة « المِنْدائيين » أتباع يوحنا المعمدان ، وثانيهما : صابئة « حرَّان » الذين عاشوا زمنا فى كنف الإسلام ، ورد ذكرهم فى القرآن ثلاث مرات يحرمون الختان ، ويمنعون تعدّد الزوجات ، ويؤدون ثلاث صلوات كل يوم ، مركزهم الرئيسى « حرَّان » ولغتهم السريانية ، منهم « ثابت بن قرة » وابنه « سنان » ، و « أبو إسحاق بن هلال » ، انقرضوا فى القرن الحادى عشر الهجرى بعد استيلاء الفاطميين على « حرّان » ولم يبق لهم إلا آثار قليلة ، عنى بهم المؤرخون الإسلاميون وبخاصة الشهرستانى ، والدمشقى فى نخبة الدهر فى عجائب البحر . [راجع الملل والنحل : للشهرستانى حـ ٢ ص ٩٥] ودائرة المعارف الإسلامية . مادة صبأ .

(٨٤) فى النسخة (أ) : الأصليين .

(٨٥) وفى النسخة (أ) « على ما قدمنا نحن قول المجوس » .

(٨٦) البروج الاثنا عشر : تسمى الكوكبات البروجية ، وتوجد حول دائرة البروج ، وقد أطلق عليها أسماء أبطال الأساطير ، مثل « هرقل » و « فرساوس » ، وأسماء حيوانات « كالتنين » والأسد وفى سنة ١٣٠٣ هـ أطلق « يوهان باير » عليها الحروف اليونانية ، بالإضافة إلى اسم كوكبه للإشارة إلى نجومها على حسب لمعانها : [الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٠٧] .

(٨٧) فى (أ ، ب) سقطت « ويقولون بقدمها » .

(٨٨) الدُّخن : والدُّخن : بالضم حب الجاوَرْس ، أو حَبٌّ أصغر منه أملس جدًا بارد يابس حابس للطبع .

(٨٩) البِدَدة : جمع بِدٌّ : قيل إنه صورة البارى عند بعض طوائف الهند ، وقيل إنه صورة رسوله . وقالت طائفة هو صورة « يوسداف » الحكيم وصفته إنسان جالس على كرسى مغموس الذقن فى الفم ، عاقد بيده اثنين وثلاثين ، وبدٌّ هو « بوذا » [دائرة المعارف للبستانى] .

(٩٠) الدقاقرة : ليس لها وجود فى القاموس ، ولكن فيه : الدِّكر بالدال : لعبة للزنج والحبش ، وربما كانت الكلمة [الدكاكرة] جمع [دكره] بالدال فقلبت قافًا وبعض القبائل تقلب الكاف قافا .

الآن . وتصحيح ما أفسدوه بالحنفية السمحة التى أتى بها محمد ﷺ ، من عند الله تعالى .

فبيّن لهم كما نصّ فى القرآن بطلان ما أحدثوه ، من تعظيم الكواكب وعبادتها وعبادة الأوثان ، فلقى منهم ما نصّه الله فى كتابه ، وكانوا فى ذلك الزمان وبعده يسمّون بالحنفاء(٩١)، ومنهم اليوم بقايا « بحرّان(٩٢)» ، وهم قليل جدًا فهذه فرقة ويدخل فى هذه الفرقة من وجه ، ويخرج منها من وجه آخر النصارى(٩٣).

---

(٩١) الحنفاء : وهم قوم من العرب كانوا على ملة إبراهيم قبل بعثة الرسول ﷺ ، منهم « زيد بن عمرو بن نفيل » ، الذى كان يستقبل القبلة ، ويقول : لبيك حقًا حقًا ، تعبّدًا ورقًا ، البرّ أرجو لا الخال ، وهل مُهجّر كمن قال [أى جلس تحت الظل] . وكانوا يعتزلون عبادة الأوثان ، ويمتنعون عن أكل ما ذبح باسمها ، وكثيرًا ما كانوا ينكرون على قريش ذبحها على غير اسم الله . ويقول « زيد بن عمرو » يا معشر قريش ، أيرسل الله قطرَ السماء ، وينبت بقل الأرض ، ويخلق السائمة فترعى فيه ، وتذبحوها لغيره ، ومنهم « أمية بن أبى الصلت » الشاعر المشهور ، يقول عنه صاحب كتاب الأغانى : نظر فى الكتب وقرأها ، ولبس المُسوح تعبّدا ، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل ، والحنفية وحرَّم الخمر ، وشك فى الأوثان ، ومن شعره :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

ومنهم « خالد بن سنان » ، يقول ابن قتيبة : إن رسول الله (ﷺ) قال : ذلك نبى أضاعه قومه ، وأتت ابنته رسول الله (ﷺ) فسمعته يقرأ « قل هو الله أحد » فقالت : كان أبى يقول ذا . [المعارف : لابن قتيبة ص ٢٨ ط دار المعارف سنة ١٩٥٩م] . والتفكير الفلسفى فى الإسلام : للدكتور عبد الحليم محمود حـ ١ ص ٢٥ منشورات دار الكتاب اللبنانى – بيروت ١٩٧٤م .

(٩٢) حرَّان : هى مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة « أقور » بينها وبين « الرّهايوم » ، وبين « الرقة » يومان وهى على طريق الموصل والشام والروم ، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان ، وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون – وقال المفسرون فى قوله تعالى « إنى مهاجر إلى ربى » إنه أراد « حرَّان » وقالوا فى قوله تعالى : « ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين.» هى حرّان وقول « سديف بن ميمون » .

قد كنت أحسبنى جلدًا فضعضعنى قبر بحرَّان فيه عصمة الدِّين

يريد إبراهيم بن الإمام محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وكان مروان بن محمد حبسه « بحران » حتى مات بها بعد شهرين فى الطاعون ، وفتحت فى أيام عمر بن الخطاب على يد عياض ابن غنم (راجع معجم البلدان : للإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى – البغدادى – المجلد الثانى – دار صادر بيروت) .

(٩٣) النصارى : جمعٌ واحدة « نَصْرانِى » ، وقيل « نصران » بإسقاط الياء ، وهذا قول سيبويه ، والأنثى « نصرانة » كنَدْمَان وندمانة ، وهو نكرة يعرف « بأل » قال الشاعر :

صدَّت كما صدّ عما لا يحل له ساق نصارى قبيل الفصح صوّام

فوصفه بالنكرة ، وقال الخليل : واحد النصارى نصْرِى ، كمَهْرِى ومَهَارى ، وأنشد سيبويه شاهدًا على قوله :

تراه إذا دار العِشَا مُتَحنِّفًا ويُضْحِى لديه وهو نصرانُ شامس

وأنشد :

فكلتاهما خرَّت وأسجد رأسُها كما أسجدتْ نصرانةٌ لم تَحنَّفِ

يقال : أسجد إذا مال ، ولكن لا يستعمل نصران ونصرانة إلا بياءى النسب ، لأنهم قالوا : رجل نصرانى ، وامرأة نصرانية ونصَّره : جعله نصرانيا ، وفى الحديث : « فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه » . وقال عليه السلام : « لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به إلَّا كان من أصحاب النار » . وقد جاءت جموع على غير ما يستعمل واحدها ، وقياسه « النصرانيون » . ثم قيل . سمّوا بذلك نسبة إلى قرية تسمى « ناصرة » كان ينزلها عيسى عليه السلام فنسب إليها ، فقيل : عيسى النَّاصرى ، فلما نسب أصحابه إليه قيل النصارى ، قاله ابن عباس وقتاده . وقال الجوهرى : ونصران : قرية بالشام ينسب إليها النصارى ، ويقال : « ناصرة وقيل : سمّوا بذلك لنصرة بعضهم بعضا : قال الشاعر :

لما رأيت نَبَطًا أنصارًا شمّرت عن ركبتى الإزارا
كنت لهم من النصّارى جارا

وقيل سموا بذلك لقوله : « مَنْ أنصارى إلى الله ، قال الحواريون : نحنُ أنصار الله » (راجع : الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى – حـ ١ ١٠١١مة الثالثة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤) .

فأما الوجه الذى يدخلون به فهو قولهم بالتثليث ، وأن خالق الخلق ثلاثة .

وأمّا الوجه الذى يخرجون به فهو أنّ للصابئين شرائع يسندونها إلى « هرمس[٩٤] » ويقولون إنه « إدريس » ، وإلى قوم آخرين ، يذكرون أنهم أنبياء « كايلون » ويقولون إنه « نوح » عليه السلام ، و« اسفلانيوس » صاحب الهيكل الموصوف و« عاظيمون » و« يوداسف[٩٥] » وغيرهم . والنصارى لا يعرفون هؤلاء ، لكن يقرون بنبوة كل[٩٦] نبى تعرفه من بنى إسرائيل ، وإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب عليهم السلام ، ولا يعرفون نبوة إسماعيل ، وصالح ، وهود ، وشعيب . وينكرون نبوة محمد ﷺ ، وعلى إخوته الأنبياء عليهم السلام ، والصابئون لا يقرون بنبوة أحد ممن ذكرنا أصلًا ، وكذلك المجوس لا يعرفون إلّا زرادشت فقط .

* * *

(ب) **وأما الفرقة الثانية** فإنها تذهب إلى أنّ العالم هم[٩٧] مدبروه لا غيرهم ألبتة ، وهم : الديصانية[٩٨]، والمرقونية[٩٩]، والمانية[١٠٠]: القائلون بأزلية الطبائع الأربع [وأنها] بسائط غير ممتزجة ،

---

(٩٤) هرمس : هو إدريس النبى عليه السلام ، وقد ذكر أهل التاريخ والتفاسير من أخباره الكثير فقال بعضهم ولد بمصر ، وسمّوه « هرمس الهرامسة » ، وكان مولده بمدينة « منف » وهو باليونانية « أرميس » أى عطارد ، وعند العبرانيين « أخنوخ » وقالوا إن معلمه « غموثا – زيمون » ، وقد خرج من مصر وجاب الأرض كلها ، وقيل إنه ولد فى « بابل » وأخذ بعلم « شيث بن آدم » ، وهو أول من استخرج الحكمة ، وعلم النجوم ، وأول من نظر فى الطب ، وأول من بنى الهياكل ، ومجد الله ، وأول من خاط الثياب ولبسها وأول من أنذر بالطوفان ، وقد أنزل الله عليه ثلاثين صفحة ثم مات ورفعه الله إليه بعد اثنين وثمانين سنة من عمره [راجع الفهرست للنديم ص ٤٩٢ : ودائرة المعارف للبستانى] .

(٩٥) يوداسف : هو « يوسداف » الحكيم سبقت الإشارة إليه .

(٩٦) فى (أ) سقطت كلمة (كل) .

(٩٧) فى (ب) : « هو » ، ولعلها « له مدبروه » ليستقيم المعنى .

(٩٨) الديصانية : أصحاب « ديصان » وسمى صاحبهم « بديصان » نسبة إلى نهر ولد عليه ، وهو قبل « مانى » والمذهبان قريب بعضهما من بعض ، وبينهما خلاف فى اختلاط النور بالظلمة ، وهما فرقتان ، وزعم ابن « ديصان » أن النورجنس واحد ، والظلمة جنس واحد ، وزعم بعض الدياصنة أن الظلمة أصل النور ، وأصحاب ابن ديصان بالبطائح الآن من بلاد فارس ، وكانوا قديما بالصين ، ولا يعرف لهم مجمع ولا بيعة ، ولابن ديصان كتاب « النور والظلمة » وكتاب « روحانية الحق » ، وكتاب « المتحرك والجماد » [راجع الملل والنحل : للشهرستانى حـ ٢ ص ٩٠] .

(٩٩) المرقونية : بالراء لا بالزين ، وقد وقع التحريف فى نسخ الكتاب ، وهى نسبة إلى « مرقيون » أحد زعماء النصرانية ، وقد وجدت هذه الفرقة قبل الديصانية ، وتكاد تكون مبادئهم قريبة من المانانية ، وهم يعترفون بالأصلين ، النور والظلمة ، ويقولون بأن معهما كون ثالث مزجها وخالطها ، وقالت بتنزيه الله تعالى عن الشرور ، وأنه خالق جميع الأشياء ، واختلفوا فى الكون الثالث ، فقالت طائفة منهم هو الحياة ، وهو عيسى عليه السلام . وللمرقونية كتاب يختصون به ، ويكتبون به ديانتهم ، ولمرقيون هذا كتاب أسماه الإنجيل ، ولأصحابه عدة كتب غير موجودة ، وهم يتسترون بالنصرانية ، ويوجد منهم بخراسان خلق كثير [الفهرست للنديم ص ٤٧٤] .

(١٠٠) المانية : أصحاب « مانى بن فتق بابك » الثنوى صاحب القول بالنور والظلمة ، ظهر أيام « سابور بن أردشير » ملك الفرس ، فاتبعه قليلا ثم رجع إلى المجوسية ، ويقال : إن « مانى » من « همدان » انتقل أبوه إلى « بابل » وكان ينزل المدائن فتوجه فيها إلى بيت الأصنام فسمع من الهيكل هاتفا يقول : يا فتق : لا تأكل لحما ، ولا تشرب خمرًا ، فدان بهذا المذهب ، وكانت امرأته حاملًا « بمانى » فلما ولد نشأ على دين أبيه ، وكان على صغره ينطق بالحكمة ، ولما تم له اثنتا عشرة سنة زعموا أن الوحى يأتيه ، ودعا إلى ديانة وتبعه خلق كثير من المجوس ، فقتله « سابور بن بهرام » وقيل : إن قاتله هو « بهرام بن هرمز بن سابور » [راجع الفرق بين الفرق : ٢٧١ ، الملل والنحل : حـ ٢ ص ٧٣] .

ثم حدث الامتزاج فحدث العالم بامتزاجها – فأمّا المانية فإنهم يقولون إنَّ أصلين لم يزالا وهما نور وظلمة(١٠١)، وأن النور والظلمة حيان(١٠٢)، وأن كليهما غير متناه إلَّا من الجهة التى لاقى منها الآخر ، وأما من جهاته الخمس فغير متناه ، وأنهما جرمان ، ثم لهم فى وصف امتزاجهم أشياء شبيهة بالخرافات ، وهم أصحاب « مانى » . وقال المتكلمون : إن « ديصان » كان تلميذ « مانى » وهذا خطأ بل كان أقدم من « مانى » لأن « مانى » ذكره فى كتبه وردّ عليه . وهما متفقان فى كل ما ذكرنا إلَّا أنَّ الظلمة عند « مانى » حية . وقال « ديصان » : هى موات .

وكان « مانى » راهبًا بحرَّان ، وأحدث هذا الدّين ، وهو الذى قتله الملك « بهرام(١٠٣) ابن بهرام » وإذ ناظره بحضرته « أذرباذ(١٠٤) بن ماركسفند موبذ موبذان » فى مسألة قطع النسل ، وتعجيل فراغ العالم ، فقال له « الموبذ » : أنت الذى تقول بتحريم النكاح ليستعجل فناء العالم ، ورجوع كل شكل إلى شكله ، وأن ذلك حقٌّ واجب ؟

فقال له « مانى » : واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج .

فقال له : « أذرباذ » فمن الحق الواجب أن يُعجَّل لك هذا الخلاص الذى تدعو إليه ، وتعان على إبطال هذا الامتزاج المذموم .

فانقطع « مانى » . فأمر « بهرام » بقتل « مانى » فقتل هو وجماعة من أصحابه وهم لا يرون الذبائح ، ولا إيلام الحيوان ، ولا يعرفون من الأنبياء عليهم السلام إلا عيسى عليه السلام وحده ، ويقرون(١٠٥) بنبوة « زرادشت » و يقولون بنبوة « مانى » .

وقالت : « المزدقية(١٠٦)» أيضًا كذلك إلَّا أنهم قالوا : نور وظلمة لم يزالا ، وثالث أيضًا بينهما لم يزل ، إلَّا أن هؤلاء كلهم متفقون على أن هذه الأصول لم تحدث شيئًا هو غيرها ، لكن حدث من امتزاجها ، ومن أبعاضها بالاستحالة صور العالم كله ، فهذه الفرق كلها مطبقة على أن الفاعل أكثر من واحد ، وإن اختلف فى العدد والصفة ، وكيفية الفعل ، وإلزامات الشرائع .

(١٠١) فى (أ) : نور الظلمة .
(١٠٢) فى النسخة أ ، ب [حيَة] .
(١٠٣) « بهرام بن بهرام » : كان ملكا على الفرس ، جمع الناس لامتحان « مانى » فلما ظهر له كذبه أمر بقتله وبقى فى الملك ثلاث سنين وثلاثة أشهر (الملل والنحل : ٧٤) .
(١٠٤) هو فقيه الفرس ، ورئيس الديانة عندهم كقاضى القضاة عند المسلمين ، و « الموبذان » جمعه « موابَذه » و « المُوبَذ » : القاضى (المرجع السابق : ٥٥) .
(١٠٥) فى (أ ، ب) [وهم يقرون] .
(١٠٦) فى (أ ، ب) [المرقونية] .

وكلامنا هذا كلام اختصار وإيجاز وقصد إلى استيعاب قواعد الاستدلال ، والبراهين الضرورية ، والنتائج الواجبة من المقدمات الأولية الصحيحة ، وإضراب عن الشغب والتطويل الذى يكتفى بغيره عنه ، فإنما وعدنا(١٠٧) بعون الله تعالى أن نبين بالبراهين الضرورية : أن الفاعل واحد لا أكثر ألبتة ، ونبين بطلان أن يكون أكثر من واحد كما فعلنا بتأييد الله عزّ وجل، إذ بينا بالبراهين الضرورية أن العالم محدَث ، كان بعد أن لم يكن . وأن له مخترِعا ومدبرًا لم يزل فإذا ثبت أنه تعالى واحد بطلت الأقوال التى ذكرنا كلها(١٠٨) وسقطت خرافاتهم المضافة إلى الأوائل الفاسدة فى وصفهم الفاعلين ، وكيفية أفعالهم ، إذ لا تكون صفة إلَّا لموصوف ، فإذا بطل الموصوف بطلت الصفة التى وصفوه بها .

وأما الاشتغال بأحكامهم الشرعية فلسنا من ذلك فى شيء ، لأنه ليس من الشرائع العلمية شيء يوجبه العقل ، ولا شيء يمنع منه العقل ، بل كلها من باب الممكن ، فإذا قامت البراهين(١٠٩) الضرورية على صحة(١١٠) قول الآمر بها ، ووجوب طاعته ، وجب قبول كل ما أتى به كائنًا ما كان من الأعمال ، ولو أنه قتل أنفسنا ، وأبناءنا ، وآباءنا ، وأمهاتنا ، وإذا لم يصح قول الآمر بها ، ولم يصح وجوب طاعته لا يلتفت إلى ما يأمر به أى شيء كان من الأعمال .

وكل شريعة كانت على خلاف هذا فهى باطلة .

فكلامنا مع الفرق التى ذكرنا فى إثبات أن(١١١) الفاعل الأول واحد لا أكثر ، وإبطال أن يكون أكثر من واحد . وهو حاسم لكل شغب يأتون به بعد ذلك ، وكاف من التكلف لما قد كفته المرء بيسير من البيان . وما توفيقنا إلا بالله تعالى .

ونبدأ بحول الله تعالى وقوته بإيراد عمدة ما موَّهوا به فى إثبات أن الفاعل أكثر من واحد . ثم ننقضه بحول الله تعالى وقوّته بالبراهين الواضحة ، ثم نشرع إن شاء الله تعالى فى إثبات أنه تعالى واحد بما لا سبيل إلى ردّه ، ولا اعتراض فيه . كما فعلنا فيما خلا من كتابنا والحمد لله رب العالمين .

فنقول وبالله تعالى التوفيق .

---

(١٠٧) فى (أ ، ب) [وكدنا] أى همنا وقصدنا .
(١٠٨) سقطت العبارة من أول [فإذا ثبت إلى كلها] من (أ ، ب) .
(١٠٩) فى النسخة (خ) [الدلائل] .
(١١٠) كلمة [صحة] سقطت فى (أ ، ب)
(١١١) سقطت [أنّ] فى (ب) .

حجج القائلين بأن الفاعل أكثر من واحد .

إنَّ[(1)] عمدةَ ما عوّل عليه القائلون بأن الفاعل أكثر من واحد ، استدلالان فاسدان .

أحدهما : هو استدلال : المانية ، والديصانية ، والمجوس ، والصابئة ، والمزدكية ومن ذهب مذاهبهم ، وهو أنهم قالوا : وجدنا الحكيم لا يفعل الشر ، ولا يخلق خلقًا ثم يسلط عليه غيره ، وهذا عيب فى المعهود[(2)]. ووجدنا العالم كله ينقسم قسمين ، كل قسم منهما ضد الآخر كالخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والحياة والموت ، والصدق والكذب .

فعلمنا أن الحكيم لا يفعل إلَّا الخير ، وما يليق فعله به ، وعلمنا أن الشرور لها فاعل غيره ، وهو شر مثلها .

والاستدلال الثانى

وهو استدلال من قال بتدبير الكواكب السبعة ، والإثنى عشر برجا ، ومن قال بالطبائع الأربع . وهو أن قالوا :

لا يفعل الفاعل أفعالًا مختلفة إلَّا بأحد وجوهٍ أربعة :

إمَّا أن يكون ذا قوى مختلفة .

وإمَّا أن يفعل بآلات مختلفة .

وإما أن يفعل باستحالة[(3)].

وإما أن يفعل فى أشياء مختلفة .

---

(1) سقطت [إن] من (أ ، ب) .
(2) أى فيما هو معهود ومعلوم فى واقع الناس .
(3) أى بتحويل الأشياء بالحلّ والتركيب ، كما يفعل ذلك فى الكيمياء .

قالوا : فلما بطلت هذه الوجوه كلها ، إذ(٤) لو قلنا : إنه يفعل بقوى مختلفة لحكمنا عليه بأنه مركب ، فكان يكون من أحد المفعولات .

ولو قلنا : إنه يفعل باستحالة ، لوجب أن يكون منفعلا للشيء الذى أحاله ، فكان يدخل فى جملة المفعولات .

ولو قلنا إنه يفعل فى أشياء مختلفة لوجب أن تكون تلك الأشياء معه . وهو لم يزل . فتلك الأشياء لم تزل فكان حينئذ لا يكون مخترعًا للعالم ولا فاعلًا له .

قالوا فعلمنا بذلك أن الفاعلين كثير ، وأن **كل واحد**(٥) يفعل ما يشاكله .

إبطال هذه الأدلة

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فهذه عمدة ما عوّل عليه من لم يقل بالتوحيد ، وكلا هذين الاستدلالين خطأ فأحش(٦) على ما نبين إن شاء الله تعالى .

فيقال وبالله تعالى التوفيق ، لمن احتج بما احتجت به المانية ، من أنه لا يفعل الحكيم الشر ، ولا العبث :

– لا(٧) يخلو علمكم بأن هذا الشيء شر وعبث من أحد وجهين لا ثالث لهما :

○ إمَّا أن تكونوا علمتموه بسمع وردكم وخبر .

○ وإمَّا أن تكونوا علمتموه بضرورة العقل .

فإن قلتم : إنكم علمتموه بطريق السمع . قيل لكم : هل معنى السمع شيء(٨) غير أنَّ مبتدع الخلق ومرتبه سمّى هذا الشيء شرًّا وأمر باجتنابه ، وسمّى هذا الشيء الآخر خيرًا وأمر بإثباته ؟

– فلابدّ من نعم ، إذ هو هذا معنى اللازم(٩) عند كل من قال بالسمع .

(٤) فى النسخة (أ) : « وإذ » .
(٥) فى النسخة (أ) [وإن كان واحد] .
(٦) سقطت كلمة [فاحش] من (خ) .
(٧) فى الأصل [هل] .
(٨) أى الوارد عليكم ممن أسمعكم هذا . وفى (أ ، ب) [الآتى] بدلا من [شيء] .
(٩) اللازم : ينقسم قسمين ؛ ذهنى وخارجى ، فاللازم الذهنى كون الشيء بحيث يلزم من تصوره فى الذهن تصور شيء آخر . كالزوجية للاثنين ، واللازم الخارجى : كون الشيء بحيث يلزم من تحققه فى الخارج شيء آخر معه كوجود النهار لطلوع الشمس ، واللازم علاقة منطقية بين المبادىء والنتائج [المعجم الفلسفى حـ ٢ ص ٢٨٣ د . جميل صليبا – دار الكتاب اللبنانى – بيروت] .

فيقال لهم : فإنما صار الشرّ شرًّا لنهى الواحد الأول عنه .

وإنما صار الخير خيرًا لأمره[١٠] به .

فلابدّ من نعم . فإذا كان هذا ، فقد ثبت أن مَن لا مبدع ولا مدبّر له ولا آمر فوقه لا يكون شيء من فعله شرًّا ، إذ السبب فى كون الشرّ شرًّا هو الإخبار بأنه شر ، ولا مخبر يلزم طاعته إلا الله تعالى .

فإن قالوا : فكيف يفعل هو شيئًا قد أخبر أنه شر ؟

قيل لهم[١١]: ليس يفعل الجسم فيما يشاهد غير الحركة والسكون ، والحركة كلها جنس واحد فى أنها نقلة مكانية ، وكذلك السكون جنس واحد كله ، فإنما أمرنا تعالى بفعل بعضها ، ونهانا عن فعل بعضها ، ولم يفعل هو تعالى[١٢] الحركة قط على أنه متحرك بها ، ولا السكون على أنه ساكن به ، وإنما فعلهما على سبيل الإبداع . فتَحرُّكنا نحن بحركة نهينا عنها ، وسكوننا بسكون نهينا عنه هو الشر . لا شر غيره أصلًا[١٣].

وكذلك اعتقاد النفس ما نهيت عنه – وهذا كله غير موصوف به البارى تعالى .

وإن قالوا : علمنا ذلك ببداهة العقل .

قيل لهم : وبالله التوفيق .

أليس العقل[١٤] قوة من قوى النفس وداخلًا تحت الكيفية على الحقيقة أو تحت الجوهر[١٥]

---

(١٠) فى النسخة (ب) « لأمر » بدون الهاء .

(١١) فى (خ) : [له] .

(١٢) سقطت كلمة [تعالى] من (أ ، ب) .

(١٣) ليس فى النسخة (أ) [لا شر غيره أصلا] . وهى مذكورة فى (ب) والمعنى وغيره أصلًا هو الخير .

(١٤) العقل : عند الفلاسفة يطلق على عدة معانٍ ، أولهما : أن العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها ، (الكندى رسالة فى حدود الأشياء ورسومها) . ويقول ابن سينا فى كتابه « الاشارات » إنه جوهر ليس مركبا من قوة قابلة للفساد . ويقول الجرجانى فى تعريفاته : هو جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله ، ويقول الفارابى فى كتابه « عيون المسائل » : إنَّ القوة العاقلة جوهر بسيط مقارن للمادة يبقى بعد موت البدن ، وهو جوهر أحَدِىٌّ وهو الإنسان على الحقيقة ، ويقول : ابن سينا فى كتابه « النجاة » : وهو النفس الناطقة التى يشير إليها كل أحد بقوله (أنا) [راجع : عقيدة أهل التوحيد الكبرى للإمام السنوسى : حـ ١ ص ٢١٥ – تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ط محمد صبيح سنة ١٩٧٤م] .

(١٥) الجوهر : عند الفلاسفة يطلق على معان : منها الموجود القائم بنفسه حادثًا كان أو قديمًا ، ويقابله العرض ، ومنها الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليها . قال ابن سينا : الجوهر هو كل ما وجد ذاته ليس فى موضوع أى فى محل قريب قد قام بنفسه دونه لا بتقويمه (النجاة لابن سينا ص ١٢٦) .

والجوهر عند ديكارت هو الشيء الدائم الثابت الذى يقبل توارد الصفات المتضادة عليه من دون أن يتغير كاللون والرائحة واللين والطعم والبرودة والحرارة التى تتوارد على قطعة الشمع فهى اعراض متغيرة ، أما جوهر الشمعة فدائم لا يتغير .

على قول من لا عَقِل[١٦] فلابد من نعم . إنما يُؤْثِرُ العقل ما هو من شكله فى باب الكيفيات[١٧] فيميز بين خطئها وصوابها ، ويعرف أحوالها ومراتبها .

وأمَّا فيما هو فوقه ، وفيما لم يزل والعقل معدوم[١٨]، وفى مخترع العقل ومرتبه كما هو ، فلا تأثير للعقل فيه ، إذ لو أثّر فيه لكان مُحدِثا ، لما قدّمنا[١٩] من أنَّ الأثر من باب المضاف ، فهو يقتضى[٢٠] مؤثرًا فكان يكون البارى تعالى منفعلًا للعقل ، وكان يكون العقل فاعلًا فيه تعالى ، وحاكمًا عليه جلّ الله عن ذلك .

وقد بيّنا فى كتابنا هذا أن البارى تعالى لا يشبهه شىء من خلقه بوجه من الوجوه ، ولا يجرى مجرى خلقه فى معنى ولا حكم .

وذكرنا أيضًا فيه إبطال قول من قال بتسمية البارى حيًّا ،أو حكيمًا ، أو قادرًا ، أو غير ذلك من سائر الصفات من جهة الاستدلال حاشا أربعة أسماء فقط .

وهى : الأول ، الواحد ، الحق ، الخالق فقط . وهذه[٢١] الأسماء هى التى لا يستحقها شىء فى العالم غيره ، فلا أول سواه ألبتة . ولا واحد سواه ألبتة . ولا خالق سواه ألبتة ، ولا حق سواه ألبتة . على الإطلاق . وكل ما دونه تعالى فإنما هو حق بالبارى تعالى ، ولولا البارى تعالى ما كان شىء فى العالم حقًا ، وما دونه تعالى فإنما حُقَّ بالإضافة .

ولولا أن السمع قد ورد بسائر الأسماء التى ورد الخبر الصادق بها ، ما جاز أن يسمى الله عزَّ وجل بشىء منها ، ولكن قد بيّنا فى مكانه من هذا الكتاب على أى شىءٍ تسميته بما ورد السمع ، وأنَّ ذلك تسمية لا يراد بها غيره تعالى ، ولا يرجع منها إلى شىء سواه ألبتة .

وأيضًا فإنَّ دليلهم فيما سموا به البارى تعالى ، وأجروا عليه إقناعى شغبى وفيه تشبيه للخالق بخلقه .

---

(١٦) فى (أ ، ب) [لا يحصل] .

(١٧) الكيفيات : ينقسم إلى أولية وثانوية .
فالكيفيات الأولية عند فلاسفة القرون الوسطى هى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة .
والكيفيات الثانوية : هي الكيفيات المشتقة من الكيفيات الأولى أما عند المحدثين فإن الكيفيات الأولية . هى الخواص الهندسية والميكانيكية التى تتصف بها الأجسام كالصلابة والامتداد والشكل والعدد ، والحركة والسكون .
[كتاب التأملات للفيلسوف ديكارت تحقيق د . عثمان أمين ص ١٢٥] .

(١٨) فى (أ ، ب) [وفيما لم يزل العقل معدومًا] .

(١٩) فى (أ ، ب) [على ما قدمنا] .

(٢٠) فى (أ ، ب) [فهى تقتضى] .

(٢١) فى (أ) : [وهى] .

وفى تشبيههم له بخلقه حكم عليه بالحدوث ، وأن يكون الفاعل مفعولًا ، وقد قدمنا إبطال ذلك .

ويقال لهم : إن التزمتم أن يكون فاعل الشر[٢٢] فيما عندنا عابثا فقررتم بذلك على أن يكون فاعل[٢٣] العالم واحدًا ، فقد[٢٤] علمنا فيما بينا أن تارك الشىء لا يغيره وهو قادر على تغييره – عابث ظالم .

ولا يخلو فاعل الخيرات عندكم من أن يكون قادرًا على تغيير الشر[٢٥] والمنع منه[٢٦] أو لا يكون قادرًا على ذلك ، فإن قلتم إنه قادر على تغييره والمنع منه ولم يغيّره ، فقد صار عندكم عابثًا ضرورة ، فقد وقعتم فيما عنه فررتم ضرورة

وإن قلتم : إنه غير قادر على تغييره ، ولا المنع منه ، فهو بلا شك عاجز ضعيف . وهذه صفة سوء عندكم ، فهلا تركتم القول بأنه أكثر من واحد لهذا الاستدلال ، فإنه أصح على أصولكم ومقدّماتكم .

وأما نحن فمقدمتكم عندنا فاسدة بالبرهان الذى ذكرناه .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : والمانية تزعم أن النور كان فى العلو إلى ما لا نهاية له ، وأن الظلمة فى السفل إلى ما لا نهاية له ، وأن كل واحدٍ منها متناهى المساحة من الجهة التى لاقى منها الآخر ، وغير متناهٍ من جهاته الخمس[٢٧]، وأن اللذة للنور خاصة لا للظلمة ، وأن الأذى للظلمة خاصة لا للنور .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فأما بطلان هذا القول فى عدم التناهى من الجهات الخمس ، فيفسد بما أوجبنا به تناهى جسم العالم .

وأمّا قولهم بالعلو والسفل فظاهر الفساد ، لأن السفل لا يكون إلا بالإضافة[٢٨]، وكذلك العلو .

(٢٢) سقطت كلمة [الشر] فى (أ) .
(٢٣) فى (ب) [عن] .
(٢٤) فى (أ ، ب) [وقد] .
(٢٥) فى (أ ، ب) [تغييره] .
(٢٦) سقطت العبارة من أول [أو لا يكون إلى والمنع منه] فى (أ ، ب) .

(٢٧) الجهات ست ، هى الجهات الأربع المعروفة ، شمال وجنوب ، وشرق ، وغرب ، يضاف إليها جهتان أخريان هما العلو والسفل . . فإذا التقى النور والظلام فى جهة من تلك الجهات الست كان كلّ منهما – على زعم المانوية – متناهيا من الجهة التى التقى فيها مع الآخر ، وغير متناهٍ فى الجهات الخمس الباقية .
(٢٨) أى لا يكون سفلا إلا بالإضافة إلى العلو .

فكل علو فهو سفل لما فوقه حتى تنتهى إلى الصفحة العليا من الفلك الأعلى[٢٩] التى لا صفحة فوقها ، وهم يقرون بهذا[٣٠].

وكل سفل فهو علو لما تحته حتى تنتهى إلى المركز .

وهم يقرون بهذا[٣١].

فصح ضرورة أن فى الظلمة على قولهم - علوًّا وأن فى النور سفلا .

وأمَّا قولهم فى اللّذة والأذى ففاسدٌ جدًّا ؛

لأن اللذة لا تكون إلَّا بالإضافة ، وكذلك الأذى .

فإنَّ الإنسان لا يلتذ بما يلتذ به الحمار ، ويتأذى بما لا تتأذى به الأفعى فبطل هَوَسُهم بيقين . والحمد لله رب العالمين .

سؤال على المانية دامغ لقولهم بحول الله وقوته ، وهو أن يقال لهم :

- ألهذه الأجساد أنفس أم لا ؟

فإن قالوا : لا .

قيل لهم :

فهذه الأجساد لا تخلو على أصولكم من أن يكون فى كل جسد منها نور وظلمة أو يكون بعض الأجساد نورًا محضا ، وبعضها ظلمة محضة .

فإن قالوا : فى كل جسد نور وظلمة - قيل لهم :

فهل يجوز من الظلمة فعل الخير - فلا بدَّ من لا .

لأنه لو فعلت[٣٢] الخير لانتقلت إلى النور ، وكذلك لا يجوز أن يفعل النور شرًّا لأنه كان يصير ظلمة .

فيقال لهم : فأى معنى لدعائكم إلى الخير ، ونهيكم عن النكاح[٣٣] والقتل .

وأخبرونا ، من تدعون إلى كل ذلك ؟

(٢٩) سقطت [من الفلك الأعلى] من (أ ، ب) .
(٣٠) فى (أ ، ب) [وهم لا يقرون بها] .
(٣١) فى (أ ، ب) [وهم لا يقرون بها] .
(٣٢) فى (أ ، ب) [لو فعل] .
(٣٣) أى الزواج ، لأن من مذهب المانية ترك الزواج حتى ينقطع النسل ، ويفنى العالم ، ذلك طريق الخلاص عندهم .

فإن كنتم تدعون النور فهو طبعه ، وهو فاعل له بطبعه قبل أن تدعوه إليه ، لا يمكنه أن يحول عنه . فدعاؤكم له إلى ما يفعله ، وأمركم له بترك مالا يفعله عبث من النور ، داع إلى المحال . وهذا خلاف أصلكم .

وإن كنتم تدعون للظلمة(٣٤) فذلك عبث من النور الداعى لها(٣٥) إلى ذلك . إذ لا سبيل لها إلى ترك طبعها .

وهكذا(٣٦) يقال لهم سواء بسواء ، إن قالوا : إنَّ من الأجساد ما هو نور محض ، ومنها ما هو ظلمة محضة .

وهكذا يسألون فى الأرواح إن أقروا بها .

ثم يسألون عمن رأيناه ينكح ، ويقتل ، ويظلم ، ويكذب ثم تاب(٣٧) عن كل ذلك . مَنْ القاتل الظالم ؟ أهو النور أم الظلمة ؟ ومن التائب ؟ النور أم الظلمة ؟

فأىّ ذلك قالوا فهو هدم مذهبهم ، وقد جوَّزوا الاستحالة .

فإن قالوا : معنى دعائنا إلى ما ندعو إليه من ذلك إنما هو حض للنوّر على المنع للظلمة من ذلك .

قيل لهم : أكان النور قادرًا على منعها قبل دعائكم أم لا ؟

فإن قالوا : كان قادرًا .

قيل لهم : فقد ظَلَمَ بتركه إيّاها تظلم وهو يقدر على منعها قبل دعائكم .

وإن قلتم : لم يَذْكُرْ حتى نُبِّه .

قيل لهم : فهذا نقص منه وجهل ، وصفات شر لا تليق بالنور على قولكم .

وهذا ما لا انفكاك لهم(٣٨) منه .

وأيضًا فيقال لهم : إنَّ الدَّاعى منكم إلى دينه لا يقول لمن دعاه كف غيرك عن ظلمه . إنما يقول له : كفّ عن ظلمك ، وارجع عن ضلالك . ولقد أحسنت فى رجوعك عن الباطل إلى الحق .

---

(٣٤) فى النسخة (ب) [الظلمة] .
(٣٥) سقطت كلمة [الداعى] من (أ ، ب) .
(٣٦) فى (أ ، ب) [وكذلك] .
(٣٧) فى (أ ، ب) [ثم يتوب] .
(٣٨) فى (أ) سقطت كلمة (لهم) .

فإن كنتم تأمرون بأن يخاطب بذلك الظلمة فالآمر بذلك كاذب آمر بالكذب .

وإن كنتم تأمرون بأن يخاطب بذلك النور ، فالآمر بذلك أيضًا كاذب آمر بالكذب .

فإن قالوا : فأى معنى لدعائكم إلى الخير ، وقد سبق علم الله تعالى فيمن يعلمه ومن لا يعلمه .

قيل لهم : جواب بعضنا فى هذا هو : أنَّ كل من يُدعى إلى الخير فممكن وقوعه منه ، وممكن أيضًا فعل الشر منه ، ومتوهم كل ذلك منه ، فوجه دعائنا له معروف ، وليس علم الله تعالى إجبارًا ، وإنما هو أنه تعالى علم ما يختاره العبد .

وجواب بعضنا فى ذلك هو : أن فاعل كل ما يبدو فى العالم فعل خلق وإبداع فهو الله عزَّ وجل لا يتعقب عليه ، فهو خالق دعائنا من ندعوه[٣٩]. فإذ ذلك كذلك فلا يجوز سؤال الخالق لما شاء بِلِمَ فعلت ؟ وهذا هو الجواب الذى نختاره .

ويقال لهم أيضًا : أخبرونا عن « مانى » و « المسيح » و « زرادشت » وأنتم تعظمونهم . أفيهم ظلمة ؟ أم كانوا أنوارًا محضة ؟

فمن قولهم ولابد[٤٠]: إن فيهم ظلمة ، لأنهم يتغوّطون ، ويجوعون[٤١] ويألمون[٤٢] فيقال لهم : فبعض من تعظمون ظلمة مسخوطة ، ويقال لهم من فعل تلك العجائب التى تنسبون إليهم فمن قولهم : النور الذى فيهم .

فيقال لهم : فلم عجز النور الذى فيكم[٤٣] عن مثل ذلك ؟

فإن قالوا : لقلّته .

قيل لهم : فكان يجب أن يأتى من المعجزات ولو بيسير على قدره . وهذا ما لا مخلص لهم منه ألبتة[٤٤] أصلا .

ويقال لهم أيضًا : إنَّ من العجائب التزامكم[٤٥] ترك النكاح لتعجلوا قطع التناسل[٤٦] فهبكم

---

(٣٩) أى هو سبحانه خالق دعائنا الذى ندعوه به . وعبارة المؤلف مضطربة ولعل ذلك من سوء النقل عنه .
(٤٠) ليست فى (خ) .
(٤١) فى (أ ، ب) [ويجزعون] .
(٤٢) سقطت العبارة من قوله [فيقال لهم : فبعض من تعظمون إلى قوله : النور الذى فيهم] من (أ ، ب) .
(٤٣) سياق المعنى يقضى بأن يكون اللفظ « فيهم » بدلاً من « فيكم » .
(٤٤) سقطت كلمة [ألبتة] من (أ ، ب) .
(٤٥) فى (أ ، ب) : إلزامكم .
(٤٦) فى (أ ، ب) : النسل .

قدرتم على ذلك فى الناس[٤٧]. فكيف تصنعون فى الوحش ، والطير[٤٨]، وسائر الحيوان البرى ، والحشرات ، وحيوان المياه والبحار التى تقتل بعضها بعضًا أشدّ من قتل بعض الناس لبعض وأكثر . فكيف السبيل إلى قطع تناسلها وفراغ امتزاجها ؟

وهذا ما لا سبيل لكم إليه أصلًا .

فإن كان النور عاجزًا عن قطعها عن ذلك[٤٩] فلا سبيل له إلى خلاص أجزائه أبد الأبد . وإن كان على ذلك[٥٠] قادرًا فلِمَ لم يعجل خلاص أجزائه ؟ ولِمَ يتركها تردَّد فى الظلمات ؟

وأعجب شىء مَنْعُهم من القتل ، وهذا عون منهم على بقاء المزاج ، وعلى منع الخلاص وتأخره ، وكان القتل أبلغ شىء فى تمام مرادهم ، وبغيتهم من تعجيل الخلاص[٥١] واستنقاذ النور ، وقطع المزاج . وهذا تناقض ظاهر منهم لا خفاء به ، وبالله تعالى نتأيد .

وكل ما قدمنا من البراهين على حدوث العالم ، وإيجاب النهاية فى جرمه وأشخاصه وأزمانه فهو لازم للأصلين ؛ النور والظلمة على أصول المانية ، وعلى كل من يقول بأن الفاعل أكثر من واحد ، وأنه لم يزل مع الفاعل غيره لزوم ضرورة[٥٢]. وبالله تعالى التوفيق .

وأمّا الاستدلال الثانى : الذى عوّلوا فيه على أقسام من يفعل أفعالًا مختلفة فهو استدلال فاسدٌ أيضًا ؛ لأنهم إنما عوّلوا[٥٣] فيه على الأقسام الموجودة فى العالم .

وقد قدمنا البراهين الضرورية على حدوث العالم ، وعلى أنَّ محدِثه لا يشبهه[٥٤] فى شىء من الأشياء ، فلا سبيل إلى أن يدخل تحت شىء من أقسام العالم ، لكنه تعالى يفعل الأشياء المختلفة والأشياء المتفقة مختارًا لكل ذلك كما شاء[٥٥] وحين شاء ، لا علة لشىء من ذلك ؛ إذ قدّمنا أنَّ كل[٥٦] ما حصرته الطبيعة فهو متناهٍ ، والمتناهى محدَث على ما قدّمنا[٥٧] وكل من فعل فعلًا واحدًا لا يفعل غيره ، فإنما يفعل بطباعه كالنار التى لا تفعل إلا فعلًا واحدًا وهو الإحراق ، وتصعيد الرطوبات ، وسائر ما يفعل بطباعه ، فلو كان البارى تعالى لا يفعل إلا فعلًا واحدًا

---

(٤٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة [فى الناس] .
(٤٨) فى (خ ، ب) الوحوش والطيور .
(٤٩) فى (أ ، ب) : سقطت [عن ذلك] .
(٥٠) فى (خ) : لم تذكر كلمة [على ذلك] .
(٥١) فى (أ) : سقط الكلام من أول (وتأخره – إلى الخلاص) .
(٥٢) مفعول مطلق لاسم الفاعل الوارد فى قوله : فهو لازم .
(٥٣) فى (خ) : كلمة (إنما) غير مذكورة .
(٥٤) فى النسخة (أ) : [لا يشبه] .
(٥٥) سقطت [كما شاء] من (أ ، ب) .
(٥٦) سقطت كلمة [كل] من (أ ، ب) .
(٥٧) العبارات من أول [وكل من فعل إلى قوله الأربعة التى قدمنا] غير موجودة فى (أ ، ب) .

لوجب أن يكون ذا طبيعة ، وإذ ليس ذا طبيعة فواجب فى العقل ألا يكون يفعل فعلًا واحدًا بل أفعالًا مختلفة ، وبطلت الأقسام الأربعة التى قدمنا من أن يكون ذا قوة مختلفة[٥٨] أو فاعلًا بآلات ، أو فاعلًا باستحالة ، أو فاعلًا فى أشياء ، لأن هذا كله يقتضى أن يكون محدَثا . تعالى الله عن ذلك وهو لم يزل فقد وجب ضرورة أن يكون البارى تعالى يفعل ما يشاء من مختلِف ومتفق ، مختارًا دون علة موجبة عليه شيئًا من ذلك ، ولا بقوة هى غيره . وبالله تعالى التوفيق .

وكلُّ ما ألزمناه[٥٩] مَنْ يقول إنَّ العالَم لم يزل من البراهين الضرورية فهو لازم للمانية ، والدَّيصانية ، والمرقونية[٦٠]، والقائلين بأزلية الطبائع والهيولى ، لأن العالم عند هؤلاء ليس هو شيئًا غير تلك الأصول التى لم تزل عندهم ، وإنما حدثت فيهم عندهم الصورة فقط .

ويدخل أيضًا عليهم القول بتناهى الأصلين لأنهما عندهم جسمان ، والجسم متناهٍ ضرورة لبرهانين نوردهما إن شاء الله تعالى .

وذلك أننا نقول :

لا يخلو كل جرم من الأجرام من أن يكون متحركًا أو ساكنًا .

فإن كان متحركًا فقد علمنا أن المسافة التى لا تتناهى لا تُقطع أصلًا ، لا فى زمانٍ متناهٍ ، ولا فى زمانٍ غير متناهٍ .

ثم لا تخلو حركته[٦١] من أن تكون ، إمَّا باستدارة ، وإمَّا إلى جهة من الجهات ، ولا ثالث لهذين الوجهين .

فإن كان متحركًا باستدارة ، وهو غير متناه فهذا محال ؛ لأن الخطّين الخارجين من الوسط إلى الشرق وإلى العلو غير متناهيين إذن !! فكان يجب أن يكون الجزء الذى فى سمت المشرق منه لا يبلغه إلى العلو الذى هو سمت الرأس منه أبدًا ، فقد بطلت الحركة إذن[٦٢] على هذا ، فهو متحرك لا متحرك ، وهذا محال مع مشاهدة العيان ، لقطع كل جزءٍ من الفلك الكلى جميع مسافته ، ورجوعه إلى حيث ابتدأ منه فى كل أربع وعشرين ساعة[٦٣].

(٥٨) فى (أ ، ب) [قوى] وسقطت كلمة [قوة مختلفة] منهما .

(٥٩) فى (ب) : [وكل ما ألزمنا] .

(٦٠) وفى (أ) : [المزقونية] بالزاى لا بالراء ، وقد سبق أن رجحنا أنها بالراء .

(٦١) أى الجرم .

(٦٢) فى (أ ، ب) : فقد بطلت الحركة على هذا ، فهذا إذن متحرك لا متحرك .

(٦٣) لابن حزم مفهوم فى علم الفلك يقوم على ما كان معروفا فى عصره ، ولهذا تستغلق علينا معارفه الجغرافيا والفلكية فى كثير من المواضع فهو هنا مثلا يتحدث عن الجرم المتحرك فى الفلك العالم ، ويحدّد لدورته أربعاً وعشرين ساعة ، وذلك الزمن هو المعروف لدورة الأرض ، فهل هو يقصد بالجرم هنا الأرض ، أم أى جرم آخر ؟ فإن كان الأول فصحيح ما ذهب إليه ، وإن كان الثانى فلا ، لأن لكل جرم زمنه الذى تتم فيه حركته .

وإن كان متحركًا إلى جهة من الجهات فهذا(٦٤) أيضًا محال ؛ لأن الحركة نقلة من مكانٍ إلى مكان ، فإذًا وَجَد هذا الجسم مكانًا ينتقل إليه لم يكن فيه قبل ذلك – فقد ثبتت النهاية له ضرورة ، لأن وجوده غير كائن فى المكان الذى انتقل اليه(٦٥) موجب لانقطاعه قبله .

وإن كان لم يزل فى المكان الذى انتقل إليه ، وهكذا فيما بعده من الأمكنة فلم يزل غير منتقل ، وقد قلتم : إنه لم يزل منتقلًا ، فهو إذن متحرك لا متحرك ، وهذا محال .

وإن قلتم : ساكنٌ .

قلنا لكم : اقطعوا من هذا الجرم قطعة بالوهم ، فإذا توَهّموا ذلك سألناهم : متى كان هذا الجرم أعظم ؟ أقبل أن تقطع منه هذه القطعة ؟ أو بعد أن قطعت ؟

فأيًّا مّا قالوا : أو إن قالوا : إنه مساوٍ لنفسه قبل أن تقطع منه هذه القطعة ، فقد أثبتوا النهاية ، إذ لا تقع الكثرة والقلة ، والتساوى إلَّا فى ذى نهاية .

وأيضًا فإن المكان والجرم مما يقع تحت العدد كوقوع الزمان تحت العدد إلَّا فى نهاية ، وأيضًا فإن كان المكان والجرم مما يقع تحت العدد(٦٦) فكل ما أدخلناه – فيما خلا من(٦٧) تناهى الزمان – من طريق العدد فهو لازم فى تناهى المكان والجرم من طريق العدد بالمساحة . وبالله تعالى التوفيق .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وكل ما ألزمناهمَنْ يقول بأن الأجسام لم تزل فهو لازم بعينه لمن يقول : بأن(٦٨) السبعة الكواكب ، والإثنى عشر برجًا لم تزل لأنها أجسام جارية تحت أقسام الفلك وحركته ، فانظر هنالك ما ألزمناه فى حدوث الأجسام وأزمانها فهو لازم لهؤلاء ، وتركنا ما يلزم المنانية وغيرها فى فروع(٦٩) أقوالهم ، كقولهم فى المزاج والخلاص وصفات النور والظلمة إذ إنما قصدنا اجتثاث أصول المذاهب الفاسدة فى أن الفاعل أكثر من واحد . واعتمدنا البيان فى إثبات الواحد فقط ، فإذ قد ثبت ذلك ببراهين ضرورية بطل كل ما فرعوه(٧٠) من هذا الأصل الفاسد(٧١)، إذ إنما قصدنا ما تدفع إليه الضرورة من الاستيعاب لما لابدّ منه بإيجاز بحول الله تعالى وقوته .

---

(٦٤) أى القول بعدم تناهى الجرم .
(٦٥) والمعنى يقتضى ذكر كلمة « بعد ذلك » أى أنه لم يكن موجوداً قبل ذلك فى المكان الذى انتقل إليه .
(٦٦) فى (أ ، ب) سقطت العبارة من أول [إلاّ فى نهاية – حتى – العدد] .
(٦٧) فى (خ): فى .
(٦٨) فى (أ ، ب) : إنَّ .
(٦٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمات من هذه العبارة ووردت هكذا [وتركنا ما ألزمناه فى حدوث الأجسام فى فروع . . ألخ] .
(٧٠) فى (أ ، ب) : عرفوه .
(٧١) فى (أ) : سقطت كلمة [إذ] .

وأمّا من جعل الفاعل أكثر من واحد إلّا أنهم جعلوهم غير العالم كالمجوس والصابئين ، والمزدكية[٧٢]، ومن قال بالتثليث من النصارى[٧٣]، فإنه يدخل عليهم من الدلائل الضرورية بحول الله وقوته ما نحن نورده[٧٤] إن شاء الله تعالى .

فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إنَّ ما كان أكثر من واحد ، فهو[٧٥] واقع تحت **جنس** العدد ، وما كان واقعًا تحت جنس العدد فهو **نوع**[٧٦] من أنواع العدد ، وكل ما كان نوعًا فهو مركب من جنسه العام له ولغيره ، ومن **فصل** خصه ليس فى غيره[٧٧]، وله موضوع وهو الجنس القابل لصورته وصورة غيره من أنواع ذلك الجنس ، وله محمول وهو الصورة التى خصته دون غيره ، فهو ذو موضوع وذو محمول[٧٨]،

---

(٧٢) فى (أ ، ب) : المزقونية – بالزاى .

(٧٣) فى (أ) : النارى .

(٧٤) فى (أ ، ب) : [موردوه] .

(٧٥) فى (أ) سقطت كلمة (فهو) .

(٧٦) فى (أ) سقطت كلمة (من) .

(٧٧) فى (أ ، ب) « فله] .

(٧٨) كلمات : الجنس ، والفصل ، والمحمول ، والموضوع ، والمركب ،من كلمات المناطقة التى تبين بها حدود الأشياء ، فالجنس يدخل تحته الفصل ، والموضوع يقصد به الصفات التى تتعلق بالموجود ، والمحمول هو الموجود فى المحمول عليه تلك الصفات .

والجنس : لفظ كلى أعلى فى الماصدق من النوع ، وهو أول الكليات الخمس فى المنطق ، وهى : الجنس والنوع ، والفصل ، والخاصة ، والعرض العام . ويشترك فى الجنس أنواع عدة ، وإذا تدرجنا صعوداً فى سلسلة الأجناس والأنواع انتهينا إلى جنس ليس فوقه جنس ، وهذا هو جنس الأجناس ، وهو أوفرها حظًا من الكلية ، أما إذا تدرجنا نزولاً – انتهينا إلى نوع تحته نوع آخر ، وهذا هو نوع الأنواع الذى يقرب أكثر من غيره من الجزء ، ويطلق فلاسفة العرب اسم الجنس على مقولات أرسطو ، أو يسمونها الأجناس العشرة ، وما يذكر فى المنطق العربى عن الجنس والنوع مستقى من أيساغوجى فرفريوس [راجع كتاب النجاة لابن سينا : تحقيق طه حسين وآخرين حـ ٢ ص وراجع دائرة المعارف الإسلامية مادة جنس] .

والنوع : فى اللغة الصنف من كل شىء ، وفى اصْطلاح المناطقة هو الكلى المقول على كثيرين مختلفين بالعدد فى جواب ما هو ؟ وقيل إنه المعنى المشترك بين كثيرين متفقين بالحقيقة ويندرج تحت كلى أعم منه وهو الجنس فإنه جنس للإنسان ، [المعجم الفلسفى : حـ ٢ ص ٥١١] .

والفصل : للفصل عند المنطقيين معنيان ، أحدهما ما يتميز به شىء عن شىء ذاتيا كان أو عرضيا لازما أو مفارقا ، شخصيا أو كليا ، وثانيهما : ما يتميز به الشىء فى ذاته وهو الجزء الداخل فى الماهية ، كالناطق مثلا فهو داخل فى ماهية الإنسان ، ويسمى هذا بالفصل المقوِّم ، وهذا المعنى الثانى هو الذى أشار إليه ابن سينا فى قوله : « وأمّا الفصل فهو الكلى الذاتى الذى يقال على نوع تحت جنس فى جواب أى شىء هو منه كالناطق للإنسان ، [النجاة ص ١٤ تحقيق طه حسين وآخرين – طبعة دار المعارف بمصر] .

والموضوع : فى المنطق هو الذى يحكم عليه بأن شيئا آخر موجود له ، أو ليس بموجود له ، والموضوع بهذا المعنى مقابل للمحمول ، قال الخوارزمى : الموضوع : هو الذى يسميه النحويون المبتدأ والموضوع عند ديكارت ، وعند من تقدّمه من الفلاسفة هو الأمر الذى تتمثله فى الذهن والحقيقة الموضوعية هى الحقيقة التى نتمثلها ذهنيا ، بخلاف الحقيقة الصورية المستقلة فى الذهن وموضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ككذب الإنسان لعلم الطب ، ومثل المقدار للهندسة ، ومثل العدد للحساب ، ولكلٍّ منها أعراض ذاتية تخصه [راجع : النجاة : لابن سينا ص ١٠٩ ، ١١٠ ، والقاموس الفلسفى حـ ٢] .

فالمحمول : عند المنطقين هو المحكوم به فى القضية الحملية دون الشرطية ، أما فى الشرطية فيسمى تاليا ، والموضوع والمحمول عند المنطقيين بمنزلة المسند والمسند إليه عند النحاة قال ابن سينا ، والمحمول هو المحكوم به إنه موجود أو ليس بموجود لشىء آخر [النجاة ص ١٩] والقضية الحملية مقابلة للقضية الشرطية ، وأرسطو يسمى المقولات محمولات لأنها تحمل على الجوهر ، وهو لا يحمل على شىء ، والمحمولات الجدلية عند « فرفريوس » وغيره من القدماء هى الألفاظ الخمسة : الجنس – النوع – الفصل – الخاصة – العرض العام [راجع المعجم الفلسفى ص ٣٥٧ حـ ٢] .

فهو مركب من جنسه وفصله ، والمركب مع المركب من باب المضاف الذى لا بد لكل واحد منهما من الآخر ، فأما المركب فإنما يقتضى وجود المركب من وقت تركبه ، وحينئذ يسمى مركبًا لا قبل ذلك .

وأمّا الواحد فليس عددًا لما سنبينه إن شاء الله تعالى . بعد انقضاء(٧٩) الكلام فى هذا الباب وبالله تعالى التوفيق .

ومن البرهان على أن الفاعل للعالم ليس إلّا واحدًا : أن العالم لو كان مخلوقًا لاثنين فصاعدًا لم يخل من أن يكون لم يزالا مشتبهين أو مختلفين ، فأيًّا مّا قالوا فقد أثبتوا معنى فيهما ، أو فى أحدهما به اشتبها أو به اختلفا ، فإن نفوا ذلك فقد نفوا الاختلاف والاشتباه معًا ، ولا يجوز ارتفاعهما معًا أصلًا ، لأن ذلك محال وموجب للعدم ، لأن وجود شيئين لا يشتبهان فى شيء ولا يختلفان بوجه من الوجوه محال ، إذ فى ذلك عدمهما ، لأن هذه الصفة معدومة وإذا كانت الصفة معدومة(٨٠) فحاملها معدوم ، وهم قد أثبتوا وجودها(٨١) فيلزمهم القول بموجود معدوم فى وقت واحد من وجه واحد وهذا محال . وهم إذا أثبتوهما موجودين لم يزالا فقد أثبتوا لهما معانى قد اشتبها فيها ، وهى كونهما مشتبهين فى الوجود ، مشتبهين فى الفعل ، مشتبهين فى أن لم يزالا . ولا يجوز أن تكون هذه الأشياء ليست غيرهما لأنها صفاتٌ عَمَّتْهما : أعنى اشتباههما فى المعانى المذكورة ، فإن كان اشتباههما هو هما فهما شيء واحد ، وكذلك أيضًا يلزم فى كونهما مختلفين فى أن كلَّ واحدٍ منهما غير صاحبه ، فإن كان هذا الاختلاف فيهما هو غيرهما ، فها هنا ثالث ، وهكذا أيضًا أبدًا .

وسنذكر ما يدخل فى هذا إن شاء الله تعالى .

وإن كان التغاير هو هما ، والاشتباه هو هما فالتغاير هو الاشتباه ، وهذا هو عين المحال ، لأنه لابدّ من معنى موجود فى المتغاير ليس اشتباهًا لأن معنى التغاير هو أن هذا هو غير هذا(٨٢) ولا يجوز أن يكون الشيئان مشتبهين بالتغاير ، فإذ قد ثبت ما ذكرناه ، ولم يكن بد من اشتباه

= والمركب : هو المؤلف من أجزاء كثيرة ، ويقابله البسيط كالجسم فإنه إذا كان مؤلفا من أجزاء كثيرة ، كان مركبا ، واللفظ المركب أو المؤلف عند المنطقيين هو الذى يدل على معنى وله أجزاء منها يلتئم ، ومن معانيها يلتئم معنى الجملة ، وقيل أيضا إن المركب هو ما أريد بجزء لفظه : الدلالة على جزء معناه وهى خمسة : مركب إسنادى كقام زيد ، ومركب إضافى ككلام زيد ، ومركب تعدادى كخمسة عشر ، ومركب مزجى كبعلبك ، ومركب صوتى كسيبويه . والحد المركب بوجه عام هو المؤلف من عدة حدود يربط بينها حرف عطف كقولنا زيد وعمرو صادقان وكريمان ، فإن كلًا من الموضوع والمحمول فى هذه القضية مركب من حدّين [راجع تعريفات الجرجانى - مادة مركب ، والنجاة لابن سينا ص ٧ ، والمعجم الفلسفى حـ ٢ ص ٣٦٢ ، ٣٦٣] .

(٧٩) فى (أ ، ب) « فقد انقضى » .

(٨٠) فى (أ ، ب) سقطت جملة « وإذا كانت الصفة معدومة » .

(٨١) وفى (أ) « فيلزم » .

(٨٢) سقطت الجملة من [لأن معنى . . إلى هذا] من (أ ، ب) .

أو اختلاف هو معنى غيرهما ، فقد ثبت ثالث ، وإذ ثبت ثالث لزم فيهم ثلاثتهم مثل ما لزم فى الاثنين من السؤال ، وهكذا أبدًا . وهذا يوجب ضرورة أن كل واحد منهما أو أحدهما مركب من ذاته ، ومن المعنى الذى بان به عن الآخر ، أو به أشبه الآخر .

فإن أثبتوا ذلك لهما جميعًا ، وكلاهما مركب ، والمركب محدث فهما مخلوقان لغيرهما ولابدّ .

وإن أثبتوا ذلك لأحدهما فقط كان مركبًا ، وكان الآخر هو الفاعل له(٨٣)، فقد عاد الأمر إلى واحد غير مركب ولابدّ ضرورة .

ويوجب أيضًا إن تمادوا على ما ألزمناهم من وجود معنى به بان كُلٌّ من الآخر وجود قدماء لم يزالوا ، ووجود فاعلين آلهة أكثر من المألوهين(٨٤) وهذا محال . لأنه لا سبيل إلى وجود أعدادٍ قائمة ظاهرة فى وقت واحد لا نهاية لها ، لأنه إن كان لها عدد فقد حصرها ذلك العدد على ما قدّمنا ، وكل ما حصر فهو متناه ، وقد أوجبنا عليهم القول بأنها غير متناهية ، فلزمهم القول بأعداد متناهية لا متناهية ، وهذا من أعظم المحال .

فإن لم يكن لها عدد فليست موجودة ، لأن كلّ موجود فله عدد ، وكل ذى عدد متناهٍ كما قدمنا .

فإن قال قائل : فبأىِّ شيء انفصل الخالق عن الخلق ؟ وبأى شيءٍ انفصل الخلق بعضه من بعض ؟

وأراد أن يلزمنا فى ذلك مثل الذى ألزمناه فى الأدلة(٨٥) المتقدمة ..

قيل له وبالله التوفيق .

الخلق كله **حامل ومحمول**(٨٦)، فكل حامل فهو منفصل من خالقه ، ومن غيره من الحاملين بمحموله(٨٧) وبما هو عليه مما باين به سائر الحاملين من فصله ، ونوعه(٨٨)، وجنسه ، وخواصه ، وأعراضه ، فى مكانه وسائر كيفياته .

(٨٣) أى الفاعل لهذا التركيب .
(٨٤) فى (أ) [المأهولين] .
(٨٥) فى النسخة (أ) [الدلالة] .
(٨٦) أى مضاف ، ومضاف إليه .
(٨٧) سقطت جملة [وبما هو عليه إلى الحاملين] من (أ ، ب) .
(٨٨) فى (أ ، ب) [فصوله وأنواعه] .

وكل محمول فهو منفصل من خالقه ومن غيره من المحمولات بحامله ، وبما هو عليه مما باين فيه سائر المحمولات ، من نوعه ، وجنسه ، وفصله .

والبارى تعالى غير موصوف بشيء من ذلك كله . وبالله تعالى التوفيق .

وقد ذكرنا فى باب الكلام فى بقاء الجنة والنار ، وبقاء الأجسام فيها بلا نهاية ، وفيما خلا من كتابنا – الانفصالَ ممن أراد أن يلزمنا هنالك ، ما ألزمناهم نحن هنالك من القول[٨٩] بالأعداد التى لا تتناهى . إلا أننا نذكر هنا من ذلك إن شاء الله تعالى طرفًا كافيًا . وبالله تعالى التوفيق وبه نستعين . فنقول :

إن الفرق بين المسألتين المذكورتين أننا لم نوجب نحن فى الجنة والنار وجود أعدادٍ لا تتناهى . بل قولنا : إن أعدادهم متناهية لا تزيد ولا تنقص . وأن مساحة النار والجنة محدودة متناهية لا تزيد ولا تنقص ، وأن كل[٩٠] ما ظهر من حركاتهم ومددهم فيها فمحصورة متناهية . وإنما نفينا عنها النهاية بالقوة بمعنى أن البارى تعالى محدِث لهم فى كلتا الدارين بقاء ومددًا ، ونعيمًا وعذابًا ، أبدًا لا إلى غاية . وليس ما ظهر من ذلك بعضًا لما لم يظهر ، فيلزمنا أن يكون اسم كل ما يقع على الموجود والمعدوم لأن الموجود[٩١] لا يكون بعضًا للمعدوم ، وإنما هو بعض لموجود مثله ، هذا يعلم بالحس لأن الأسماء إنما تقع على معانيها . ومعنى الوجود إنما هو ما كان قائمًا فى وقت من الأوقات ، ماضٍ من الأوقات أو حالٍ منها . فما لم يكن هكذا فليس موجودًا ، وأبعاض الموجودات كلها موجودة ، فكلها موجود ، وكلها كان موجودًا فليس الموجود بعضًا للمعدوم ، والعدم هو إبطال الوجود ونفيه ، ولا سبيل إلى أن تكون أبعاض الشيء التى يلزمها اسمه الذى لا اسم لها سواه يبطل بعضها بعضًا .

وقد يمكن أن يشغب[٩٢] مشغب فى هذا المكان فيقول : قد وجدنا أبعاضًا لا يقع عليها اسم كلها كاليد والرجل والرأس ، وسائر الأعضاء ليس شيء منها يسمى إنسانا فإذا اجتمعت وقع عليها كلها اسم إنسان .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا شغب لأننا إنما تكلمنا على الأبعاض المتساوية التى كان بعض منها يقع عليه اسم الكل كالماء الذى كل بعض منه ماء ، وكله ماء ،

---

(٨٩) سقطت كلمة [القول] فى (أ ، ب) .
(٩٠) فى (أ) : وإن كان .
(٩١) فى النسخة (أ) سقط [كل ما يقع على الموجود والمعدوم لأن الموجود لا يكون بعضا للمعدوم] .
(٩٢) فى (أ ، ب) [شغب] .

وليس الإنسان(٩٣) الجزء من هذا الباب . وكل بعض من أبعاض الموجود فإنه يقع عليه اسم موجود .

وقد يمكن أن يشغب أيضًا مشغب فى قولنا : إن الأبعاض لا تتنافى ، فيقول إن الخضرة(٩٤) تنافى البياض ، وكلاهما بعض للون الكلى ، فهذا أيضًا ليس مما أردناه فى شيء ، لأن قولنا موجود ليس جنسا ، فيقع على أنواع المتضادات ، وإنما هو إخبار عن وجود أشياء قد تساوى كلها فى وجودنا إياها حقًا ، فهو يعم بعضها كما يعم كلها ، وأيضًا فإن الخضرة لا تضاد البياض فى أن هذا لون ، بل يجتمعان فى هذا المعنى اجتماعًا واحدًا لا يختلفان فيه ، وإنما اختلفا بمعنى آخر ، وكذلك لا يخالف موجود موجودًا فى أنه موجود . والموجود يخالف المعدوم فى هذا المعنى نفسه ، وليس بعضًا للمعدوم . والمعدوم ليس شيئًا ، ولا له معنى حتى يوجد ، فإذا وجد كان حينئذ شيئًا موجودًا .

وقد تخلصنا أيضًا فى باب التجزى ، وكلامنا(٩٥) فى هذا الديوان من مثل الإلزام هنالك .

---

(٩٣) سقطت كلمة [الإنسان] من (أ ، ب) .

(٩٤) فى (أ ، ب) [لا تنافى] .

(٩٥) فى (أ) : [فيه] .

الكلام على النَّصارى

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : النصارى وإن كانوا أهل كتاب ، ويقرون بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام ، فإن جماهيرهم وفرقهم لا يقرون بالتوحيد مجردًا . بل يقولون بالتثليث ، فهذا[1] مكان الكلام عليهم .

والمجوس أيضًا **وإن كانوا أهل كتاب** لا يقرون ببعض الأنبياء عليهم السلام ، ولكنا أدخلناهم فى هذا المكان لقولهم بفاعلين لم يزالا .

فالنصارى أحق منهم بالإدخال هاهنا ، لأنهم يقولون بثلاثة لم يزالوا .

والنصارى فرق :

منهم أصحاب « أريوس[2] » وكان قسيسًا بالإسكندرية : ومن قوله : التوحيد المجرد ، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، وأنه كلمة الله تعالى التى بها خلق السموات والأرض . وكان فى زَمن قسطنطين الأول ، بانى القسطنطينية ، وأول من تنصر من ملوك الروم ، وكان على مذهب « أريوس » هذا .

ومنهم أصحاب « **بولس**[3] **الشمشاطى** » : وكان بطريركًا بأنطاكية قبل ظهور النصرانية .

---

(١) فى النسخة (أ) [فهو] ومعناه فهذا القول بالتثليث هو موضوع الكلام .

(٢) أريوس : هو ابن أصفانوس بن بطلينس ويلقب برشيد قومه ، وكان من علماء الروم بالعزائم وله من الكتب : كتاب يذكر فيه أولاد إبليس ، وتفرقهم فى البلاد ، وما يختص به كل جنس منهم فى العلل والأرواح ، والاستهلاكات ، والأفعال ، وأنساب الجن (٤٤٥ الفهرست لابن النديم المكتبة التجارية – مطبعة الاستقامة بالقاهرة) . وهو أكبر تلاميذ « ماربطرس » « بطريرك الإسكندرية ، ومن خريج المدرسة اللاهوتية ، وخالف أستاذه كثيرا فسخطه وطرده وجرده من كهنوته ، ولما مات « بطرس » رجع أريوس عن المخالفة فأدخله « اسكندروس » إلى الكنيسة وصيره قسا ، ولكن مجمع الأساقفة قرر نفيه فنفاه القيصر وأمر بقتله ، ولكن اختفى وظهر بعد موت القيصر (راجع تاريخ ابن خلدون حـ ١ ص ٣٢٠ ، وخلاصة تاريخ المسيحية بمصر ص ٨١) .

(٣) بولس : هو « بولس » القديس ولد فى « طرسوس » بآسيا الصغرى ، واسمه الأصلى شاءول رومانى الجنسية ، نشأ نشأة يهودية ، فكان يضطهد المسيحيين الأول ، كلف بمقاومة المسيحيين فى دمشق سنة ٣٥ م فلما ذهب إليها سمع وهو فى الطريق صوتا يقول له « شاءول شاءول لِمَ تضطهدنى ؟ فقال من أنت ؟ فأجابه الصوت : أنا « ياسوع » الذى تضطهده فذهب إلى دمشق ، وانضم إلى المسيحية ، وسمى =

وكان قوله : التوحيد المجرد الصحيح ، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله تعالى فى بطن مريم من غير ذكر ، وأنه إنسان لا إلهية فيه ألبتة . وكان يقول لا أدرى ما الكلمة ؟ ولا روح القدس ؟ .

وكان منهم أصحاب « مقدونيوس[٤] » وكان بطريركا فى « القسطنطينية[٥] » بعد ظهور النصرانية أيام « قسطنطين[٦] » بن « قسطنطين » بانى « القسطنطينية » ، وكان هذا الملك « أريوسيا » كأبيه . وكان من قول « مقدونيوس » هذا : التوحيد المجرد ، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، إنسان نبى ، رسول الله كسائر الأنبياء عليهم السلام . وأن عيسى هو روح القدس ، وكلمة الله عزَّ وجل . وأن روح القدس والكلمة مخلوقان ، خلق الله كل ذلك .

ومنهم « **البربرانية** » : وهم يقولون إن عيسى وأمه إلها من دون الله عزَّ وجل . وهذه الفرقة قد بادت .

وعمدتهم[٧] اليوم ثلاث فرق :

فأعظمها فرقة « **الملكانية**[٨] » : وهى مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشا

=نفسه « بولس » وأصبح أنشط المبشرين بالمسيحية فى القرن الاول . ثار اليهود ضده ، وقبض عليه فى « أورشليم » وسيق إلى روما وحكم عليه بالإعدام ، وصلب وقطع رأسه بالسيف ، تتلخص آراؤه فى [الرسائل] انظر العهد الجديد – الموسوعة العربية الميسرة : ٤٤٠ بإشراف محمد شفيق غربال] وبولس هذا هو الذى أفسد المسيحية وأدخل فيها التثليث ، وأحلّ الخمر ، وعدم الختان ، فخرج بهذا عن شريعة موسى التى هى شريعة عيسى .

(٤) « مقدونيوس » : وهو ممن تأثر بآراء « آريوس » وقد رقى كرسى البطريركية بالقسطنطينية بعد ما نزل « بولس » بطريركها الشرعى بأمر « قسطنطين » القيصر ، وقد ذهب إلى أن الروح القدس أثر الإله منتشر فى الكون ، ينماز عن الله ، وأن روح القدس مخلوق فهو ممن يعتقدون التوحيد (راجع هامش الملل والنحل حـ ٢ ص ٥١ تحقيق الشيخ أحمد فهمى محمد – طبعة مكتبة الحسين التجارية بالقاهرة) .

(٥) القسطنطينية : عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ، والامبراطورية العثمانية سابقا ، سميت باسم « قسطنطين » الذى أنشأها بموضع « بيزنطة » لم ينجح ممن حاولوا حصارها إلاَّ ثلاثة ، جيش الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م ، وميخائيل الثانى ١٢٦١م ، والسلطان محمد الثانى ١٤٥٣م ، أقيمت المدينة على سبعة تلال على « البسفور » ، وأقيم حولها ثلاثة خطوط من الحصون ، كانت أكبر مدينة فى أوربا فى العصور الوسطى ، بلغ مجموع سكانها فى القرن العاشر مليون نسمة ، أشهر معالمها كنيسة القديسة صوفيا ، والبوابة الذهبية ، وتعد مركزاً سياسياً وتجاريا عظيما فى أوربا ، احتلها الحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م ، وفى ١٩٢٣م حلت « أنقره » محلها عاصمة لتركيا (الموسوعة العربية الميسرة ١٣٨٠) .

(٦) قسطنطين : ابن قسطانش الأول ، وأمه القديسة « هيلانة » نودى به امبراطوراً بعد وفاة أبيه ٣٠٦م فقنع بلقب « قيصر » فقط ، مال إلى المسيحية ، وأصدر منشور « ميلان » الذى أقر التسامح مع المسيحية ، ومع ذلك فلم يعمّد إلا وهو على فراش الموت . دعا مجمع « نيقية » المشهور إلى الانعقاد ، وبذلك أوجد تلك المجامع الدينية ، نقل عاصمته إلى « بيزنطة » التى أعاد بناءها وسماها « القسطنطينية » ، وكرسها للعذراء (راجع الموسوعة الميسرة ١٣٨٠) .

(٧) الضمير يرجع إلى النصارى .

(٨) الملكانية : طائفة مسيحية من الطقس البيزنطى منتشرة فى سورية ومصر وفلسطين ، ومنها جالية هامة فى أمريكا وكنيستهم تسمى أيضا كنيسة الروم ، ويتكلم معظمهم العربية ، ويرأسهم بطريرك يقيم فى دمشق والقاهرة . سمُّوا الملكيين لأنهم أيدوا القرار الذى اتخذه مجمع **خلقدونية** عام ٤٥١م ضد بدعة أوطيخا المونوفيزية القائلة بطبيعة واحدة للمسيح ، فلقبهم مخالفوهم ازدراء لهم بالملكيين لوقوفهم فى صف مرقيانوس الذى كان يعاضد المجمع ، ومنهم كاثوليك يعترفون برياسة بابا روما ، ويسمون الروم الكاثوليك . (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٤٢) .

الحبشة ، والنوبة . ومذهب عامة أهل كل مملكة للنصارى حيث كانوا حاشا الحبشة ، والنوبة ، ومذهب جميع نصارى إفريقية ، وصقلية ، والأندلس وجمهور الشام ، وقولهم : إن الله تعالى – عبارة عن قولهم – ثلاثة أشياء[٩]: أب وابن ، وروح القدس . كلها لم تزل ، وأن عيسى عليه السلام : إله تام كله ، وإنسان تام كله ، ليس أحدهما غير الآخر ، وأن الإنسان منه هو الذى صلب وقتل ، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك ، وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معًا شيء واحد ابن الله .

تعالى الله عن كفرهم .

وقالت النسطورية : مثل ذلك سواء بسواء ، إلَّا أنهم قالوا : إنَّ مريم لم تلد الإله ، وإنما ولدت الإنسان ، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله . تعالى الله عن كفرهم . وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس ، وخراسان . وهم منسوبون إلى « **نسطور**[١٠]» وكان بطريركًا بالقسطنطينية .

وقالت « **اليعقوبية**[١١]» : إن المسيح هو الله تعالى نفسه ، وأن الله – تعالى عن عظيم كفرهم – مات وصلب وقتل ، وأن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر ، والفلك بلا مدبر ، ثم قام ورجع كما كان ، وأن الله تعالى عاد محدثا ، وأن المحدث عاد قديما ، وأنه تعالى هو كان فى بطن مريم محمولًا به .

وهم فى أعمال مصر ، وجميع النوبة ، وجميع الحبشة ، وملوك الأمتين المذكورتين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولولا أن الله تعالى وصف قولهم فى كتابه إذ يقول تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم[١٢]» وإذ يقول تعالى حاكيًا عنهم :

---

(٩) فى (أ) « أسباب » .

(١٠) النسطورية : بدعة ظهرت فى القرن الخامس قال بها « نسطوريوس » بطريرك القسطنطينية حين اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله ، وقد عارضه « كيرلس » الإسكندرى ، وانعقد بسبب هذه المشكلة ثلاثة مجامع دينية متلاحقة : مجمع « أفسوس » عام ٤٣١م ، ومجمع « **خلقيدونة** » ٤٥٠م ، ومجمع القسطنطينية ٥٥٣م وقررت كلها أن للمسيح طبيعتين : إلهية وإنسانية متحدتين فى أقنوم واحد ، وقوام إلهي واحد . ناصرت كنيسة أنطاكية مذهب « نسطوريوس » ولكن لم يبق معه إلى النهاية إلا كنيسة فارس التى صارت الكنيسة النسطورية ، ولا يزال لها أتباع فى العراق ، وإيران ، وبلابار والهند طقوسها سريانية شرقية ، وتدعى أحيانا بالكنيسة الآشورية ورد ذكرها عند الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل ، والبَاقلانى فى التمهيد (الموسوعة العربية الميسرة ١٨٣٢) .

(١١) اليعقوبية : فرقة مسيحية تنسب إلى يعقوب ، وهى إحدى فرق ثلاث اختلفت حول طبيعة المسيح . . عاش اليعاقبة فى مصر والنوبةوالحبشة ، يدور مذهبهم على القول بأن المسيح هو الله والإنسان اتحدا فى طبيعة واحدة هى المسيح ، واشتغل كثير من اليعاقبة فى ظل الإسلام بنقل الفلسفة اليونانية وكتبها إلى السريانية ثم إلى العربية ، ولقوا من الخلفاء والمسلمين كل تشجيع وتقدير فكان لذلك أثره فى تاريخ الحياة العقلية الإسلامية ولا سيما من الناحيتين الكلامية والفلسفية (الموسوعة العربية الميسرة) .

(١٢) سورة المائدة : ١٧ .

« إن الله ثالث ثلاثة[١٣]» وإذ يقول تعالى : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله[١٤]» – لَمَا انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع ، السمج ، السخيف ، وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن فى العالم عقلًا يسع هذا الجنون ونعوذ بالله من الخذلان .

فأما « اليعقوبية » : فإنهم ينسبون إلى « يعقوب » البرذعانى ، وكان راهبًا بالقسطنطينية ، وهم فرقة نافرت العقل والحس منافرة وحشية تامّة ، **لأن الاستحالة نقلة**[١٥]، **والنقلَة والاستحالة لا يوصف بهما الأول** الذى لم يزل تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا .

ولو كان كذلك لكان مخلوقًا ، والمحدَث يقتضى محدِثًا خالقًا له ، ويكفى من بطلان هذا القول دخوله فى باب المحال والممتنع ، الذى أوجب العقل والحس بطلانه ، وليس فى باب المحال أعظم من أن يكون الذى لم يزل يعود محدِثا لم يكن ثم كان ، وأن يصير[١٦] غير المؤلف مؤلَّفًا ، ويلزم هؤلاء القوم أن يعرفونا من دبر السماوات والأرض ، وأدار الفلك هذه الثلاثة الأيام التى كان فيها ميتا ؟! – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

ثم يقال للقائلين بأن البارى تعالى ثلاثة أشياء : أب وابن وروح القدس : أخبرونا : إذ هذه الثلاثة الأشياء لم تزل كلها ، وأنها مع ذلك شىء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم ؟ فبأى معنى استحق أن يكون أحدهما يسمى أبًا والثانى ابنًا والثالث : روح القدس[١٧] وأنتم تقولون : إن الثلاثة واحد ، وأن كل واحد منها هو الآخر . فالأب هو الإبن . والإبن هو الأب وهما روح القدس ، وليس روح القدس سواهما[١٨] وهذا هو عين التخليط . وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه « سأقعد عن يمين أبى[١٩]» .

وبقولهم فيه :

« إن القيامة لا يعلمها إلا الأب وحده ، وأن الإبن لا يعلمها[٢٠]» .

فهذا يوجب أن الإبن ليس هو الأب .

---

(١٣) سورة المائدة : ٧٣ .

(١٤) سورة المائدة : ١١٦ .

(١٥) الاستحالة : أى التحول من حال إلى حال ، والانتقال من وجود إلى وجود ، وفى ميلاد المسيح إلها فى صورة بشر – كما يفترى المسيحيون – معناه أن الله تحول من صورة إلى صورة تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً .

(١٦) فى (أ) [يشير] .

(١٧) فى (أ ، ب) : سقط [والثالث روح القدس] .

(١٨) فى (أ ، ب) : سقطت جملة [وهما روح القدس ، وليس روح القدس سواهما] .

(١٩) إنجيل لوقا – الإصحاح الثانى والعشرون (٧٠) ونصه : منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله .

(٢٠) إنجيل متى : الإصحاح الرابع والعشرون (٣٦) ونصه : « وأما ذلك اليوم – يوم القيامة – وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ، ولا ملائكة السماوات إلا أبى وحده » .

وإن كانت الثلاثة متغايرة – وهم لا يقولون بهذا – فيلزمهم أن يكون فى الإبن معنى من الضعف ، أو من الحدوث ، أو من النقص به وجب أن ينحط عن درجة الأب .

والنقص ليس من صفة الذى لم يزل ، مع ما يدخل على من قال بهذا من وجوب أن تكون[٢١] محدثة لحصر العدد ، وجَرْىِ طبيعةِ النقص والزيادة فيها ، على حسب ما قدمناه فى حدوث العالم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد لفق بعضهم أشياء (قالوا إنها)[٢٢] لا معنى لها ، إلا أننا ننبّه عليها ليتبين هجنة قولهم وضعفه بحول الله تعالى وقوّته ، وذلك أنَّ بعضهم قال : لما وجب أن يكون البارى تعالى حيًّا[٢٣] وعالمًا وجب أن تكون له حياة وعلم ، فحياته هى التى تسمى روح القدس ، وعلمه هو الذى يسمى الإبن .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا من أغث ما يكون من الاحتجاج ، لأننا قد قدّمنا أن البارى تعالى : لا يوصف بشىء من هذا من طريق الاستدلال ، لكن من طريق السمع خاصة ، ولا يصح[٢٤] لهم دليل – لا من إنجليهم ولا من غيره من الكتب – أن العلم يسمّى ابنا ، و لا فى كتبهم أن علم الله هو ابنه : وقد ادّعى بعضهم أنَّ هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من أنَّ علم العالِم يقال فيه : إنَّه ابنه[٢٥].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا باطل ظاهر الكذب ؛ لأن الإنجيل الذى كان فيه ذكر الأب والإبن وروح القدس – لا يختلف أحدٌ من الناس فى أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية إلى السريانية وغيرها . فعبّر عن (معانى) تلك الألفاظ العبرانية ، وبها كان فيه[٢٦] ذكر الأب ، والإبن ، وروح القدس . وليس فى اللغة العبرانية شىء مما ذكر وادّعى .

وإن كانوا ممن يقولون : بتسمية البارى عزّ وجل من طريق الاستدلال ، فقد أسقطوا صفة القدرة ، إذ ليس الاستدلال على كونه عالمًا بأصح[٢٧] ولا أولى من الاستدلال على كونه قادرًا . لاسيما مع قول « بولس » وهو عندهم فوق الأنبياء – « أن المسيح قدرة الله وعلمه تعالى[٢٨] » .

(٢١) أى أى الصفة ، فالضمير هنا اسم تكون .
(٢٢) ما بين القوسين كلام زائد لا معنى له .
(٢٣) فى (ب) [حيًّا عالما] بغير الواو .
(٢٤) فى (خ) : وليس يصح .
(٢٥) أى على سبيل المجاز .
(٢٦) أى فى هذا الإنجيل .
(٢٧) سقط حرف العطف [و] فى (أ) .
(٢٨) فى رسالة بولس إلى العبرانيين : « لله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله بارئًا لكل شىء الذى به أيضا عمل العالمين » والذى هو بهاء مجده ، ورسم جوهره ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (الإصحاح الأول) .

قال هذا النص فى رسالته الأولى إلى أهل قونية[٢٩]، فليضيفوا إلى هذه الثلاث صفة رابعة وهى القدرة ، وأخرى وهى السمع ، وأخرى وهى البصر ، وأخرى وهى الكلام ، وأخرى وهى العقل ، وأخرى وهى الحكمة ، وأخرى وهى الجود .

فإن قالوا : القدرة هى الحياة .

قيل لهم : والعلم هو الحياة .

فإن قالوا : ليس العلم الحياة لأنه قد يكون حىّ ليس عالمًا كالمجنون ، قيل لهم : قد يكون حى ليس قادرًا كالمغشىّ عليه . ونحو ذلك ، فالقدرة ليست الحياة .

وأيضًا فإن كان الإبن هو العلم ، وروح القدس هو الحياة . فما بال إقحامهم المسيح عليه السلام فى أنه الإبن ، وروح القدس .

أترى المسيح هو حياة الله وعلمه ؟ وما بال قول بعضهم إنَّ مريم ولدت ابن الله ؟ أتراها ولدت علم الله ؟!.

أيكون فى التخليط أكثر من هذا ، وهل حظ المسيح عليه السلام من علم الله وحياته إلّا كحظ غيره ولا فرق .

وهذا لا مخلص منه – وبالله التوفيق .

وقال بعضهم : لما وجدنا الأشياء قسمين حيًّا ولا حيًّا ، وجب أن يكون البارى عزَّ وجل حيًّا ، ولما وجدنا الحىَّ ينقسم قسمين ؛ ناطقًا وغير ناطق ، وجب أن يكون البارى تعالى ناطقًا .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا الكلام فى غاية الكلال[٣٠] لوجهين : أحدهما : أن هذه القسمة قسمة طبيعية واقعة تحت جنس ؛ لأنه إذا كان تسمية البارى تعالى حيًّا إنما هو من هذا الوجه[٣١]، فهو إذًا يقع مع سائر الأجسام[٣٢] تحت جنس الحى . ويُحدّ بحدّ الحى ، وبحد الناطق .

وإذا كان كذلك فهو مركب من جنسه وفصله ، وكل ما كان محدودًا فهو متناهٍ ، وكل ما كان مركبًا فهو محدث .

---

(٢٩) فى (أ ، ب) [قريته] .
(٣٠) أى الضعف والتخاذل وفى (خ) (الفساد) .
(٣١) هذه الجملة واقعة صفة لقوله « حيًّا » .
(٣٢) فى (أ ، ب) [الأحياء] .

والوجه الثانى : أن هذه القسمة التى قسموها[٣٣] منقوضة مموّهة ، لأنه يلزمهم أن يبدءوا بأول القسمة الذى هو أقرب إلى الطبيعة[٣٤].

فيقولوا : وجدنا الأشياء جوهرًا ولا جوهرًا . ثم يدخلوه تحت أى القسمين شاءوا ، وهم إنما يدخلونه تحت الجوهر ، فإذا أدخلوه تحت الجوهر فقد وجب ضرورة أن يحدوه بحد الجوهر .

فإذا كان ذلك وجب أن يكون محدثًا ، إذ كل محدود فهو محدث كما قدمنا[٣٥].

ثم نعترضهم فى قسمتهم من قبل أن يبلغوا إلى الحى الناطق[٣٦].

وعلى بعض القسم قبله يقع الثانى .

وهذه كلها مخلوقات .

فلو كان البارى تعالى بعضها ، أو كانت هذه الصفات واقعة عليه من طريق وجوب وقوعها علينا – لكان مخلوقًا .

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

وقال بعضهم : لما كانت الثلاثة تجمع الزوج والفرد ، وهذا أكمل الأعداد ، وجب أن يكون البارى تعالى كذلك لأنه غاية الكمال .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا من أغث الكلام لوجوه ضرورية **أحدها** : أن البارى تعالى لا يوصف بكمالٍ ولا تمام ، لأن الكمال والتمام من باب الإضافة ، لأن التمام والكمال لا يقعان ألبتة إلا فيما فيه النقص ، لأن معناهما إنما هو إضافة شيءٍ إلى شيءٍ به كملت صفاته ، ولولاه لكان ناقصًا . ولا معنى للكمال والتمام إلّا هذا فقط .

والوجه الثانى : أن كل عددٍ بعد الثلاثة فهو أتم من الثلاثة ، لأنه يجمع إما زوجًا وفردًا[٣٧] وإمّا زوجًا وزوجا ، وإمّا زوجًا وزوجًا وفردًا ، وإمّا أكثر من ذلك .

وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج فهو أتم وأكمل مما لم يجمع إلا زوجًا وفردًا فقط ،

---

(٣٣) فى النسخة (ب) [قسموا] .

(٣٤) أى كان عليهم أن يبدءوا القسمة من المبادىء الأولى ، وهى الجواهر ، لا الأعراض ، كما فعلوا هنا فقالوا : « وجدنا الأشياء قسمين حيًّا ولا حيا » والحياة ليست مَبْدأ ولا جوهراً ، بل هى عرض يدخل على الجوهر .

(٣٥) فى (أ ، ب) [قد بيناه] .

(٣٦) أى نعترض على قسمتهم الموجودات إلى جوهر ، وغير جوهر ، إذ لا يصح أن يقال عن الله تعالى إنه جوهر فالجواهر ، وما يتعلق بها من أعراض كالحياة والنطق ، هى مخلوقات .

(٣٧) سقطت عبارة [زوجا فردا وإما] من (أ ، ب) .

فيلزمه أن يقول : إن ربّه أعداد لا تتناهى ، أو أنه أكثر الأعداد ، وهذا أيضًا ممتنع محال لو قاله ، ويكفى فسادًا بقولٍ يؤدى إلى المحال .

والوجه الثالث : أن هذا الاستدلال مضاد لقولهم[٣٨]: إن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ، لأن الثلاثة التى تجمع الزوج والفرد هى غير الثلاثة التى هى عندكم واحد بلا شك ؛ لأن الثلاثة التى تجمع الزوج والفرد ليست الفرد الذى هو فيها ، وهى جامعة له ولغيره بل ذلك الفرد بعض لها ، وهى كل له ولغيره والبارى تعالى لا كل له ولا بعض[٣٩]، والكل[٤٠] ليس هو الجزء ، والجزء ليس هو الكل ، والفرد جزء للثلاثة والثلاثة كل للفرد وللزوج معه ، فالفرد غير الثلاثة ، والثلاثة غير الفرد ، والعدد مركب من واحد يراد به الفرد ، وواحد كذلك[٤١]، وواحد كذلك إلى نهاية العدد المنطوق به ، فالعدد ليس الواحد ، والواحد ليس هو العدد ، لكن العدد مركب من الآحاد التى هى الأفراد ، وهكذا كل مركب من أجزاء ، فذلك المركب ليس هو جزء من أجزائه ، كالكلام الذى هو مركب من حرف وحرف حتى يقوم المعنى المعبر عنه ؛ فالكلام ليس هو الحرف ، والحرف ليس هو الكلام .

والوجه الرابع : أنَّ هذا المعنى السخيف الذى قصده هذا الجاهل نجده فى الاثنين ، لأن الاثنين عدد يجمع فردًا وفردًا ، وهو زوج مع ذلك ، فقد وجدنا فى الاثنين الزوج والفرد ، فيلزمه أن يجعل ربه اثنين .

والوجه الخامس : أن كلَّ عدد فهو محدث ، وكذلك كل معدود يقع عليه عدد فهو أيضًا محدث ، على ما قد بينا فيما خلا من كتابنا هذا .

والمعدود لم يوجد قط إلا ذا عدد ، والعدد لا[٤٢] يوجد قط إلَّا ذا [٤٣] معدود ، والواحد ليس عددًا على ما نبينه بعد هذا إن شاء الله تعالى ، وبه يتم الكلام فى التوحيد بحول الله وقوته .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهم يقولون : إن الإله اتحد مع الإنسان بمعنى أنهما صارا شيئًا واحدًا .

---

(٣٨) أى النصارى الذين يقولون بالتثليث : الأب ، والابن ، وروح القدس . . ثم يقولون عن هذه الثلاثة هى الإله الواحد ، كما يقولون فى دعائهم : باسم الأب والإبن وروح القدس ، إله واحد ، أمين ... وهذا الإله الواحد عندهم ، هو واحد فى ثلاثة ، ففى الأب يختفى الإبن وروح القدس ، وفى الابن يختفى الأب وروح القدس وفى روح القدس يختفى الأب والإبن .

(٣٩) سقطت العبارة من قوله : [ذلك الفرد إلى ولا بعض] فى (أ ، ب) .

(٤٠) فى (أ ، ب) [فالكل] .

(٤١) أى واحد يراد به الفرد كذلك ، لأن العدد إنما يتركب من آحاد يضاف بعضها إلى بعض .

(٤٢) فى (أ ، ب) [لم يوجد] .

(٤٣) فى (أ ، ب) [فى] بدلا من [ذا] .

فقالت اليعقوبية : كاتحاد الماء يلقى فى الخمر فيصيران شيئًا واحدًا[٤٤].

وقالت النسطورية : كاتحاد الماء يلقى فى الزيت فكل واحدٍ منهما باق بحسبه[٤٥].

وقالت الملكية : كاتحاد النار فى الصفيحة المحماة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وكل هذا فى غاية الفساد .

أول ذلك : أنها دعاوى لا يعجز عن مثلها متحامق ، وليس فى إنجليهم شىء من هذه الأقسام[٤٦].

والثانى : أنها كلها محال ، لأن قول الملكية فى تمثيلهم بما مثلوا إنما هو عرض فى جوهر لا يجوز ولا يمكن إلا من عرض فى جوهر[٤٧] ولا يتوهم غير ذلك ، فالإله على قولهم عرض ، والإنسان جوهر وهذا فى غاية الفساد[٤٨].

وقول اليعقوبية : أفسد ، لأننا نقول لهم إن كان استحال الإله إنسانًا ، فالمسيح إنسان وليس إلهًا ، وإن كان الإنسان استحال إلهًا ، فالمسيح إله وليس بإنسان ، وإن كان كلاهما لم يستحل واحد منهما إلى الآخر فهذا قول النسطورية لا قولهم . وإن كان كل واحد منهما استحال إلى الآخر فقد صار الإله إنسانا لا إلهًا ، وصار الإنسان إلهًا لا إنسانًا ، وحصلوا بعد هذا الحمق على قول النسطورية ولا مزيد . وإن كانا استحالا إلى غير الإنسان والإله ، فالمسيح لا إله ولا إنسان ، وكل هذا خلاف قولهم .

وأما قول[٤٩] النسطورية : فلم يزيدوا على أن قالوا : إن الإنسان إنسان ، والإله إله . وهكذا كل فاضل وفاسق فى العالم هو إنسان والإله إله ، فالمسيح وغيره من الناس سواء .

وأيضًا فإنَّ ما قالوا محال ، لأن البارى عزَّ وجل[٥٠] الذى لم يزل لا يستحيل إلى طبيعة الإنسان المحدث ، ولا يستحيل المحدث إلها لم يزل ، وهذا محال بذاته لا يتشكل[٥١] وكذلك

(٤٤) لأن الخمر يمتزج بالماء ويخالطه ، فيصيران معاً شيئاً واحداً ، لا يمكن فصلهما إلا بعملية كيميائية .

(٤٥) والماء والزيت لا يمتزجان أبداً ، حيث يطفو الزيت فوق الماء ولا يتخلّله .

(٤٦) بل إن الأناجيل الأربعة التى فى أيديهم لم تذكر على لسان المسيح أو حوارييه أكثر من أنه رسول من عند الله ، وكان المسيح يقول عن نفسه أنه ابن الانسان ، وكان أتباعه يقولون له : يا معلم . ففى إنجيل لوقا : وسأله رئيس قائلا : أيها المعلم الصالح : ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله (الإصحاح الثانى عشر) .

(٤٧) العبارة من [لا يجوز ولا يمكن إلى جوهر] غير مذكورة فى (أ ، ب) .

(٤٨) لأنهم يقولون إن الله اتحد فى الإنسان كاتحاد النار فى الصفيحة المحماة ، والصفيحة جوهر وما اتصل بالحديدة من حرّ النار هو عرض .

(٤٩) كلمة [قول] سقطت من (أ ، ب) .

(٥٠) كلمة [البارى عز وجل] ليست مذكورة فى (أ ، ب) .

(٥١) فى (أ ، ب) [وهذا محال بذاته ممتنع لا يتشكك] .

الإنسان : لا يجاور الإله مجاورة مكانية ؛ لأنه محال أيضًا ، وكذا لا يتوهم ولا يمكن أن يكون الإله عرضًا يحمله جوهر الإنسان .

ولا يمكن أيضًا[٥٢] أن يكون الإنسان عرضًا يحمله الإله فى ذاته ، كما تدعى الملكية من[٥٣] تشبيه ذلك الاتحاد بضوء الشمس فى البيت ، وبالنار فى الحديدة المحماة ، فقد صح أنَّ كل ما قالوا محال وباطل وسخف لا يقبله إلَّا مخذول .

ولا يمكنهم ادعاء وجود شيء من هذا فى كتب الأنبياء أصلًا .

وأيضًا فإنهم يضيفون إلى ذكرهم الأب ، والإبن وروح القدس شيئًا رابعًا وهو الكلمة ، وهى المتحدة عندهم بالإنسان ، الملتحمة فى مشيمة مريم عليها السلام . فإنَّ أمانتهم التى اتفقوا عليها كلهم هى كما نورده نصًا : « نؤمن بالله الأب مالك كل شيءٍ ، صانع ما يرى وما لايرى ، وبالرَّب الواحد يسوع المسيح ، بكر الخلائق كلها ، وليس بمصنوع « الإله حق من الإله حق[٥٤]» من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت[٥٥] العوالم كلها وخلق كل شيء ، الذى من أجلنا معشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، وصار إنسانا ، وولد من مريم البتول ، وألم[٥٦] وصلب أيام « **قيطوش بلاطش**[٥٧]»، ودفن وقام فى اليوم الثالث ، كما هو مكتوب ، وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين الأب ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء . ونؤمن بروح القدس الواحد ، روح الحق الذى هو مشتق من أبيه روح محبة ، وبمعمودية[٥٨] واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة قدسية **سليحية جاثليقية** ، وبقيامة أبداننا ، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين .

وقال فى أول إنجيل « يوحنا التلميذ » : « فى البدء كانت الكلمة ، والكلمة عند الله ، والله كان الكلمة[٥٩]» .

قال « أبو محمد » رضى الله عنه : فهذه أقوال إذا تأملها ذو عقل علم أنها وساوس ،

(٥٢) سقطت كلمة [أيضا] فى النسخة (أ) وذكرت فى (ب) .
(٥٣) فى (أ ، ب) [فى] .
(٥٤) الذى عند النصارى فى صلاتهم : « إله حق من إله حق » .
(٥٥) فى (أ) : [انقنت] بالنون .
(٥٦) الذى عند النصارى فى صلاتهم : « وتألم » .
(٥٧) « بيلاطس » هو الحاكم الرومانى على اليهودية ، وهو الذى قدم إليه اليهود المسيح ليحاكمه فلما رأى بيلاطس أن المسيح لم يفعل شيئاً يمسّ سلطان الحاكم قال لليهود حاكموه أنتم حسب شريعتكم ، وجاء بطشت فيه ، وغسل يديه ، وقال أنا برىء من دم هذا البار ، فقال اليهود : دمه علينا وعلى أبنائنا (انجيل متى : الاصحاح :٢٧) .
(٥٨) فى (أ) [وبمعبودية] .
(٥٩) الذى فى إنجيل يوحنا : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » (الإصحاح الأول) .

أو جنون ملقًى من الشيطان لا يمتحن به إلَّا مخذول مشهودٌ له ببراءة الله تعالى منه .

ويقال لهم : الكلمة هى الأب ، أو الإبن أو روح القدس(٦٠)؟ أم شيء رابع ؟

فإن قالوا : شيء رابع . فقد خرجوا عن التثليث إلى التربيع .

وإن قالوا : إنها أحد الثلاثة . سئلوا عن الدليل على ذلك ؛ إذ الدعوى لا يعجز عنها أحد .

ثم يقال لهم : الأب هو الإبن أم هو غيره ؟

فإن قالوا : هو غيره . سئلوا أيضًا :

من الملتحم فى مشيمة مريم ، المتحد مع طبيعة المسيح ، الأب أم الإبن ؟ فإن قالوا : الإبن . فقد بطل أن يكون هو الأب .

وخالفوا « يوحنا(٦١)» إذ يقول فى أول إنجيله : إن الكلمة هى الله والتحمت(٦٢). فإذا كانت هى الله ، والكلمة التحمت فى مشيمة مريم فالله تعالى هو نفسه التحم فى مشيمة مريم فعلى هذا فالأب والإبن والكلمة كلهم التحموا فى مشيمة مريم(٦٣) وفى أمانتهم : أن الإبن هو الذى التحم فى مشيمة مريم .

وهذه وساوس لا نظير لها .

ويقال لهم أيضًا : هل معنى التحم إلَّا صار لحمًا ؟ وهذا غير قول النسطورية والملكية .

وإن قالوا : بل الأب ، فقد بطل أن يكون هو الإبن ، وخالفوا « يوحنا » والأمانة .

وإن قالوا : هو الأب وهو الإبن . تركوا قولهم : إن الإبن يقعد عن يمين أبيه ، وأن الأب يعلم وقت القيامة ، والإبن لا يعلمها ، وقولهم فى إنجيل « يوحنا » : الأب فوّض الأمر إلى ابنه(٦٤)، والأب أكبر من الإبن ، فهذه نصوص على أن الإبن غير الأب ، إذ لا يقعد المرء عن يمين نفسه ، ولا يفوض الأمر إلى نفسه ، ولا يجهل ما يعلم ، وهذا كله يبطل قولهم : إن الإبن هو العلم والقدرة

---

(٦٠) فى (ب) : [الكلمة هى أو الأب ، الإبن ، أو روح القدس] .

(٦١) يوحنا : ولد فى بيت « صيدا » من أعمال الجليل ، وكان المسيح يحبه ، وقد لبث يبشر بالمسيحية حتى توفى شيخا ، وفى أواخر أيامه ضعف وعجز عن الوعظ فلم يجد ما يقوله لسامعيه ، وكتب إنجيله ورسائله الثلاث ، وسفر الرؤيا باللغة اليونانية . [هامش الملل والنحل جـ ٢ ص ٣٧] .

(٦٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [والتحمت] .

(٦٣) سقطت العبارة من أول [فعلى هذا إلى مريم] من (أ ، ب) .

(٦٤) فى إنجيل يوحنا ، على لسان المسيح : « إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى ، ولكن إن كنت أعمل ، فان لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال ، لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىّ ، وأنا فيه » .

أو غير ذلك . لأن هذه الصفات لا تقعد عن يمين حاملة ، ولا يفوّض إليها شيء .

وإن قالوا : لا هو هو ، ولا[٦٥] هو غيره – دخل عليهم من الجنون ما يدخل على من ادّعى أنّ الصفات لا هى الموصوف ولا هى غيره .

وإن قالوا : الأب هو الإبن وهو غيره – لم يكن ذلك ببدع من سخافاتهم وخروجهم عن المعقول ، ولزمهم أن الإبن ابن لنفسه ، وأب لنفسه ، وأن الأب أب لنفسه وابن لنفسه ، وليس فى الحمق والهوس أكثر من هذا . ولا متعلق لهم بشيء مما فى « **الزبور**[٦٦] » ، ولا فى كتاب « **شعياء**[٦٧] » وغيره ، لأنه ليس فى شيءٍ منها أن المراد بما ذكر هنالك هو عيسى ابن مريم عليهما السلام .

وقد قال « لوقا[٦٨] » فى آخر إنجيله : « إنه كان نبيًّا مقتدرًا عبد الله[٦٩] » ، وهذا كله بيِّن عظيم مناقضتهم ، وما توفيقنا إلا بالله عزَّ وجل .

فإن تعلقوا بما فى الإنجيل من ذكر المسيح أنه ابن الله ، قيل لهم : فى الإنجيل أيضًا : أبى وأبيكم الله ، « إلهى وإلهكم » ، وأمرهم إذا دعَوْا أن يقولوا : يا أبانا السماوى ، فله من ذلك كالذى لهم ولا فرق .

فإن قالوا : إنه أتى بالعجائب . قيل لهم : **والحواريون**[٧٠] أيضًا عندكم أتوا بالعجائب ، وموسى قبله « **وإلياس**[٧١] » وسائر الأنبياء عليهم السلام قد أتوا بمثل ما أتى به من إحياء الموتى وغيره ، فأى فرق بينه وبينهم .

---

(٦٥) فى النسخة (ب) : [وإلّا] .

(٦٦) الزبور : كتاب الله المنزل على داود : عرفت الكلمة فى الشعر الجاهلى ، وورد ذكره فى القرآن غير مرة ، ويطلق عليه المفسرون أيضا اسم « مزامير داود » المعروفة لدى اليهود والمسيحيين . عرفت له ترجمة عربية فى تاريخ مبكر من القرن السادس الميلادى ، بذكر الكندى أجزاء منه فى رسالته (الموسوعة العربية الميسرة) .

(٦٧) اشعياء بن آموص ، صاحب أحد الأسفار الملحقة بالتوراة . ويقع فى ستة وستين إصحاحاً ، وهو عبارة عن رُؤى رآها ، وتنبؤات تنبأ بها ، وفيها وعيد لبنى إسرائيل بما يحل بهم من غضب الله وقد عاصر ملوك اليهود : عُزّيا ، ويوثام ، وآحاز ، وحِزْقيّا .

(٦٨) لوقا : ولد فى أنطاكية ودرس الطب ومارسه بنجاح ، ورافق « بولس » فى أسفاره وشاركه فى أعماله ، وهو كاتب سفر أعمال الرسل ، قتل فى حكم نيرون سنة ٧٠ م وكتب إنجيله باليونانية (هامش الملل والنحل جـ ٢ ص ٣٦) .

(٦٩) النص كما فى انجيل لوقا : « يسوع الناصرى الذى كان إنسانا نبيا مقتدرًا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب ٢٤ / ٢٠ » .

(٧٠) الحواريون : وهم اثنا عشر حواريا تتلمذوا للمسيح عليه السلام ، وهم : بطرس الذى اسمه سمعان ، وقد غيره المسيح وسماه بطرس ، واندراوس أخو بطرس ، ويعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه ، و « فيلبس » و « برثوكاوس » و « توما » و « متى العشار » و « يعقوب » بن حَلْفَى الملقب « تدَّاوس » ، و « سمعان » القانوِىّ ، و « يهوذا الاسخريوطى » الذى يقال إنه دل اليهود على المسيح ليلة أن قبضوا على المسيح ليحاكموه . وقد جاء ذكر الحواريين فى القرآن الكريم : (أنظر سورة المائدة : ١١٢ ، وسورة الصف : آخر آية فيها) .

(٧١) إلياس عليه السلام من أنبياء الله الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم ، وهو من ذرية إبراهيم عليه السلام (انظر سورة الأنعام : ٨٥ ، وسورة الصافات : ١٢٣) .

على أنه ليس فى شىء من الإنجيل نص الأمانة(٧٢) التى لا يصح الإيمان عندهم إلَّا بها من ذكر أب وابن وروح القدس معًا وسائر ما فيها . وإنما هى تقليد لأسلافهم من الأساقفة ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وأمانتهم التى ذكروا أنهم متفقون عليها موجبة أن الإبن هو الذى نزل من السماء وتجسّد من روح القدس ، وصار إنسانًا ، وقتل وصلب ، فيقال لهم : هذا الإبن الذى فى أمانتكم أنه نزل من السماء وتجسّد من روح القدس ، وصار إنسانًا ، أخبرونا قبل أن ينزل من السماء أمخلوقًا كان أو غير مخلوق ؟ أم كان لم يزل ، فإن قالوا : كان مخلوقًا . فقد تركوا قولهم : لاسيما إن قالوا : إنه ليس هو غير الأب . بل يصير الأب وروح القدس مخلوقين .

وإن قالوا : كان قبل أن ينزل غير مخلوق . قيل لهم : فقد صار مخلوقًا إنسانًا . وهذا محال وتناقض .

وأيضًا فقد لزم من هذا أن الإبن مخلوق ، وروح القدس مخلوق ، إذ صار إنسانًا ، ثم يقال لهم : أخبرونا عن هذا الإبن الذى أخبرتم عنه بما لم تخبروا عن الأب ، والذى يقعد عندكم عن يمين أبيه(٧٣)، ثم ينزل لفصل القضاء(٧٤) أَلَه علم وحياة أم لا علم له ولا حياة .

فإن قالوا : لا علم له ولا حياة ، فارقوا إجماعهم ، ولزمهم ضرورة إنْ قالوا مع ذلك إنه غير الأب الذى له حياة وعلم ، إذ ما لا علم له هو بلا شك غير الذى له علم ، والذى لا حياة له هو بلا شك غير الذى له حياة . وهذا ترك منهم للنصرانية .

وإن قالوا : بل له علم وحياة لزمهم أن الأزليين خمسة . الأب وعلمه وحياته ، والإبن الذى هو علم الأب وعلمه وحياته ، وهكذا يسألون أيضًا عن روح القدس ، ولا فرق .

وقد قال « يوحنا » فى أول إنجيله : فمن تقبله منهم وآمن به أعطاهم سلطانًا أن يكونوا أولاد الله ، أولئك المؤمنون باسمه الذين لم يتوالدوا من دم ولا شهوة اللحم ، ولا باه رجل ، ولكن توالدوا من الله(٧٥).

---

(٧٢) الأمانة : هى أشبه بشهادة التوحيد عند المسلمين ، وهى ليست فى الأناجيل الأربعة ، وإنما هى من تلفيقات رجال الكنيسة ، وقد ذكر المؤلف نصها فى ص ٩٥ من هذه المسوّدة .

(٧٣) فى (أ ، ب) [عن يمين الرب] .

(٧٤) فى إنجيل متى على لسان المسيح : « وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء » (الإصحاح : ٢٦) .. وفى إنجيل متى أيضا وعلى لسان المسيح : « ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء ، فيضم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره ... » (الإصحاح : ٢٥) .

(٧٥) الذى فى إنجيل « يوحنا » على لسان المسيح ، وهو يتحدث عن نفسه : « وأما الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يكونوا أولاد الله ، أى المؤمنون به ، الذين ولدوا ليس من دم ، ولا من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة رجل ، بل من الله » (الاصحاح الأول : ١٣)

فصح بهذا أن لكل نصرانى من ولادة الله والأزلية[٧٦]، والكون من جوهر الأب كالذى للمسيح سواء بسواء . ولا فرق .

وإلّا فقد كذب « يوحنا » اللعين قائل هذا الكفر ، وأهل الكذب هو . وهذا ما لا انفكاك منه .

وهذا يلزم الأشعرية الذين يقولون بأن علم الله تعالى وقدرته هما غير الله . تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا .

وممّا يعترض به علينا اليهود والنصارى ومن ذهب إلى إسقاط **الكواف**[٧٧] من سائر الملحدين : أن قال قائلهم : قد نقلت اليهود والنصارى أن المسيح عليه السلام قد صلب وقتل ، وجاء القرآن بأنه ﷺ لم يقتل ولم يصلب . فقولوا لنا كيف كان هذا ؟

فإن جوّزتم على هذه الكواف العظام المختلفة الأهواء والأديان والأزمان ، والبلدان والأجناس نقل الباطل ، فليست بذلك أولى من كافتكم التى نقلت أعلام نبيكم وشرائعه وكتابه .

فإن قلتم[٧٨]: اشتبه عليهم ، فلم يتعمدوا[٧٩] نقل الباطل ، فقد جوّزتم التلبيس على الكواف ، فلعل كافتكم أيضًا ملتبس عليها . فليس سائر الكواف أولى بذلك من كافتكم .

وقولوا لنا[٨٠]: كيف فرض الإقرار بصلب المسيح عندكم قبل ورود الخبر عليكم ببطلان صلبه وقتله . فإن قلتم كان الفرض على الناس الإقرار بصلبه – وجب من قولكم : الإقرار[٨١] أن الله تعالى فرض على الناس الإقرار بالباطل ، وأن الله تعالى فرض على الناس تصديق الباطل والتدين به ، وفى هذا ما فيه .

وإن قلتم كان الفرض عليكم الإنكار لصلبه ، فقد أوجبتم أن الله تعالى فرض على الناس تكذيب الكواف ، وفى هذا إبطال قول كافتكم ، بل إبطال جميع الشرائع ، بل إبطال كل خبر كان فى العالم عن كل بلد وملك ونبى وفيلسوف وعالم ووقعتم – وفى هذا ما فيه .

---

(٧٦) (هكذا فى الأصل . وأرجح أن تكون [كل] بدون لام الجر) المعنى أن لكل نصرانى نسبة الولادة من الله والأزلية والكون من جوهر الأب ...

(٧٧) الكوافّ : جمع للكافة ، أى الغالبية العظمى فى الناس ، والمراد بإسقاط الكواف إسقاط أخبارهم ، وعدم الأخذ بها ، وهذا ما يقضى العقل ببطلانه ، لأن إجماع الناس على خبر واحد ، مع اختلاف مذاهبهم وأوطانهم وأزمانهم يقضى بصحة هذا الخبر .

(٧٨) خطاب من اليهود والنصارى فى الاحتجاج على المؤمنين .

(٧٩) فى النسخة (أ) [فلم يعتمدوا] .

(٨٠) خطاب من اليهود والنصارى أيضًا فى الاحتجاج على المؤمنين .

(٨١) « الإقرار » فاعل للفعل « وجب » وهى مذكورة فى (أ ، ب) ولم تذكر فى (خ) .

قال « أبو محمد » رضى الله عنه : هذه الإلزامات كلها فاسدة فى غاية الحوالة(٨٢) والاضمحلال بحمد الله تعالى . ونحن مبينون ذلك بالبراهين الضرورية بيانًا لا يخفى على من له أدنى فهم بحول الله تعالى وقوته .

فنقول وبالله التوفيق : إن صلب المسيح عليه السلام لم يقله قط كافَّةً ، ولا صحَّ بالخبر قط ؛ لأن الكافّة التى يلزم قبول نقلها هى : **إمّا الجماعة التى** يوقن أنها لم تتواطأ(٨٣) لِتَنَابُذِ طرقهم(٨٤)، وعدم التقائهم ، وامتناع اتفاق خواطرهم على الخبر الذى نقلوه عن مشاهدة ، أو رجع إلى مشاهدة ولو كانوا اثنين فصاعدًا .

وإمّا أن يكون عدد كثير يمتنع منه الاتفاق فى الطبيعة على التمادى على سنن ما تواطئوا عليه ، فأخبروا بخبر شاهدوه ولم يختلفوا فيه ، فما نقله أحد أهل هاتين الصفتين عن مثل إحداهما وهكذا حتى يبلغ إلى مشاهدة ، فهذه صفة الكافة التى يلزم قبول نقلها ، ويضطر خبرها سامعها(٨٥) إلى تصديقه ، وسواء كانوا عدولًا أو فساقًا أو كفَّارًا وما عدا هذا من الخبر فليس كافة ، ولا يضطر سامعه إلى تصديقه ، وسواء أكانوا عدولًا أم غير عدول(٨٦) ولا يقطع(٨٧) على صحته إلا ببرهان . فلما صح ذلك نظرنا فيمن نقل خبر صلب المسيح عليه السلام فوجدناه كواف عظيمة صادقة بلا شك فى نقلها جيلًا بعد جيل إلى الذين ادّعوا مشاهدة صلبه . فإنَّ هنالك تبدّلت الصفة ورجعت إلى شُرَطٍ مأمورين مجتمعين مضمون منهم الكذب وقبول الرشوة على قول الباطل(٨٨).

والنصارى مقرون(٨٩) بأنهم لم يقدموا على أخذه نهارًا خوف العامة ، وإنما أخذوه ليلًا عند افتراق الناس عن الفصح ، وأنه لم يبق فى الخشبة(٩٠) إلَّا ست ساعات من النهار ، وأنه أنزل إثر ذلك ، وأنه لم يصلب إلَّا فى مكان نازح عن المدينة فى بستان فخار متملك للفخار ، ليس موضعًا معروفًا بصلب من يصلب ولا موقوفًا لذلك ، وأنه بعد هذا كله رُشِيَ(٩١) الشُّرَط

(٨٢) الحوالة : أى الاستحالة .
(٨٣) فى النسخة (أ) تتوطأ .
(٨٤) أى لم يقع بينها تواطؤ على أمرٍ ما لاختلاف فى مذاهبهم فى هذا الأمر ، فإذا اجتمعوا جميعًا على قول واحدٍ فى أمرٍ ما – مع تفرق مذاهبهم – كان هذا الأمر أقرب إلى القبول والأخذ به .
(٨٥) لعل « سامعها » أن تكون « سامعه » أو « سامعيه » .
(٨٦) فى (أ ، ب) : سقطت العبارة من قوله : [وماعدا هذا – إلى – غير عدول] .
(٨٧) معنى يقطع هنا : يطعن أى ولا يطعن على صحة هذا الخبر إلا ببرهان .
(٨٨) أى أن نقل أخبار الصلب صحيحة ، ولكن المصدر الأول الذى نقل عنه هذا الخبر هو المطعون فيه ، إذ كان مرجعه إلى شرطة مجتمعين يمكن أن يتواطؤوا على الكذب وشهادة الزور ، فنقل عنهم هذا الزور .
(٨٩) فى (أ) : يقرّون .
(٩٠) أى خشبة الصلب التى قيل إنه صلب عليها .
(٩١) أى قدمت لهم رشوة فحُملوا على أن يقولوا إن أهله سرقوه .

على أن يقولوا إن أصحابه سرقوه ففعلوا ذلك ، وأن **مريم المجدلانية**[٩٢] وهى امرأة من العامة[٩٣] لم تقدم على حضور[٩٤] موضع صلبه ، بل كانت واقفة على بعد تنظر ، هذا كله فى نص الإنجيل عندهم[٩٥] فبطل أن يكون صلبه منقولًا بكافة ، بل بخبر يشهد ظاهره على أنه مكتوم متواطأ عليه .. وما كان الحواريون ليلتذ بنص الإنجيل إلا خائفين على أنفسهم ، غُيَّبًا عن ذلك المشهد ، هاربين بأرواحهم مستترين[٩٦]. وأنَّ « **شمعون**[٩٧] **الصفا** » غرَّر ودخل دار « **قيقان** » الكاهن أيضًا بضوء النهار فقال له : أنت من أصحابه فانتفى وجحد ، وخرج هاربًا عن الدار . فبطل أن ينقل خبرَ صلبه أحدٌ تطيب النّفس عليه على أن تظن[٩٨] به الصدق . فكيف أن ينقله كافة . وهذا معنى قوله تعالى : « ولكن شُبِّه لهم[٩٩]» . إنما عنى بذلك تعالى[١٠٠]: أنّ أولئك الفساق الذين دبّروا هذا الباطل وتواطئوا عليه ، هم شبهوا على من قلّدهم . فأخبروهم أنهم صلبوه وقتلوه وهم كاذبون فى ذلك ، عالمون أنهم كذبة . ولو أمكن أن يشبه ذلك على ذى حاسة سليمة لبطلت النبوات كلها ، إذ لعلها شبهت على الحواس السليمة[١٠١] ولو[١٠٢] أمكن ذلك لبطلت الحقائق كلها ، ولأمكن أن يكون كل واحد منا يشبه عليه فيما يأكل ويلبس ، وفيمن يجالس ، وفى حيث هو[١٠٣] فلعله نائم أو مشبه على حواسه . وفى هذا خروج إلى السخف ، وقول السفسطائية والحماقة .

وقد شاهدنا نحن مثل ذلك ، وذلك أننا أندرنا[١٠٤] للجبل لحضور دفن المؤيد هشام ابن الحكم المستنصر فرأيت أنا وغيرى نعشا فيه شخص مكفن ، وقد شاهد غسله رجلان شيخان

---

(٩٢) مريم المجدلية : قديسة مسيحية ، من أوائل من رأين المسيح عند قيامه من الأموات كما فى إنجيل متى ٢٧ : ٥٦ – ٦١ ، وإنجيل مرقس ١٥ : ٤٧ ، ١٦ . وإنجيل لوقا : ٨ ، ٢ ، ٢٤ . وإنجيل يوحنا ٢٩ / ٢٥ ، ٣٠ . شفاها المسيح من مرضها وكانت بالقرب منه عند صلبه ، أجمعت الآثار على أنها المرأة الزانية التائبة التى مسحت قدمى يسوع بالعطر (لوقا ٢ / ٣٦ – ٥٠) يرمز بها للتوبة ، ومن هنا صار اسم المجدلية ، كانت قصتها باعثة على رسم لوحات فنية ممتازة . (راجع الموسوعة العربية الميسرة – ص ١٦٩٠ – إشراف محمد شفيق غربال – القاهرة – دار القلم ١٩٥٩ م) .

(٩٣) فى (أ) سقطت « لم » .

(٩٤) فى (أ) (حضورمه) .

(٩٥) الذى فى إنجيل مرقس : « وكانت أيضًا نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ، ويُوسِى وسالومة ، اللواتى أيضًا تبعنه وخدمنه حين كان فى الجليل (الإصحاح ١٥ / ٤١ ، ٤٢) .

(٩٦) فى إنجيل متى خبر عن بطرس – أحد الحواريين – حين أخذ المسيح للمحاكمة ، وهذا الخبر يقول : « وأما بطرس فكان جالسا خارج الدار – دار رئيس الكهنة – الذى يحاكم المسيح فجاءته جارية وقالت : وأنت كنت مع يسوع الجليلى فأنكر ذلك قدّام الجميع وقال : لا أعرف ما تقولين » (إنجيل متى – إصحاح ٢٦) .

(٩٧) شمعون الصفا : هو أحد الحواريين الإثنى عشر ، واسمه سَمْعان ، وقد سماه المسيح بطرس .

(٩٨) فى (ب) : « نظن » بالنون بدلًا من التاء .

(٩٩) الآية : ١٥٧ من سورة النساء .

(١٠٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « بذلك » .

(١٠١) فى (أ) [السلمية] .

(١٠٢) سقطت [الواو] فى (أ) .

(١٠٣) أى فى وجوده ذاته .

(١٠٤) لعلها أتينا للجبل . وفى (خ) [انذرنا الجفل] .

جليلان حكيمان من حكام المسلمين ، ومن عدول القضاة في بيت ، وخارجَ البيت أبى رحمه الله وجماعة عظماء البلد ، ثم صلينا فى ألوف من الناس عليه . ثم لم يلبث إلَّا[١٠٥] شهورًا نحو السبعة حتى ظهر حيًّا ، وبويع بعد ذلك بالخلافة . ودخلت عليه أنا وغيرى وجلست بين يديه ورأيته ، وبقى ثلاثة أعوام غير شهرين وأيام .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأما قوله[١٠٦] قد جوزتم التمويه على الكافة فقد بينا أنها لم تكن كافة قط ، وحتى لو صح أنها كانت[١٠٧] كافة فكيف[١٠٨] لا يجوز ذلك فى كل آية تحيل الطبائع والحواس ؟ فهو ضرورة لا يحمل على الممكنات ، فلو صحّ أنها كانت كافة لكان خبر الله تعالى إنه شُبِّه لهم حاكماً على حواسهم ومحيلًا لها كخروج النبى ﷺ ليلة هاجر بحضرة مائة رجل من قريش ، وقد حجب الله سبحانه أبصارهم عنه فلم يروه .

وأما ما لم يأت خبر عن الله عزَّ وجل بأنه شُبِّه على الكافة فلا يجوز أن يقال ذلك[١٠٩] لأنه قطع بالمحال[١١٠]، وإحالة طبيعة ، وإحالة الطبائع لا تدخل فى الممكن إلا أن يأتى بذلك بقين عن الله عزَّ وجل فيلزم قبوله .

وأمّا التشبيه على الواحد والاثنين ونحو ذلك فإنه جائز ، وكذلك فَقدُ العقل والسخافةُ يجوز ذلك على الواحد والاثنين ونحو ذلك ، ولا يجوز على الجماعة كلها .

وقوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم[١١١]» إنما هو إخبار عن الذين يقولون بتقليد أسلافهم[١١٢] من النصارى واليهود : أنه عليه السلام قتل وصلب ، فهؤلاء شُبِّه لهم القول أى أُدخلوا فى شبهة منه . وكان المشبهون لهم شيوخ السوء فى ذلك الوقت وشُرَطهم المدَّعون لهم[١١٣] أنهم قتلوه وصلبوه وهم يعلمون أنه لم يكن ذلك ، وإنما أَخذوا من أمكنهم فقتلوه ، وصلبوه فى استتار ومنع من حضور الناس ، ثم أنزلوه ودفنوه تمويهًا على العامة الذين شُبِّه لهم الخبر[١١٤].

(١٠٥) سقطت إلَّا فى النسخة (أ) .
(١٠٦) الأصح أن تكون اللفظة « قولهم » أى اليهود والنصارى الذين هم أصحاب هذا الحجاج .
(١٠٧) سقطت كلمة [كانت] من (أ ، ب) .
(١٠٨) فى (خ) [ولا يجوز ذلك] بغير كلمة [فكيف] .
(١٠٩) المعنى أنّ هذا الخبر بصلب المسيح الذى تواردت عليه الكافة ، فإنه قد يكون موضع تصديق ما لم يأت خبر من الله تعالى بأنه شبه على الكافة .
(١١٠) فى (أ ، ب) [على المحال] .
(١١١) النساء : ١٥٧ .
(١١٢) فى (أ ، ب) [تقليدًا لأسلافهم] .
(١١٣) سقطت [لهم] فى (أ ، ب) .
(١١٤) فى (أ ، ب) [التى تشبه الخبر لها] وقصة صلب المسيح كما وردت فى الأناجيل تقطع بأن الذى صلب لم يكن المسيح ، لأن هذا الذى صلب على أنه المسيح ، كان قد صلب بين لصين ، وكان يصرخ فى جزع شديد ، حتى إن اللصين كانا يتهكمان عليه ويسخران منه . ! ففى إنجيل مرقس : « وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : أَلُوِى ، أَلُوِى لماذا سبقتنى ، الذى تفسيره : إلَهى إلَهى =

ثم نقول لليهود والنصارى بعد أن بينا بحول الله وقوته فساد ما شغبوا به[١١٥] فى هذه المسألة : إنَّ كوافّكم قد نقلت عن بعض أنبيائكم فسوقًا ووطء إماء وهو حرام عندكم ، وعن هارون عليه السلام : أنه هو الذى عمل العجل لبنى إسرائيل وأمرهم بعبادته والرقص أمامه[١١٦]، وقد نزه الله تعالى الأنبياء عليهم السلام عن عبادة غيره ، وعن الأمر بذلك ، وعن كل معصية ورذيلة ، فإذا جوَّزوا كلهم هذا على أنبياء منهم موسى عليه السلام وسائر الأنبياء كان كل ما أمروهم به من جنس عمل العجل والرقص والأمر بعبادته ، ومن جنس وطء الإماء وسائر ما نسبوه إلى داود وسليمان عليهما السلام ، وسائر أنبيائهم لا سيما وهم يقرون بأن العجل كان يخور بطبعه .

وأمّا نحن فجوابنا فى هذا كله بأن ليس شىء منه نقل كافة ، ولكن نقل آحاد كذبوا فيه ، وأمّا[١١٧] خوار العجل فإنما هو على ما روينا عن **ابن عباس**[١١٨] رضى الله عنه من أنه إنما كان صفير الريح تدخل من فيه وتخرج من دبره ، لا أنه خار بطبعه قط ، وحتى لو صح أنه خار بطبعه لكان ذلك من أجل القوة التى كانت فى القبضة التى قبضها **السامرى**[١١٩] من أثر جبريل عليه السلام ، والذى يعتمد عليه قول ابن عباس رضى الله عنه الذى ذكرناه[١٢٠]، وبالله تعالى التوفيق .

وأمّا قوله : كيف كان الغرض قبل ورود النص ببطلان صلبه ؟ الإقرار بصلبه أم الإنكار له ؟

= لماذا تركتنى ؟ » (الإصحاح الخامس عشر :٢٤) وفى إنجيل متى مثل هذا النص (الإصحاح السابع والعشرون : ٤٥) .. أفهذا الجزع والصراخ يكون ممن أقاموه إلّها ، أو ابن إلّه ؟ إن كثيرا من الشهداء استقبلوا الموت فرحين مستبشرين .

(١١٥) فى (أ ، ب) [بيان ما شنعوه] .

(١١٦) فى التوراة جاء هذا النص : « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل – حيث كان فى ميقات ربه – اجتمع الشعب على هرون ، وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هرون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنع عجلًا مباركا ، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك مصر ... » (سفر الخروج : ٣٢) .

(١١٧) فى (أ) « حوار » بالحاء المهملة .

(١١٨) ابن عباس (٣ هـ – ٦٨ هـ) : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى أبو العباس حبر الأمة الصحابى الجليل ، ولد بمكة ونشأ فى بدء عصر النبوة ، وشهد مع الإمام على موقعة الجمل وصفين ، وكف بصره فى آخر عمره فسكن الطائف ، وتوفى بها . له فى الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثا . ينسب إليه كتاب فى التفسير ، جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه فى كل آية ، فجاء تفسيرًا حسنا وأخباره كثيرة (معجم الأدباء جـ ٤ ص ٢٢٨) .

(١١٩) السامرى : إسرائيلى أضل قومه فى غياب موسى ، فقد أمرهم أن يقذفوا بحليهم فى النار ، وأخرج لهم عجلًا جسدًا من ذهب عبدوه برغم تحذير هارون عليه السلام لهم (الموسوعة العربية الميسرة) . وفى هذا يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام : « قال فما خطبك يا سامرى ، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى » (طه : ٩٥ ، ٩٦) . وقبل هذا يقول الله تعالى : « قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ، ولكنا حملنا أوزارًا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار ، فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى » (طه : ٨٧ ، ٨٨) .

(١٢٠) وهذا الخبر ذكره ابن كثير فى تفسيره بسنده حـ ٣ : ١٦٢ ، وذكره القرطبى أيضاً فى تفسيره حـ ٢٣٥/١١ .

فهذه قسمة فاسدة شغبية قد حذَّر منها الأوائل كثيرًا ، ونبه عليها أهل المعرفة بحدود الكلام ، وذلك أنهم أوجبوا فرضًا ثم قسموه على قسمين : إمَّا فرض بإنكار وإمّا فرض بإقرار ، وأضربوا عن القسم الصحيح فلم يذكروه ، وهذا لا يرضى به لنفسه إلَّا جاهل أو سخيف مغالط غابن لنفسه غاشٌ لمن اغتر به . وإنما الحقيقة هاهنا أن يقول :

هل لزم[١٢٠] الناس قبل ورود القرآن فرض بالإقرار بصلب المسيح أو بإنكار صلبه ، أو لم يلزمهم فرض بشيء من ذلك ؟

فهذه هى القسمة الثابتة من[١٢١] السؤال الصحيح .

وحق الجواب : أنه لم يلزم الناس قط قبل ورود القرآن فرض بشيء من ذلك لا بإقرار ولا بإنكار ، وإنما كان خبرًا لا يقطع العذر ولا يوجب العلم الضرورى ، ممكن صدق قائله ، فقد قتل أنبياء كثيرة ، وممكن أن يكون ناقله كذب فى ذلك ، وهو بمنزلة شيء مغيب فى دار . فيقال لهذا المعرِّض بهذا السؤال الفاسد : ما الفرض على الناس فيما فى هذا الدار ؟ الإقرار بأن فيها رجلًا أم الإنكار لذلك ؟ فهذا كله لا يلزم منه شيء ، ولم ينزل الله عزَّ وجل كتابًا قبل القرآن بفرض إقرار بصلب المسيح ﷺ ولا بإنكاره . وإنما لزم[١٢٢] الفرض بعد نزول القرآن بتكذيب الخبر بقتله وصلبه[١٢٣]. فإن قالوا : قد نقل الحواريون صلبه ، وهم أنبياء وعدول .

قيل لهم : وبالله التوفيق .

الناقلون لنبوتهم وإعلامهم ، ولقولهم بصلبه عليه السلام هم الناقلون عنهم الكذب فى نسبه ، والقول بالتثليث الذى من قال به فهو كاذب على الله تعالى مفتر عليه كافر به .

فإن كان الناقل لذلك عنهم صادقًا ، أو كانوا كافة ، فما كان « يوحنا » و« متّى[١٢٤] » و« بولس » إلَّا كفارًا كاذبين . وما كانوا قط من صالحى الحواريين[١٢٥].

وإن كان ناقل ما ذكرنا عنهم كاذبًا فالكاذب لا يقوم بنقله حجة . فبطل التمويه المتقدم . والحمد لله رب العالمين .

---

(١٢١) فى (أ ، ب) [يلزم] .

(١٢٢) فى (أ، ب) [الصحيحة والسؤال] .

(١٢٣) فى النسخة (ب) [ألزم] .

(١٢٤) فى (أ ، ب) [بصلبه] بدون كلمة [بقتله] .

(١٢٥) متّى : ويدعى « لاوى » بن « حلفى » من « خان الجليل » ، وكان من العاشرين (جباة العشور للدولة الرومانية) فى « كفر ناحوم » من أعمال الجليل بفلسطين وما حولها ، كان اليهود يحقرون تلك الوظيفة لظلم صاحبها وخضوعه لدولة أجنبية ، غير أن المسيح اختاره تلميذًا من تلاميذه ، ولما صعد المسيح جال للتبشير فى بلاد كثيرة ، وقد قتل بإثيوبيا سنة ٦٢م وكتب إنجيله بالعبرية (راجع هامش الملل والنحل للشهرستانى فى جـ ٢ ص ٣٦) .

طبيعة المسيح

وقال متكلموهم : إن الاتحاد المذكور إنما هو تقليد للإنجيل ، ولم يكن نقله ولا حركة ، ولا فارق البارى ولا العلم ما كانا عليه ولا انتقلا .

فيقال لهم : هذا إبطال للاتحاد ، وقول منكم بأن حظه وحظ غيره فى ذلك سواء وخلاف لأمانتكم التى فيها أن الإبن نزل من السماء ، وتجسّد وولد ، وقتل ودفن .

وقالت طائفة منهم : المسيح حجابٌ خاطبنا الله تعالى منه(١٢٦):

فيقال لهم : أنتم تقولون إن المسيح رب معبود ، وإله خالق ، والحجاب عندكم مخلوق ، والمسيح عند بعضكم طبيعة واحدة ، وعند بعضكم طبيعتان ناسوتية ولاهوتية . فأخبرونا أتعبدون الطبيعتين معًا اللاهوتية والناسوتية أم تعبدون إحداهما دون الأخرى ؟

فإن قالوا : نعبدهما جميعًا أقروا بأنهم يعبدون إنسانًا وحجابًا مخلوقًا مع الله تعالى . وهذا أقبح ما يكون من الشرك .

وإن قالوا : بل نعبد اللاهوت وحده قيل لهم فإنما تعبدون نصف المسيح لا كله لأنه طبيعتان عندكم(١٢٧) ولستم تعبدون الَّا إحداهما دون الأخرى .

وكذلك يسألون عن موت المسيح وصلبه ؟

فمن قول الملكية والنسطورية : إن الموت والصلب إنما وقع على الناسوت خاصة . فيقال لهم : فأنتم فى قولكم « مات المسيح وصلب » : كاذبون ، لأنه إنما مات نصفه فقط وصلب نصفه فقط ، لأن اسم المسيح عندكم واقع على اللاهوت والناسوت كليهما معًا لا على أحدهما دون الآخر .

وكل من قال من اليعقوبية : الإنسان والإله شيء واحد فإنه يلزمه أن يعبد إنسانًا لأنه إذا عبد الإله ، والإله هو الإنسان فقد عبد إنسانًا وربه إنسان مخلوق .

وكل من قال منهم : الإله غير الإنسان فقد أبطل الاتحاد . وهكذا يقال لهم فى الحجاب

---

(١٢٦) لأن هذا المنقول عنهم وافتراه على الله كان الناقل عنهم صادقًا فيما نقل حكم عليهم بأنهم كذبة كفار . . وأما وهم الحواريون ، فإن الناقل عنهم كاذب . .

(١٢٧) فى (أ ، ب) [حجاب الله خاطبنا الله تعالى منه] .

مع الله تعالى سواء بسواء ، ويلزمهم جميعهم إذ قد أقروا بعبادة المسيح هكذا جملة ، وأنه رب خالق ، وفى الإنجيل إنه جاع وأكل الخبز والحيتان[١٢٨] وعرق ، وضُرب – أن ربهم أكل وجاع ، وأن الإله ضرب ولطم وصلب وكفى بهذا رذالة وفحش قول وبيان بطلان .

ويقال للملكية واليعقوبية القائلين : بأن المسيح ابن الله وابن مريم وقد أقررتم أن المسيح إنسان وإله ، فالإنسان هو ابن الله وابن مريم ، والإله هو ابن مريم وابن الله[١٢٩] وهذه غاية الشناعة .

فإن قالوا : ما تقولون فيما فى كتابكم : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحيا أو من وراء حجاب[١٣٠]». وأنه تعالى كلم موسى من جانب **الطور**[١٣١] من الشجرة من شاطىء الوادى .

قلنا : التكليم فعل الله تعالى مخلوق ، والحجاب إنما هو للتكليم ، والتكليم هو الذى حدث فى الشجرة وشاطىء الوادى ، وجانب الطور ، وكل ذلك مخلوق محدث وكذلك تحوّل جبريل عليه السلام فى صورة **دحية**[١٣٢] إنما هو أن الله تعالى جعل للملائكة والجن قوى يتحولون بها فيما شاءوا من الصور ، وكلهم مخلوق تعاقب عليهم الأعراض بخلاف الله تعالى فى ذلك .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ووما يعترض به على النصارى – وإن كان ليس برهانًا ضروريًا لكنه يقرب من فهم كل ذى فهم ، وينقض عليهم به جميع شرائعهم نقضًا ضروريًا[١٣٣] على جميعهم لكنه برهان ضرورى على كل من تقلد منهم الشرائع التى يعمل بها الملكيون والنساطرة واليعاقبة والمارونية[١٣٤] – قاطع لهم ، وهى مسألة جرت لنا مع بعضهم ، وذلك أنهم لا يخلون من

(١٢٨) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [عندكم] .

(١٢٩) فى إنجيل لوقا : ولما كانت الساعة – اى المسيح – والإثنى عشر رسولًا معه ، وقال لهم – شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم » (الإصحاح : ٢٣) .

وفى إنجيل لوقا أيضًا أن المسيح بعد أن خرج فى اليوم الثالث من قبره – كما يزعمون – دخل على تلاميذه : « وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون ، قال لهم أعندكم ها هنا طعام ، فناولوه جزءاً من سمك مشوى وشيئًا من شهد عسل ، فأخذوا أكل قدامهم » (الإصحاح : ٢٤) .

(١٣٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « وابن الله » .

(١٣١) سورة الشورى : آية ٥١ .

(١٣٢) الطور : بلدة بمصر فى شبه جزيرة سيناء على خليج السويس جنوبى جبل موسى بها محجر صحى للحجاج . و « طور سينين » ورد ذكره فى القرآن ، وفى جوار جبل الطور حيث كلم الله موسى قبل أن يبعثه تعالى إلى فرعون . ويقوم « دير سانت كاترين على الجانب الشمالى من الجبل » [الآن جبل موسى] فى الوادى الذى يعرف فى الوقت الحاضر بجبل شعيب .

وقال الفلقشندى : إن الطور كانت أهم ثغر مصرى لسفن الحجيج إلى مكة حتى سنة ٤٥٠ هـ وهناك حلت محلها مدينة « عيذاب » ولم يصلح ثغر الطور إلا سنة ٧٨٠ هـ ، ومن ثم عاد الحجاج إلى اتخاذ الطريق الشمالى منه . (دائرة المعارف الإسلامية – مادة طور) .

وقد ورد ذلك فى سورة « مريم » حيث يقول الله تعالى : « وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا – مريم : ٥٢ » . وفى سورة القصص : « فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى : إلى أنا الله رب العالمين – آي٣٠) .

(١٣٣) دحية : هو الصحابى الجليل دحية الكلبى ، وكان جبريل عليه السلام يأتى النبى ﷺ فى صورة بشر ، على صورة دحية الكلبى .

(١٣٤) سقطت العبارة من أول [لكنه إلى ضروريا] من (أ ، ب) .

أحد وجهين ؛ إمّا أن يكونوا يقولون ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام ، وإمّا أن يقولوا بإمكانها بعده عليه السلام .

فإن قالوا بإمكان النبوة بعده عليه السلام لزمهم الإقرار بنبوة محمد ﷺ إذ ثبت نقل أعلامه بالكواف التى بمثلها نقلت أعلام عيسى وغيره عليهم الصلاة والسلام ، وإن قالوا ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام لزمهم ترك جميع شرائعهم من صلاتهم ، وتعظيمهم الأحد ، وصيامهم ، وامتناعهم من اللحم ومناكحهم ، وأعيادهم ، واستباحتهم الخنزير والميتة ، والدّم ، وترك الختان ، وتحريم النكاح على أصل المراتب[١٣٥] فى دينهم ، إذ كل ما ذكرنا ليس منه فى أناجيلهم الأربعة شىء ألبتة ، بل أناجيلهم مبطلة لكل ما هم عليه اليوم ، إذ فيها أنه عليه السلام قال : « لم آت لأغير شيئًا من شرائع التوارة[١٣٦]». وأنه كان يلتزم هو وأصحابه بعده السبت ، وأعياد اليهود من الفصح وغيره[١٣٧]، بخلاف كل ما هم عليه اليوم ، فإذا منعوا من وجود النبوة بعده وكانت الشرائع لا تؤخذ إلّا عن الأنبياء عليهم السلام ، وإلّا فإنّ شارعها عن غير الأنبياء عليهم السلام حاكم على الله تعالى وهذا أعظم ما يكون من الشرك والكذب والسخف ، فشرائعهم التى هى دينهم غير مأخوذة عن نبى أصلًا فهى معاص مفتراة على الله عزّ وجل بيقين لا شك فيه . وبالله تعالى التوفيق[١٣٨].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا حين نبدأ بعون الله وتوفيقه وتأييده إن شاء الله لا إله إلّا هو فى تبيين أن الواحد ليس عددًا فنقول وبالله تعالى التوفيق .

« إن خاصة العدد هو أن يوجد عدد آخر مساو له ، وعدد آخر ليس مساويًا له ، هذا شىء لا يخلو منه عدد أصلًا » .

والمساواة هى : أن تكون أبعاضه كلها مساوية له إذا جزئت ، ألا ترى أن الفرد والفرد مساويان للاثنين ، وأن الزوج والفرد ليسا مساويين للزوج الذى هو الاثنان . والخمسة مساوية للاثنين والثلاثة ، غير مساوية للثلاثة وهكذا كل عدد فى العالم ، فهذا معنى قولنا : إن المساوى وغير المساوى هو خاصة العدد ، وهذه المساواة أردنا لا غيرها ، فلو كان للواحد أبعاض مساوية له لكان كثيرًا بلا شك ؛ لأن الواحد المطلق عل الحقيقة هو الذى ليس كثيرًا ، هذا ما لا شك فيه عند كل ذى حس سليم . وكان ما كان له أبعاض فهو مركب كثير[١٣٩]بلا شك ،

---

(١٣٥) فى (أ ، ب) [والمارقية] .
(١٣٦) فى (أ ، ب) [على أهل المراكب] .
(١٣٧) الذى فى إنجيل متى على لسان المسيح قوله : « ولا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس والأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لاكمّل » (الإصحاح الخامس : ١٧) .
(١٣٨) وذلك لأنه لم يكن للمسيح شريعة ، وإنما شريعته شريعة موسى عليه السلام ، وإنما جاء المسيح بوصايا وعظات ، ليخلص اليهود من كثير من الأدواء التى أصابتهم ، فرفضوه ليموتوا بدائهم .
(١٣٩) سقطت فى (أ ، ب) [وبالله تعالى التوفيق] .

فهو إذًا بالضرورة ليس واحدًا ، فالواحد ضرورة هو الذى لا أبعاض له ، فإذ لا شك فيه فالواحد الذى لا أبعاض له تساويه عددًا ، وهو الذى أردنا أن نبين ، وأيضًا فإن الحسّ وضرورة العقل يشهدان بوجود الواحد إذ لو لم يكن الواحد موجودًا لم يُقْدَر على عدد أصلًا ، إذ الواحد مبدأ[١٤٠] العدد والمعدود الذى لا يوصل إلى عدد ولا معدود إلّا بعد وجوده ، ولو لم يوجد الواحد لما وجد فى العالم عدد ولا معدود أصلًا ، والعالم كله أعداد ومعدودات موجودة ، فالواحد موجود ضرورة ، فلما نظرنا فى العالم كله نظرًا طبيعيًا ضروريًا لم نجد فيه واحدًا على الحقيقة البته بوجه من الوجوه ، لأن كل جرم من العام فمنقسم محتمل للتجزئة متكثر بالانقسام أبدًا بلا نهاية ، وكل حركة فهى أيضًا منقسمة بانقسام المتحرك بها والزمان حركة الفلك فهو منقسم بانقسام الفلك ، فكل مدة فمنقسمة أيضًا بانقسام المتحرك بها الذى هو المدة ، وكذلك كل معقول من جنس أو نوع أو فصل ، وكذلك كل عرض محمول فى جرم فإنه منقسم بانقسام حامله ، هذا أمر يعلم بضرورة العقل والمشاهدة ، وليس العالم كله شيئًا غير ما ذكرنا ، فصح ضرورة أنه ليس فى العالم واحد ألبتة .

وقد قدمنا ببرهان ضرورى آنفًا أنه لابدّ من وجود الواحد ، فإذ لابدّ من وجود الواحد[١٤١]، وليس هو فى شيء من العالم ألبتة ، فهو إذًا بالضرورة شيء غير العالم ، فإذ ذلك كذلك فالبضرورة التى لا محيد عنها فهو الواحد[١٤٢] الأول الخالق للعالم ، إذ ليس يوجد بالعقل ألبتة شيء غير العالم إلا خالقه ، فهو الواحد الأول الله لا إله إلّا هو الذى لا يتكثر ألبتة أصلًا لا بعدد ولا صفة ،. ولا بوجه من الوجوه ، ولا واحد سواه ألبتة ، ولا أول غيره أصلًا ، ولا مخترع فاعلًا خالقًا إلا هو وحده لا شريك له .

وإنما قلنا فى كل فرد فى العالم ، وهو الذى يسمى فى اللغة عند العد واحدًا على المجاز ، أنه كثير بمعنى أنه يحتمل أن يقسم ، وأن له مساحة كثيرة الأجزاء فإذا قسم ظهرت الكثرة فيه ، وأمّا ما لم يقسم فهو يعد فردًا حقيقيًا ، وقد ذكرنا برهان وجوب احتمال الانقسام لكل جزء فى العالم فى آخر كتابنا هذا ببراهين ضرورية لا محيد عنها ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : فما تقول فى الباء والتاء وسائر حروف الهجاء ؟ أليس كل واحد منها واحدًا لا ينقسم ؟ قيل له وبالله التوفيق : إنَّ هذا شغب ينبغى أن يتحفظ من مثله ؛ لأن الحرف

(١٤٠) سقطت فى (أ ، ب) كلمة [مركب] .
(١٤١) فى (خ) [منه] بدلا من [مبدأ] .
(١٤٢) فى (أ ، ب) سقطت [الواحد ،] .

إنما هو هواء يندفع من مخرج ذلك الحرف بعصر بعض آلات الصوت له من الرئة ، وأنابيب الصدر والحلق ، والحنك واللسان والأسنان والشفتين ، فإذ لا شك فى هذا فذلك الهواء المندفع جسم طويل عريض عميق ، فهو محتمل الانقسام ضرورة ، فذلك الهواء هو الحرف ، فالحروف هو جسم محتمل للقسمة ضرورة ، وبالله تعالى التوفيق .

* * *

الكلام على من يقول إن البارىء خلق العالم جملة كما هو بجميع أحواله بلا زمان

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : رأينا من يقر بالخالق تعالى ولا يقر بالنبوة ، ومن يذهب إلى ذلك ، وناظرناه على ذلك : فقلت : إنَّ الذى تقول ممكن فى قوة الله تعالى . والذى نقول نحن من أنه تعالى خلق من النوع الإنسانى[1] ذكرًا واحدًا وأنثى واحدة تناسل الناس كلهم منهما لا يمكنك إخراجه عن الإمكان[2]. فمن أين ملت إلى تلك الحيثية دون هذه ؟ فتردد ساعة فلما لم يجد دليلًا قال : فمن أين ملتم أنتم إلى هذه الحيثية دون تلك ؟ . فقلت لبراهين ضرورية توجب ما قلنا وتنفى ما قلتم .

منها : أنه لو كان ما قلتَ - لكان كل من [3] أخرجه الله تعالى حينئذ من العدم إلى الوجود ، من الشبان والشيوخ يعلمون ذلك ويحسونه من أنفسهم ، ويوقنون أنهم الآن به حدثوا ، وأنهم لم يكونوا قبل ذلك ، لكن حدثوا الآن فى حال توليهم لصناعاتهم وتجاراتهم وأعمالهم من حرث وحصاد ونسج وخياطة وخبز وطبخ وغير ذلك .

ولو كان هذا لنقلوه إلى أولادهم نقلا يقتضى لهم العلم الضرورى بذلك ولابد ، كما يقتضى العلم الضرورى كل نقل جاء بأقل من هذا المجىء مما كان قبلنا من الملوك والدول والوقائع ، ولبلغ الأمر إلينا كذلك ، ولعلمه جميع الناس علمًا ضروريًا ، لأن شيئًا ينقله جميع أهل الأرض عن مشاهدتهم له لا يمكن التشكك فيه أبدًا ، كما نقل طلوع الشمس وغروبها والموت والولادة[4] وغير ذلك .

---

(١) فى (خ) [إنسانا] .
(٢) فى (أ ، ب) [ممكن أيضا] بدلا من [لا يمكنك إخراجه عن الإمكان] .
(٣) فى (خ) [ما] .
(٤) فى (أ) [والولاد] .

ونحن نجد الأمر بخلاف هذا لأنا نجد جميع أهل الأرض قاطبة لا يعرفون هذا ، بل لا يدريه أحد منهم ، وإنما قلتَه أنت ومن وافقته أو من وافقك(٥) برأى وظن ، لا بخبر ونقل أصلًا .

هذا ما لا تخالفنا فيه أنت ولا أحد من الناس ، فمن المحال الممتنع أن يكون خبرٌ نقلَه جميعُ سكان العالم ، أولهم عن آخرهم إلى كل من حدث بعدهم عما شاهدوه يخفى حتى لا يعرفه أحدٌ من سكان الأرض ، هذا أمر يُعرف كذبه بأول العقل وبديهته .

فقال : والذى تحكونه أنتم أيضًا قد وجدنا جماعات ينكرونه فينبغى أن يبطل بما عارضتنا به ، فقلت بين النقلين فرق لا خفاء فيه(٦)؛ لأن نقلنا نحن لما قلناه إنما يرجع إلى خبر رجل واحد ، وامرأة واحدة فقط ، وهما أول من أحدثهم الله تعالى من النوع الإنسانى ، وما كان هكذا فإنه لا يوجب(٧) العلم الضرورى ، إذ التواطؤ ممكن فى ذلك ، ولولا أن الأنبياء عليهم السلام(٨) الذين جاءوا بالمعجزات أخبروا بتصحيح ذلك ما صحّ قولنا من جهة النقل وحده ، بل كان ممكنا أن يكون الله تعالى ابتدأ خلق جماعة تناسل الخلق منهم ، لكن لما أخبر من صممت المعجزة قوله بأن الله تعالى لم يبتدىء من النوع الإنسانى إلا رجلًا واحدًا وامرأة واحدة وجب تصديق قولهم .

وبرهان آخر : وهو أنكم قد أثبتم ضرورة صحة قولنا من أن الله ابتدأ النوع الإنسانى بأن خلق ذكرًا وأنثى ، ثم ادعيتم زيادة أن الله تعالى خلق سواهما جماعات ولم تأتوا على ذلك ببرهان أصلًا ولا بدليل إقناعى فضلًا عن برهانى . وقد صحت البراهين التى قدمنا قبل ؛ أنه لابد من مبدأ ضرورة ، فوجب ولا بدَّ حدوثُ ذكر وأنثى ، وكان من ادّعى حدوث أكثر من ذلك مدّعيًا لما لا دليل له عليه أصلًا ، وما كان هكذا فهو باطل بيقين لا مرية فيه ، وكل ما ذكرت عنه نبوة فى الهند والمجوس والصابئين واليهود والنصارى والمسلمين فلم يختلفوا فى أن الله تعالى إنما أحدث الناس من ذكر وأنثى ، وما جاء هذا المجىء فلا يجوز الاعتراض عليه بالدّعوى . وإنما اختلف عنهم فى الأسماء فقط وليس فى هذا معترض لأنه قد يكون للمرء أسماء كثيرة فلم يمنع من هذا ما نع وبالله تعالى التوفيق .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فلم نجد عندهم فى ذلك معارضة أصلًا ، وما علمنا أحدًا من المتكلمين ذكر هذه الفرقة أصلًا .

(٥) فى النسخة (أ) [وافقت] .
(٦) فى النسخة (ب) : [به] .
(٧) فى النسخة (أ) : [لا يوجد] .
(٨) فى (أ ، ب) [ولولا أن الأنبياء والذين جاءوا . . الخ] .

قال « أبو محمد[٩]» وقلت له فى خلال كلامى معه : أترى العالم إذا خرج دفعة أخرج فيه الحوامل يطلقن ، والطباقون قعودًا على أطباقهم يبيعون التين والسِّرقين[١٠]؟ فضحك وعلم أنى سلكت به مسلك السخرية فى قوله لفساده ، وقال لى : نعم . فقلت : ينبغى أن يكونوا كلهم أنبياء يوحى إليهم أولهم عن آخرهم بما هم عليه من العلوم والصناعات ، أو يلهمون ذلك .

وفى هذا من بطلان الدّعوى ما لا خفاء به .

وكان مما اعترض به : أن ذكر الجزائر المنقطعة فى البحار ، وأنه يوجد فيها النمل والحشرات ، وكثير من الطير ، وكثير من حشرات[١١] الأرض ، فقلت : إن كل ذلك لا ينكر ذو حس دخوله فى جملة رحالات المسافرين الداخلين إلى تلك البلاد فقد شاهدنا دخول الفيران فى جملة الرحل كذلك ، وليس فى ذلك ما يوجب ما ذكرتَ أصلًا . مع أن الحيوان نوعان ، نوع متولد يخلقه الله تعالى من عفونات الأبدان ، وعفونات الأرض ، فهذا لا ينكر تولده بإحداث الله تعالى له فى كل حين .

وقسم آخر متوالد قد رتب الله تعالى فى بنية العالم أنه لا يخلقه إلَّا عن منىٍّ ذكر وأنثى ، فهذا هو الذى صار فى تلك الجزائر عن دخول المسافرين[١٢] إليها بلا شك وبالله تعالى التوفيق .

وما ننكر فى كل نوع ما عدا الإنسان أن يخلق الله منه أكثر من اثنين ، فهذا ممكن فى قدرة الله تعالى ، ولم يأت خبر صادق بخلافه ، لأن الله تعالى قد قال فى أمر نوح عليه السلام وسفينته حين الطوفان : « واحمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين ، وأهلك إلَّا من سبق عليه القول[١٣]» . ومع هذا فقد يمكن أن يكون نوح عليه السلام مأمورًا بأن يحمل من كلٍّ زوجين اثنين ، ولا يمنع ذلك من بقاء بعض أنواع نبات الماء وحيوانه فى غير السفينة والله أعلم .

وإنما نقول فيما لا يخرجه العقل إلى الوجوب والامتناع بما جاءت به النبوة فقط .

وبرهان آخر : وهو أنه لو كان إخراج الله تعالى لكل ما فى العالم ، من المعلوم ، والعلماء بها ، والصناعات ، والصانعين لها ، دفعة واحدة لكان ذلك بضرورة العقل وأوله لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما :

---

(٩) فى (أ ، ب) سقطت [قال أبو محمد] .
(١٠) السرِّقين بكسر السين : الزبل معربا سرْكين بالفتح . وفى (خ) [والسردين] .
(١١) فى (خ) [خشاش] بدلًا من [حشرات] .
(١٢) سقطت فى (أ ، ب) كلمة [المسافرين] .
(١٣) سورة هود : آية : ٤٠ .

○ إمَّا أن يكون ذلك بوحى إعلام وتوقيف منه تعالى .

○ وإمّا بطبع مركب فيهم يقتضى لهم ما علموا من ذلك ما صنعوا .

فإن كان بوحى إعلام وتوقيف فقد صحت النبوة لجميعهم ؛ إذ ليست النبوة معنى غير هذا ، وهذه دعوى ممن[١٤] قال بهذا القول بلا دليل ، وما لا دليل عليه فهو باطل ، لا يجوز القول به ، لا سيما والقائلون بها منكرون للنبوة ، فلاح تناقض قولهم .

وإن كان كل ذلك عن طبيعة تقتضى لهم كونهم عالمين بالعلوم ، متكلمين باللغة متصرفين فى الصناعات بلا تعليم ولا توقيف ، فهذا محال ضرورة ، وممتنع فى العقل وفى الطبيعة ؛ إذ لو كان ذلك لوجدوا أبدًا كذلك ، إذ الطبيعة واحدة لا تختلف وبالضرورة ندرى أنه لا يوجد أحدٌ أبدًا[١٥] فى شىء من الأزمان ، ولا فى مكان أصلًا يأتى بعلم من العلوم لم يُعلِّمه إياه أحد . ولا يتكلم بلغة لم يعلِّمه إيَّاها[١٦] أحد ، ولا بصناعة من الصناعات لم يوقفه عليها أحد .

وبرهان ذلك ما قدمنا قبل من أن البلاد التى ليست فيها العلوم ، وأكثر الصناعات كأرض الصقالبة ، والسودان ، والبوادى التى فى خلال المدن ليس يوجد فيها أبدًا أحد يدرى شيئًا من العلوم ولا من الصناعات حتى يعلمه ذلك معلم ، وأنه لا ينطق أحد حتى يعلمه معلم ، فظهر فساد هذا القول ببرهان . وقبل البرهان بتعرية من البرهان ، وبالله تعالى التوفيق[١٧].

---

(١٤) فى النسخة (أ) [من] .
(١٥) سقطت فى (خ) كلمة [أبدًا] .
(١٦) فى النسخة (أ) [إياه] .
(١٧) سقطت [وبالله تعالى التوفيق] من (أ ، ب) .

الكلام على من ينكر النبوّة والملائكة

البراهمة : وإبطال آرائهم

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ذهبت **البراهمة** وهم قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند ، ويقولون إنهم من ولد برهمى ملك من ملوكهم قديم ، ولهم علامة ينفردون بها ، وهى خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف ، وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا إلّا أنهم أنكروا النبوات .

وعمدة احتجاجهم فى دفعها أن قالوا : لما صحّ أن البارى[1] عز وجلّ حكيم ، وكان من بعث رسولًا[2] إلى من يدرى أنه لا يصدقه فلا شك فى أنه متعنت عابث فوجب نفى بعث الرسل عن الله عز وجل لنفى العبث والعنت عنه .

وقالوا أيضًا إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان فقد كان أولى به فى حكمته ، وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به ، قالوا فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضًا .

ومجىء الرسل عندهم من باب الممتنع . وأمّا نحن فنقول : إنَّ مجىء الرسل قبل أن يبعثهم الله تعالى واقع فى باب الإمكان ، وأمّا بعد أن بعثهم الله عزَّ وجل ففى حدّ الوجوب .

ثم أخبر الصادق عليه السلام عنه تعالى : أنه لا نبىّ بعده ، فقد جدَّ الامتناع ولسنا نحتاج إلى تكلف ذكر قول من قال من المسلمين : إن مجىء الرسل من باب الواجب واعتلالهم فى ذلك بوجوب الإنذار فى الحكمة إذ ليس هذا القول صحيحًا .

---

(١) فى (أ ، ب) [الله] .

(٢) فى (أ) [لى] بحذف الهمزة .

وإنما قولنا الذى بيناه فى غير موضع أنه تعالى لا يفعل شيئًا لعلّة ، وأنه تعالى يفعل ما يشاء ، وأن كل ما فعله فهو عدل وحكمة أى شىء كان .

فيقال وبالله تعالى[٣] التوفيق لمن احتج بالحجة الأولى : من أن الحكمة تضاد بعثة الرسل ، وأن الحكيم لا يبعث الرسل إلى من يدرى أنه يعصيه ، إنكم اضطركم هذا الأصل الفاسد الحاكم بذلك إلى موافقة المانية[٤] على أصولها فى أن الحكيم لا يخلق من يعصيه ، ولا من يكفر به ويقتل أولياءه . وهم يقولون : إن الله تعالى خلق الخلق ليدلَّهم به[٥] على نفسه .

ويقال لهم : قد علمنا وعلمتم أنَّ فى الناس كثيرًا يجحدون الربوبية[٦] والوحدانية فقولوا : إنه ليس حكيمًا مَنْ خلق دلائل لمن يدرى أنه لا يستدل بها .

فإن قالوا : إنه قد استدلَّ بها كثير ، قيل لهم : وقد صدَّق الرسل أيضًا كثير .

فإن قالوا : إنه خلق الخلق كما شاء . قيل لهم : وكذلك بعث الرسل أيضًا كما شاء ، فبعثته تعالى الرسل هى بعض دلائله التى خلقها تعالى ليدل بها على المعرفة به[٧] تعالى ، وعلى توحيده .

ويقال لمن احتج بالحجة الثانية من أن الأولى به أنه كان يضطر العقول إلى الإيمان به : أن هذا قول مرذول مردود عليكم فى قولكم : إن الله عز وجل خلق الخلق ليدلَّهم بهم على[٨] نفسه ووحدانيته .

فليزمكم على ذلك الأصل الفاسد أنه كان الأولى إذ خلقهم أن لا يدعهم والاستدلال ، وقد علم أن فيهم من لا يستدل ، وأن فيهم من يغمض عليه الاستدلال . فكان الأولى فى الحكمة أن يضطر عقولهم إلى الإيمان به ، ولا يكلفهم مئونة الاستدلال ، وأن يلطف بهم ألطافًا يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وملاك هذا كله ما قد قلناه فى غير موضع من أن الخلق لما كانوا لا يقع منهم فعل إلَّا لعلة ، ووجب بالبراهين الضرورية أن البارىء تعالى بخلاف[٩] جميع خلقه من جميع الجهات ، وجب أن يكون فعله لا لعلة بخلاف أفعال جميع

---

(٣) سقطت كلمة [تعالى] فى (أ ، ب) .

(٤) فى النسخة (ب) [المانية] .

(٥) فى النسخة (ب) [بهم] .

(٦) الربوبية : الرب من أسماء الله تعالى ، والنسبة إليه ربِّىّ وربانى ، وربوبى ، وعلم الربوبية هو العلم الإلهى ، ويسمى عند الفلاسفة بعلم الإلهيات وهى طبيعية وعقلية ويشتمل على الموضوعات التالية ، البرهان على وجود الله ، والصفات الإلهية ، والعناية الإلهية ، ووجود الشر ، ومصير الإنسان ، وخلود النفس ، والأخلاق الدينية (المعجم الفلسفى ٦٠٨ حـ ١) .

(٧) فى (، ب) [بها] .

(٨) فى النسخة (أ) سقطت كلمة [على] . وفى (خ) [إن الله تعالى خلق الخلق ليدل بهم على نفسه] .

(٩) فى (خ) [خلاف] .

الخلق ، وأنه لا يقال فى شىءٍ من أفعاله تعالى أنه فعل كذا لعلّة ، ولا إذ جاء الإنسان بالنطق وحرمه سائر الحيوان ، وخلق بعض الحيوان ضائدًا وبعضه مصيدًا ، وباين بين جميع مفعولاته كما شاء ، فليس لأحدٍ أن يقول لم خلق الإنسانَ ناطقًا وحرم الحمار النطق . وجعل الحجر جامدًا لا حياة فيه[١٠] ولا نطق[١١]، وهذا أصل قد وافقتنا البراهمة عليه ، وسائر من خالفنا من تفريع هذا المعنى ممن يقول بالتوحيد وهكذا إذا بعث الله تعالى الرسل[١٢] ليس لأحد أن يقول : لم بعثهم ؟ أو لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ؟ ولا لِمَ بعثهم فى هذا الزمان دون غيره من الأزمان ؟ ولا لِمَ بعثهم فى هذا المكان دون غيره من الأمكنة ؟ كما لا يقال لم حبا هذا المكان بالخصب دون غيره ، ولا لِمَ حبا هذا الإنسان بالجمال دون غيره ، ولا لِمَ[١٣] حباه بالسَّعد فى الدنيا دون غيره ؟ وهكذا كل ما فى العالم إذا نظر فيه تعالى الذى لا يسأل عن شىء . قال تعالى : لا يسأل[١٤] عما يفعل وهم يسألون .

ضرورة النبوّة

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وإذ قد نقضنا شغبهم بحول الله تعالى وتأييده ، فلنقل الآن بعون الله تعالى وتأييده فى إثبات النبوة إذا[١٥] وجدت قولًا بينا وبالله تعالى التوفيق : فنقول وبالله تعالى نستعين[١٦]: قد قدّمنا فيما خلا إثبات حدوث الأشياء وأن لها محدِثًا لم يزل واحدًا لا مبدأ له ، ولا كان معه غيره ، ولا مدبّر سواه ، ولا خالق غيره . فإذ قد ثبت هذا كله وصح أنه تعالى أخرج العالم كله إلى الوجود بعد أن لم يكن بلا كلفة ، ولا معاناة ، ولا طبيعة ، ولا استعانة ، ولا مثال سلف ، ولا علّةٍ موجبة ، ولا حكم سابق قبل الخلق يكون ذلك الحكم لغيره تعالى ، فقد ثبت أنه لم يفعل إذ لم يشأ ، وفعل إذ شاء ، كما شاء ، فيزيد ما شاء ، ويُنقِص ما شاء ، فكل منطوق به مما يتشكك فى النفس أو لا يتشكك فهو داخل له تعالى فى باب الإمكان على ما بيّنا فى غير هذا المكان ، إلّا أننا نذكر منه[١٧] ها هنا طرفًا إن شاء الله عزّ وجل فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إن الممكن ليس واقعًا فى العالم وقوعًا واحدًا ؛ ألا ترى أن نبات اللحية للرِّجال ما بين الثمانى

---

(١٠) فى (أ ، ب) [له] .
(١١) فى (أ) : [نطلق] وهو تحريف .
(١٢) فى (أ) [بعث تعالى الأنبياء] .
(١٣) فى (أ ، ب) سقط الكلام من قوله [لم حبا هذا المكان إلى بالجمال دون غيره ، ولا] .
(١٤) فى (أ ، ب) سقطت العبارة [عن شىء ، قال تعالى لا يُسأل] . والآية : ٢٣ من سورة الأنبياء .
(١٥) المرجح أن تكون [إذ] حيث يكون المعنى : « وجدتُ قولاً بينا فى هذا الشأن » .
(١٦) فى (أ ، ب) سقطت العبارة [فنقول ، وبالله تعالى نستعين] .
(١٧) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [منه] .

عشرة إلى عشرين سنة ممكن ؟ وهو فى حدود الإثنى عشرة سنة إلى العامين ممتنع ، وأن فك الإشكالات العويصة ، واستخراج المعانى الغامضة ، وقول الشعر البديع ، وصناعة البلاغة الرائقة ممكن لذى الذهن اللطيف ، والذكاء النافذ ، وغير ممكن من ذى البلادة الشديدة والغباوة المفرطة .

فعلى هذا ما كان ممتنعًا بيننا ، إذ ليس فى بنيتنا ولا فى طبيعتنا ، ولا من عادتنا فهو غير ممتنع على الذى لا بنية له ، ولا طبيعة له ، ولا عادة عنده ، ولا رتبة لازمة لفعله ، فإذ قد صح هذا ، فقد صح أنه لا نهاية لما يقوى عليه تعالى ، فصح أن النبوة فى الإمكان .

النبوة فى نظر ابن حزم

وهي بعثة قوم قد خصهم الله تعالى بالحكمة والفضيلة والعصمة[١٨] لا لعلة إلّا أنه شاء ذلك ، فعلّمهم الله تعالى العلم بدون تعلم ، ولا تنقل فى مراتبه ، ولا طلب له ، ومن هذا الباب ما يراه أحدنا فى الرؤيا فيخرج صحيحًا ، وما هو من باب تقدّم المعرفة ، فإذ قد أثبتنا أن النبوّة قبل مجيء الأنبياء عليهم السلام واقعة فى حدِّ الإمكان ، فلنقل الآن بحول الله تعالى وقوته على وجوبها إذا وقعت ولا بدّ . فنقول :

إذ قد صحّ أن الله تعالى ابتدأ العالم ولم يكن موجودًا حتى خلقه الله تعالى فبيقين ندرى أن العلوم والصناعات لا يمكن ألبتة أن يهتدى أحد إليها بطبعه فيما بيننا دون تعليم كالطب ، ومعرفة الطبائع ، والأمراض وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التى لا سبيل إلى تجريبها كلها أبدًا ، وكيف يجرَّب كل عقار فى كل علة ؟ ومتى يتهيأ هذا ؟ ولا سبيل له إلا فى عشرة آلاف من السنين ؟ ومشاهدة كل مريض فى العالم ، وهذا يقطع دونه قواطع الموت والشغل بما لا بدّ منه من أمر المعاش وذهاب الدول ، وسائر العوائق . وكعلم النجوم ، ومعرفة دورانها وقطعها وعودها إلى أفلاكها مما لا يتم إلّا فى عشرة آلاف من السنين ، ولا بدّ من أن يَقْطع دون ضبط ذلك العوائقُ التى قلنا . وكاللغة التى لا يصح تربيةٌ ولا عيشٌ ولا تصرف إلا بها ، ولا سبيل إلى الاتفاق عليها إلا بلغة أخرى ولابد ، فصحّ أنه لا بدّ من مبدأ مّا للغة[١٩].

وكالحرث والحصاد ، والدراس ، والطحن وآلاته ، والعجن ، والطبخ والحلب وحراسة المواشى ، واتّخاذ الأنسال منها ، والغرس واستخراج الأدهان ، ودق الكتان والقنب ، والقطن[٢٠] وغزله ، وحياكته ، وقطعه ، وخياطته ، ولبسه وآلات كل ذلك ، وآلات الحرث والأرحاء ،

(١٨) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [بالحكمة .. والعصمة] .
(١٩) فى النسخة (ب) [للغة مّا] .
(٢٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [القطن] .

والسفن ، وتدبيرها فى القطع بها للبحار ، والدواليب ، وحفر الآبار ، وتربية النحل ودود الخز ، واستخراج المعادن ، وعمل الأبنية منها ، ومن الخشب والفخار .

وكل هذا لا سبيل إلى الاهتداء[٢١] إليه دون تعليم . فوجب بالضرورة ولا بدّ أنه لا بدّ من إنسان واحد فأكثر علّمهم الله تعالى ابتداءً كلَّ هذا دون معلم ، لكن بوحى حققه عنده . وهذه صفة النبوة . فإذًا لا بدّ من نبيٍّ أو أنبياء ضرورة . فقد صح وجود النبوّة والنبى فى العالم بلا شك .

ومن البرهان على ما ذكرنا : أننا نجد كل من لم يشاهد هذه الأمور لا سبيل له إلى اختراعها ألبتة ، كالذى يولد وهو أصم فإنه لا يمكن له ألبتة الاهتداء إلى الكلام ، ولا إلى مخارج الحروف .

وكالبلاد التى ليست فيها بعض الصناعات وهذه العلوم المذكورة كبلاد السودان والصقالبة[٢٢]، وأكثر الأمم ، وسكان البوادى نعم والحواضر لا يمكن ألبتة منذ أول العالم إلى وقتنا هذا ، ولا إلى انقضائه اهتداء أحدٍ منهم إلى علم لم[٢٣] يعرفه ، ولا إلى صناعة لم يُعرَّف بها ، فلا سبيل إلى تهدِّيهم إليها ألبتة حتى يعلَّمُوها ، ولو كان ممكنًا فى الطبيعة التهدّى إليها دون تعليم لُوجد من ذلك فى العالم على سعته وعلى مرور الأزمان من يهتدى إليها ، ولو واحدًا ، وهذا أمر يقطع على أنه لا يوجد ولم يوجد .

وهكذا القول فى العلوم ، ولا فرق ، ولسنا نعنى بهذا ابتداء جمعها فى الكتب لأن هذا أمر لا مئونة فيه ، إنما هو كتاب مَا سمعه الكاتب وإحصاؤه فقط كالكتب المؤلفة فى المنطق وفى الطب ، وفى الهندسة وفى النجوم ، وفى الهيئة والنحو ، واللغة ، والشعر ، والعروض . إنما نعنى ابتداءَ مئونة اللغة والكلام بها ، وابتداءَ معرفة الهيئة وتعلمها ، وابتداء تعلم[٢٤] أشخاص الأمراض وأنواعها وقوى العقاقير ، والمعاناة بها ، وابتداءَ معرفة الصناعات . فصح بذلك أنه لا بدّ من وحى الله تعالى فى كل[٢٥] ذلك .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا أيضًا برهان ضرورى على حدوث العالم ، وأن له محدثا مختارًا ولا بدّ . إذ لا بقاء للعالم ألبتة إلا بنشأة ومعاش . ولا نشأة ولا معاش

---

(٢١) فى (خ) [لا سبيل إليه ولا التهدّى له إلا بتعليم] .

(٢٢) الصقالبة : شعوب تسكن بين جبال الأورال ، والبحر الأدرياتى فى أوروبا الشرقية والوسطى ، ويتكلمون بلغات تنتمى إلى عائلة الهندو ، ويقسمون عادة إلى ثلاثة أقسام : كبرى ، وهم صقالبة الغرب ، ويشملون البولنديين ، والتشيكيين ، وعناصر أخرى صغيرة فى غرب ألمانيا ، وصقالبة الشرق وهم الروس وصقالبة الجنوب ويضمون المقدونيين والبلغاريين (دائرة المعارف الميسرة ص ١١٢٦) .

(٢٣) فى (ب) سقطت [لم] .

(٢٤) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [تعلم] .

(٢٥) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [كل] .

إلّا بهذه الأعمال والصناعات والآلات ، ولا يمكن وجود شيء من هذه كلها إلا بتعليم البارى تعالى . فصح أن العالم لم يكن موجودا ، إذ لا سبيل إلى بقائه إلا بما ذكرنا . ثم أوجد[٢٦] معلما مدبرا مبتدأ بتعليمه على ما ذكرنا - وبالله تعالى التوفيق .

البراهين الدّالة على صدق النبوّة

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وإذ قد تكلمنا على أنه لا بدّ من نبوّة وصحّ ذلك ضرورة - فلنتكلم على براهينها التى صحّ[٢٧] بها علم صدق مدّعيها إذ وقعت فنقول : إنه قد صح أن البارى تعالى هو فاعل كل شيء ظهر . وأنه قادر على إظهار كل متوهَّم لم يظهر ، وعلمنا بكل ما قدمنا أنه تعالى مرتب هذه المراتب[٢٨] التى فى العالم ومجريها على طبائعها المعلومة منا ، الموجودة عندنا . وأنه لا فاعل على الحقيقة غيره تعالى . ثم رأينا خلافاً لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت ، ووجدنا طبائع قد أحيلت ، وأشياء فى حدّ الممتنع قد وجبت ووجدت ، **كصخرة انفلقت[٢٩] عن ناقة ، وعصا انقلبت[٣٠] حية ، وميّت أحياه[٣١] إنسان ، ومئين من الناس رووا[٣٢] وتوضئوا** كلهم من ماء يسيرفى قدح صغير يضيق عن بسط اليد فيه ، لا مادة له ، فعلمنا أن محيل[٣٣] هذه الطبائع ، وفاعل هذه المعجزات هو الأول الذى أحدث كل شيء . ووجدنا هذه القوى قد أصحبها الله تعالى رجالًا يدعون إليه ، ويذكرون أنه تعالى أرسلهم إلى الناس ، ويستشهدون به تعالى فيشهد لهم بهذه المعجزات المحدثة منه تعالى ، فى حين[٣٤]، رغبة هؤلاء القوم

(٢٦) فى النسختين [أ ، ب] [وجد] والمعنى لا يصح إلاّ على [أوجد] أى أن الله أوجد بعد ذلك المعلم المدبر الذى بدأ تعليمه ليهدى الناس وهو النبى .

(٢٧) فى (أ ، ب) [يصح] .

(٢٨) فى (أ ، ب) [الرتب] .

(٢٩) طلب قوم صالح من نبيهم آية تخرج من صخرة صماء ، عينوها بأنفسهم وهى صخرة منفردة فى ناحية الحِجْر يقال لها « الكاتبة » ، فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشراء ، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم ، ليؤمنن به ، وليتبعنه ، فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ، ودعا الله عزّ وجل فتحركت تلك الصخرة ، ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها - كما سألوا - فعند ذلك آمن رئيسهم « جندع بن عمر » وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا ، فصدّهم « ذؤاب بن عمرو بن لبيد » اقرأ القصة كاملة فى تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٢٨) .

(٣٠) وهى معجزة موسى عليه السلام .

(٣١) معجزة عيسى عليه السلام التى أشارت إليها الآية الكريمة : « ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنّى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص ، وأحيى الموتى بإذن الله .. الآية ٤٩ - آل عمران .

(٣٢) قال أنس بن مالك رضى الله عنه : « رأيت رسول الله ﷺ وقد حانت صلاة العصر ، فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه ، فأتى النبى ﷺ بوضوء فوضع فى الإناء يده وأمر الناس أن يتوضأوا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس عن آخرهم ، فقيل : كم كنتم ، قال : زهاء ثلاثمائة (نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين - للشيخ محمد الخضرى ص ٣٠٦ - دار الأدب العربى للطباعة ١٩٥٥) .

(٣٣) فى (ب) : « محل » .

(٣٤) فى (ب) : « فى عين » والمعنى أنه حين يرغب هؤلاء القوم إلى الله أن يمدهم بهذه المعجزات ، فإنه يمدهم بها ويشهد لهم بصدقهم .

إليه فيها ، وضراعتهم إليه فى تصديقهم بها ، فعلمنا علما ضروريا يقينيا[٣٥] لا مجال للشك فيه أنهم مبعوثون من قبله عزّ وجل ، وأنهم صادقون فيما أخبروا به عنه تعالى ، إذ لا سبيل فى طبيعة مخلوق فى العالم إلى التحكم على البارىء ، ولا على طبائع خلقه مثل هذا ، ووجوب النبوة إذ ظهر على مدّعيها معجزة من إحالة الطبائع المخالفة لما بُنى عليه العالم .

وقد تكلمنا فى غير هذا المكان على أنّ هذه الأشياء لها طرق توصل إلى صحة اليقين بها عند من لم يشاهدها كصحتها عند من شاهدها ولا فرق . وهى نقل الكافة التى قد استشعرت العقول ببدايتها ، والنفوس بأوّل معارفها أنه لا سبيل إلى جواز الكذب ولا الوهم عليها ، وأن ذلك ممتنع فيها . فمن تجاهل وأجاز ذلك عليها خرج عن كل معقول ، ولزمه أن لا يصدق أن من غاب عن بصره من الإنس بأنهم أحياء ناطقون كمن شاهد ، وأن صورهم على حسب الصورة التى عاين ، ولزم أن يكون عنده ممكنًا فى بعض من غاب عن بصره من الناس أن يكونوا بخلاف ما عهد من الصورة ، إذ لا يعرف أحد أن كل من غاب عن حسه فإنه[٣٦] فى مثل كيفية ماشاهد من نوعه إلا بنقل الكواف ذلك، كما نقلت أن بعضهم بخلاف ذلك فى بعض الكيفيات ، فوجب تصديق ذلك ضرورة كبلاد السودان وما أشبه ذلك . ويلزم من لم يصدق خبر الكافة ، ويجيز فيه الكذب والوهم أن لا يصدق ضرورة بأن أحدًا كان قبله فى الدنيا ، ولا أن فى الدنيا أحدا إلّا من شاهد بحسه . فإن جوّز هذا عرف بعقله[٣٧] أنه كاذب . وخرج عن حدود من يتكلم معه ، لأن هذا الشىء لا يعرف ألبتة إلّا من طريق الخبر لا غير ، فإن نفر عن هذا وأقر بأنه قد كان قبله ملوك وعلماء ، ووقائع وأمم ، وأيقن بذلك ، ولم يكن فى كثير منها شك بل هى عنده فى الصحة كما شاهد ولا فرق – سئل من أين عرفت ذلك وكيف صح عندك ؟ فلا سبيل له أصلا إلى أن يصح ذلك عنده إلا بخبر منقول نقل كافة . وبالله تعالى التوفيق . فنقول له حينئذ فرّق بين ما نقل إليك من كل ذلك ، وبين كل[٣٨] ما نقل إليك من علامات الأنبياء عليهم السلام ولا سبيل اه إلى الفرق بين شىء من ذلك أصلًا . فإن قال الفرق بينها وبينها أنه لا ينكر أحد هذه الأمور . وكثير من الناس ينكرون أعلام الأنبياء ، قيل له وبالله تعالى التوفيق[٣٩]: إن كثيرا من الناس لا يعرفون كثيرا مما صح عندك من الأخبار العارضة لمن كان فى بلادك قبلها فليس جهلهم بها ودفعهم لها لو حدثوا بها مخرجا لها عن الصحة ، وكذلك جحد من جحد أعلام الأنبياء ليس مخرجًا لها عن الوجوب والصحة .

---

(٣٥) فى (أ ، ب) سقطت كلمة « يقينا » .
(٣٦) فى (خ) [فإن] .
(٣٧) فى (أ ، ب) [بقلبه] .
(٣٨) فى (خ) سقطت كلمة [كل] .
(٣٩) فى (خ) سقطت العبارة [وكثير من الناس ينكرون أعلام الأنبياء ، قيل له وبالله تعالى التوفيق : إن] .

فإن قال : إنه ليس نجد الناس على الكذب فيما كان قبلنا من الأخبار ما نجدهم على الكذب فى أعلام النبوة . قيل له وبالله التوفيق .

هذا كذب ، بل الأمران سواء لا فرق بينهما . ومن الملوك من يشتد عليهم وصف أسلافهم بالجور والظلم والقبائح ، ويحمى هذا الباب بالسيف فما دونه ، فما انتفعوا بذلك فى كتمان الحق .

قد نقل ذلك كله وعرف ، كما نقلت فضائل من تغضب ملوك الزمان من مدحه كفضائل على بن أبى طالب[٤٠] رضى الله عنه ، ما قَدِر قط ملوك بنى مروان على سترها وطيها .

وقد رام **المأمون**[٤١] **والمعتصم**[٤٢] **والواثق**[٤٣] على سعة ملكهم لأقطار الأرض قطع القول بأن القرآن غير مخلوق فما قدروا على ذلك .

وكل نبى فله عدو من الملوك والأمم يكذبونهم ، فما قدروا قط على طىّ أعلامهم . ولا على تحقيق ما زادوا على ذلك لمن يغضب له من لا دين له . فصح أن الأمرين سواء ، وأن الحقّ حق . فإن قال قائل : فلعلَّ هذا الذى ظهرت منه المعجزات قد ظفر بطبيعة وخاصية قدر معها على إظهار ما أظهر . قيل له وبالله التوفيق :

إنَّ الخواصَّ قد عُلِمت ، ووجوه الحِيل قد أُحكمت ، وليس فى شىء منها عمل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ما ظهر من اختراع الماء الذى لم يكن ، ولا فى شىء منه إحالة نوع

---

(٤٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [ابن أبى طالب] .

(٤١) المأمون العباسى (١٧٠ - ٢١٨ هـ) - (٧٨٦ - ٨٣٣ م) : وهو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور ، أبو العباس سابع الخلفاء من بنى العباس فى العراق ، وأحد أعاظم الملوك فى سيرته وعلمه وسعة ملكه ، نفذ أمره من إفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند ، وعرفه المؤرخ ابن دحية بالإمام العالم المحدث النحوى اللغوى ، ولى الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ فتمم ما بدأ به المنصور من ترجمة كتب الفلسفة ، وأتحف ملوك الروم بالهدايا سائلاً أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة . قامت دولة الحكمة فى أيامه ، وقرب العلماء والفقهاء ، والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة وأطلق حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة لولا المحنة بخلق القرآن . وأخباره معروفة جمع بعضها فى مجلد مطبوع صفحاته ٣٨٤ من تاريخ بغداد لابن أبى طيفور وكتاب عصر المأمون لأحمد فريد الرفاعى توفى « بدندون » ودفن فى « طرسوس » (الاعلام - ٤ / ٢٨٧) .

(٤٢) المعتصم : هو محمد بن هارون الرشيد ، خليفة من أعاظم خلفاء هذه الدولة بويع بالخلافة سنة ٢١٨ هـ يوم وفاة أخيه المأمون وبعهد منه ، وكان بطرسوس ، وعاد إلى بغداد بعد سبعة أسابيع فى السنة نفسها ، وكان قوىَّ الساعد يكسر زند الرجل بين إصبعيه ، وكره التعليم فى صغره فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أميًا ، وهو فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية فى خبر مشهور ، وهو بانى مدينة « سامرا » سنة ٢٢٢ هـ حين ضاقت بغداد بجنده ، وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى من الخلفاء فقيل المعتصم بالله ، وكان لين العريكة ، قوى الخلق ، اتسع ملكه جدًّا ، وكان له سبعون ألف مملوك ، خلافته ثمانى سنوات وثمانية أشهر ، مات وعمره ثمان وأربعون سنة بسامرًا ، وكان أصهب ، حسن الجسم ، مربوعا طويل اللحية (الأعلام ٧ / ٣٥١) .

(٤٣) الواثق (٢٠٠ - ٢٣٢) هـ - (٨١٥ - ٨٤٧) م : هو الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد العباسى أبو جعفر - من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ، ولد ببغداد ، وولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧ هـ فامتحن الناس فى خلق القرآن وسجن جماعة وقتل فى ذلك أحمد بن نصر الخزاعى بيده سنة ٢٣١ هـ ، قال أحد مؤرخيه : كان فى كثير من أموره يذهب مذهب المأمون ، وشغل نفسه بمحنة الناس فى الدين فأفسد قلوبهم ، ومات فى « سامرا » . قيل بعلة الاستسقاء ، وقال ابن دحية : كان مسرفا فى حب النساء ، ووصف له دواء للتقوية فمرض منه ، وعولج بالنار فمات محترقا . وخلافته خمس سنين ، وكان كريما عارفا بالآداب والأنساب ، طروبا يميل إلى السماع ، عالما بالموسيقى (الاعلام - ٩ / ٤٤ ، ٤٥) .

إلى نوع آخر دفعة على الحقيقة ، ولا جنس إلى جنس[٤٤] آخر دفعة على الحقيقة ، وهذا كله قد ظهر على أيدى الأنبياء عليهم السلام فصح أنه من عند الله تعالى ، لا مدخل لعلم إنسان ولا حيلته[٤٥] فيه .

الفرق بين المعجزة والسحر

ونحن نبين إن شاء الله تعالى الفرق الواضح بين معجزات الأنبياء عليهم السلام وبين ما يقدر عليه بالسحر ، وبين حيل العجائبيين . فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إن العالم كله جوهر وعرض ، لا سَبيل إلى وجود قسم ثالث فى العالم دون الله تعالى .

فأمَّا الجواهر فاختراعها مِنْ ليس[٤٦] إلى إنس وهو من العدم إلى الوجود فممتنع غير ممكن ألبتة لأحد دون الله تعالى ، مبتدىء العالم ومخترعِه . فمن ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من أصابع رسول الله ﷺ بحضرة الجيش فهى معجزة شاهدة من الله تعالى له بصحة نبوته لا يمكن غير ذلك أصلاً[٤٧].

وكذلك[٤٨] إحالة الأعراض التى هى جوهريات ذاتيات ، وهى الفصول التى تؤخذ من الأجناس ، وذلك كقلب العصاحية ، وحنين الجذع ، وإحياء الموتى الذين رمّوا وصاروا عظاماً ، والبقاء فى النار ساعات لا تؤذيه ، وما أشبه ذلك .

وكذلك الأعراض التى لا تزول إلا بفساد حاملها **كالغطس** والرزق ونحو ذلك . فهذا لا يقدر عليه أحد دون الله تعالى بوجه من الوجوه .

وأما إحالة الأعراض من الغيرات التى تزول بغير فساد حاملها فقد تكون بالسحر . ومنه طلسمات كتنفير بعض الحيوان عن مكان مَّا فلا يقرب أصلًا ، وَكإبعاد البرد ببعض

---

(٤٤) سقطت كلمة [إلى جنس] فى (أ) .

(٤٥) فى النسخة (ب) [ولا حيلة] .

(٤٦) [مِنْ ليس] تعبير فلسفى معناه [من العدم] . وفى (خ) [من لا أيْش إلى أيْش] ويترجح أنها من [لا أى شىء إلى أى شىء] وأن التحريف فى الكتابة والنسخ .

(٤٧) نبع الماء من بين أصابعه .

وقال ابن مسعود : بينما نحن مع النبى ﷺ وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأُتى به فصبه فى إناء ثم وضع كفّه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، وقال جابر : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما فى ركوتك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قيل كم كنتم .. ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .. وروى هذه القصة جمع عظيم من الصحابة .

(نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين الشيخ محمد الخضرى بك المفتش بوزارة المعارف ومدرس التاريخ الإسلامى بالجامعة المصرية ص ٣٠٦ ط ١٣٧٤ - ١٩٥٥ م دار الأدب العربى للطباعة) .

(٤٨) فى (ب) [ولذلك] .

الصناعات ، وما أشبه هذا ، وقد يزيد الأمر ويفشو العلم ببعض هذا النوع حتى يحسبه أكثر الناس كالطب(٤٩) والأصباغ وما أشبه هذا .

وأمّا التخييل بنوع(٥٠) من الخديعة كسكين مثقوبة النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآها أنها دخلت فى جسد المضروب بها ، فى حيل غير هذه من حيل أرباب العجائب **كالحلاج**(٥١) وأشباهه فأمر يقدر عليه من تعلمه ، وتعلمه ممكن لكل من أراده . فالذى يأتى به الأنبياء عليهم السلام هو إحالة الذاتيات ، ومن ذلك صرف الحواس(٥٢) عن طبائعها كمن أراك ما لا يراه غيرك ، أو مسح يده على مريض فأفاق ، أو سقاه ما يضر علته فبرىء ، أو أخبر عن الغيوب فى الجزئيات عن غير تعديل ولا فكرة ، فهذه كلها إحالة الذاتيات وما ثبت ، إذ ثباتها لا يكون إلّا لنبى ، فإذا(٥٣) قد تكلمنا على إمكان(٥٤) النبوة قبل مجيئها ، ووجوبها حين وجودها فلنتكلم الآن بحول الله وقوته على امتناعها بعد ذلك . فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إذ قد صح كل ما ذكرناه من المعجزات الظاهرة من الأنبياء عليهم السلام شهادة من الله تعالى لهم مصدقا(٥٥) بها أقوالهم ، فقد وجب علينا الانقياد لما أتوا به، ولزمنا تيقن كل ما قالوا . وقد صح عن رسول الله ﷺ بنقل الكواف التى نقلت نبوته وأعلامه وكتابه إنه أخبر أنه لا نبى بعده ، إلّا ما جاءت الأخبار الصحاح عن نزول عيسى عليه السلام الذى بعث إلى بنى إسرائيل وادّعى اليهود قتله وصلبه ، فوجب الإقرار بهذه الجملة ، وصحّ أن وجود النبوة بعده عليه السلام باطل لا يكون ألبتة .

وبهذا يبطل أيضًا قول من قال بتواتر الرسل ووجوب ذلك أبدًا وبكل ما قدمناه مما أبطلنا به

---

(٤٩) فى (أ ، ب) [كالطير] .
(٥٠) فى النسخة (ب) [نوع] .
(٥١) الحسين بن منصور الحلاج (٣٠٩) هـ (٩٢٢) م .
أبو مغيث فيلسوف ، يعد تارة فى كبار المتعبدين والزهاد ، وتارة فى زمرة الملحدين ، أصله من بيضاء فارس ، ونشأ بواسط العراق أو بتستر وانتقل إلى البصرة وحج ودخل بغداد وعاد إلى تستر وظهر أمره سنة ٢٩٩ هـفاتبع الناس طريقته فى التوحيد والإيمان قالوا : إنه كان يأكل يسيرًا ويصلى كثيرًا ويصوم الدهر ، وأنه كان يظهر مذهب الشيعة للملوك العباسيين ومذهب الصوفية للعامة ، وهو فى تضاعيف ذلك يدعى حلول الإلهية فيه.
قال ابن خلكان : قطعت أطرافه الأربعة ثم حزّ رأسه وأحرقت جثته ولما صارت رماداً ألقيت فى دجلة ونصب الرأس على جسر بغداد .
وقال ابن النديم كان محتالاً يتعاطى مذاهب الصوفية ويدعى كل علم ، جسور على السلاطين مرتكبًا للعظائم يقول بالحلول من كتبه : طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورية والظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية ، وقرآن الفرقان ، والسياسة والخلفاء والأمراء ، وعلم البقاء والفناء ، ووضع المستشرق غولدزيهر رسالة فى الحلاج وأخباره وتعاليمه ، وكذلك صنف المستشرق لويس مسينيون كتابا فى الحلاج وطريقته ومذهبه . الاعلام جـ ٢ ص ٢٨٥ .
(٥٢) فى (أ ، ب) (على) .
(٥٣) فى النسخة (أ) [فإذا] .
(٥٤) فى (أ ، ب) [مكان] .
(٥٥) فى النسخة (ب) [يصدق] . وفى (أ) [يصدقون] .

قول من قال بامتناعه ألبتة ؛ إذ عمدة حجة هؤلاء هى قولهم : إن الله حكيم ، والحكيم لا يجوز فى حكمته أن يترك عباده هملًا دون إنذار .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد أحكمنا بحول الله تعالى وقوته قبل هذا أن الله تعالى عز وجل لا شرط عليه ، ولا علة عليه أن يفعل شيئًا ، ولا ألا يفعله(٥٦) وأنه تعالى لو أهمل الناس لكان حقًا ، وحسنا لو خلقهم كما خلق سائر الحيوان الذى لم يلزمه شريعة ، ولا حَظر عليه شيء ، وأنه تعالى لو واتر الرسل والنذارة أبدًا لكان حقًا وحسنا ،(٥٧) كما فعل بالملائكة الذين هم حملة وحيه ورسله أبدًا ، وأنه تعالى لو خلق الخلق كفارًا كلهم لكان ذلك منه حقا وحسنا ، أو لو خلقهم مؤمنين كلهم لكان حقًا وحسنا ، كما أن الذى فعل تعالى من كل ذلك حق وحسن ، وأنه لا يقبح شيء إلَّا مِنْ مأمورٍ منهى قد تقدّمت الأوامر وجوده وسبقت الحدود المرتَّبة للأشياء كونَه ، وأما من سبق كلّ ذلك فله أن يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء لا معقب لحكمه .

وأمّا **الملائكة** فكل من له معرفة ببنية العالم والأفلاك والعناصر فإنه يعلم أن الأرض وعمقها أقرب إلى الفساد من سائر العناصر ، ومن سائر الأجرام العلوية . وأنها مواتية كلها ، وأن الحياة إنما هى فى النفس(٥٨) المنزلة قسرًا إلى مجاورة البدن(٥٩) الترابى المواتى(٦٠) من سائر(٦١) جميع الحيوان . فقد ثبت يقينا بضرورة المشاهدة أن محلَّ الحياة وعنصرها ، ومعدنها ، وموضعها إنما هو هنالك من حيث جاءت النفوس الحية الناقصة بما فى طبعها من مجاورة هذه الأجساد ، والتشبث بها عن كمال ماخُصَّ بالحياة الدائمة ولم يشن ولا نقص فضلُه وصفاؤه بمجاورة الأجساد الكدرة المملوءة آفاتٍ ودرنًا وعيوبًا ، فصحَّ أن العلو الصافى هو محل الأحياء الفاضلين السالمين من كل رذيلة ، ومن كل نقص ، ومن كل مزاج فاسد ، المحبُوِّين بكل فضيلة فى الخلق ، وهذه صفة الملائكة عليهم السلام . وصح بهذا أن على قدر سعة ذلك المكان يكون كثرة من فيه من أهله وعُمّاره ، وأنه لا نسبة لما فى هذا المحل الضيق والنقطة الكدرة(٦٢) مما هنالك كما لا نسبة لمقدار هذا المكان من ذلك ، وبهذا صحت النبوة(٦٣) وهكذا أخبر رسول الله ﷺ عن كثرة الملائكة فى الأخبار المسندة الثابتة عنه ﷺ ، وبهذا وجب أن يكونوا هم الرسل والوسائط بين الأول تعالى الذى خصهم بالنبوّة والرسالة وتعليم العلوم ، وبين إنقاذ النفوس من الهلكة .

---

(٥٦) فى النسخة (أ) [ولا أن يفعله] .
(٥٧) فى النسختين (أ) و (ب) [لما] .
(٥٨) فى (أ ، ب) [النفوس] .
(٥٩) فى (أ ، ب) [الأجساد] .
(٦٠) فى (أ) سقطت هذه الكلمة ، وهى نسبة إلى الموت .
(٦١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [سائر] .
(٦٢) فى (أ ، ب) [الكدراء ومما] .
(٦٣) فى (أ ، ب) [الرواية] .

الكلام على من قال إنَّ فى البهائم رسلًا

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ذهب **أحمد بن حابط**[1] وكان من أهل البصرة من تلاميذ إبراهيم النظام يظهر الاعتزال ، وما نراه الكافر كان إلا منانيا[2].

وإنما استجزنا[3] إخراجه عن الإسلام لأن أصحابه حكوا عنه وجوهًا من الكفر ، منها التناسخ ، والطعن على رسول الله ﷺ وسلم بالنكاح ، وكان من قوله إن الله عز وجل نبأ أنبياء من كل نوع من أنواع الحيوان ، حتى البق والبراغيث والقمل وحجته فى ذلك قول الله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه إلَّا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء »[4]، ثم ذكر قوله تعالى : « وإن من أمة إلَّا خلا فيها نذير »[5].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا لا حجة لهم فيه لأن الله عزّ وجل يقول « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[6]» ، وإنما يخاطب الله بالحجة من يعقلها قال الله تعالى : « يا أولى الألباب » . وقد علمنا بضرورة الحس أن الله تعالى إنما خص بالنطق الذى هو التصرف فى العلوم ، ومعرفة الأشياء على ما هى عليه ، والتصرف فى الصناعات على اختلافها – الإنسانَ خاصة . وأضفنا إليهم بالخبر الصادق مجرد الجن ، وأضفنا إليهم بالخبر الصادق ، وببراهين أيضًا ضرورية الملائكة ، وإنما شارك من ذكرنا سائر الحيوان فى الحياة خاصة وهى الحس والحركة الإرادية ،

---

(١) احمد بن حابط
من أصحاب النظام وينتسب إليه ، ويقول بالطفرة ، وينفى الجزء الذى لا يتجزأ وذهب إلى التناسخ ، وزعم أن المسيح تدرع بالجسد الجسمانى ، وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى . ثم إنه شبه عيسى بن مريم بربه وزعم أنه الإله الثانى ، وأنه هو الذى يحاسب الخلق فى القيامة . مات أيام الواثق بالله (الفرق بين الفرق ص ٢٢٨ ، والملل والنحل ص ٨٢ ج ١) .

(٢) فى (أ ، ب) « وما نراه إلا كافرًا لا مؤمنا » .

(٣) فى (أ ، ب) « استخرنا » .

(٤) سورة الأنعام : ٣٨ .

(٥) سورة فاطر : ٢٤ .

(٦) سورة النساء : ١٦٥ .

فعلمنا بضرورة العقل أن الله تعالى لا يخاطب بالشرائع إلّا من يعقلها ويعرف المراد بها . وبقوله تعالى : « لا يكلف الله نفسًا إلّا وسعها[٧] » . ووجدنا جميع الحيوان حاشا الناس يجرى على رتبة واحدة فى تصرفها فى معاشها[٨] وتناسلها ، لا يجتنب منها واحد شيئًا يفعله غيره . هذا الذى يدرك حسًا فيما يعاشر الناس فى منازلهم من المواشى والخيل والبغال والحمير والطير وغير ذلك . وليس الناس فى أحوالهم كذلك ، فصح أن البهائم غير مخاطبة بالشرائع وبطل قول ابن حابط . وصح أن معنى قول الله تعالى : « أمم أمثالكم » أى أنواع أمثالكم ، إذ كل نوع يسمى أمة . وأن معنى قوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » إنما عنى تعالى تلك[٩] الأمم من الناس ، وهم القبائل والطوائف . ومن الجن لصحة وجوب العبادة عليهم . فإن قال قائل : فما يدريك لعل سائر الحيوان له نطق وتمييز ؟

قيل له وبالله التوفيق : بقضية العقول وبديهها عرفنا الأشياء على ما هى عليه . وبها عرفنا الله عز وجل[١٠] وصحة النبوات[١١] وهى التى لا يصح شيء إلّا بموجبها . فما عرف بالعقل وجوبه[١٢] فهو واجب بيننا نريد فى الوجود فى العالم – وما عرف بالعقل أنه محال فهو محال فى العالم ، وما وجد بالعقل إمكانه[١٣] فجائز أن يوجد ، وجائز أن لا يوجد ، وبضرورة العقل والحس علمنا أن كل نوعين[١٤] واقعين تحت جنس واحد فإن ذلك الجنس يعطيهما اسمه وحدَّه عطاء مستويًا . فلما كان جنس الحى يجمعنا مع سائر الحيوان استوينا معها كلها استواء لا تفاضل فيه ، فما اقتضاه اسم الحياة من الحس والحركة الإرادية ، وهذان المعنيان هما الحياة لا حياة غيرهما أصلًا . وعلمنا ذلك بالمشاهدة لأننا رأينا الحيوان يألم بالضرب والنخس ، ويحدث لهما من الصوت والقلق ما يحقق ألمها كما نفعل نحن ولا فرق . ولذلك لما تشاركنا[١٥] والحيوان وجميع الشجر والنبات فى النماء استوى جميع الحيوان فيما اقتضاه اسم النمو من طلب الغذاء ، واستحالته فى المتغذّى به إلى نوعه ، ومن طلب بقاء النوع مع جميع الشجر والنبات استواء واحدًا لا تفاضل فيه .

ولما شاركنا وجميع الحيوان والشجر والنبات وسائر الجمادات فى أن كل ذلك أجسام طويلة عريضة ، عميقة – جميعَ الأجرام استوى كل ذلك فيما اقتضاه له اسم الجسمية فى ذلك استواء

---

(٧) سورة البقرة : ٢٨٦ .
(٨) فى النسخة (ب) [معايشها] .
(٩) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [تلك] .
(١٠) فى (أ ، ب) [تعالى] .
(١١) فى (أ ، ب) [النبوة] .
(١٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [وجوبه] .
(١٣) فى (خ) : [وما وجدنا إمكانه بالعقل] .
(١٤) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [نوعين] .
(١٥) فى (أ ، ب) [شاركنا] .

لا تفاضل فيه :

ولم يدخل ما لم يشارك شيئًا مما ذكرنا في الصفة التى انفرد بها عنه . هذا كله يعلمه ضرورة من وقف عليه مما له حس سليم . فلما كان النطق الذى هو التصرف فى العلوم والصناعات قد خصنا دون سائر الحيوان وجب ضرورة أن لا يشاركنا شيء من الحيوان فى شيء منه ، إذ لو كان فيه شيء منه لما كنا أحق بكله من سائر الحيوان . كما أنا لسنا بالحياة أحق منها ، ولا بالنمو ولا بالحركة ولا بالجسمية ، فصح بهذا أنه لا نطق لها أصلًا .

فإن قال قائل : لعل نطقها بخلاف نطقنا ؟ قيل له وبالله التوفيق :

لا يتشكل فى العقول ألبتة حياة على غير صفة الحياة عندنا . ولا نماء على غير صفة النماء عندنا ، ولا حمرة على غير الحمرة عندنا . ولا جسم على خلاف الأجسام عندنا ، وهكذا فى كل شيء ، ولو كان شيء بخلاف ما عندنا لم يقع عليه ذلك الإسم أصلًا ، وكان كمن سمّى الماء نارًا ، والعسل حجرًا ، وهذا هو الحمق والتخليط فبالضرورة وجب أن كل صفة هى بخلاف نطقنا فليس نطقًا . والنطق عندنا هو التصرف فى العلوم والصناعات ومعرفة الأشياء على ما هى عليه ، فلو كان ذلك النطق بخلاف هذا لكان ليس معرفة للأشياء على ما هى عليه ، ولا تصرفًا فى العلوم والصناعات . فهو إذًا ليس نطقًا ، فبطل هذا الشغب السخيف(١٦) والحمد لله رب العالمين .

فإن اعترض معترض بفعل النحل ، ونسج العنكبوت قيل له وبالله التوفيق :

إنَّ هذا طبيعة ضرورية ، لأن العنكبوت لا يتصرف فى غير تلك الصفة من النسج ولا توجد أبدًا إلّا لذلك . وأمّا الإنسان فإنه يتصرف فى عمل الديباج والوشى والقباطى . وأنواع الأصباغ والدباغ ، والخرط والنقش ، وسائر الصناعات من الحرث والحصاد والطحن والطبخ والبناء والتجارات . وفى أنواع العلوم من النجوم ومن الأغانى والطب والنبل(١٧) والجبر ، والعبارة والعبادة وغير ذلك .

ولا سبيل لشيء من الحيوان إلى التصرف فى غير الشيء الذى اقتضاه له طبعه . ولا إلى مفارقة تلك الكيفية ، فإن اعترض معترض بقول الله تعالى : « عُلِّمنا منطق الطير(١٨) » . وبما ذكر الله تعالى من قول النملة : « يأيها النمل ادخلوا مساكنكم(١٩) » الآية . وقصة الهدهد . قيل وبالله تعالى التوفيق :

لم ندفع أن يكون للحيوان أصوات عند معاناة ما تقتضيه له الحياة من طلب الغذاء ، وعند

---

(١٦) فى النسخة (ب) [المسخف] .

(١٧) فى (أ ، ب) [والقبل] .

(١٨) سورة النمل : ١٦ .

(١٩) سورة النمل : ١٨ .

الألم ، وعند المضاربة ، وطلب السّفاد ، ودعاء أولادها ، وما أشبه ذلك فهذا هو الذى علمه الله تعالى سليمان رسوله عليه السلام . وهذا الذى يوجد فى أكثر الحيوان ، وليس هذا من تمييز دقائق العلوم والكلام فيها ، ولا من عمل وجوه الصناعات كلها فى شىء . وإنما عنى الله تعالى : « بمنطق الطير » أصواتها التى ذكرنا . لا تمييز العلوم والتصرف فى الصناعات التى[٢٠] من ادعاها لها أكذبه العيان ، والله تعالى لا يقول إلّا الحق .

وأما قصة النملة والهدهد : فهما معجزتان خاصتان لذلك النمل ولذلك[٢١] الهدهد . وآيتان لسليمان رسول الله ﷺ . « ككلام[٢٢] **الذراع وحنين الجذع ، وتسبيح الطعام** لمحمد ﷺ آيات لنبوته عليه السلام ، وكذلك حياة عصا موسى عليه السلام آية لرسول الله موسى عليه السلام ، لأن هذا النطق شامل لأنواع هذه الأشياء .

قال « أبو محمد » رضى الله عنه : وقد قاد السخف والضعف والجهل من يُقَدِّر فى نفسه أنه عالم وهو المعروف **بخويز منداد المالكى**[٢٣] إلى أن جعل للجمادات تمييزاً .

قال « أبو محمد » رضى الله عنه : ولعلّ معترضا يعترض بقول الله تعالى : « وإن من شىءٍ إلّا يسبح بحمده[٢٤] » ، وبقوله تعالى : « ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الأرض[٢٥] » الآية . وبقوله تعالى : « إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان[٢٦] » الآية . وبقوله تعالى حاكيًا أنه قال للسماوات والأرض : « ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين[٢٧] » وبقول رسول الله ﷺ : « يوم يقتص للشاة[٢٨] الجماء

---

(٢٠) فى (أ ، ب) : « الذى » .

(٢١) فى النسخة (ب) [وكذلك] . وقد أشار إليها القرآن الكريم فى سورة النمل فى قوله تعالى : « حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة : يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون – الآية ١٨ – سورة النمل » .

(٢٢) بعد فتح خيبر أهدت زينب ابنة الحرب لرسول الله ﷺ شاة مصلية وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله فقيل لها : الذراع فأكثرت فيه السم ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله فلفظها ثم قال : « إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم » ثم دعابها فاعترفت فقال : ما حملك على ذلك . قالت : بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت : إن كان ملكا استرحت منه ، وإن كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها (سيرة ابن هشام حـ ٣ / ٣٩٠ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مطبعة حجازى بالقاهرة) .

(٢٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد عبد الله خويز منداد المالكى من كبار المالكية صنف كتاباً كبير فى الخلاف ، وآخر فى أصول الفقه – كان يجانب الكلام وينافر أهله – توفى سنة ٣٩٠ هـ تقريباً : طبقات المالكية ١٠٣ .

(٢٤) سورة الإسراء : آية ٤٤ .

(٢٥) سورة الحج : آية رقم ١٨

(٢٦) سورة الأحزاب : ٧٢ .

(٢٧) سورة فصلت : ١١ .

(٢٨) فى النسخة (أ) [للشتاة] . قال الرسول ﷺ : « لتؤدون الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلماء من الشاة القرناء تنطحها .

(رواه أحمد فى مسنده ، ورواه البخارى فى كتاب الأدب ، ورواه مسلم فى صحيحه ، ورواه الترمذى ، وأشار إليه السيوطى فى جامعه الصغير بالصحة حـ ٢ / ١٢٢) .

من الشاة القرناء » فهذا كله حق ولا حجة لهم فيه والحمد لله رب العالمين . لأن القرآن واجب أن يحمل على ظاهره ، كذلك كلام رسول الله ﷺ ، ومن خالف ذلك كان عاصيًا لله عزَّ وجل مبدلًا لكلماته ، ما لم يأت نص فى أحدهما ، أو إجماع متيقن ، أو ضرورة حسٍّ على خلاف ظاهره ، فيوقف عند ذلكم ، ويكون مَنْ حَمَله على ظاهره حينئذ ناسبًا الكذب إلى الله عزَّ وجل ، أو[٢٩]كاذبًا عليه ، وعلى نبيه عليه السلام نعوذ بالله من كلا الوجهين . وإذ قد بينا قبلُ بالبراهين الضرورية أن الحيوان غير الإنس والجن والملائكة لا نطق له نعنى أنه لا تصرف له فى العلوم والصناعات . وكان هذا القول مشاهدًا بالحس معلومًا بالضرورة لا ينكره إلا وقح[٣٠] مكابر لحسه ، وبينا أن كل ما[٣١] كان بخلاف التمييز المعهود عندنا فإنه ليس تمييزًا ، وكان هذا أيضًا يعلم بالضرورة والعيان والمشاهدة ، فوجب أنه بخلاف ما يسمى فى الشريعة واللغة نطقًا وقولًا وتسبيحًا وسجودًا ، فقد وجب أنها أسماء مشتركة اتفقت ألفاظها ، وأما معانيها فمختلفة لا يحل لأحد أن يحملها على غير هذا ، لأنه إن فعل كان مخبرًا أن الله تعالى قال ما يبطله العيان والعقل الذى به عرفنا الله تعالى . ولولاه ما عرفناه ، ومن أجاز هذا كان كافرًا مشركًا ، ومن أبطل العقل ، فقد أبطل التوحيد إذ كذب شاهده عليه ، إذ لولا العقل لم يَعرف الله عزّ وجل أحد ، ألا ترى المجانين والأطفال لا يلزمهم شريعة لعدم عقولهم ؟ ومن جوّز هذا فلا ينكر على النصارى ما يأتون به من[٣٢] خلاف المعقول . ولا على الدهرية ، ولا على السوفسطائية ما يخالفون به المعقول ، لكنا نقول : إنَّ اللفظ مشترك والمعنى هو ما قام الدليل عليه ، كما فعلنا فى النزول وفى الوجه واليدين والأعين ، وحملنا كل ذلك على أنه حق بخلاف ما يقع عليه اسم « ينزل » عندنا ، واسم « يد » و « عين » عندنا ، لأن هذا عندنا فى اللغة واقع على الجوارح والنقلة[٣٣]. وهذا منفى عن الله تعالى .

فإذ لا شك فى هذا فلنقل الآن على معانى الآيات التى ذكرنا أنه ربما اعترض بها من لايمعن النظر بحول الله وقوته فنقول وبالله تعالى التوفيق .

أما تسبيح كل شىء فالتسبيح عندنا إنما هو قول « سبحان الله وبحمده » . وبالضرورة نعلم أن الحجارة والخشب والهوام والحشرات والحيوان غير[٣٤] الناطق لا تقول « سبحان الله » بالسين والباء والحاء والألف والنون ، واللام والهاء . هذا ما لا يشك فيه من له مسكة عقل ، فإذ لا شك فى هذا فباليقين علمنا أن التسبيح الذى ذكره الله تعالى هو حق ، وهو معنى غير تسبيحنا نحن

---

(٢٩) فى (خ) سقطت [أو] .
(٣٠) فى (خ) [إلا وقاح] .
(٣١) فى (أ) سقطت [كل ما] .
(٣٢) سقطت [من] فى (أ) .
(٣٣) يشير إلى المعنى اللغوى لكلمة [ينزل] وما شابهها مما يدل على الانتقال من مكان إلى مكان .
(٣٤) فى (أ ، ب) [والألوان] .

بلا شك . فإذ لا شك فى هذا فإن التسبيح فى أصل اللغة هو تنزيه الله تعالى عن السوء . فإذ قد صح هذا فإن كل شيء فى العالم بلا شك منزه لله تعالى عن السوء الذى هو صفة الحدوث ، وليس فى العالم شيء إلا وهو دال بما فيه من دلائل الصنعة ، واقتضائه صانعًا لا يشبه شيئًا(٣٥) مما خلق تعالى ، على أن الله تعالى منزه عن كل سوء ونقص . وهذا هو الذى لا يفهمه ولا يفقهه كثير من الناس ، كما قال تعالى : « ولكن لا تفقهون تسبيحهم »(٣٦) .

فهذا هو تسبيح كل شيء بحمد الله تعالى بلا شك . وهذا المعنى حق لا ينكره موحد .

فإن كان قولنا هذا متَّفقًا على صحته وكانت الضرورة توجب أنه ليس هو التسبيح المعهود عندنا ، فقد ثبت قولنا ، وانتفى قول من خالفنا بظنه الكاذب .

وأيضًا فإن الله تعالى يقول : « وإن من شيءٍ إلا يسبّح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم(٣٧)» والكافر الدّهرى شيء ، لا يُشَك فى أنه شيء ، وهو لا يسبح بحمد الله تعالى ألبتة . فصح ضرورة أن الكافر يسبح إذ هو من جملة الأشياء التى تسبح بحمد الله تعالى ، وأن تسبيحه ليس هو قوله سبحان الله وبحمده بلا شك ، ولكنه تنزيه الله تعالى بدلائل خلقه وتركيبه عن أن يكون الخالق مشبهًا لشيء مما خلق . وهذا يقين لا شك فيه . فصح بما ذكرنا أن لفظة التسبيح هى من الأسماء المشتركة . وهى التى تقع على نوعين فصاعدًا .

وأما السجود الذى ذكره الله سبحانه وتعالى فى قوله : « ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعًا وكرهًا(٣٨)» .

فقد علمنا أن السجود المعهود عندنا فى الشريعة واللغة هو وضع الجبهة واليدين والركبتين ، والرجلين ، والأنف فى الأرض بنية التقرب بذلك إلى الله تعالى .

هذا ما لا يشك فيه مسلم ، وكذلك نعلم ضرورة لا شك فيها أن الحمير والهوام والخشب والحشيش والكفار لا تفعل ذلك ؟ لا سيما من ليس له هذه الأعضاء . وقد نص تعالى على صحة ما قلنا ، وأخبر تعالى أن فى الناس من لا يسجد له السجود المعهود عندنا بقوله تعالى : « واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم أياه تعبدون ، فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون(٣٩)» .

فأخبر تعالى أن فى الناس من يستكبر عن السجود له فلا يسجد ، وقال تعالى : « ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعًا وكرهًا(٤٠)» .

(٣٥) سقطت كلمة [شيئا مما خلق] . وفى (خ) [لا يشبهه شيء] .
(٣٦) الإسراء : ٤٤ .
(٣٧) السورة السابقة .
(٣٨) سورة الرعد : آية رقم ١٥ .
(٣٩) سورة فصلت : آية ٣٧ .
(٤٠) سورة الرعد : آية ١٥ .

فبين تعالى أن السجود كرهًا غير السجود بالطوع الذى هو السجود المعهود عندنا . وإذ قد أخبر الله تعالى بهذا وصح أيضاً بالعيان، فقد علمنا بالضرورة أن السجود الذى أخبر الله تعالى أنه يسجده له من فى السموات والأرض هو غير السجود الذى يفعله المؤمنون طوعاً ، ويستكبر عنه بعض الناس ، ويمتنع منه أكثر الخلق . هذا مما لا يشك فيه مسلم ، فإذ هذا كذلك بلا شك فواجب علينا أن نطلب معنى هذا السجود ما هو ؟ ففعلنا فوجدناه مبينا بلا إشكال فى آيتين من كتاب الله وهما قوله تعالى : « وظلالهم بالغدو والآصال[٤١]» .

وقوله تعالى : « أولم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيأ ظلالُه عن اليمين والشمائل سجدًا لله وهم داخرون[٤٢]» .

فبين تعالى فى هاتين الآيتين بيانًا لا إشكال فيه : أن ميل الفىء والظل بالغدوات والعشيات[٤٣] من كل ذى ظل هو معنى السجود المذكور فى الآية ، لا السجود المعهود عندنا . وصح بهذا أن لفظة السجود هى من الأسماء المشتركة التى تقع على نوعين فأكثر . وأما قوله تعالى : « قالتا أتينا طائعين » .

فقد علمنا بالضرورة والمشاهدة أن القول فى اللغة التى نزل بها القرآن إنما هو دفع آلات الكلام من أنابيب الصدر والحلق والحنك ، واللسان والشفتين والأضراس بهواء يصل إلى أذن السامع فيفهم به مرادات القائل ، فإذ لا شك فى هذا فكل من لا لسان له ولا شفتين ولا أضراس ولا حنك ولا حلق فلا يكون منه القول المعهود منا . هذا[٤٤]ما لا يشك فيه ذو عقل ، فإذ هذا هكذا كما قلنا بالعيان . فكل قول ورد به نص ولفظ مخبَر به عمن ليست هذه صفته فإنه ليس هو القول المعهود عندنا ، لكنه معنى آخر فإذ هذا كما ذكرنا فالبضرورة قد صح أن معنى قوله تعالى : « قالتا أتينا طائعين » إنما هو الجرى[٤٥] على نفاذ حكمه عز وجل فيهما وتصريفه لهما . وأما « عرضه تعالى الأمانة على السماوات والأرض والجبال وإبابة كل واحدٍ منها وإشفاقها[٤٦] فلسنا نعلم نحن ولا أحد من الناس كيفية ذلك .

وهذا نص قوله تعالى : « ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم »[٤٧] فمن تكلف أو كلف غيره معرفة ابتداء الخلق وأن له مبدأ لا يشبهه ألبتة ، فأراد معرفة كيف كان فقد دخل فى قوله تعالى : « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم[٤٨]» .

(٤١) سورة الرعد : ١٥ .
(٤٢) سورة النحل : ٤٨ .
(٤٣) فى (خ) [والعشايا] .
(٤٤) فى (أ ، ب) [مما] .
(٤٥) سقطت كلمة [الجرى] من (ب) .
(٤٦) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [وإشفاقها] .
(٤٧) الكهف : ٥١ .
(٤٨) سورة النور : آية ١٥ .

إلَّا أننا نوقن أنه تعالى لم يعرض على السماوات والأرض والجبال الأمانة إلَّا وقد جعل فيها تمييزًا لما عرض عليها ، وقوة تفهم بها الأمانة فيما عرض عليها ، فلما أبتها وأشفقت منها سلبها ذلك التمييز ، وتلك القوة ، وأسقط عنها تكليف الأمانة . هذا ما يقتضيه كلامه عزَّ وجل ، ولا مزيد عندنا على ذلك . وأمّا ما كان بعد ابتداء الخلق فمعروف الكيفيات قال تعالى : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلًا لا مبدّل لكلماته[٤٩]» .

فصح أنه لا تبديل لما رتبه الله تعالى مما أجرى عليه خلائقه . حاشا ما أحال فيه الرتب والطبائع للأنبياء عليهم السلام ، فإن اعترضوا أيضًا بقول الله تعالى يصف الحجارة : « وإنَّ من الحجارة لما يتفجَّر منه الأنهار ، وإنَّ منها لما يَشّقّق فيخرجُ منه الماء ، وإنَّ منها لما يهبُط من خشية الله[٥٠]» .

فقد علمنا بالضرورة أن الحجارة لم تؤمر بشريعة ولا بعقل ولا بعث إليها نبى قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا[٥١]» .

فإذ لا شك فى هذا فإن القول المذكور[٥٢] منه تعالى يخرج على أحد ثلاثة أوجه :

إحداها أن يكون الضمير فى قوله تعالى : « وإنَّ منها لما يهبط » راجع إلى القلوب المذكورة فى أوّل الآية فى قوله تعالى : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » الآية .

فذكر تعالى : أن من تلك القلوب القاسية ما يقبل الإيمان يومًا ما فيهبط عن القسوة إلى اللين من خشية الله تعالى . وهذا أمر يشاهد بالعيان فقد تلين القلوب القاسية بلطف الله تعالى ويخشى العاصى .

وقد أخبر عزّ وجل : أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليهم[٥٣]. وكما أخبر تعالى : أن من الأعراب من يؤمن بالله من بعد أن أخبر تعالى أن « الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا ، وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله[٥٤]» .

فهذا وجه ظاهر متيقّن الصحة .

---

(٤٩) سورة الانعام : ١١٥ .
(٥٠) سورة البقرة : ٧٤ .
(٥١) سورة الإسراء آية : ١٥
(٥٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [المذكور] .
(٥٣) الآية التى تشير إلى ذلك قول الله تعالى فى سورة آل عمران آية : ١٩٩ : « وإنَّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله » . . الآية .
(٥٤) سورة التوبة آية : ٩٧ .

والوجه الثانى : أن الخشية المذكورة فى الآية إنما هى التصرف بحكم الله تعالى وجرى أقداره[٥٥] كما قلنا فى قوله تعالى عزَّ وجل حاكيًا عن السماء والأرض : « قالتا أتينا طائعين » . وقد بيّن جل وعز ذلك موصولًا بهذا اللفظ فقال جل وعزَّ : « فَقَضَاهنَّ سَبْعَ سَمَاواتٍ فى يَوْمَيْنِ وأَوْحَى فى كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها[٥٦]» فبين الله تعالى بيانًا رفع كل إشكال : أن تلك الطاعة من السماوات والأرض إنما هى تصرفه لها ، وقضاؤه تعالى « إياهن سبع سماوات ، ووحيه فى كل سماء أمرها ، فصح قولنا نصًا جليًا ببيان الله تعالى لذلك والحمد لله رب العالمين .

وصح بهذا أن إباية السماوات والأرض والجبال من قبول الأمانة إنما هو لما ركبها الله تعالى عليه من الجمادية وعدم التمييز ، وقد علم كل ذى عقل امتناع قبول ما هذه صفته للشرائع والأوامر والنواهى ، وقد ذم الله تعالى « من ينعق بما لا يسمع إلَّا دعاء ونداء[٥٧]» .

ولا يحل لمسلم أن ينسب إلى الله تعالى فعلًا ذمه .

والوجه الثالث : أن يكون الله تعالى عنى بقوله : « وإنَّ منها لما يهبط من خشية الله » : الجبل الذى صار دكًا إذ تجلى الله تعالى له يوم سأله كليمه عليه السلام الرؤية ، فذلك الجبل من جملة الحجارة ، وقد هبط عن[٥٨] مكانه من خشية الله تعالى . وهذه معجزة وآية وإحالة طبيعة فى ذلك الجبل خاصة . ويكون « يهبط » بمعنى « هبط » كما قال الله عزَّ وجل « وإذ يمكر بك الذين كفروا[٥٩]» .

ومعناه بلا شك وإذ مكر .

وبين قوله تعالى مصدقًا إبراهيم خليله ﷺ فى إنكاره على أبيه عبادة الحجارة « ياأبتِ لِمَ تعبدُ مَا لَا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ[٦٠]» .

وقوله[٦١] تعالى : أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون » ما هى عليه من الجمادية وعدم التمييز[٦٢].

---

(٥٥) فى (خ) [وجرى أحكامه] .
(٥٦) سورة فصلت : آية رقم ١٢ .
(٥٧) قال تعالى : « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلَّا دعاء ونداء » البقرة ١٧١ .
(٥٨) فى (أ) : [من] .
(٥٩) سورة الأنفال : آية ٣٠ .
(٦٠) سورة مريم : آية ٤٢ .
(٦١) فى النسخة (ب) [وبقوله] والآية سورة الزمر آية ٤٣ وصوابها : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء » وقد ذكرت فى النسختين [واتخذوا] .
(٦٢) سقطت فى (ب) [ما هى عليه من الجمادية وعدم التمييز] .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فصح بهذا صحة لا مجال للشك فيها أن الحجارة لا تعقل لأنها التى كانوا يعبدون مما يعقل

وأما سائر ما كانوا يعبدون من الملائكة ، والمسيح وأمه عليهما السلام ، ومن الجن ، فكل هؤلاء عاقلون مميزون ، فلم يبق إلا الحجارة فصح بالنص أنها لا تعقل ، وإذ تيقن ذلك بالنص وبالضرورة وبالمشاهدة ، فقد انتفى عنها النطق والتمييز والخشية المعهود كل ذلك عندنا وصحَّ أن هذه الألفاظ واقعة على معان غير المعهودة عندنا[٦٣] وهذا نص قولنا « والحمد لله رب العالمين » .

وأما الأحاديث المأثورة فى أن الحجر له لسان وشفتان ، والكعبة كذلك ، وأن الجبال تطاولت ، وخشع جبل كذا فخرافات موضوعة نقلها كل كذاب وضعيف لا يصح شىء منها من طريق الإسناد ولا يصح شىء من ذلك[٦٤] أصلًا .

ويكفى من التطويل فى ذلك أنه لم يُدخل شيئًا منها من انتدب من الأئمة لتصنيف الصحيح من الحديث . أو ما يستجاز روايته مما يقارب الصحة .

قال «أبو محمد » (رضى الله عنه) : وكل من يخالفنا فى هذا فإنه إذا أقر لنا أن القول المذكور فى الآيات التى تلونا ، والسجود والتسبيح والخشية ليس شىء منه على الصفة المعهودة بيننا ، قد وافقنا أحب أو كره ، وهم كلهم مقرون بذلك ، وقد جاء ذلك فى أشعار العرب :

قال الشاعر : شكى إلىَّ جملى طول السُّرى[٦٥].

وقال آخر : فقالت له العينان سمعًا وطاعة[٦٦].

وقال الراعى : قلق الفئوس إذا أردن نصولًا[٦٧].

ومن هذا الباب قوله تعالى : « جدارًا يريد أن ينقض فأقامه[٦٨]» .

---

(٦٣) فى (أ ، ب) سقطت العبارة من [وصح أن هذه الألفاظ . . . عندنا] .

(٦٤) فى (أ ، ب) سقطت جملة [ولا يصح شىء من ذلك] . والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه الوليد بن عباد وهو مجهول وبقية رجاله ثقات كذلك رواه الطبرانى فى الكبير من طريق بكر بن محمد القرشى عن الحارث ابن غسان وكلاهما غير معروف .

(٦٥) هذا صدر بيت وعجزه : « صبر جميل فكلانا مبتلى » . وقد استشهد به الأشمونى فى حذف المبتدأ إذا كان الخبر مصدرًا ينوب عن فعله ولم ينسبه بل قال : « وقال الراجز » . واستشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : « وقولوا حطة » فى سورة البقرة ولم ينسبه ، ورجعت إلى معجم شواهد العربية لعبد السلام هارون فلم يذكره .

(٦٦) هذا صدر بيت وعجزه : « وإن كنت قد حمّلت ما لم أحمَّل » .

(٦٧) وهذا عجز بيت للراعى وصدره : « فى مهمه قلقت به هاماتها : « قلق الفئوس إذا أردن نصولا » .

(٦٨) سورة الكهف : آية ٧٧ .

وهذا بلا شك غير الإرادة المعهودة من الحيوان . فصح قولنا بالنص والضرورة ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قول رسول الله ﷺ : « يوم يقنص للشاة الجمّاء من الشاة القرناء[٦٩] » فقد قال الله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرّطنا فى الكتاب من شىء ، ثم إلى ربهم يحشرون[٧٠] » . وقال تعالى : « وإذا الوحوش حشرت[٧١] » .

فصح أنها تحشر بلا شك ، ويسلط الله تعالى ما يشاء من خلقه على من يشاء فإذا سلط القرناء على الجماء فى الدنيا فله تعالى أن يسلط الجماء على القرناء فى الآخرة يوم القيامة . ولم يأت نص ولا إجماع ولا دليل عقل ، ولا دليل خبر على أن المواشى متعبدة بشريعة . وهذا مما نُقِرُّ به ونقول :

يفعل الله ما يشاء ، ولا علم لنا إلا ما علمنا . وبالله تعالى التوفيق .

---

(٦٩) نص الحديث كما رواه أحمد فى مسنده : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلماء من الشّاة القرناء تنطحها » . وقد رواه البخارى فى كتابه الأدب ورواه الإمام مسلم ، والترمذى ، والسيوطى فى الجامع الصغير حـ ٢ ص ١٢٢ .

(٧٠) سورة الأنعام : ٣٨ .

(٧١) سورة التكوير : آية رقم ٥ .

الرد على من زعم أن الأنبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم رسلًا

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : حديث فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ﷺ ليس هو الآن[1] رسول الله ﷺ ، ولكنه كان رسول الله ﷺ ، وهذا قول ذهب إليه الأشعرية[2].

وأخبرنى « سليمان بن خلف الباجى[3]» وهو من مقدميهم اليوم أن « محمد بن الحسن ابن فورك[4]» الأصبهانى على هذه المسألة قتله بالسم « محمود بن سبكتكين[5]» صاحب ما دون وراء النهر من خراسان رحمه الله .

---

(١) فى (خ) [اليوم] .

(٢) نسبة إلى أبى الحسن الأشعرى (٢٦٠ - ٣٢٤ هـ - ٨٧٤ - ٩٣٦م) وهو :
على بن إسماعيل إسحاق ، أبو الحسن من نسل الصحابى أبى موسى الأشعرى مؤسس مذهب الأشاعرة ، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، ولد بالبصرة - وتلقى مذهب المعتزلة ثم رجع وجاهر بخلافهم وتوفى ببغداد قيل بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب منها الرد على المجسمة ، ومقالات الإسلاميين (الاعلام حـ ٥ ص ٦٩) . وهذا القول الذى نسبه ابن حزم إلى الأشعرية لم يقل به أحد منهم ، وإنما نسبه إليهم بعض من تحاملوا عليهم ، ولهذا يقول أبو القاسم القشيرى فى كتابه « شكاية أهل السنة » : فأمّا ما حكى عنه (أى عن الأشعرى) وعن أصحابه من أنهم يقولون : إن محمداً ﷺ ليس يبنى فى قبره ، ولا رسول بعد موته - فبهتان عظيم ، وكذب محض لم ينظر به أحد منهم ، ولا سمع فى مجلس مناظرة ذلك عنهم - ولا وجد فى كتاب لهم » وكذلك قال الباقلانى فى كتابه (رسالة الحرة - المسمى بالإنصاف ص ٥٥ - فراجع ذلك ليتبين لك براءة الأشعرى وأصحابه من هذا الإفك .

(٣) أبو الوليد الباجى ٤٠٣ - ٤٧٤ هـ - ١٠١٢ - ١٠٨١م
سليمان بن خلف الباجى ، فقيه مالكى كبير من رجال الحديث أصله من بطليوس ومولده فى باجه بالأندلس رحل إلى الحجاز سنة ٤٢٦ هـ فمكث ثلاثة أعوام وأقام ببغداد ثلاثة أعوام وبالموصل عاما وفى دمشق وحلب مدة وعاد إلى الأندلس فولى القضاء فى بعض أنحائها وتوفى بالمرية شرح موطأ مالك وشرح المدونة وله « التعديل والتجريح لمن روى عنه البخارى فى الصحيح (الاعلام حـ ٣ ص ١٨٦) .

(٤) محمد بن الحسن بن فورك (٤٠٦ هـ - ١٠١٥ م)
الأنصارى الأصبهانى أبو بكر : واعظ عالم بالأصول والكلام ، من فقهاء الشافعية سمع بالبصرة وبغداد . وحدث بنيسابور ، وبنى فيها مدرسة ،، وتوفى على مقربة منها فنقل إليها وفى النجوم الزاهرة : قتله محمود بن سبكتكين بالسم لقوله : كان رسول الله ﷺ فى حياته فقط ، وأن روحه قد بطل وتلاشى له كتب كثيرة قال ابن عساكر بلغت تصانيفه فى أصول الدين وأصول الفقه ومعانى القرآن قريبًا من المئة منها مشاكل الحديث وغريبه ، والنظامى فى أصول الدين ألفه لنظام الملك (الاعلام حـ ٦ ص ٣١٢) .

(٥) السلطان الغزنوى محمود بن سبكتكين الغزنوى (٣٦١ - ٤٢١ هـ - ٩٧١ - ١٠٣٠م)
يمين الدولة أبو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة أبى منصور فاتح الهند وأحد كبار القادة امتدت سلطنته من أقاصى الهند إلى نيسابور وكانت عاصمته غزنة بين خراسان والهند وفيها ولادته ووفاته ، مات أبوه سبكتكين صاحب غزنة ناصر الدولة أمير غزاة الهند أبو منصور سنة ٣٨٧ هـ =

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالى ولرسوله ﷺ ، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام مذ كان الإسلام إلى يوم القيامة ، وإنما حملهم على هذا قولهم الفاسد أن الروح عرض ، والعرض يفنى أبدًا ، ويحدث ولا يبقى وقتين ، فروح النبى ﷺ عندهم قد فنيت وبطلت ، ولا روح له الآن عند الله تعالى . وأما جسده ففى قبره موات فبطلت نبوته عندهم[٦] بذلك ورسالته .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ونعوذ بالله من هذا القول فإنه كفر صراح لا تردد[٧] فيه ، ويكفى من بطلان هذا القول الفاحش الفظيع أنه مخالف لما أمر الله عزَّ وجلَّ به ، ورسوله ﷺ ، واتفق عليه جميع أهل الإسلام من كل فرقة وكل نحلة من الأذان فى الصوامع كل يوم خمس مرَّات فى كل قرية من شرق الأرض إلى غربها بأعلى أصواتهم ، وقد قرنه الله تعالى بذكره : أشهد أن لا إله إلَّا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فعلى قول هؤلاء الموكلين إلى أنفسهم يكون الأذان كذبًا ، ويكون من أمر به[٨] كاذبًا وإنما كان يجب أن يكون الأذان على قولهم أشهد أن محمدًا كان رسول الله . وإلا فمن أخبر عن شيء كان وبطل أنه كائن الآن فهو كاذب ، فالأذان كذب على قولهم ، وهذا كفر مجرد ، وكذلك ما اتفق عليه جميع أهل الإسلام بلا خلاف من أحد منهم من تلقين موتاهم : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإنه باطل على قول هؤلاء ، وكذلك ما عمل به رسول الله ﷺ مدة قتاله الأمة ، وأمره عن الله عز وجل بأن يُعمل به بعده أبدًا ، وأجمع على القول به والعمل جميعُ أهل الإسلام من أول الإسلام إلى آخره ، ومن شرق الأرض إلى غربها ، إنسهم وجنهم بيقين مقطوع به دون مخالف فيما تخرج به الدماء من[٩] التحليل إلى التحريم ، أو إلى الحقن[١٠] بالجزية من أن يعرض على أهل الكفر أن يقولوا : لا إله إلَّا الله محمد رسول الله ، فيجب على قول هؤلاء المخذولين[١١] أن هذا باطل وكذب ، وإنما كان يجب أن يكلفوا أن يقولوا

=وخلف ثلاثة أولاد هم محمود وإسماعيل ونصر وجرت بينهم حروب ظفر بها محمود واستولى على الامارة سنة ٣٨٩ هـ وأرسل إليه القادر بالله العباسى خلعة السلطنة فقصد بلاد خراسان فاستلب ملكها من أيدى السامانية ، وهم لقتال ملك الترك بما وراء النهر وجعل دأبه غزوة الهند مرة فى كل عام فافتتح بلادًا شاسعة واستمر إلى أن أصيب بمرض عاناه مدة سنتين لم يضطجع فيها على فراش بل كان يتكىء جالسًا حتيمات وهو كذلك وقبره فى غزنه وهو تركى الأصل مستعرب (الاعلام حـ ٨ ص ٤٨) .

(٦) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [عندهم] .

(٧) فى (خ) [لا تردّد] .

(٨) فى (أ) [ربه] بدلا من [به] .

(٩) فى (خ) : (يخرج به إلى الدنيا)

(١٠) الحقن بالجزية : يقصد المحافظة على أهل الذمة بسبب دفعهم الجزية ، جاء فى لسان العرب : حقن دم الرجل : حل به القتل فأنقذه .

(١١) فى (أ ، ب) [المحرومين] .

محمد كان رسول الله ، وكذلك قوله تعالى : « ورسلًا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلًا لم نقصصهم عليك[١٢] » .

وكذلك قوله تعالى : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم[١٣] » .

وقوله تعالى : « وجىء بالنبيين والشهداء[١٤] » .

فسماهم الله رسلًا وقد ماتوا ، وسماهم نبيين ورسلًا وهم فى القيامة ؛ وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النص من قول كل مُصَلٍّ فرضًا أو نافلة : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فلو لم يكن روحه عليه السلام موجودًا قائمًا لكان السلام على العدم هذرًا .

فإن قالوا : كيف يكون ميتًا رسول الله ؟ وإنما الرسول هو الذى يخاطب عن الله بالرسالة .

قيل لهم : نعم يكون من أرسله الله تعالى مرة واحدة فقط رسولًا لله تعالى أبدًا ، لأنه حاصل على مرتبة جلالة لا يحطه عنها شىء أبدًا . ولا يسقط عنه هذا الإسم أبدًا .

ولو كان ما قلتم لوجب ألا يكون رسول الله ﷺ رسولًا إلى أهل اليمن فى حياته لأنه لم يكلمهم ولا شافههم .

ويلزم أيضًا أن لا يكون رسولَ الله إلا ما دام يكلم الناس ، فإذا سكت أو أكل أو نام أو جامع لم يكن رسول الله . وهذا حمق مشوب بكفر ، وخلافٌ للإجماع المتيقن ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وأيضًا فإن خبر الإسراء الذى ذكره الله عز وجل فى القرآن وهو منقول نقل التواتر ، وأحدُ أعلام النبوة ذكر فيه رسول الله ﷺ أنه رأى الأنبياء عليهم السلام فى سماء سماء فهل رأى إلّا أرواحهم التى هى أنفسهم ؟ ! ومن كذَّب بهذا أو بعضه فقد انسلخ عن الإسلام بلا شك ونعوذ بالله من الخذلان . وهذه براهين لا محيد عنها .

وقد صح عن رسول الله ﷺ : أنه أخْبرَ أن لله ملائكة يبلِّغونه منّا السلام ، وأنه من رآه

(١٢) سورة النساء : ١٦٤ .
(١٣) سورة المائدة : ١٠٩ .
(١٤) سورة الزمر : ٦٩ .

فى النوم فقد رآه حقًا(١٥)، ولقد بلغنى عن بعضهم أنهم يقولون : « إنَّ أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن لسن الآن أمهات المؤمنين ، لكنهن كن أمهات المؤمنين » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا ضلال بحت وحماقة محضة ، ولو كان هذا لوجب أن لا تكون أم المرء التى ولدته ، وأبوه الذى ولده أباه ، ولا أمه ، إلَّا فى حين الولادة والحمل من الأم فقط ، وفى حين الإنزال من الأب فقط لا بعد ذلك ، وهذا من السخف الذى لا يرضى به لنفسه ذو مسكة .

فإن قالوا أتقولون إن عمر أمير المؤمنين أو عثمان أيضاً كذلك ؟

قلنا لهم : لا ، وهذا إجماع لأنه لا يكون أمير المؤمنين إلَّا مَنْ يكون(١٦) الائتمارُ بأمره واجب ، وليس هذا لأحد بعد موته إلَّا للنبى ﷺ وإنما هو لخليفة بعد خليفة طول حياته فقط .

فبطل أن يكون لهم فيها متعلق . وبالله تعالى التوفيق(١٧).

(١٥) عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى » . (رواه أحمد فى مسنده ، والترمذى والبخارى ، وذكره السيوطى فى (الجامع الصغير حـ ٢ ص ١٧١) .
وعن أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتزيًّا بى » رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم . وعن أبى قتادة : « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بى » رواه البخارى ومسلم وأبو داود فى سننه .

(١٦) فى (أ ، ب) سقطت [المؤمنين ويكون] .

(١٧) فى (أ ، ب) سقطت جملة [وبالله تعالى التوفيق] .

الكلام على من قال بتناسخ الأرواح

قال « أبو محمد (رضى الله عنه) : افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين : فذهبت الفرقة الواحدة إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخر ، وإن لم تكن من نوع الأجساد التى فارقت . وهذا قول « أحمد بن حابط » تلميذ النظام[1] و « أحمد بن نانوس »[2] تلميذ أحمد بن حابط و « أبى مسلم الخراسانى » و « محمد بن زكريا الرازى » الطبيب . صرّح بذلك فى كتابه الموسوم بالعلم الإلهى ، وهو قول « **القرامطة** من الاسماعيلية ، وغالية الرافضة الذين رفضوا الإسلام جملة ، لا أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، ومنهم النضرية والمحمدية وانقسمت النضرية على فرق تزيد على خمس عشر فرقة ، أولها : السبابية ، وكل هذه الفرق تقول بألوهية على رضى الله عنه ، وسنذكر فى الكلام على الشيعة طرفا من أمرهم ، وقد صرح بهذا محمد بن زكريا الرازى فى كتابه الموسوم بالعلم الإلهى ، فقد قال[3] فى بعض كتبه : لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح عن الأجسام المتصوّرة بالصور البهيمية إلى الأجساد المتصوّرة بصور الإنسان إلا بالقتل والذبح لما جاز ذبح شىء من الحيوان ألبتة . وقد ادّعى بعضهم : أن النسخ لا يكون إلا فى الأنفس فقط ، فنجد الإنسان يتخلق بأخلاق غير نوع الإنسان ، قال فهذا هو النسخ .

والمسخ : هو تغيير الصورة ونفسها معاً ، والنسخ هو تغيير النفس عن أخلاقها فقط ، ولهم فى هذا خباط كثير لا يحصى ، وبالله تعالى التوفيق[4].

---

(١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [تلميذ النظام] .

(٢) أحمد بن أيوب بن مانوس : كان من تلاميذ النظام . وافق أحمد بن حابط وفضل الحدثى على القول بالتناسخ ، وفى كثير مما ذهب إليه . راجع الوافى بالوفيات ٢٦١/٦ .

(٣) فى (أ ، ب) سقط الكلام من أول قوله [من الإسماعيلية إلى فقد قال] وهو يقرب من أربعة أسطر .

(٤) فى (أ ، ب) سقط الكلام من أول قوله [وقد ادّعى بعضهم : أن النسخ لا يكون إلا فى الأنفس إلى وبالله تعالى التوفيق] وهو ثلاثة أسطر أو أكثر .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذه كما ترى دعاوى وخرافات بلا دليل .

وذهب هؤلاء إلى أن التناسخ إنما هو على سبيل العقاب والثواب ، قالوا فالفاسق المسىء الأعمال تنتقل روحه إلى أجساد البهائم الخبيثة المرتطمة فى الأقذار ، والمسخرة المؤْلَمة الممتهنة بالذبح .

واختلفوا فى الذى كانت أفاعيله كلها شرًّا لا خير فيها ، فقال بعضهم : أرواح هذه الطبقة هى الشياطين . وقال « أحمد بن حابط » : إنها تنتقل إلى جهنم فتعذَّب بالنَّار أبد الأبد .

واختلفوا فى الذى كانت أفاعيله كلها خيرا لا شرَّ فيها ، فقال بعضهم : أرواح هذه الطبقة هى الملائكة . وقال « أحمد بن حابط » : إنها لا شك أنها تنتقل إلى الجنة فتنعم فيها أبد الأبد . واحتجت هذه الطائفة المرتسمة بالإسلام أعنى « أحمد بن حابط » و « أحمد بن نانوس » بقول الله تعالى : « يأيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم ، الذى خلقك فسوَّاك فعدلك ، فى أىِّ صورة ما شاء ركبك[٥] » .

وبقوله تعالى : « جعل لكم من أنفسكم أزواجًا ، ومن الأنعام أزواجًا يذرؤكم فيه[٦] » .

واحتج من هذه الطائفة من لا يقول بالإسلام بأن قالوا : إن النفس لا تتناهى ، والعالم لا يتناهى لأمده[٧]، فالنفس متنقلة أبدًا ، وليس انتقالها إلى نوعها بأولى من انتقالها إلى غير نوعها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وذهبت الفرقة الثانية إلى أن منعت[٨] انتقال الأرواح إلى غير أنواع أجسادها التى فارقت ، وليس من هذه الفرقة أحد يقول بشىء من الشرائع ، وهم من الدهرية . وحجتهم هى حجة الطائفة التى ذكرنا قبلها ، القائلة إنه لا تناهى للعالم فوجب أن تتردد النفس فى الأجساد أبدًا . قالوا ولا يجوز أن تنتقل إلى غير النوع الذى أوجب لها طبعها الإشراف عليه وتعلقها به .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : أما الفرقة المرتسمة باسم الإسلام فيكفى من الردّ عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم ، وعلى أن من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام ، وأن النبى ﷺ أتى بغير هذا ، وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلَّا بعد فراق الأجساد للأرواح بالنكر أو التنعم قبل يوم القيامة ، ثم بالجنة أو بالنَّار فى موقف الحشر فقط ، إذا جُمعت أجسادُها مع أرواحها التى كانت فيها .

(٥) سورة الانفطار : آية رقم ٦ – ٨ .
(٦) سورة الشورى : آية رقم ١١ .
(٧) فى (أ ، ب) [لأمد] .
(٨) فى (أ ، ب) [من] انتقال .

وأما احتجاجهم بالآيتين فكفى من بطلان قولهم أيضًا ما ذكرناه من الإجماع وأن الأمّة كلها مجمعون بلا خلاف على أن المراد بهاتين الآيتين غيرُ ما ذكر هؤلاء الملحدون ، وأن المراد بقوله تعالى : « فى أى صورة ما شاء ركّبك » أنها(٩) الصورة التى ركّب(١٠) الإنسان عليها من طول أو قصر ، أو حسن أو قبح ، أو بياض أو سواد ، وما أشبه ذلك .

وأما الآية الأخرى فإنَّ معناها أن الله تعالى امتنَّ علينا فى أن خلق لنا من أنفسنا أزواجًا نتولّد منها ، ثم امتنَّ علينا بأن خلق لنا من الأنعام ثمانية أزواج ، ثم أخبر تعالى أنه يذرؤنا فى هذه الأزواج يعنى التى هى من أنفسنا فتبيّن ذلك بيانًا ظاهرًا لا خفاء به أن الله تعالى أخبرنا فى هذه الآية نفسها أن الأزواج المخلوقة لنا ، إنما هى من أنفسنا ، ثم فرَّق بين أنفسنا وبين الأنعام ، فلا سبيل إلى أن يكون لنا أزواج نتولد فيها غير أنفسنا ، ويكفى من هذا أن قولهم : إنما هو دعوى بلا برهان ، وإنّما رتبوه على أصلهم فى العدل فأخرجوا هذا الوجه لما(١١) شاهدوه من إيلام الحيوان ، وكل قولٍ لم يوجبه برهان فهو باطل ، ولم يأت هذا القول قط عن أحد من الأنبياء . وهؤلاء القوم مقرُّون بالأنبياء عليهم السلام فلاح يقينًا فساد قولهم .

وأما الفرقة الثانية القائلة بالدّهر ، فإننا نقول وبالله التوفيق :

« إنه يكفى من فساد قولهم هذا أنّه دعوى بلا برهان لا عقلى ولا حسى ، وما كان هكذا فهو باطل بيقين لا شك فيه ، لكننا لا نقنع بهذا بل نبيّن عليهم بيانًا لائحًا ضروريًا بحول الله وقوته ، فنقول وبالله تعالى نستعين :

إنَّ الله تعالى خلق الأنواع والأجناس ، ورتب الأنواع تحت الأجناس ، وفَصّل كل نوع من النوع الآخر بفصله الخاص له الذى لا يشاركه فيه غيره ، وهذه الفصول المذكورة لأنواع الحيوان إنما هى لأنفسها التى هى أرواحها ، فنفس الإنسان حية ناطقة ، ونفس الحيوان حية غير ناطقة هذا هو طبيعة كل نفس وجوهرُها الذى لا يمكن استحالته عنه ، فلا سبيل إلى أن يصير غير الناطق ناطقًا ، ولا الناطق غير ناطق ، ولو جاز هذا لبطلت المشاهدات ، وما أوجبه الحس وبديهة العقل والضرورة من(١٢) انقسام الأشياء على حدودها .

وأما الفرقة الثالثة : التى قالت : إن الأرواح تنتقل إلى أجساد نوعها ، فيبطل قولهم بحول

---

(٩) فى (خ) [إنما هى] .
(١٠) فى (أ ، ب) [رتّب] .
(١١) فى (خ) [على ما شاهدوه] .
(١٢) فى (أ ، ب) [لانقسام] .

الله تعالى وقوَّته بطلانًا ضروريًا بكل ما كتبناه فى إثبات حدوث العالم ووجوب الابتداء له ، والنهاية من أوله(١٣).

ومما كتبناه فى إثبات النبوة ، وأن جميع النبوات وردت بخلاف قولهم ، وببرهان ضرورى عليهم ، وهو أنه ليس فى العالم كله شيئان يشتبهان بجميع أعراضهما اشتباهًا تامًّا من كل وجه ، يعلم هذا من تدبُّر اختلاف الصور ، واختلاف الهيئات ، وتباين الأخلاق ، وإنما يقال هذا الشيء يشبه هذا على معنى أن ذلك فى أكثر أحوالهما لا فى كلها ، ولو لم يكن ما قلنا ما فرَّق أحد بينهما ألبتة .

وقد علمنا بالمشاهدة أن كل من يتكرر عليه ذلك الشيئان المشتبهان تكررًا كثيرًا متصلًا أنه لابد أن يفصل بينهما ، وأن يُميِّز أحدهما عن(١٤) الثانى ، وأن يجد فى كل واحد منهما أشياء بَانَ بها عن الآخر ، لا يشبهه فيها – فصحَّ بهذا أنه لا سبيل إلى وجود شخصين يتفقان فى أخلاقهما كلها حتى لا يكون بينهما فرق فى شيء منها ، وقد علمنا بيقين أن الأخلاق محمولة فى النفس ، فصح بهذا أن نفس كل ذى نفس من الأجساد من أىّ نوع كانت غيرُ النفس التى فى غيره من الأجساد كلها ضرورة .

وقال أيضًا بعض من ذهب إلى التناسخ من الحاملين ذلك على سبيل الجزاء : إن الله تعالى عدل حكيم رحيم كريم ، فإذ هو كذلك ، فمحال أن يعذّب من لا ذنب له ، قال : فلما وجدناه تعالى يقطع أجسام الصبيان الذين لا ذنب لهم بالجدرى والقروح ويأمر بذبح بعض الحيوان الذى لا ذنب له ، وبطبخه وأكله ، ويسلط بعضها على بعض فيقطعه ويأكله ، ولا ذنب له علمنا أنه تعالى لم يفعل ذلك إلَّا وقد كانت الأرواح عصاة مستحقة للعقاب فركبت(١٥) فى هذه الأجساد لتعذّب فيها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد تكلمنا على إبطال هذا الأصل الفاسد فى غير هذا المكان فى باب الكلام على « البراهمة » فى كتابنا هذا بما يكفى ، وقد ردَّدنا الكلام أيضًا فى بيان بطلانه فى غير ما موضع من كتابنا ، وفى باب الكلام على من أبطل القدر من المعتزلة فى كتابنا هذا ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١٣) فى (خ) نقصت العبارة من [حدوث العالم إلى أوله] .
(١٤) فى (أ ، ب) [من] .
(١٥) فى (أ ، ب) [بكسب هذه الأجساد] وهو تحريف ظاهر .

ويكفى من بطلان هذا الأصل الفاسد أن يقال لهم : إن طردتم هذا الأصل وقعتم فى مثل ما أنكرتم ولا فرق ، وهو أن الحكيم العدل الرحيم على أصلكم لا يخلق من يعرضه للمعصية حتى يحتاج إلى إفساده بالعذاب بعد إصلاحه ، وقد كان قادرًا على أن يطهر كل نفس خلقها ولا يعرضها للفتن ، ويلطف بها ألطافًا فيصلحها بها ، حتى تستحق كلُّها إحسانه والخلود فى النعيم ، وما كان ذلك يُنقض شيئًا من ملكه ، فإن كان عاجزًا عن ذلك فهذه صفة نقص ، ويلزم حاملها أن يكون من أجل نقصه محدَثًا مخلوقًا ، فإن طردوا هذا الأصل خرجوا إلى قول المانوية[١٦] فى أن للأشياء فاعِلَيْن . وقد تقدّم إبطالنا لقولهم وبالله تعالى التوفيق .

وبينا أن الذى لا آمر فوقه ولا مرتب عليه فإن كل ما يفعله فهو حق وحكمة ، وإذ قد تعلق هؤلاء القوم بالشريعة فحكم الشريعة أن كل قولٍ لم يأت عن نبى تلك الشريعة فهو كذب وفرية ، فإذ لم يأت عن أحد من الأنبياء عليهم السلام القول بتناسخ الأرواح فقد صار قولهم به خرافة وكذبًا وباطلًا . وبالله تعالى التوفيق .

(١٦) فى (خ) [المنانية] .

فصل فى الكلام على
من أنكر الشرائع من المنتمين إلى الفلسفة بزعمهم
وهم أبعد الناس عن العلم بها جملة

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : نبين فى هذا الفصل بحول الله تعالى وقوته وجوب صحة الشرائع على ما توجبه أصول الفلاسفة على الحقيقة أولهم عن آخرهم على[1] اختلاف أقوالهم فى غير ذلك إن شاء الله تعالى .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها ، ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس ، بأن تَستعمل فى دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها فى المعاد ، وحسن السياسة للمنزل والرّعية ، وهذا نفسه لا غيره هو الغرض فى الشريعة ، هذا ما لا خلاف فيه بين أحد العلماء بالفلسفة ، ولا بين أحد من العلماء بالشريعة ، فيقال لمن انتمى إلى الفلسفة بزعمه وهو ينكر الشريعة بجهله على الحقيقة بمعانى الفلسفة ، وبعده عن الوقوف على غرضها ومعناها .

أليست الفلسفة بإجماع من الفلاسفة مبينة للفضائل من الرذائل ؟ ، موقفة على البراهين المفرِّقة بين الحق والباطل ؟ فلا بد من بلى[2] ضرورة . فيقال له أليس الفلاسفة كلهم قد قالوا : صلاح العالم بشيئين : أحدهما باطن والآخر ظاهر ؟ . فالباطن : هو استعمال النفس للشرائع الزاجرة عن تظالم الناس وعن القبائح . والظاهر : هو التحصين بالأسوار ، واتخاذ السلاح لدفع العدو الذى يريد ظلم الناس والإفساد ، ثم أضافوا إلى إصلاح النفوس بما ذكرنا إصلاحَ الأجساد بالطب ؟ فلا بدَّ من بلى[3] ضرورة . فيقال لهم : فهل صلاح العالم وانكفاف الناس عن القتل

---

(١) فى (خ) [مثل] بدلًا من [على] .
(٢) فى (أ ، ب) [نعم] بدلًا من [بلى] وهو خطأ لغوى لأن الجواب فى الاثبات بعد الاستفهام المنفى يكون بـ [بلى] .
(٣) فى (أ ، ب) [نعم] .

الذى فيه فناء الخلق ، وعن الزنى الذى فيه فساد النسل وخراب المواريث ، وعن الظلم الذى فيه الضرر على الأنفس والأموال وخراب الأرض ، وعن الرذائل من البغى والحسد والكذب والجبن والبخل والنميمة والغش ، والخيانة وسائر الرذائل إلّا بشرائع زاجرة للناس عن كل ذلك ؟ فلابد من نعم ضرورة ، وإلَّا وجب الإهمال الذى فيه فساد كل ما ذكرنا(٤)، فإذًا لا بدَّ من ذلك ، ولولا ذلك لفسد العالم كله ، ولفسدت العلوم كلها ، ولكان الإنسان قد بطلت فضيلة الفهم والنطق والعقل الذى فيه صار كالبهائم ، فلا تخلو تلك الشرائع من أحد وجهين :

إمَّا أن تكون صحاحًا من عند الله عزّ وجل الذى هو خالق العالم ومدبره كما يقول أصحاب الشرائع .

وإمَّا أن تكون موضوعة باتفاق من أفاضل الحكماء لسياسة الناس بها وكفّهم عن التظالم والرذائل .

فإن كانت موضوعة كما يقول هؤلاء المخاذيل ، فقد تيقنا أن ما ألزموا الناس من ذلك كذب لا أصل له ، وزور مختلق ، وإيجاب لما لا يجب ، وباطل لا حقيقة له ، ووعيد ووعد كلاهما كذب ، فإن كان ذلك كذلك فقد صار الكذبُ الذى هو أرذل الرذائل ، وأعظم الشر لا يتم صلاح العالم الذى هو الغرض من طلب الفضائل إلَّا به ، وإذ ذلك كذلك ، فقد صار الحق باطلًا ، والصدق رذيلة وصار الباطل حقًا وصدقا ، والكذب فضيلة ، وصار لا قوام للعالم أصلًا إلا بالباطل ، وصار الكذب نتيجة الحق ، وصار الباطل ثمرة الصدق ، وصار الغرور والغش والخديعة فضائل ونصيحة ، وهذا أعظم ما يكون من المحال والممتنع والخلف الذى لا مدخل له فى العقل ، فإن قالوا إنه لو كُشف السرُّ فى ذلك إلى(٥) العامة لم ترغب فى الفضائل ، فوجب لذلك أن يُؤتى بما تَرهبُه وتتقيه ، فاضْطُرَّ فى ذلك إلى الكذب لهم كما يُفعل بالصبيان ، وكما أبحتم أنتم فى شرائعكم كذب الرجل لامرأته ليستصلحها بذلك ، وفى دفاع الظالم على سبيل التقية ، وفى الحرب كذلك(٦) فيلزمكم فى هذا ما ألزمتموه إيانا من أن الكذب صار حقا وفضيلة .

* * *

(٤) فى النسخة (أ) [ذكرناه] .

(٥) فى النسخة (ب) [أبى] .

(٦) عن النّواس بن سمعان قال : قال رسول الله ﷺ : « مالى أراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النّار ، كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة إلّا أن يكذب الرجل فى الحرب ، فإن الحرب خدعة ، أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما ، أو يحدث امرأته يرضيها » رواه الطبرانى راجع إحياء علوم الدين للإمام الغزالى حـ ٣ ص ١٣٤ ، ١٣٥ – ورواه الإمام مسلم عن أم كلثوم بلفظ آخر .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فيقال لهم وبالله التوفيق :

أما نحن فقولنا : إنه ليس – كما ذكرتم – قبيحًا ، إذ أباحه الله عزَّ وجل الذى لا حسن إلَّا ما حسَّن وما أمر به ، ولا قبيح إلا ما قبَّح وما نهى عنه ، ولا آمر فوقه ، فلا يلزمنا ما أردتم إلزامنا إياه .

ثم أيضًا(٧) على أصولكم فإنه ليس ما ذكرتم معارضة ، ولا ماشبهتم به مُشْبِهًا لما شبهتموه به ، لأننا إنما أبحنا الكذب فى الوجوه التى ذكرتم للضرورة الدافعة إلى ذلك بالنص الوارد علينا بذلك كما جاز بالنص عند الضرورة دفع القتل عن النفس بقتل المريد لقتلها ، ولو أمكننا كفُّ الصبى والمرأة بغير ذلك لما جاز أصلًا فإذا ارتفعت الضرورة وجب الرجوع إلى استعمال الصدق على كل حال ، ولولا النص لم نبح شيئًا من ذلك ولا حرمناه(٨) ، وأنتم فيما تدعونه من مداراة(٩) الناس كلهم مبتدئون لاختيار الكذب دون أن يأمركم به من يسقط عنكم اللوم بطاعته ، فأنتم لا عذر لكم على خلاف حكمنا فى ذلك .

ثم أنتم(١٠) لا تخلون من أحد وجهين لا ثالث لهما :

إما أن تطووا هذا السر عن كل أحد فتصيرون إلى ما ألزمناكم من أن قطع الصدق جملة فضيلة ، وأن الكذب على الجملة حق واجب ، وهذا هو الذى ألزمناكم ضرورة .

وإمّا أن تبوحوا(١١) بذلك لمن وبمتم به فهذا إن قلتم به يوجب ضرورة كشف سركم فى ذلك ، لأنه لا يجوز ألبتة أن ينكتم أصلًا على كثرة العارفين به ، هذا أمر يعلم بالضرورة ، أن الشيء إذا كثر العارفون به فبالضرورة لابد من انتشاره ، فإن كنتم تقولون إن طيَّه واجب إلا عمن يوثق به ، وفى كشفه إلى من يوثق به ما يوجب انتشاره إلى(١٢) من لا يوثق به فقد رجعتم إلى وجوب كشفه ، لأن كشفه ألبتة هو نتيجة كشفه إلى خاص دون عام ، وفى كشفه بطلان ما دبرتموه صلاحًا ، فقد بطل حكمكم بالضرورة ، لا سيما والقائلون بهذا القول مجدون فى كشف سرهم هذا إلى الخاص والعام ، فقد أبطلوا عِلّتهم جملة وتناقضوا أقبح تناقض ، وعلى كل ذلك فقد صار الباطل والكذب لا يتم الخير والفضائل ألبتة فى شيء من الأشياء إلَّا بهما ، وهذا خلاف الفلسفة جملة .

---

(٧) فى (خ) [ليس على أصولكم] وهو واضح الخطأ ، إذ لا يستقيم المبنى معه .
(٨) هكذا فى الأصل ، ويبدو أنّ اللام لام التوكيد ، وهو يريد أن يقول [ولحرمناه] إذ أن المعنى عليه .
(٩) فى (خ) [مراعاة] .
(١٠) فى (ب) [ثم إنكم] .
(١١) فى (خ) [تتوخّوا] .
(١٢) فى (أ ، ب) [إلا] بدلا من إلى .

وأيضًا فإن كانت الشرائع موضوعة فليس ما وضعه واضع مَّا بأحق بأن يُتّبع ممَّا وضعه واضع آخر ، هذا أمر يعلم بالضرورة .

وقد علمنا بموجب العقل وضرورته أن الحق لا يكون من الأقوال المختلفة والمتناقضة إلَّا فى واحد ، وسائرها باطل . فإذ لا شك فى هذا فأى تلك الموضوعات هو الحق أم أيها هو الباطل ؟ ولا سبيل إلى أن يأتوا بما يحق منها شيئًا دون سائرها أصلًا ، فإذ لا دليل على صحة شيء منها بعينه فقد صارت كلها باطلة ، إذ ما لا[١٣] دليل على صحته فهو باطل ، وليس لأحد أن يأخذ بقول ويترك غيره بلا دليل فبطل بهذا بطلانًا ضروريًا كل ما تعلقوا به والحمد لله رب العالمين ، وبطل بهذا البرهان الضرورى ما توهمه هؤلاء الجهال المجانين ، وصح يقينا أن الشرائع صحاح من عند منشىء العالم ومدبره الذى يريد بقاءه إلى الوقت الذى سبق فى علمه تعالى أنه بيقيه إليه كما هو ، وإذ ذلك كذلك ضرورة لا يخلو الحكم فى ذلك من أحد وجهين لا ثالث لهما :

إمَّا أن تكون الشرائع كلها حقًا - قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) - وقد رأيت منهم من يذهب إلى هذا .

وإمَّا أن يكون بعضها حقًا وسائرها[١٤] باطلًا . لابدَّ من أحد هذين الوجهين ضرورة .

فإن كانت كلها حقا ، فهذا محال لا سبيل إليه ، لأنه لا شريعة منها إلَّا وهى تكذب سائرها ، وتخبر بأنها باطل وكفر وضلال وإلحاد[١٥].

فوجدنا هذا المخذول الذى أراد بزعمه موافقةِ جميع الشرائع ، قد حصل على خلاف جميعها أولها عن آخرها ، وحصل على تكذيب جميع الشرائع له[١٦] كلها بلا خلاف ، وعلى تكذيبه هو لجميعها ، وما كان هكذا وهو يقول إنها كلها حق ، وهى كلها مكذبة له وهو مصدق لها كلها فقد شهد على نفسه بالكذب وبطلان قوله ، وصحَّ باليقين أنه كاذب فيه .

وأيضًا فإن كل شريعة فهى مضادّة فى أحكامها لغيرها ، تحرّم هذه ما تحلُّ هذه ، وتوجب هذه ما تسقط هذه ، ومن المحال الفاسد أن يكون الشيء وضده حقًا معًا فى وقت واحد . حرامًا حلالًا فى حين واحد على إنسان واحد ووجه واحد ، واجبًا غير واجب كذلك ، وهذا أمر يعلمه

---

(١٣) سقطت (لا) فى (أ) .

(١٤) فى (أ ، ب) [وبعضها] بدلا من [وسائرها] .

(١٥) هذه دعوى يعوزها الدليل ، وفيها مبالغة لأن كثيرًا من الشرائع تدعو إلى القيم والفضائل والمثل ، ولا تتعارض فى الأصول ، وإن اختلفت فى الفروع ، وبخاصة الشرائع السماوية وقد صدق القرآن الكريم ذلك فقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحا . . . » وقال : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا . . . »

(١٦) سقطت [له] فى (أ) .

باطلًا كل ذى حسٍّ سليم ، وليس فى العقل تحريم شىء مما جاء فيها تحريمه ، ولا إيجاب شىء مما جاء فيها إيجابه ، فبطل أن يرجح بما فى العقل ، إذ كل ذلك فى حدِّ الممكن فى العقل ، فإذ قد بطل هذا الوجه ضرورة فقد وجبت صحة الوجه الآخر ضرورة ، وهو أن فى الشرائع شريعة واحدة صحيحة[١٧] عند الله عزَّ وجل ، وأن سائر الشرائع كلها باطل . فإذ ذلك كذلك فَفَرضٌ على كل ذى حس طلب تلك الشريعة ، واطِّراحُ كل شريعة دون ذلك وإن جلت ، حتى يوقف عليها بالبراهين الصحاح ، إذ بها يكون صلاح النفس فى الأبد ، وبجهلها يكون هلاك النفس فى الأبد .

فالحمد لله الذى وفقنا لتلك الشريعة ، ووفقنا عليها ، وهدانا إلى طريقها وعرفناها ، حمدًا كثيرًا طيبًا كما هو أهله . ونحن نسأله تعالى أن يثبتنا عليها حتى نلقاه ونحن من أهلها وحَمَلَتها آمين يارب العالمين . وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

فمن نازعنا فى هذا القول وادعاه لنفسه فنحن فى ميدان النظر وحمل الأقوال على السير بالبراهين ، فسنزيف الباطل والدعاوى التى لا دليل عليها حيثما كانت ، وبيد مَنْ كانت ، ويلوح الحق ثابتًا حيثما كان وبيد مَنْ كان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* * *

---

(١٧) فى (أ ، ب) [من عند الله] .

« الكلام على اليهود وعلى من أنكر التثليث من النصارى و[1]مذهب الصابئين وعلى من أقر بنبوة زرادشت من المجوس ، وأنكر من سواه من الأنبياء عليهم السلام »

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : إن أهل هذه الملّة يعنى اليهود ، وأهل هذه النحلة يعنى من أنكر التثليث من النصارى موافقون لنا فى الإقرار بالتّوحيد ، ثم بالنبوة وبآيات الأنبياء عليهم السلام ، وبنزول كتب من عند الله عزّ وجل إلّا أنهم فارقونا فى بعض الأنبياء عليهم السلام دون بعض . وكذلك فقتنا الصابئة والمجوس على الإقرار ببعض الأنبياء دون بعض فأمّا اليهود فإنهم افترقوا على خمس فرق وهى :

١ - **السَّامِريَّة** : وهم يقولون إنّ مدينة القدس هى : « نابلس[2]» وهى من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلًا ، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ، ولا يعظمونه ولهم توراة غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود ، ويبطلون كل نبوّة كانت فى بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام ، وبعد « يوشع[3]» عليه السلام فيكذبون بنبوة « شمعون » و« داود » و« سليمان » و« إشْعِيَا[4]»

---

(١) سقطت [الواو] فى (ب) .

(٢) نابلس : تقع على الضفة الغربية لنهر الأردن وعلى بعد ٦٥ ك م من بيت المقدس ، يعيش بها عدد قليل من السّامريين القدامى الذين لا يزالون يحافظون على طقوس عبادتهم وتقاليدهم القديمة ، وذكرتها التوراة باسم « شكيم » بمعنى منكب ، ويقع قربها قبر يوسف وعين يعقوب ، فتحها العرب ووصفها كثير من رحالتهم كالمقدسى وابن حوقل . غالبية أهلها مسلمون (الموسوعة العربية الميسرة - إشراف محمد شفيق غربال ص ١٨١١) . « يلاحظ أن هذه الموسوعة أشرفت على طبعها مؤسسة فرانكلين ، وقد لحظنا أنها تدس كثيرًا من المعلومات التى تغزو عقول العرب فكريا كعنايتها بتاريخ البلاد اليهودى ، وتراخيها فى تاريخها الاسلامى . ويدل على ذلك ما كتبته عن نابلس وغيرها فليفطن إلى ذلك » . « المحققان »

(٣) يوشع : هو ابن نون من أنبياء بنى إسرائيل ، دعا بنى إسرائيل ، وأخبرهم أن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فقاتلهم يوم الجمعة قتالًا شديدًا حتى غربت الشمس فدعا الله تعالى فردت عليه فهزمهم (راجع الطبرى حـ ١ ص ٢٢٧ ، هامش الملل والنحل حـ ٢ ص ١٠ نشر محمود توفيق صاحب مكتبة الحسين التجارية سنة ١٩٤٨ - مطبعة حجازى) .

(٤) « إشْعِيا » : أشهر أنبياء العبرانيين الكبار ، واسمه بالعبرانية « يشعيا » ومعناه خلاص الرب ، ويقال « إن والده اسمه آموص » كان من نسب الملوك ، والظاهر أنه صرف حياته فى « أورشليم » وتنبأ نحو ٦٠ سنة من ٧٥٩ ق م إلى ٧٠٠ ق م ، ويستدل من سفره أنه كان وديعا حليما شفوقا متواضعا ، وظل يتنبأ إلى أيام « منسى » الملك ، وأن هذا الملك قتله نشرًا فى جذع شجرة عندما تبوأ تخت الملك . (دائرة المعارف : للبستانى) .

و« اليسع[٥]» و« إلياس[٦]» ، و« عاموص[٧]» ، و« حبقوق[٨]» و« زكريا[٩]» و« إرميا[١٠]» وغيرهم ، ولا يقرون بالبعثُ ألبتة . وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها .

٢ - **والصدوقية** : ونسبوا إلى رجل يقال له « صدوق » وهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزيز هو ابن الله تعالى الله عن ذلك . وكانوا بجهة اليمن .

٣ - **والعنانية** : وهم أصحاب « عانان » الداودى اليهودى ، وتسميهم اليهود القرَّايين والمين[١١]، وقولهم إنهم لا يتعدون شرائع التوراة ، وما جاء فى كتب الأنبياء عليهم السلام ، ويتبرءون من قول الأحبار ، ويكذبونهم ، وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام ، وهم من الأندلس « بطليطلة[١٢]» ، و« طلبيرة[١٣]» .

٤ - **والربانية** : وهم الأشعنية ، وهم القائلون بأقوال الأحبار ، ومذاهبهم وهم جمهور اليهود .

---

(٥) « اليسع » هو اليسع بن أخطوب بن العجوز ، وقد اختلف فى قراءة اسمه فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (وَالْيَسع » بلام مخففة ، وقرأه جماعة من الكوفة (واللَّيْسع) بلامين وبالتشديد ، وأنكروا التخفيف ، وقالوا لا نعرف اسما فى كلام العرب على وزن « يفعل » فيه ألف ولام . وقال : أبو جعفر : هو اسم أعجمى فينطق على ما هو عليه (راجع تفسير الطبرى جـ ١١ تحقيق محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٧) .

(٦) إلياس : هو « إدريس » راجع تحقيقه ص

(٧) عاموص : كتب فيه سفر من العهد القديم ، فى عهد « يربعام الثانى » كتبه « نبى راع » ينقسم إلى ثلاثة أجزاء ، حكم الله على الوثنيين ، وعلى إسرائيل ، وثلاث عظات خاصة بحساب إسرائيل وخمس رؤى فى الهلال فى آخرها وعد بالخلاص . وهو نبى من صغار أنبياء بنى إسرائيل الإثنى عشر كان يرعى الغنم فى مدينة « نقوع » ثم تنبأ بأيام الملك « رحبعام » وأنذر بقدوم ملوك آشور إلى أرض إسرائيل ويقال إنه مات سنة ٧٨٤ أو ٧٨٥ ق م ، وقد ورد ذكره فى كتاب ابن خلدون باسم (آموص » (راجع : الموسوعة الميسرة - إشراف شفيق غربال ودائرة المعارف للبستانى) .

(٨) حبقوق : نبى من الأنبياء الصغار ، اختلف فى زمن تنبؤه ، والتقليدات اليهودية تقول : إنه ابن المرأة الشوناتية التى أقام اليشع النبى ابنها من الموت ، وكذلك الحكم فى التقليد ، يذكر أنه كان الديدبان الذى أقامه « إشعيا » للسهر على خراب « بابل » . ويقال : إنه دفن فى « كالح » فى سبط يهوذا . ونبوءة « حبقوق » تتضمن ثلاثة إصحاحات فى التوراة تندرج فى ثلاثة فصول ، الأول يتضمن نبوءات بالمصائب المزمعة أن تدهم اليهود من جراء شرورهم . والثانى يتضمن نبوءات بإبادة مملكة الكلدانيين من جراء كبرهم وظلمهم وعبادتهم الأصنام . والثالث يتضمن صلاة شعرية نظمها « حبقوق » وبها يحرص على إلقاء اتكالهم على الله ، ويبين قوة إيمانه وثقته بالله (راجع - دائرة المعارف : للبستانى - المجلد السادس) .

(٩) زكريا : الكاهن والد « يوحنا » المعمدانى ، ظهر له ملاك بشَّره بإنجاب « يوحنا » يعد هو وزوجته « اليصابات » من القديسين ، ورد ذكره فى سورة آل عمران (آية ٣٧ - ٤٠) وفى سورة أخرى (الموسوعة العربية الميسرة) .

(١٠) إرْميا : إرْمياء ثانى الأنبياء الكبار ، والعامة تقول « إرْميا » بكسر ففتح ، ومعنى « يرميا » هو الذى رفعه الرب ، أو الذى عينه الرب ، وأخبَاره فى السفر المنسوب إليه (دائرة المعارف للمعلم بطرس البستانى) .

(١١) فى (أ ، ب) [العراس والمس] وهو تحريف .

(١٢) طليطلة : مدينة فى إسبانيا ، عاصمة مقاطعة طليطلة بإقليم قشتالة الجديد ، ومن أهم مدن أسبانيا من الناحية التاريخية والثقافية - يرجع تاريخها إلى ما قبل الرومان ، ازدهرت كعاصمة بعد ٥٠٧ ق م . وبلغت قمة ازدهارها إبان حكم العرب من (٧١٢ - ١٠٨٥) (الموسوعة الميسرة . إشراف شفيق غربال) (يلاحظ عناية الموسوعة بتاريخ هذه المدينة قبل العهد الإسلامى ، والمرور السريع على تاريخها فى ظل الإسلام ! ! غزو فكرى) المحقق .

(١٣) طَلَبِيرة : بفتح الطاء واللام ، بلدة فى مقاطعة طليطلة من أعمال أسبانيا على مسافة ٣٧ ميلا عن طليطلة ، وعلى بعد ٦٤ ميلا من مدريد ، تقع على نهر تاجه ، تتخلل أبنيتها الأبراج العربية على الطراز المغربى ، وقد جدَّد بناءها عبد الرحمن الناصرى الأموى . وهناك بلدتان بهذا الاسم أولاهما (طَلَبيرة لارال) على نهر غواديانة ، والثانية (طَلَبيرة لافياها) فى أسبانيا أيضا (دائرة المعارف : للمعلم بطرس البستانى) .

٥ - **والعيسوية** : وهم أصحاب أبى عيسى الأصبهانى ، رجل من اليهود كان بأصبهان وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى ، وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ، ومحمد ﷺ ، ويقولون : إن عيسى بعثه الله عزَّ وجل إلى بنى إسرائيل على ما جاء فى الإنجيل ، وأنه أحد أنبياء بنى إسرائيل . ويقولون إن محمدًا ﷺ نبى أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بنى إسماعيل عليهم السلام ، وإلى(١٤) سائر العرب ، كما كان أيوب نبيا فى « بنى عيص(١٥) » . وكما كان «بلعام(١٦)» نبيًا فى «بنى مواب » بإقرار من جميع فرق اليهود .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد لقيت من ينحو إلى هذا المذهب من خواص اليهود كثيرًا ، وقرأت فى تاريخ لهم جمعه رجل هارونى كان قديمًا فيهم ، ومن كبارهم وأئمتهم ، وممن عصبت(١٧) به ثلث بلدهم ، وثلث حروبهم ، وثلث جيوشهم أيام حرب « طيطوس » وخراب البيت ، وكان له فى تلك الحروب آثار عظيمة . وكان قد أدرك أمر المسيح عليه السلام ، واسمه يوسف ابن هارون فذكر ملوكهم وحروبهم إلى أن وصل إلى قتل « يحيى بن زكريا » عليه السلام فذكره أجمل ذكر ، وعظّم شأنه ، وأنه قتل ظلمًا لقوله الحق ، وذكر أمر « المعمودية(١٨)» ذكرًا حسنًا ، لم ينكرها ولا أبطلها ، ثم قال فى ذكره لذلك الملك « هردوس ابن هردوس » : وقبل(١٩) هذا الملك من حكماء بنى إسرائيل وخيارهم جماعة ، ولم يذكر من شأن المسيح بن مريم عليهما السلام أكثر من هذا .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وإنما ذكرت هذا الكلام لأرى أن هذا المذهب كان فيهم ظاهرًا ، فاشيًا فى أئمتهم من حينئذ إلى الآن ، ثم انقسم اليهود جملة على قسمين :

قسم أبطل النسخ ولم يجعلوه ممكنًا .

والقسم الثانى أجازوه ، إلَّا أنهم قالوا لم يقع .

---

(١٤) وفى النسخة (أ) سقط حرف العطف (الواو) .

(١٥) بنى عيص : هو عيص بن إسحاق عليه السلام ، أبو الروم (لسان العرب) .

(١٦) بلعام : هو بلعم أو بلعام بن باعورا ، وقيل هو لقمان بن باعور ، وذكر بعض المفسرين أن القرآن أشار إليه فى سورة الأعراف فى الآيتين ١٧٣ ، ١٧٤ ، وقد أشار الطبرى فى تفسيره الجزء التاسع ص ٧٦ وما بعدها أنه كان يدعى « بَلْعم) بفتح الباء أو بضمها من بنى إسرائيل ، وقال آخرون : إنه أمية بن أبى الصلت ، وزعم غيرهم أنه أبو عامر بن النعمان الراهب ، ويذكر الفخر الرازى أنه كان رجلا هداه الله ثم زاغ إلى الكفر (دائرة المعارف الإسلامية – انتشارات جهان نقلها إلى العربية : محمد ثابت الفندى وآخرون) .

(١٧) أحاطت به .

(١٨) المعمودية : طائفة مسيحية يعتقد أصحابها بأن المعمودية هى للمؤمنين فقط وأنها تتم عن طريق التغطيس بالماء ، وأسس جون سميث أول طائفة معمدانية انجليزية بأمستردام سنة ١٦٠٨ ، وتأسست طائفة منهم فى لندن سنة ١٦١١ ، وأسس أول كنيسة معمدانية أمريكية روجر وليامز سنة ١٦٣٩ فى مدينة بروفيدانس ، والكنائس المعمدانية ، كنائس جمهورية بنظامها ، ولها مجامع عامة غير حاكمة (الموسوعة العربية الميسرة) .

(١٩) وفى النسخة (أ) : [وقيل] بالياء وهى توقع فى لبس .

وعمدة من أبطل النسخ أن قالوا : إن الله عزّ وجل يستحيل منه أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه ، ولو كان كذلك لعاد الحق باطلًا ، والطاعة معصية ، والباطل حقًا ، والمعصية طاعة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لا نعلم لهم حجة غير هذه ، وهى من أضعف ما يكون من التمويه الذى لا يقوم على ساق ، لأن من تدبّر أفعال الله كلّها ، وجميع أحكامه وآثاره تعالى فى هذا العالم تيقن بطلان قولهم هذا ؛ لأن الله تعالى يحيى ثم يميت[٢٠] ثم يحيى ، وينقل الدولة من قومٍ أعزّه فيذلهم ، إلى قوم أذلّةٍ فيعزّهم ، ويمنح من شاء ما شاء من الأخلاق الحسنة والقبيحة ، « لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون[٢١]» .

ثم نقول لهم وبالله التوفيق : ما تقولون فيمن كان قبلكم من الأمم المقبول دخولها فيكم إذا غزوكم ؟ أليس دماؤهم لكم حلالًا ، وقتلهم حقا وفرضا وطاعة ؟ فلا بدّ من بلى[٢٢].

فنقول لهم : فإن دخلوا فى شريعتكم أليس قد حرمت دماؤهم ، وصار عندكم قتلُهم حرامًا ، وباطلًا ومعصية بعد أن كان فرضًا وحقًّا وطاعة ؟

فلا بدّ من بلى[٢٣].

ثم إن عدوا فى السبت وعملوا أليس قد عاد قتلهم فرضا بعد أن كان حرامًا ؟ فلابدّ من بلى[٢٤].

فهذا إقرارٌ ظاهر منهم ببطلان قولهم ، وإثباتٌ منهم لما[٢٥] أنكروه من أن الحق يعود باطلًا ، والأمر يعود نهيًا ، وأن الطاعة تعود معصية ، وهكذا القول فى جميع شرائعهم ؛ لأنها إنما هى أوامر فى وقت محدود بعمل محدود ، فإذا خرج ذلك الوقت عاد ذلك الأمر منهيا عنه ، كالعمل هو عندهم مباح فى الجمعة محرم يوم السبت ، ثم يعود مباحا يوم الأحد ، وكالصيام والقرابين وسائر الشرائع كلها ، وهذا بعينه هو نسخ الشرائع الذى أبوه وامتنعوا منه ، إذ ليس معنى النسخ إلا أن يأمر الله عزّ وجل بأن يُعمل عمل مّا ، مدة مّا ، ثم ينهى عنه بعد انقضاء تلك المدة ، ولا فرق فى شيء من العقول بين أن يعرف الله تعالى ، ويخبر عباده بما يريد أن يأمرهم به قبل أن يأمرهم به ، ثم بأنه سينهى عنه بعد ذلك ، وبين ألّا يعرفهم به إذ ليس عليه تعالى شرط أن يعرف عباده بما يريد أن يأمرهم قبل أن يأتى الوقت الذى يريد إلزامهم فيه الشريعة .. وأيضاً فإن جميعهم مقر بأن

(٢٠) فى (خ) [ويميت ثم يحيى] .
(٢١) الأنبياء : ٢٣ .
(٢٢) فى (أ ، ب) [ولابد من نعم] .
(٢٣) فى (أ ، ب) [نعم] .
(٢٤) فى (خ) سقط الكلام من أول [ثم إن عدوا فى السبت . . إلى فلابد من بلى] .
(٢٥) وفى النسخة (أ) (ما أنكروه) بغير اللام .

شريعة يعقوب عليه السلام كانت غير شريعة موسى عليه السلام ، وأن يعقوب تزوج « ليًا » و « راحيل » ابنتى « لابان » وجمعهما معا فى عصمته[٢٦]، وهذا حرام فى شريعة موسى عليه السلام .

هذا مع قولهم : إن أم موسى عليه السلام كانت عمة أبيه أخت جدّه ، وهى « يوحا نذا » بنت « لاوى » وهذا فى شريعة « موسى » حرام ، ولا فرق فى العقول بين شيء أحلّه الله تعالى ثم حرَّمه ، وبين شيء حرَّمه الله ثم أحلَّه .

والمفرق بين هذين مكابر للعيان ، مجاهر بالقِحة[٢٧]، ولو قلب عليه قالب كلامه ما كان بينهما فرق ، وفى توراتهم أن الله تعالى ؛ افترض عليهم بالوحى إلى موسى عليه السلام ، وأوهم موسى بذلك فى نص توراتهم : ألَّا يتركوا من الأمم السبعة الذين كانوا سكانًا فى فلسطين والأردن أحدًا أصلًا إلا قتلوه ثم إنه لما اختدعتهم الأمة التى يقال لها« عباوون » : وهى إحدى تلك الأمم التى افْتَرض عليهم قتلَهم ، واستئصالهم فتحيَّلوا عليهم ، وأظهروا لهم أنهم أتَوا من بلادٍ بعيدةٍ حتى عاهدوهم ، فلما عرفوا بعد ذلك أنهم من السكان فى الأرض التى أُمروا بقتل أهلها حرَّم الله عزَّ وجلَّ عليهم قتلهم على لسان « يوشع » النبى بنص كتاب « يوشع » عندهم ، فأبقوهم ينقلون الماء والحطب إلى مكان التقديس ، وهذا هو النسخ الذى أنكروا بلا كلفة .

وفى تواراتهم « البَداء » الذى هو أشدُّ من النسخ ، وذلك أنَّ فيها : أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : سأهلك هذه الأمة ، وأقدمك على أمة أخرى عظيمة ، فلم يزل موسى يرغب إلى الله تعالى فى أن لا يفعل ذلك حتى أجابه وأمسك عنهم ، وهذا هو « البداء » بعينه ، والكذب المنفيان عن الله تعالى ، لأنه ذكر أن الله تعالى أخبر أنه سيهلكهم ، ويقدمه على غيرهم ثم لم يفعل فهذا هو الكذب بعينه تعالى الله عنه[٢٨]. وفى سفر « إِشْعِيَا » أن الله تعالى سيرتب فى آخر الزمان من الفرس خدَّامًا لبيته .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا هو النسخ بعينه لأن التوراة موجبة أن لا يخدم فى البيت المقدس أحد غير « بنى لاوى » بن يعقوب على حسب مراتبهم فى الخدمة . فعلى أىِّ وجه أنزلوا هذا القول من « إِشْعَيَا » ؟ . فهو نسخ لما فى التوراة على كل حال ، وأما فى الحقيقة فهو

---

(٢٦) فى (أ ، ب) سقطت [فى عصمته] .

(٢٧) القِحَه : بكسر القاف وفتحها : قلة الحياء .

(٢٨) النص كما فى سفر الخروج : « فتضرّع موسى أمام الرب إلهه وقال . . . ارجع عن حموّ غضبك ، واندم على الشر بشعبك ، اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم : أكثرّ نسلكم كنجوم السماء ، وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد ، فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه » سفر الخروج – الإصحاح ٣٢ – الفقرات من ١١ – ١٥) فهل بعد هذه الجرأة على الرب جرأة ؟! إن كل كلمة فى هذا النص تشهد بالكذب والانتحال (المحقق) .

إنذار بالملة الإسلامية التى صار فيها الفرس والعرب وسائر الأجناس فى المساجد ببيت المقدس وغيره ، التى هى بيوت الله تعالى .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأمّا الطائفة التى أجازت إلَّا أنها أخبرت أنه لم يكن فإنه يقال لهم – وبالله تعالى التوفيق – بأىّ شيءٍ علمتم صحة نبوة موسى عليه السلام ، ووجوب طاعته ؟

فلا سبيل إلى أن يأتوا بشيء غير إعلامه وبراهينه ، وأعلامه الظاهرة .

فيقال لهم – وبالله تعالى التوفيق – إذا وجب تصديق موسى ، والطاعة لأمره لما ظهر من إحالة الطبائع على ما بيناه فى باب الكلام فى بيان إثبات النبوات ، فلا فرق بينه وبين من أتى بمعجزات غيرها ، وبإحالة لطبائع أخر ، وبضرورة العقل يعلم كل ذى حس أن ما أوجبه لنوع فإنه واجب لأجزائه كلها . فإذا كانت إحالة الطبائع موجبة تصديق من ظهرت عليه فوجوب تصديق موسى وعيسى ومحمد ﷺ واجب وجوبا مستويا ، ولا فرق بين شيء منه بالضرورة .

ويقال لهم : ما الفرق بينكم فى تصديقكم بعض من ظهرت عليه المعجزات وتكذيبكم بعضهم ؟ وبين من صدق من كذبتم ، وكذب من صدقتم كالمجوس المصدقين بنبوة « زرادشت » المكذبين بنبوة موسى ، وسائر أنبيائكم ، أو « المانوية » المصدقة بنبوة « عيسى » و« زرادشت » المكذبة بنبوة موسى ، أو « الصابئين » المكذبين بنبوة إبراهيم عليه السلام ، فمن دونه المصدقين بنبوة « إدريس » وغيره .

وكل هذه الفرق والملل تقول فى « موسى » عليه السلام ، وفى سائر أنبيائكم أكثر مما تقولون أنتم فى « عيسى » و« محمد » عليهما السلام ، تنطق بذلك تواريخهم وكتبهم ، وهى موجوده مشهورة . وأقرب ذلك إليكم[٢٩] « السامرية » الذين ينكرون نبوّة كل نبى لكم بعد موسى عليه السلام ، ولا سبيل إلى أن تأتوا على جميع من ذكرنا بفرق إلا أتوكم بمثله ، ولا أن تدَّعوا عليهم دعوى إلَّا ادعوا عليكم بمثلها ، ولا أن تطعنوا فى نقلهم بشيء إلا أروكم فى نقلكم مثله سواء بسواء .

وقد نبه الله تعالى على هذا البرهان بقوله تعالى :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إلَّا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون[٣٠] » .

فنص تعالى على أن طريق الإيمان بما آمنوا به من النبوة ، وطريق ما آمنا به نحن منها واحد ،

(٢٩) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [إليكم] .
(٣٠) العنكبوت : ٤٦ .

وأنه لا فرق بين شيء من ذلك ، وأن الإيمان بالإله الباعث لموسى هو الإيمان بالإله الباعث لمحمد ﷺ . وأن طريق كل ذلك طريق واحدة ، لا فرق فيها . وبالله التوفيق .

وأما شغب من شغب منهم بأننا نؤمن بموسى ، وهم لا يؤمنون بمحمد ﷺ ، فهو شغب ضعيف بارد . لأنها لا يخلون من أن يكونوا إنما صدّقوا بنبوة موسى من أجل تصديقنا نحن ، ولولا ذلك لم يصدقوا به ، أو يكون[٣١] إنما صدّقوا به لما أظهر من البرهان[٣٢] فقط .

فإن كانوا إنما صدّقوا به من أجل تصديقنا نحن فواجب عليهم أن يصدقوا بمحمد ﷺ من أجل تصديقنا نحن به ، وإلا فقد تناقضوا .

وإن كان إنما صدّقوا به لما أظهر من الآيات فلا معنى لتصديق من صدّقه ولا لتكذيب من كذبه ، والحق حق صدقه الناس أو كذّبوه ، والباطل باطل صدّقه الناس أو كذبوه ، ولا يزيد الحق درجة فى أنه إطباقُ الناس كلّهم على تصديقه . ولا يزيد الباطل[٣٣] مرتبة فى أنه باطل تكذيب الناس كلهم له .

ولا يظن ظانٌّ أننا فى مناظرتنا من نناظره من أهل ملتنا المخالفين لنا فى بعض أقوالنا بالإجماع قد[٣٤] نقضنا كلامنا فى هذا المكان ، فليعلم أننا لم ننقضه لأن الإجماع حجة قد قام البرهان على صحتها فى الفتيا فى دين الإسلام . وما قام على صحته البرهان فهو حجة قاطعة على من خالفه ، وعلى من وافقه . وأمّا أن نحتج على مخالفنا بأنه موافق لنا فى بعض ما نختلف فيه فليس حجة علينا ، فإن وجد لنا يومًا من الأيام[٣٥] فإنما نخاطب به جاهلًا نَسْتكِفُّ تخليطه بذلك ، أو نبكته لنريه تناقضه فقط .

وأيضًا فإنا إنما آمنَّا بنبوة « موسى » الذى أنذر بنبوة محمد ﷺ وبالتوراة التى فيها الإنذار برسالة محمد ﷺ باسمه ونسبه وصفة أصحابه رضى الله عنهم .

وهكذا نقول فى « عيسى » والإنجيل حرفًا حرفًا ، لا بنبوة من لم ينذر بنبوة النبى ﷺ . ولا نؤمن « بموسى » و« عيسى »[٣٦] اللذين لم ينذرا برسالة محمد ﷺ ولا نؤمن بتوراة ولا إنجيل ليس فيهما الإنذار برسالة محمد ﷺ ، وبصفة أصحابه بل نكفر بكل ذلك ، ونبرأ منهم ، فلم نوافقهم قط على ما يدّعونه . فبطل شغبهم الضعيف وبالله تعالى التوفيق .

---

(٣١) وفى الأصل [ويكون] وهو ظاهر البعد عن الصواب لما هو واضح من التقسيم بين حالهم .

(٣٢) فى (خ) [من الآيات] .

(٣٣) سقطت كلمة [الباطل] من (ب) .

(٣٤) فى الأصل [وقد نقضنا] والكلام لا يستقيم إلا بحذف الواو .

(٣٥) يبدو أن هنا محذوفا تقديره [مثل هذا] حتى يستقيم المعنى .

(٣٦) فى (أ ، ب) سقط الكلام من [اللذين لم ينذرا برسالة محمد ﷺ] .

وجملة القول فى هذا أن نقل اليهود والنصارى فاسدٌ لما ذكرنا ، ونذكر إن شاء الله تعالى من عظيم [المفتريات] الداخلة فى كتبهم المبينة أنها مفتعلة ، و[نبين][٣٧] فساد نقلهم .

فإنما صدّقنا بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام لأن محمدًا ﷺ صدَّقهما وأخبرنا عنهما وعن أعلامهما ، ولولا ذلك لما صدقنا بهما ولا قطعنا بصحتهما ، وكذلك نقول[٣٨] فى « إلياس » و« اليسع » و« يونس[٣٩] » و« لوط[٤٠] » فى ذلك .

كما أننا لا نقطع بصحة نبوة « سموال » و« حقاى » و« حبقوق » وسائر الأنبياء الذين عندهم كموسى وسائر من ذكرنا ولا فرق .

ولكن نقول « آمنا بالله وكتبه ورسله » فإن كان المذكورون أنبياء فنحن نؤمن بهم ، وإن لم يكونوا أنبياء فلا نُدخل فى أنبياء الله تعالى من ليس منهم بأخبار اليهود والنصارى الكاذبة التى لا أصل لها ، الراجعة إلى قوم كفار كاذبين ، وبالله تعالى نتأيد .

وقال تعالى : « وإنْ من أُمَّةٍ إلَّا خلا فيها نذير[٤١] » .

وقال تعالى فى الرسل : « منهم من قصصنا عليك ، ومنهم من لم نقصص عليك[٤٢] » .

فنحن نؤمن بالأنبياء جملة ، ولا نسمى منهم إلَّا من يسمى محمدًا ﷺ فقط .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ويقال لسائر فرق اليهود حاشا السامرية : ما الفرق بينكم وبين السامرية الذين كذبوا بنبوة كل نبى صدقتم أنتم به بعد يوشع ؟ بمثل ما كذبتم أنتم به « عيسى » و« محمدًا » ﷺ ؟.. وهذا ما لا انفكاك منه بوجه من الوجوه .

---

(٣٧) ما بين القوسين [ ] من وضع المحقق حيث أن الكلام لا يستقيم فى نظرنا إلا بهذه الزيادة .

(٣٨) فى النسخة (ب) [ولكانا] .

*فى النسخة (أ) سقط حرف العطف (الواو) . ف (أ ، ب) سقط الكلام [ولا قطعنا بصحتهما وكذلك نقول فى إلياس] .

(٣٩) يونس : أحد أنبياء بنى إسرائيل نسب إلى أمه حتى قال أبو الفداء لم يشتهر نبى بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام ، وذكره أيضا ابن الأثير ، وقيل إنه من بنى إسرائيل وإنه من سبط « بنياموس » وبعث الله « يونس » إلى أهل « نينوى » وهى قبالة « الموصل » بينهما دجلة ، وكانوا يعبدون الأصنام ، وأوعدهم العذاب فى يوم معين ، ولما لم ينزل العذاب ذهب مغاضبا ودخل فى سفينة ولكنها لم تتحرك فقال رئيسها فيكم من له ذنب ، وتساهموا على من يلقونه فى البحر ، ووقعت المساهمة على « يونس » فرموه فالتقمه الحوت ، وسار به إلى « الأُبُلَّه » وكان من شأنه ما أخبر الله به تعالى فى القرآن (دائرة معارف القرن العشرين حـ ١٠ ص ١٠٥٥) .

(٤٠) لوط : عليه السلام هو ابن أخى إبراهيم عليه السلام ، فهو ابن « هارون بن آزر » وكان « لوط » ممن آمن بعمه إبراهيم ، وهاجر معه إلى مصر ، وعاد إلى الشام فأرسله الله تعالى إلى أهل « سدوم » فظل يدعوهم إلى الحق وينهاهم عن الفحشاء ، ويقول لهم كما حكى الله عنه فى التنزيل : « أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين » (٨٠ سورة الاعراف) فكانت هذه المواعظ لا تزيدهم إلا مضيا فى عملهم فأهلكهم الله كما أهلك الجبارين قبلهم (المرجع السابق حـ ٨ ص ٣٨٤) .

(٤١) سورة فاطر : ٢٤ .

(٤٢) سورة غافر : ٧٨ .

فإن ادَّعوا أن عيسى ومحمدًا ﷺ لم يأتيا بالمعجزات[٤٣] بان كذبهم ومجاهرتهم ، إذ قد نقلت الكواف[٤٤] عن النبى ﷺ : أنه سقى العسكر فى « تبوك » وهم ألوف كثيرة من قدح صغير نبع فيه الماء من بين أصابعه عليه السلام . وفعل أيضًا مثل ذلك بالحديبية ، وأنه أطعم عليه السلام فى منزل « أبى طلحة » أهل الخندق حتى شبعوا . وفى منزل « جابر » أيضًا[٤٥].

ورمى « هوازن[٤٦] » فى جيش فعميت عيون جميعهم بتراب يده ، وفيها أنزل الله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى[٤٧] » .

وشق القمر إذ سأله قومه آية فأنزل الله تعالى فى ذلك :

« اقتربت السَّاعةُ وانشقَّ القمر ، وإنْ يَرَوْا آية يُعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكَذّبوا واتَّبعوا أهواءَهم وكلُّ أمر مُستَقِر ، ولقد جاءهُم من الأنباء ما فيه مُزدَجر[٤٨] » .

وكذلك حنين الجذع الذى سمعه كل من حضره من الصحابة رضوان الله عليهم[٤٩]. ومن أبهر ذلك وأعظمه قوله لليهود الذين كانوا فى وقته وهم زيادة على ألف بلا شك ، ولعلهم كانوا ألوفا

---

(٤٣) فى (أ) [بأن] .

(٤٤) الكواف : الجمع من الناس المتصفون بالعدالة .

(٤٥) روى البيهقى بسنده مرفوعا « أن جابر بن عبد الله دعا النبى ﷺ إلى طعام يوم الخندق ، فلما علم النبى ﷺ بمقدار الطعام قال للمسلمين جميا ، قوموا إلى جابر فقاموا ، قال فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله ، ودخلت على امرأتى أقول : افتضحت . . جاءك رسول الله بالخندق أجمعين فقالت : هل كان سألك كم طعامك ؟ قلت : نعم . فقالت : الله ورسوله أعلم ، قال : فكشفت عنى غما شديدا ، فدخل رسول الله ﷺ فقال : خدِّمى ودعينى من اللحم ، وجعل رسول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم ، ويقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ، ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا ، ثم قال رسول الله ﷺ : كلى واهدى ، فلم تزل تأكل وتهدى يومها » . (البداية والنهاية : لابن كثير حـ ٤ ص ٩٧ ، ٩٨ ط الأولى سنة ١٩٦٦ مكتبة المعارف بيروت) .

وجابر : هو ابن عبد الله بن عمر بن حرام الأنصارى السلمى ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير ، وشهد بدراً ، وأحداً ، والخندق ، وتوفى سنة ٧٤ هـ .

(٤٦) هوازن : إحدى قبائل العرب التى جمعت لحرب الرسول بعد فتح مكة فى غزوة حنين حيث انضم معها قبائل ثقيف وجشم كلها ، وسعد بن بكر وناس من بنى هلال ، ملكها مالك بن عوف المضرى ، ومن رجالاتها دريد بن الصمة . . وقد انتصروا على المسلمين فى أول الأمر ، ولكن النصر كان للمسلمين فى النهاية وأشار القرآن إلى ذلك فى قوله تعالى : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا . . الآية » وفى هذه المعركة قبض رسول الله ﷺ قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال : الوجوه ، وأقبل أصحابه إليه سراعا يبتدرون فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها » . (البداية والنهاية لابن كثير حـ ٤ ص ٣٣٠) .

(٤٧) الأنفال : ١٧ .

(٤٨) سورة القمر : ٤ . قال البخارى عن قتادة عن أنس بن مالك : أن أهل مكة سألوا النبى ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما ، وأخرجه مسلم من حديث شعبة عن قتادة (البداية والنهاية : حـ ٦ ص ٧٤ ، تفسير ابن كثير حـ ٤ ص ٢٧٩) .

(٤٩) عن جابر بن عبد أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً قال إن شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ، ثم نزل النبى ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبى الذى يسكن قال كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها (رواه البخارى فى غير ما موضع من صحيحه راجع البداية والنهاية : حـ ٦ ص ١٢٧) .

وهم **بنو قريظة**(٥٠)، **وبنو النضير**(٥١)، **وبنو إهدل**(٥٢)، **وبنو قينقاع**(٥٣)، أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين فى تكذيبهم نبوته ، وأعلمهم أنهم لا يستطيعون ذلك أصلًا ، فعجزوا عن ذلك أى عن تمنى الموت ، وحيل بينهم وبين النطق بذلك ، وهذه قصة منصوصة فى سورة الجمعة يقرأ بها كل يوم جمعة فى جميع جوامع المسلمين من شرق الدنيا إلى غربها(٥٤). وقد كان أسهل الأمور عليهم أن يَكْذِبُوا بأن يتمنَّوا الموت لو استطاعوا ، وهم يسمعونه يقول : « فتمنَّوا الموتَ إن كنتم صادقين ، ولا يتمنَّونه أبدًا بما قدَّمت أيديهم(٥٥)» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا أمر لا يدفعه إلَّا وَقَاحٌ جاهل مكابر للعيان ، لأن القرون والأعصار نقلت هذه الآيات جيلًا جيلًا يخاطبون بها . فكل أذعن وأقر ، ولم يمكن أحدٌ دفعه .

ودعا عليه السلام من حين مبعثه العرب كلهم – على فصاحة ألسنتهم ، وكثرة استعمالهم لأنواع البلاغة من الإطالة والإيجاز ، والتصرف فى أفانين البلاغة ، والألفاظ المركبة على وجوه المعانى – إلى أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، ثم ردّهم إلى سورةٍ فعجزوا كلُّهم عن ذلك على سَعة بلادهم طولًا وعرضًا ، وأنه ﷺ أقام بين أظهرهم ثلاثةً وعشرين عاما ، يستسهلون قتله ، والتعرضَ لسفك دمائهم ، واسترقاق ذراريهم ، وقد أضربوا عمَّا دعاهم إليه من المعارضة للقرآن جملة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا لا يخفى على من له أقل فهم : أنه إنما حملهم على ذلك – العجزُ عما كلفهم من ذلك – وارتفاعُ القوة عنهم(٥٦)، وأنه قد حيل بينهم وبين

---

(٥٠) بنو قريظة : إحدى قبائل اليهود كانت تقطن المدينة ، أمر جبريل رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ ألا يضع سلاحه بعد غزوة الخندق حتى يصل إلى بنى قريظة ، فحاصرهم مدة عشرين يوما ، وحكم فيهم الرسول سعد بن معاذ فأمر بقتلهم وسبى زراريهم وتقسيم أموالهم ، وكان سبب حربهم نقضهم العهد ، وتعاونهم مع المشركين فى غزوة الأحزاب ضد المسلمين ، تزوج الرسول منهم « ريحانة بنت عمرو » (المرجع السابق ص ١١٦) بتصرف .

(٥١) بنو النضير : إحدى قبائل اليهود ، كانت تقطن المدينة ، غزاهم النبى فى شوال سنة ٣ هـ حين أرادوا الغدر به ، وتدبير قتله بإلقاء حجر عليه ، حاصرهم الرسول ست ليال فتحصنوا بحصونهم فأمر بقطع النخيل وتحريقها فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فطلبوا الجلاء على أن يكف الرسول عن قتلهم ، نزلت فيهم سورة الحشر (المرجع السابق ص ٧٥ ، ٧٦ جـ ٤) بتصرف .

(٥٢) بنو إهدل : فى (خ) [بنو هذل] . إحدى البطون الصغيرة لليهود .

(٥٣) بنو قينقاع : إحدى قبائل اليهود ، كانت تقطن المدينة غزاهم الرسول ﷺ فى شهر شوال فى السنة الثانية من الهجرة وحاصرهم خمس عشرة ليلة ، تشبث « عبد الله بن أبى » زعيم المنافقين بهم وردّ ولاءهم إليهم « عبادة بن الصامت » أنزل الله فيهم قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » (البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٣) .

(٥٤) لعل ذلك كان متبعا فى عصر المؤلف .

(٥٥) سورة الجمعة : ٦ ، ٧ .

(٥٦) فى (خ) [وارتفاع قوّتهم عنه] .

ذلك ، ثم عمر[٥٧] الدنيا من البلغاء الذين يتخللون بألسنتهم تخلل الباقر [٥٨] ويطيلون فى المعنى التافه إظهارًا لاقتدارهم على الكلام ، جماعاتٌ لا بصائر لهم فى دين الإسلام منذ أربعمائة عام وعشرين عاما ، فما منهم أحد يتكلّف معارضته إلا افتضح وسقط ، وصار مهزأة ومعيرة يُتَماجَنُ به ، ويتطايب[٥٩] عليه ،منهم« **مسيلمة**[٦٠]» بن حبيب الحنفى ، لما رام ذلك لم ينطق لسانه إلا بما يضحك الثكلى ، وقد تعاطى بعضهم ذلك يومًا فى كلام جرى بينى وبينه ، فقلت له : اتق الله على نفسك ، فإن الله تعالى قد منحك من البيان والبلاغة نعمة سبقتَ بها ، ووالله لئن تعرضت لهذا الباب بإشارة ليسلبنك الله هذه النعمة ، وليجعلنك فضيحة وشهرة ومسخرة وضُحكة . كما فعل بمن رام هذا من قبلك . فقال لى صدقت ، والله وأظهر الندم ، والإقرار بقبحه .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا الذى ذكرنا مُشاهد ، وهى آية باقية إلى اليوم ، وإلى انقضاء الدنيا ، وسائرُ آيات الأنبياء عليهم السلام قد فنيت بفنائهم فلم يبق منها إلّا الخبر عنها فقط .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد ظنَّ قوم أن عجز العرب ومن تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن إنما هو لكون القرآن[٦١] أعلى طبقات البلاغة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا خطأ شديد ولو[٦٢]، كان ذلك وقد أبى الله عزَّ وجل أن يكون لما كان حينئذ معجزة ، لأن هذه صفة كل[٦٣] باسق فى طبقته والشىء الذى هو كذلك ، وإن كان قد سبق فى وقت مّا ، فلا يؤمن أن يأتى فى غدٍ ما يقاربه بل ما يفوقه . ولكن الإعجاز فى ذلك إنما هو أنّ الله عزَّ وجل حال بين العباد ، وبين أن يأتوا بمثله ، ورفع عنهم القوة فى ذلك جملة ، وهذا مثل : لو قال قائل إنِّى أمشى اليوم فى هذا الطريق ، ثم لا يمكن أحدٌ بعدى

---

(٥٧) فى (أ ، ب) [عم] .

(٥٨) فى (خ) [الباق] وفى (أ) [الناقد] . وفى الحديث : إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل الكلام كما تتخلل الباقرة الكلأ بلسانها قال ابن الأثير : هو الذى يتشدق فى الكلام ويفخم به لسانه ، ويلفه كما تلف الكلأ بلسانها لفا .

(٥٩) فى (ب) [ويتطاءب] .

(٦٠) مسيلمة : هو ابن حبيب اليمامى الكذاب من بنى حنيفة ادّعى النبوة ، وكتب للرسول ﷺ كتابا قال فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد ، فإلى أشركت معك فى الأمر ، فلك المدر ، ولى الوبر . ويروى فلكم نصف الأرض ولنا نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون » . فكتب إليه رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ؛ فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » . ومن أقواله التى ادّعى أنه أوحى إليه بها لسجاح بنت الحارث : حتى اختلى بها قال لها : بماذا يوحى إليك ؟ فقالت : وهل يكون النساء يبتدئن ، بل أنت ماذا أوحى إليك فقال : « ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاقٍ وَحَشا ، قالت وماذا ؟ فقال : إنَّ الله خلق للنساء أفراجا ، وجعل الرجال لهن أزواجا ، فنولج فيهن قعسا إيلاجا ، ثم نخرجها إذا نشاء إخراجا ، فينتجن لنا سخالا إنتاجا ، فقالت : أشهد أنك نبى ، فقال لها هل لك أن أتزوجك وآكل بقومى وقومك العرب . . قالت : نعم . . (البداية والنهاية حـ ٦ ص ٣٢١) :

(٦١) فى (أ ، ب) [فى أعلى] .

(٦٢) سقطت واو العطف فى (أ) فكتب (لو كان ذلك) بغير الواو .

(٦٣) فى (أ) [كل من باسق] .

أن يمشى فيها ، وهو ليس بأقوى من سائر الناس ، وأما لو كان العجز عن المشى لصعوبة الطريق وقوة هذا الماشى لما كانت آيةً ولا معجزة ، وقد بيَّنا فى غير هذا المكان أن القرآن ليس من نوع بلاغة الناس لأن فيه الأقسامَ التى فى أوائل السور والحروفَ المقطعة التى لا يعرفُ أحد معناها(٦٤)، وليس هذا من نوع بلاغة الناس المعهودة وقد روينا عن « أُنَيْس(٦٥)» أخى أبى ذى الغفارى رضى الله عنهما : أنه سمع القرآن فقال : لقد وَضَعْتُ هذا الكلام على ألسنة البلغاء ، وألسنة الشعراء ، فلم أجده يوافق ذلك ، أو كلامًا هذا معناه . فصح بهذا ما قلناه من أن القرآن خارج عن نوع بلاغة المخلوقين ، وأنه على رتبةٍ قد منع الله تعالى جميع الخلق عن أن يأتوا بمثله ، ولنا فى هذا رسالةٌ مستقصاة كتبنا بها إلى « **أبى عامر أحمد ابن عبد الملك بن شهيد**(٦٦)» . وسنذكر منها هنا إن شاء الله تعالى ما فيه كفاية فى كلامنا مع المعتزلة ، والأشعرية فى خلق القرآن من ديواننا هذا . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فإن قال قائل : إنّه مُنع المعارضون حينئذ من المعارضة أو عارضوا فسُتر ذلك . قيل له وبالله التوفيق : لو أمكن ما تقول لأمكن لغيرك أن يدّعى فى آيات موسى عليه السلام مثل ذلك ، بل كان يكون أقربَ إلى التلبيس ؛ لأن فى توراتكم أن السحرة عملوا مثل ما عمل موسى عليه السلام حاشا البعوض(٦٧) خاصة فإنهم لم يطيقوه .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا هو الباطل والتبديل الظاهر ، لأن السحر لا يحيل عينًا ولا يقلبها ، ولا يحيل طبيعة ، إنما هو حيل قد بينا الكلام فيها بعون الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب وفى غيره .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا الاعتراض هو على(٦٨) سبيل إبطال الكواف

---

(٦٤) الحقيقة أن كثيراً من العلماء تحدثوا عن دلالة هذه الحروف ، فمنهم من قال إنها للتحدى فكأن الله يقول : القرآن مكون من هذه الحروف التى تعرفونها فأتوا بمثله ما دمتم تعرفونها ، ومنهم من قال : إنها تهيىء الذهن لأهمية ما بعدها . . وغير ذلك من الأقوال التى حفلت بها كتب التفاسير .

(٦٥) أنيس : بضم الهمزة هو ابن جُنادة الغفارى أخو أبى ذر الغفارى ، أسلم مع أخيه قديما ، وأسلمت أمهما ، وكان شاعراً . حديثهما عند حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر حديث طويل ، حسن إسلامهما رضى الله عنهما . (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب حـ ١ تحقيق على محمد البيجاوى ص ١١٣ ط. مكتبة نهضة مصر) .

(٦٦) هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شُهَيد الأشجعى من بنى الوضاح من أشجع من قيس عيلان أبو عامر وزير من كبار الأندلسيين أدبًا وعلمًا ، ولد وتوفى بقرطبة ، له شعر جيد يهزل فيه ويجد ، وله تصانيف بديعة منها « كشف الدّك وإيضاح الشك » و « حانوت عطار » و « التوابع والزوابع » قطعة منه مصدرة بدراسة تاريخية لبطرس البستانى ، وكانت بينه وبين ابن حزم الظاهرى مكاتبات ومداعبات ولد سنة ٣٨٢ هـ وتوفى سنة ٤٢٦ هـ . بغيه الملتمس ١٧٨ نقلا عن الأعلام : للزركلى حـ ١) .

(٦٧) فى سفر الخروج النص التالى : « ثم قال الرب لموسى قل لهارون مدَّ عصاك واضرب الأرض ليصير بعوضًا فى جميع أرض مصر ، وفعل كذلك العرَّافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا (الإصحاح ١٦/٨ – ١٠) .

(٦٨) فى النسخة (أ) سقطت كلمة (على) .

لا سبيل[٦٩] من أقر بشيء منها ، ثم يقال كل من وَلِىَ الأمر بعده عليه السلام معروف ليس منهم أحدٌ إلا وله أعداء يخرجون من عداوته إلى الغايات من الحنق والغيظ فأبو بكر وعمر تعاديهما « **الرافضة**[٧٠] » وتبلغ فى عداوتها وتكفيرها أقصى الغايات . وما قال قط أحدٌ مؤمن ولا كافر عدوٌّ لهما ولا وَلِىّ : إن أحدًا منهما أجبر أحدًا على الإقرار بآيات محمد ﷺ ، ولا على ستر شىءٍ عورض به ، ولا قدِر أن يقول هذا أيضًا يهودىٌّ ولا نصرانى .

وكذلك عثمان أيضًا وعلىّ تعاديهما الخوارج ، وتخرج فى عداوتهما وتكفيرهما إلى أبعد الغايات ، ما قال قط قائل فى أحدهما شيئًا من هذا ، وحتّى لو رام أحدٌ من الملوك ذلك لما قدر عليه ، لأنه لا يملك أيدى الناس ولا ألسنتهم ، يصنعون فى منازلهم ما أحبُّوا ، وبينشرونه عند من يثقون به حتى ينتشر .

وهذا أمر لا يقدر على ضبطه ، والمنع منه أحدٌ ، لا سيما مع[٧١] انخراق الدنيا وسعة أقطارها من أقصى السند[٧٢] إلى أقصى الأندلس ، فلو أمكنت معارضته ما تأخر عن ذلك من له أدنى حظ من استطاعة عند نفسه على ذلك ممن لا بصيرة له فى الإسلام فى شرق الأرض وغربها ، فإن قال قائل من اليهود : إن موسى عليه السلام قال لهم فى التوراة : « لا تقبلوا من نبى أتاكم بغير هذه الشريعة وإن جاءكم بآيات[٧٣] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : قلنا له وبالله تعالى التوفيق :

لا سبيل إلى أن يقول موسى عليه السلام هذا بوجه من الوجوه ، لأنه لو قال ذلك لكان مبطلا لنبوة نفسه ، وهذا كلام[٧٤] ينبغى أن يتدبَّر ؛ وذلك أنه لو قال لهم : لا تصدقوا من دعاكم إلى غير شريعتى وإن جاء بآيات ، فإنه يلزمه إذا كانت الآيات لا توجب تصديق غيره إذا أتى بها

---

(٦٩) فى (أ ، ب) [لا سبيل إلى من أقر] وهى زيادة تفسد المعنى .

(٧٠) تبلغ فرق الروافض عشرين فرقة منها ثلاث زيدية ، وفرقتان من الكيّسانية ، وخمس عشرة فرقة من الإمامية ، أما الروافض السبئية فقد أظهروا بدعتهم فى زمن على رضى الله عنه فقال بعضهم لعلى أنت الإله ، فأحرق قومًا منهم ، ونفى زعيمهم « ابن سبأ » إلى « ساباط المدائن » ولا تعد هذه الفرقة من المسلمين لتسميتهم عليًا إلهاً . ثم افترقت الرافضة بعد على أربعة أصناف زيدية ، وإمامية ، وكيسانية ، وغلاة ، وكل منها اقتربت فرقا ، وكل فرقة منها تكفر سائرها ، وسموا الرافضة لرفضهم الاعتراف أولًا بأبى بكر وعمر ثم لرفضهم بعد ذلك ما اتفق عليه الاجماع . [الفرق بين الفرق – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة على صبيح وأولاده – القاهرة] .

(٧١) فى النسخة (أ) سقطت كلمة [مع] .

(٧٢) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان ، قالوا : السند والهند كانا أخوين من ولد بوبقر بن يفطن بن حام بن نوح ، وهى خمس كور ، وفتحت فى أيام الحجاج بن يوسف ومذهب أهلها الغالب عليها هو مذهب أبى حنيفة (معجم البلدان : جـ ٣ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧) .

(٧٣) فى (أ ، ب) : لم يذكر [وإن جاءكم بآيات] . والنص كما فى التوارة الحالية : « إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلمًا وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلًا : لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم » .. (سفر التثنية – الإصحاح ١٣ الفقرات من ١ – ٥) .

(٧٤) فى (خ) [وهذا مكان] .

فى شيء دعا إليه ، فهى غير موجبة تصديق موسى عليه السلام فيما أتى به ، إذ لا فرق بين معجزاته ومعجزات غيره ، إذ بالآيات صحَّت الشرائع ، ولم تصح الآيات بالشرائع ، لأن تصديق الشريعة موجبة للآية ، والآية موجبة تصديق الشريعة ، ومن قال خلاف هذا ممن يدين بشريعة وبنبوة فهو عظيم المجاهرة بالباطل .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأيضًا فإنَّ هذا القول المنسوب إلى موسى عليه السلام كذب موضوع ليس فى التوراة شيء منه ، وإنما فيها : « من أتاكم يدّعى نبوةً وهو كاذب فلا تصدقوه » ، فإن قلتم من أين نعلم كذبه من صدقه ؟ فانظروا فإذا قال عن الله شيئًا ، ولم يكن كما قال فهو كاذب . هذا نص ما فى التوراة فصح بهذا أنه إذا أخبر عن الله تعالى بشيء فكان كما قال فهو صادق ، وقد وجدنا كلَّ[٧٥] ما أخبر به النبى ﷺ فى غلبة الروم على كسرى ، وإنذاره بقتل الكذاب العنسى[٧٦]. ويوم ذى قار[٧٧]، وبخلع كسرى ، وبغير ذلك فإن قالو : إن فى التوراة أن هذه الشريعة لازمة لكم فى الأبد ، قلنا : هذا محال فى التأويل ، لأنه كذلك أيضًا فيها : أن هذه البلاد يسكنونها أبدًا ، وقد رأيناهم بالعيان خرجوا عنها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فإن قال قائل : فقد قال لكم محمد ﷺ : لا نبى بعده . قيل لهم : وبالله تعالى نتأيد : ليس هذا الكلام مما ادعيتموه على موسى عليه السلام ، لأننا قد علمنا من أخباره عليه السلام أنه لا سبيل إلى أن يظهر أحد آيةً بعده أبدًا ، ولو جاز ظهورُها لوجب تصديق من أظهرها ، ولكنا قد أيقنا أنه لا تظهر آية على أحدٍ بعده عليه السلام بوجه من الوجوه .

فإن قال قائل : وكيف تقولون فى « الدجال » وأنتم ترون أنه يظهر له عجائب ؟

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : إن المسلمين فيه على أقسام ، فأما « ضرار[٧٨] بن عمرو » وسائر فرق الخوارج ، فإنهم ينفون أن يكون الدجال[٧٩] جملة فكيف أن يكون له آية[٨٠].

---

(٧٥) فى (أ) و (ب) [كلما] .

(٧٦) الأسود العنسى : اسمه عبهله بن كعب بن غوث من بلد يقال لها كهف حنان ، ادّعى النبوة وحارب المسلمين فى اليمن ، واسترد منهم نجران ، وصنعاء ، ودانت له اليمن بكاملها ، وكان كاهنا يخدع الناس بكلام مسجوع من أعمال الكهانة ، وفتن الناس به لأنه كان مسخا مشوها . قتله فيروز الديلمى (راجع ترجمته وأخباره فى البداية والنهاية لابن كثير حـ ٦ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ مكتبة المعارف ببيروت ١٩٦٦) .

(٧٧) كانت وقعة ذى قار تمام أربعين سنة من مولد رسول الله ﷺ وهو بمكة بعد أن بعث وقيل بعد أن هاجر ، وفى رواية أخرى أنها كانت بعد وقعة بدر بأشهر ، ورسول الله بالمدينة وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل والهرمزان صاحب كسرى أبرويز (مروج الذهب ومعادن الجواهر للمسعودى حـ ١ ص ٢٧٨ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) .

(٧٨) « ضرار بن عمرو » ، القاضى معتزلى جلد ، له مقالات خبيثة ذكره ابن النديم وذكر له ثلاثين كتابًا فيها الرد على المعتزلة ، والخوارج والروافض ، ولكنه كان معتزليا له مقالات ينفرد بها ، وشهد عليه ابن حنبل فأمر القاضى بضرب عنقه فهرب ، وأخفاه يحيى بن خالد وهو من رجال منتصف القرن الثالث (لسان الميزان حـ ٣ ص ٢٠٣ نقلا عن الملل والنحل حـ ١ ص ٣٩) .

(٧٩) يكون : هنا تامة بمعنى يوجد .

(٨٠) تجمع الأقوال على أن الدجال « مسيخ » ولكنها تختلف فى صفته وهويته ومكان ظهوره فى آخر الزمان ، يقول الطبرى عنه ، هو رجل =

وأما سائر فرق المسلمين فلا ينفون ذلك . والعجائب المذكورة عنه إنما جاءت بنقل الآحاد .

وقال بعض أصحاب الكلام : إن الدَّجال إنما يدّعى الربوبية ، ومدَّعى الربوبية فى نفس قوله بيان كذبه .

قالوا فظهور الآية عليه ليس موجبًا لضلال من له عقل .

وأمَّا مدَّعى النبوة فلا سبيل إلى ظهور الآيات عليه . لأنه كان يكون ضلالًا لكل ذى عقل .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأما قولنا فى هذا فهو أن العجائب الظاهرة من الدجال إنما هى حيل من نحو ما صنع سحرة فرعون ، ومن باب أعمال « الحلَّاج » وأصحاب العجائب ، يدل على ذلك حديث « المغيرة بن شعبة[٨١] » إذ قال للنبى ﷺ : إن معه نهر ماء ونهر خبز ، فقال له رسول الله ﷺ : هو أهون على الله من ذلك .

حدثنا « يونس بن عبد الله بن مغيث[٨٢] » حدثنا « أحمد بن عبد الرحيم[٨٣] » ، حدثنا « محمد بن عبد السلام الخُشْنِى[٨٤] » ، حدثنا « محمد بن بشار بندار[٨٥] » ، حدثنا « يحيى

= كذى القرنين ، وملك من ملوك إسرائيل ، سيحكم العالم كله ، ويظهر ممتطيا حمارًا فى مثل حجمه عندما ينفذ يأجوج ومأجوج من السد ، ولن يدوم حكمه أكثر من ٤٠ يومًا ، ومع ذلك فإن وقته سيتسع بحيث يحوم العالم من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، وسيذهب بأسه ويتلاشى جسمه الجبار أمام المسيح والمهدى ، وأن المهدى سيقتله فى النهاية ، وتذهب رواية الطبرى إلى أن اسمه « عبد الله الصيانيد » ، وتصفه كتب الأحاديث بأنه أحمر جعد ، جسيم عريض النحر أعور ، أجلى الجبهة كأن عينيه عنبة طافية ، ومكتوب بين عينيه كافر . (دائرة المعارف الإسلامية – بتصرف حـ ٩ ص ١٤٧ ، ١٤٨) .

(٨١) المغيرة بن شعبة : هو ابن أبى عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس وهو ثقيف الثقفى يكنى أبا عبد الله ، وأمه من بنى نصر بن معاوية ، أسلم عام الخندق ، وكان رجلًا طوالًا ذا هيبة ، أصيبت عينه يوم اليرموك توفى سنة ٥٠م بالكوفة ، وهو أحد دهاة العرب الأربعة : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة ، وزياد كما روى ذلك خالد عن الشعبى (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر تحقيق : على محمد البجاوى – مكتبة نهضة مصر حـ ٤ بتصريف) .

(٨٢) هو أبو الوليد ، يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن الصفار القرطبى ، شيخ الأندلس وقاضى الجماعة ، توفى عن إحدى وتسعين سنة . (تذكرة الحفاظ حـ ٣ ص ١٠٠ : للذهبى) .

(٨٣) أحمد بن عبد الرحيم : هو أبو جعفر الجرجانى – روى عن جرير بن عبد الحميد ، وعن أبى الدهماء ، وحميد بن هلال ، وطبقته ، وسمع منه ابن عدى حديثا ، يقولون عنه : إنه يحدّث عمن لم يدركهم ، بل ماتوا قبله بدهرٍ طويل (لسان الميزان – حـ ١ ص ٢١٣ ، ٢١٤) .

(٨٤) محمد بن عبد السلام الخُشْنى : الحافظ الإمام أبو الحسن محمد بن عبد السلام بن ثعلبة القرطبى اللغوى ، صاحب التصانيف ، كان ثقة كبير الشأن ، يذكر مع « بقًا » وذويه ، أريد على قضاء الجماعة فامتنع ، وقد بث بالأندلس أحاديث كثيرة ، ومات سنة ٢٨٦ هـ (المرجع السابق حـ ٢ ص ٦٤٩) .

(٨٥) محمد بن بشار بندار : هو ابن عثمان العبدى ، البصرى ، النساج ، كان عالما بحديث البصرة ، لم يرحل برًّا بأمه ، ثم ارتحل بعدها ، سمع ابن عبد العزيز العطار ، ويحيى بن سعيد وطبقتهما ، حدّث عنه الجماعة والبغوى ، وأبو العباس السَّراج ، وكان يقول « ولدت عام توفى « حماد بن سلمة » . وتوفى هو سنة ٢٥٢ هـ . وجلس للحديث وهو ابن ١٨ عاما ، وقال عنه « أبو حاتم » « صدوق » ، وقال العجلى : « فقيه كثير الحديث » . (المرجع السابق) .

بن سعيد القطان[٨٦] » ، حدثنا « هشام بن حسان الفردوسى[٨٧] » ، حدثنا « حميد بن هلال[٨٨] » عن « أبى الدّهماء[٨٩] » ، عن « عمران بن حصين[٩٠] » عن النبى ﷺ قال : « من سمع من أمتى الدَّجال فلينأ عنه ، فإن الرجل يأتيه وهو يحسبه مؤمنًا فيتبعه مما يرى من الشبهات[٩١] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وبهذا تتألف الأحاديث . وقد بيَّن رسول الله ﷺ فى هذا الحديث أن ما يظهر الدَّجال من نهر ماء ونار وقتل إنسان وإحيائه – أن هذا حيل .

ولكل ذلك وجوه إذا طلُبت وُجدت . فقد تَحيَّل ببعض الأجساد المعدنية إذا أذيب أنه ماء ، وتَحَيَّل بالنفط الكاذب أنه نار ، ويُقتَل إنسان ويُغَطى وآخر معد مخبوء فيظهر ليرى أنه قتل ثم أحيى كما فعل « الحسين بن منصور الحلاج » فى الجدى الأبلق[٩٢]، وكما فعل « الشريعى[٩٣] » و « النميرى » بالبغلة ، وكما فعل « زيروب » بالزرزور .

وأنا أدرى من يطعم الدجاج الزرنيخ فتخدَّر ولا يشك فى موتها ثم يُصبُّ فى حلوقها الزيت فتقوم صحاحًا .

وإنما كانت معجزة لو أحيا عظامًا قد أرمّت ، فيظهر نبات اللحم عليها ، فهذه كانت تكون معجزة ظاهرة لا شك فيها ، ولا يقدر غير نبى عليها ألبتة يظهرها الله عزَّ وجل على يديه آية له[٩٤].

---

(٨٦) يحيى بن سعيد القطان : هو ابن فاروخ الإمام العلم سيد الحفاظ ، ولد سنة ١٢٠ هـ سمع هشام بن عروة ، وعطاء ابن السائب ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، والأعمش وطبقتهم ، قال أحمد : ما رأيت بعينى مثل « يحيى » بن سعيد القطان » ، وقال « بندار » هو إمام أهل زمانه ، واختلفت إليه عشرين سنة فما أظن أنه عصى الله قط ، وقال « ابن معين » : أقام « يحيى القطان » عشرين سنة يختم القرآن كل ليلة (المرجع السابق) .

(٨٧) هشام بن حسان الفردوسى : هو الإمام أبو عبد الله الأزدى الفردوسى ،روى عن الحسن ومحمد وعكرمة ، قال « ابن عيينة » ، كان أعلم الناس بحديث الحسن ، وكان « حماد بن سلمة » لا يختار عليه أحدًا فى حديث ابن سيرين ، وقيل كان له ألف حديث مات فى أول صفر سنة ١٤٨ هـ . (تذكرة الحفاظ : جـ ١ ص ١٦٣ ، ١٦٤) .

(٨٨) حميد بن هلال : هو ابن هبيرة ، ويقال ابن سويدا بن هبيرة العدوى روى عن عبد الله بن مغفل ، وعبد الرحمن بن سمرة ، وأنس بن مالك ، وهشام بن عامر الأنصارى قال القطان : كان ابن سيرين لا يرضاه ، وكان فى الحديث ثقة ، قال ابن عدى : له أحاديث كثيرة وقد حدث عنه الأئمة . (تهذيب التهذيب : جـ ٣ ص ٥١) .

(٨٩) هو : قرفة بن بهيث العدوى ، أبو الدهماء البصرى : روى عن هشام بن عامر ، وعمران بن حصين وروى عنه حميد بن هلال . قال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث ، له عند مسلم حديث فى عظم خلق الدجال ، وعند أبى داود حديث عمران : من سمع الدجال فلينبأ عنه (المصدر السابق : (٨ – ٣٦٩) .

(٩٠) عمران بن حصين : هو ابن عبيد بن خلف أبو نجيد أسلم عام خيبر ، وعين قاضيا على البصرة ، وهو من فضلاء الصحابة ، توفى سنة ٥٢ هـ فى خلافة معاوية وروى عنه جماعة من تابعى البصرة والكوفة (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : لابن عبد البر تحقيق على محمد البيجاوى – نهضة مصر) .

(٩١) رواه مسلم فى صحيحه ، ورواه أبو داود فى سننه بلفظ مختلف عن مسلم .

(٩٢) الجدى الأبلق : المعز الذى فيه بياض وسواد (وسيط ١/ ٧٠ ، ١١٢ .

(٩٣) هو زعيم فرقة تنسب وتعزف بالشريعة وقد زعم أن الله حل فى خمسة أشخاص من أتباعه ادعى أن الاله حل فيه . التبصير ٧٥ .

(٩٤) فى (أ ، ب) سقطت العبارة [يظهرها الله عز وجل على يديه آية له] .

وقد رأينا الدّبر[٩٥] يلقى فى الماء حتى لا يشك أحد أنها ميتة ، ثم كنا نضعها للشمس فلا تلبث أن تقوم وتطير ، وقد بلغنا مثل ذلك فى الذباب المسترخى فى الماء إذا ذُرَّ عليه سحق الآجر الجديد .

وآيات الأنبياء عليهم السلام لا تكون من وراء حائط ، ولا فى مكان بعينه ، ولا من تحت ستارة ، ولا تكون إلَّا بادية مكشوفة .

وقد فضحت أنا حيلة « أبى محمد » المعروف بالمحرق فى الكلام المسموع بحضرته ولا يُرى المتكلم ، وسُمْت[٩٦] بعض أصحابه أن يُسمعنى ذلك فى مكان آخر ، أو بحيث الفضاء دون بنيان ، فامتنع من ذلك ، فظهرت الحيلة ، وإنما هى قصبة مثقوبة توضع وراء الحائط على شق خفى ، ويتكلم الذى طرف القصبة على فيه على حين غفلة ممن فى المسجد - كلماتٍ يسيرة ، الكلمتين والثلاث لا أكثر من ذلك ، فلا يشك من فى البيت مع المحرّق الملعون فى أن الكلام اندفع بحضرتهم . وكان المتكلم فى ذلك « محمد بن عبد الله الكاتب » صاحبه .

فإن اعترض معترض بقول الله تعالى :

« وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرسل بالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بها الْأَوَّلون »[٩٧].

قيل له وبالله تعالى التوفيق : « هذا يُخرَّج على وجهين ، أحدهما أنَّ معنى قوله تعالى : « ومَا منعنا أن نُرسِل بالآياتَ إلَّا أن كذَّبَ بها الأوَّلون » إنما هو على معنى التبكيت لمن قال ذلك ، وأورد تعالى كلامهم ، وحذف ألف الاستفهام ، وهذا موجود فى كلام العرب كثيرًا .

والثانى : أنه إنما عنى تعالى بذلك الآيات المشترطة فى الرُّقى إلى السماء وأن يكون معه ملك[٩٨]، وما أشبه هذا ، وليس على الله تعالى شرط لأحد .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : والقول الأول هو جوابنا ، لأن الله تعالى لا شىء يمنعه عما يريد .

وكذلك إن اعترض معترض بقول النبى ﷺ : « ما منَ الأنبياء إلَّا من قد أُوتى ما على مثله

---

(٩٥) الدّبَر : بالفتح جماعة النحل والزنابير ، ويكسر فيها جمع أدبُر ودُبور (محيط) .
(٩٦) ساوَم الشىء سِوَامًا : فى المبايعة أى طلب المفاصلة فى الثمن والمراد هنا المراهنة .
(٩٧) الإسراء : ٥٩ .
(٩٨) وقد أشار إلى ذلك قول الله تعالى : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجِّرَ الأنهار خلالها تفجيرًا ، أو تسقط السماء كما زعمتَ علينا كسفا ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترق فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه . الآيات الإسراء (٩٠ - ٩٢) .

آمن البشر ، وإنَّما كان الَّذى أوتيته وَحْيًا أُوحىَ إلىَّ ، وإنِّى لأرجو أنْ أكونَ أَكثَرهم تبعًا يوم القيامة[٩٩] » .

قيل لهم – وبالله التوفيق : إنما عنى رسول الله ﷺ بهذا القول آيته الكبرى الثابتة الباقية أبد الآباد التى هى أول معجزته حين بعث وهى القرآن ؛ لبقاء هذه الآية على الآباد . وإنما جعلها عليه السلام بخلاف سائر آيات الأنبياء عليهم السلام ، لأن تلك الآيات يستوى فى معرفة إعجازها العالم والجاهل . وأما إعجاز القرآن فإنما يعرفه العلماء بلغة العرب ، ثم يعرفه سائر الناس بإخبار العلماء لهم بذلك . مع ما فى التوراة من الإنذار البيِّن برسول الله ﷺ من قوله تعالى فيها :

« سأُقيمُ لِبنى إسرائيل نبيًّا مِنْ إخْوتِهم ، أجعلُ على لِسانِه كَلامى فَمَنْ عَصَاه انتقمتُ مِنْه »[١٠٠].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولم تكن هذه الصفة لغير محمد ﷺ . وأخوةُ بنى إسرائيل هم بنو إسماعيل . وقوله فى السفر الخامس منها : « جاء الله مِن سيناء ، وأشرق مِنْ سَاعِير[١٠١]، واستعلن مِنْ جبال فاران[١٠٢]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وسيناء هو موضع مبعث موسى عليه السلام بلا شك . و« ساعير » هو موضع مبعث « عيسى » عليه السلام ، و« فاران » بلا شك هى مكة موضع مبعث « محمد » ﷺ . بيان ذلك : أن « إبراهيم » عليه السلام أسكن « إسماعيل » « فاران » ، ولا خلاف بين أحد فى أنه إنما أسكنه مكة . فهذا نصٌّ على مبعث النبى ﷺ .

والرؤيا التى فسرها « دانيال »[١٠٣] فى أمر الحجر الذى رأى الملك فى نومه الذى دق الصنم الذى كان بعضه ذهبًا ، وبعضه فضة ، وبعضه نحاسًا ، وبعضه حديدًا ، وبعضه فخارًا ، وخلطه

---

(٩٩) رواه البخارى فى فضائل القرآن : رقم (١) ، ومسلم فى الإيمان : ٢٣٩ ، وأحمد بن حنبل حـ ٢ ص ٣٤١ .

(١٠٠) النص كما فى التوراة الحالية : « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه (سفر التثنية – الإصحاح ١٨ – الفقرة ١٨) .

(١٠١) ساعير : فى التوراة اسم لجبال فلسطين ، ذكره عند « فاران » وهو من حدود الروم ، وذكره فى التوراة : « جاء من سينا يريد مناجاته لموسى على طورسينا ، وأشرق من ساعير . . إشارة إلى ظهور عيسى بن مريم عليه السلام من الناصرة . . واستعلن من جبال فاران : وهو جبال الحجاز يريد النبى عليه السلام » . وهذا فى الجزء العاشر – السفر الخامس من التوراة . (معجم البلدان لياقوت الحموى حـ ٣ ص ١٧١) دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٥٧ .

(١٠٢) فاران : كلمة عبرية معربة ، ذكرت فى التوراة قيل إنها تطلق على جبال مكة ، وقيل إنها من أعمال سمرقند وقال « عبد الله القضاعى » فاران والطور » كورتان من كور مصر القبلية (معجم البلدان : حـ ٤ ص ٢٢٥) .

(١٠٣) دانيال : عن الأجلح الكندى عن عبد الله بن أبى الهذيل قال : ضرب بختنصر أسدين فألقاهما فى جب ، وجاء « بدنيال » فألقاه عليهما يهيجاه فمكث ما شاء ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله إلى « أرميا » وهو بالشام : أن أعدد طعاما وشرابا لدانيال فقال يارب : أنا بالأرض المقدسة ، و « دانيال » بأرض بابل من أرض العراق فأوحى الله إليه أن افعل ما أمرناك به فإنا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت ففعل وحمل ما أعده حتى وقف على رأس الجب ، فقال « دانيال » من هذا ؟ قال أنا « أرميا » أرسلنى إليك ربك فقال « دانيال » الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ، والحمد لله الذى من وثق به لم يكله إلى غيره (البداية والنهاية : حـ ٢ ص ٤٠) .

كله وطحنه وجعله شيئًا واحدًا ثم ربا الحجر حتى ملأ الأرض ، ففسره « دانيال » : أنه نبى يجمع الأجناس ، ويبلغ ملك أمره ملء الآفاق ، فهل كان نبى قط غير « محمد » ﷺ جمع الأجناس كلها على اختلافها ، واختلاف لغاتها ، وأديانها ، وممالكها ، وبلادها ، فجعلهم جنسًا واحدًا ، ولغة واحدة ، وأمة واحدة ، ومملكة واحدة ، ودينًا واحدًا ؟

فإن العرب ، والفرس ، والنبط(١٠٤)، والأكراد(١٠٥)، والترك ، والديلم(١٠٦)، والجبل ، والبربر(١٠٧)، والقبط(١٠٨)، ومن أسلم من الروم والهند والسودان ، على كثرتهم كلهم ينطقون بلغة واحدة ، وبها يقرءون القرآن ، وقد صار كل من ذكرنا أمة واحدة والحمد لله رب العالمين . فصحت النبوة المذكورة بلا إشكال ، والحمد لله رب العالمين .

وكل ما ذكرنا فى هذا الباب أنه يدخل على النصارى الذين يقولون بنبوة « عيسى » عليه السلام فقط من « الأريوسية(١٠٩)» ، و« المقدونية » و« البولقانية » سواء بسواء مع ما فى الإنجيل من دعاء المسيح عليه السلام فى قوله : « اللهم ابعث البارقليط ليعلم الناس أن ابن البشر إنسان » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا غاية البيان لمن عقل ؛ لأن المسيح عليه السلام علم إنه سيغلو قومه فيه ، فيقولون : إنه الله ، وإنَّه ابن الله ، فدعا الله فى أن يبعث الذى يبين للناس أنه ليس إلهًا ، ولا ابن إله ، وإنما هو إنسان ولد(١١٠) من امرأة من البشر . فهل أتى بعده

---

(١٠٤) النبط : هو شعب من شعاب هذيل ، قال ساعدة بن جؤية :

أضرَّ به ضاج فنبطَا أسالة فمرٌّ فأعلى حوزها فحصورُها

ضاج ، ونبط ، ومر : مواضع (معجم البلدان : حـ ٥ ص ٢٥٨) .

(١٠٥) الأكراد : يتركز الأكراد فى أذربيجان وخراسان ، وبعضهم فى فارس وفى تركيا فى المنطقة المحيطة ببحيرة « فان » وفى العراق يتركزون حول الموصل وكركوك ، ومعظم الكرد مسلمون سنيون وهم شعب محارب لم يقبلوا الحكم الأجنبى ، وقد نصت معاهدة « سيفر » ١٩٢١ على إنشاء دولة كردية تتمتع بالحكم الذاتى ، وفى ١٩٤٦ قام أكراد إيران بثورة ضد الحكومة الإيرانية ، ولكنها أخمدت وأعدم زعماؤها . (دائرة المعارف الإسلامية - كرد) .

(١٠٦) الديلم : قال ابن الأثير : جبال الديلم جبال منيعة وبهذه الجبال أمم عظيمة من الديلم والصحيح أنهم أمة نسبت البلاد إليهم ، وهى قسم من بلاد « جيلان » ، وقد خرج منهم بعض دول كبيرة فى الشرق ، وفى الخلافة العباسية كانت دولة بنى بويه العظيمة بالعراق ، وكانت أيضًا قبلها دولة بنى مرداويج جرجان ، وقد ذكر ابن الأثير وابن خلدون من أخبارهم شيئًا كثيرًا (دائرة المعارف للبستانى - بتصرف) .

(١٠٧) البربر : استقر البربر فى شمال إفريقيا منذ عهد سحيق ، وقد ذكرهم المؤرخون والجغرافيون الأقدمون إلى الجنوب ، فالبربر مفرقون فى مساحة شاسعة من الأرض تحدها من الشرق واحة « سيوه » وصحراء ليبيا ، ومن الغرب المحيط الأطلسى ، ومن الجنوب بلاد هَوْسا ، ونظام البربر السياسى ينقسم إلى قسمين : نظام ارستوقراطى ، ونظام ديموقراطى . واتبع البربر منذ الفتح الإسلامى مذهب أهل السنة ، ولكنهم أخيرًا أخذوا بمذهب الخوارج (دائرة المعارف الإسلامية حـ ٣ ص ٥١٩) .

(١٠٨) القبط : كلمة يونانية الأصل معناها سكان مصر ، والأقباط من سلالة قدماء المصريين ، واللغة القبطية تطورت فى اللغة المصرية القديمة ، وكانت هى اللغة المستعملة فى عهود المسيحية الأولى (الموسوعة العربية الميسرة - ١٣٦٩) .

(١٠٩) فى (أ) [الأويوسية] .

(١١٠) فى الأصل [من ولد امرأة] .

نبى يبين هذا إلا « محمد » ﷺ ؟ وهذا أمر[١١١] لا يَحيل بيانه على ذى حسٍّ سليم وإنصاف ، ونسأل الله إيزاع الشكر على ما وفق له من الهدى .

فإن قال قائل : فإن المجوس تصدّق بنبوة « زرادشت » . وقوم من اليهود يصدقون[١١٢] بنبوة « أبى عيسى الأصبهانى » ، وقوم من كفرة الغالية يصدّقون بنبوة « بزيع الحائك » ، و« المغيرة بن سعيد » ، و« بنان بن سمعان التميمى » وغيرهم من كلاب الغالية .

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أن أبا عيسى ، وبنان ، وبزيعا وسائر من تدَّعى له الغالية بنبوة أو إلهية ، من خيار الناس وشرارهم . لم تظهر لواحد منهم آية بوجه من الوجوه . والآيات لا تصح إلَّا بنقل الكواف ، وكل هؤلاء كان بعد رسول الله ﷺ . وقد أخبر الذى جاءت البراهين بصدقه ﷺ – أنه لا نبى بعده ، فقد صحّ البرهان ببطلان ما ادُّعى لهؤلاء من النبوة . وأمّا « زرادشت » فقد قال كثير من المسلمين بنبوته .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله ﷺ لمن صحت عنه معجزة . قال الله عزَّ وجل : « وإن مِنْ أمَّةٍ إلَّا خَلَا فيها نَذِير[١١٣] » . وقال عزَّ وجل : ورُسلا قد قَصَصْناهُم عَليكَ مِنْ قَبْلُ ، وَرُسُلا لم نَقْصُصْهم عليك[١١٤] » .

وقالوا : إن الذى ينسب إليه المجوس من الأكذوبات باطل مفترى منهم . وبرهان ذلك أن « المانية[١١٥] » تنسب إليه مقالتهم ، وأقوال هؤلاء كلهم متضادة لا سبيل إلى أن يقول بها قائل واحد صادق ولا كاذب فى وقت واحد .

وكذا المسيح عليه السلام ينسب إليه « الملكانية[١١٦] » قولهم فى التثليث . وتنسب إليه « النسطورية[١١٧] » قولهم أيضًا . وكذلك « اليعقوبية[١١٨] » وتنسب إليه « المانية » أيضًا قولهم . وكذلك « المرقونية[١١٩] » . وهذا برهان ظاهر على كذب جميعهم عليهما بلا شك .

وقد رامت الغالية مثل هذا فى القرآن ، ولكن قد تولّى الله حفظه ، وبالجملة فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلهما ، وكانا محظورين على من سواهما فالتبديل[١٢٠]

(١١١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (أمر] .
(١١٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [يصدقون] .
(١١٣) سورة فاطر ٢٤٠ .
(١١٤) سورة النساء : ١٦٤ .
(١١٥) فى النسخة (ب) [المنانية] .
(١١٦) سبق الحديث عنها
(١١٧)سبق الحديث عنها
(١١٨) تحدثنا عنها قبل ذلك
(١١٩) راجع ص ١٠٢ من هذا الكتاب
(١٢٠) وفى (أ) [بالتبديل] .

والتحريف مضمون فيهما . وكتاب المجوس وشريعتهم إنما كانا طول مدة دولتهم عند « المؤبذ[١٢١] وعند ثلاثة وعشرين « هربذا[١٢٢]» لكل « هربذ » سفر قد أفرد به وحده لا يشاركه فيه غيره من الهرابذة ولا من غيرهم ، ولا يباح بشيء من ذلك لأحد سواهم . ثم دخل فيها الخرم بإحراق « الإسكندر[١٢٣]» لكتابهم أيام غلبته « لدار ابن دارا[١٢٤]» وهم مقرون بلا خلاف منهم أنه ذهب منه مقدار الثلث . ذكر ذلك « بشير الناسك » وغيره من علمائهم .

وكذلك التوراة ، إنما كانت طول مدة ملك بنى إسرائيل عند « الكوهن الأكبر » الهارونى وحده ، لاينكر ذلك منهم إلّا كذاب مجاهر .

وكذلك الإنجيل : إنما هى كتب أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال ، فأمكن فى كل ذلك التبديل ، وقد نقلت كواف المجوس الآيات المعجزات عن زرادشت « كالصفر » الذى أفرغ وهو مذاب على صدره فلم يضره ، وقوائم الفرس التى غاصت فى بطنه فأخرجها . وغير ذلك .

وممن قال : إنّ المجوس أهل كتاب على بن أبى طالب ،و« حذيفة » رضى الله عنهما ، و« سعيد بن المسيب[١٢٥]» ، و« قتادة[١٢٦]» ، و« أبو ثور[١٢٧]» ، وجمهور أصحاب أهل الظاهر . وقد بينا البراهين الموجبة لصحة هذا القول فى كتابنا المسمى « الإيصال[١٢٨]» فى كتاب الجهاد

(١٢١) المؤبذ : جمعه الموبذان وهو للمجوس كقاضى القضاة للمسلمين ، والموبذ : القاضى ذكر فى حديث « سطيح » عندما أرسل إلى الملك كسرى . (الملل والنحل : حـ ٢ ص ٨٦) .

(١٢٢) الهرابذة : فارسى معرب ، وهم عظماء (الملة وعلماؤها ، أو خدم نار المجوس وهم قَوَمة بيت النار ، الواحد « هربذ » كزبرج (المرجع السابق ص ٨٦) .

(١٢٣) الإسكندر : هو ابن فيليب وقيل إنه ابن « دارا الأكبر » وأخو « دارا الأصغر » آخر ملوك الفرس ، قيل إن دارا الأكبر غزا الملك « فيليب » وأرغمه على أن يدفع أتاوة سنوية من بيض الذهب ، وقد تزوج ابنته « هلاى » وأنجبت منه « الإسكندر » الذى نشأ فى بلاط جده وعلمه « رستم » فلما توفى أبوه خلفه على العرش ، وامتنع عن دفع الأتاوة إلى ملك الفرس ، وعندما طلب ملك الفرس هذه الأتاوة ردّ الإسكندر الرسول وحاربه واقتتل الجيشان فى معركة حامية عند الفرات خرج منها الإسكندر منتصرًا ، ومن ثم أصبح الإسكندر الحاكم الشرعى لبلاد الفرس ثم غزا بلاد الهند ، وقيل إنه فتح الصين وبلاد التبت ، ودخل أرض الظلمات ، وقابل الخضر ثم توفى فى عودته إلى فارس عند « شهر زور » أو عند « بابل » أو فى بيت المقدس وعمره ٦٣ سنة بعد أن حكم ثلاثة عشر عاما ، ويقول المسعودى : إن قبره كان لا يزال موجودا عام ٣٢٢ هـ (دائرة المعارف الإسلامية - محمد ثابت الفندى وآخرون - بتصرف) .

(١٢٤) دارا بن دارا : هو ابن بهمن بن اسفنديار ، والفرس تسمى « دارا » هذا باللغة الأولى من لغاتهم « داريوس » وهو الذى قتله الإسكندر ابن فيلبس المقدونى وكان ملكه إلى أن قتل ثلاثين سنة (مروج الذهب : للمسعودى حـ ١ ص ٢٣٢ تحقيق محمد محيى الدين) .

(١٢٥) سعيد بن المسيب : (١٣ - ٩٤ هـ) : هو ابن حزن بن أبى وهب المخزومى القرشى أبو محمد ، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمى رواية عمر توفى بالمدينة (الاعلام حـ ٣ ص ١٥٥) .

(١٢٦) قتادة : هو ابن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسى البصرى ، مفسر ، حافظ ضرير ، قال الإمام أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة ، وكان مع علمه بالحديث رأسا فى العربية ومفردات اللغة وأيام العرب ، والنسب ، مات بواسط فى الطاعون ولد سنة ٦١ هـ وتوفى سنة ١١٨ هـ (المصدر السابق حـ ٦ ص ٢٧) .

(١٢٧) أبو ثور : هو إبراهيم بن خالد بن أبى اليمان الكلبى البغدادى أبو ثور الفقيه ، صاحب الإمام الشافعى ، قال ابن حبان كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا ، صنف الكتب ، وفرّع على السنن ، وذبّ عنها ، يتكلم فى الرأى فيخطىء ويصيب ، مات ببغداد شيخا ، وقال ابن عبد البر له مصنفات كثيرة منها كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعى وذكر مذهبه فى ذلك ، وهو أكثر ميلا إلى الشافعى فى هذا الكتاب وفى كتبه كلها توفى سنة ٢٤٠ هـ (المصدر السابق ح ١ ص ٣١) .

(١٢٨) « الإيصال » : اسمه بالكامل الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام ، ذكره =

منه ، وفى كتاب الذبائح منه ، وفى كتاب النكاح منه ، والحمد لله رب العالمين ، ويكفى من ذلك صحة أخذ رسول الله ﷺ الجزية منهم وقد حرّم الله عز وجل فى نص القرآن فى آخر سورة نزلت منه وهى براءة أن تؤخذ الجزية من غير كتابى .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأما العيسوية من اليهود فإنه يقال لهم : إذا صدقتم الكافة فى نقل القرآن عن النبى ﷺ ، وفى نقل معجزاته ، وصحة نبوته فقد لزمكم الانقياد لما فى القرآن من أنه عليه السلام بعث إلى الناس كافة بقوله تعالى فيه آمرا لرسوله ﷺ أن يقول :

« يأيها النَّاسُ إنِّى رسول الله إليكم جميعًا[129] » .

وقوله تعالى : « ومَنْ يَبْتغِ غيرَ الإسْلامِ دينًا فلن يُقبل مِنْه وهُو فى الآخرةِ مِنَ الخاسرين[130] » .

وقوله تعالى فيه : « قَاتِلُوا الذَّين لَايُؤْمِنونَ باللهِ ولَا بالْيَومِ الآخر – إلى قوله حتَّى يُعطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون[131] » .

وما فيه من دعاء اليهود إلى ترك ما هم عليه ، والرجوع إلى شريعته عليه السلام وهذا ما لامخلص منه . فإن اعترضوا بما فى القرآن مما حُرِّم عليهم يعنى اليهود وحضهم على التزام السبت ، فإنَّما هو تبكيت لهم فيما سلف من أسلافهم الذين قفوا هم آثارهم ، يبين هذا نص القرآن فى قوله تعالى عن عيسى عليه السلام : « أنه رسول الله ﷺ إلى بنى إسرائيل ليحل لهم بعض الذى حُرِّم عليهم[132] » وهذا نصٌ جلىٌّ على نسخ شريعتهم وبطلانها ، ثم ما لاينكره أحد[133] مؤمن ولا كافر من أنه عليه السلام حارب يهود بنى إسرائيل من « بنى قريظة » و« النضير » و« هذل » و« بنى قينقاع » وقتلهم وسباهم ، وإلزامهم الجزية ، وسمَّاهم كفَّارًا إذا لم يرجعوا إلى الإسلام ، وقَبِل إسلام من أسلم منهم ، فلو لم يكن دينهم منسوخًا[134] ما حل له إجبارهم على تركه ، أو الجزية والصغار . ولا جاز له قبول ترك ما ترك منهم بدين بنى إسرائيل . ومن المحال الممتنع

= « بروكلمان » فى الذيل ، قال صاحب كتاب « كشف الظنون » بصدد الكلام عن هذا الكتاب شرحه ابن حزم ، وسماه « الإيصال إلى فهم كتاب الخصال » وهو كتاب كبير قال الإمام محمد بن العربى أحد كبار تلاميذ ابن حزم : « كان عند الإمام محمد بن أبى حزم كتاب الإيصال فى أربعة وعشرين مجلدًا بخط يده وكان فى غاية الإيضاح (كشف الظنون : حاجى خليفة) .

(129) سورة الأعراف : 158 .

(130) سورة آل عمران : 85

(131) سورة التوبة : 29 .

(132) النص القرآنى هو : « ورسولًا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله . . . » إلى قوله تعالى : « ومصدقا لما بين يدىَّ من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرّم عليكم » (آل عمران : 49 ، 50) .

(133) فى (أ ، ب) [ثم ما لم ينكره أحد من مؤمن ولا كافر] .

(134) فى (أ ، ب) [فلو لم يكن نسخ دينهم] .

أن يكون عند العيسويين رسولًا صادقًا نبيًا ، ثم يجور ويظلم ويبدل دين الحق . فوضح فساد قولهم وتناقضُه بيقين لا إشكال فيه ، والحمد لله رب العالمين .

وهكذا يقال لمن أقر بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام من فرق الصابئين « كإدريس » وغيره ممن لا يوقن بصحة قولهم فيه « كعادمون » و« اسقلابيوس » و« أيلون » ، وغيرهم . وللمجوس المقتصرين على « زرادشت » فقط ؛ أخبرونا بأى شيءٍ صحت نبوة من تدَّعون له النبوة ؟ فليس ها هنا إلَّا صحة ما أتوا به من المعجزات .

فيقال لهم : فإنّ النقل إلى محمد ﷺ فى معجزاته أقرب عهدًا ، وأظهر صحة ، وأكثر عدد ناقلين ، وأدخل فى الضرورة . ولا فرق ولا مخلص لهم من هذا أصلًا ، لأنه نقل ونقل ، إلَّا أنَّ نقلنا أفشى وأظهر وأقوى انتشارًا ، ومبدأ هذا مع ذهاب الصّابئين وانقطاعهم ، ورجوع نقلهم إلى من لا يقوم بهم حجة لقلتهم ولعلهم اليوم فى جميع الأرض يبلغون أربعين(١٣٥)، وأما المجوس فإنهم معترفون مقرون بأن كتابهم الذى فيه دينهم أحرقه « الاسكندر » ، إذ قتل « دارا ابن دارا » ، وأنه ذهب منه الثلثان وأكثر ، وأنه لم يبق منه إلا أقلّ من الثلث ، وأنَّ الشرائع كانت فيما ذهب ، فإذ هذا صفة دينهم فقد بطل القول به جملة لذهاب جمهوره ، وأنَّ الله تعالى لا يكلف أحدًا ما لا يتكفل بحفظه حتى يبلغ إليه . وفى كتاب لهم اسمه « خذاى نامة(١٣٦)» يعظمونه جدًّا – أن « أنوشروان » الملك منع من أن يتعلم دينهم فى شيء من البلاد إلَّا فى « أزدشيرخَره » و« فشا » من « داتجرد » فقط ، وكان قبله لا يُتَعلَّم إلا « باصطخر » فقط ، وكان لا يباح إلا لقوم خصائص . وكتابهم الذى بقى بعد ما أحرق « الإسكندر » ثلاثة وعشرين سفرًا – فلهم ثلاثة وعشرون « هربذًا » لكل « هربذ » سفر لا يتعداه إلى غيره . و« موبذ موبذان » يشرف على جميع تلك الأسفار . وما كان هكذا فمضمون تبديله وتحريفه . وكل نقل هكذا فهو فاسد لا يوجب القطع بصحته . هذا إلى ما فى كتبهم التى لا يصح دينهم إلَّا بالإيمان بها من الكذب الظاهر ، كقولهم إن جرم الملك كان يركب إبليس حيث شاء . وأن مبدأ الناس من بقلة « الريباس » وهى « الشرالية » وأنَّ من وِلادة « بيروان سياوش بن كيفاوش » من بنى مدينة « كنكدر(١٣٧)» بين السماء والأرض ، وأسكنها ثمانين ألف راجل من أهل البيوتات هم فيها إلى اليوم ، فإذا ظهر « بهرام هماوند(١٣٨)» على البقرة ليرد ملكهم نزلت تلك المدينة إلى الأرض ، ونصروه وردّوا دينهم وملكهم .

---

(١٣٥) نرى أن مثل هذا التحديد العددى من « أبى محمد » لا معنى له إذ كيف تأتى له أن يحصر عددهم ، ولعله يقصد أنهم قليلو العدد .

(١٣٦) خذاى نامه : وفى (أ ، ب) [خذاى بانه] .

(١٣٧) كنكدر : اسم مدينة بناها « كيخسرو » فى بلاد الصين وسكنها خلق كثير ، وقيل إن « كنكدر » هذه هى مدينة « أثمو » . وقد تحدث المسعودى عن ذلك بالتفصيل فى (مروج الذهب حـ ١ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣) .

(١٣٨) فى (خ) [بهرام سماوند] .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وكل كتاب دوَّن فيه الكذب فهو باطل موضوع ليس من عند الله عزّ وجل ، فظهر من فساد دين المجوس كالذى ظهر من فساد دين اليهود والنصارى سواء بسواء ، والحمد لله رب العالمين .

فصل فى مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة فى الكتاب الذى تسميه اليهود التوراة ، وفى سائر كتبهم وفى الأناجيل الأربعة يُتيَقَّنُ بذلك تحريفها وتبديلها وأنها غير الذى أنزل الله عزّ وجل

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : نذكر إن شاء الله تعالى ما فى الكتب المذكورة من الكذب الذى لا يشك كل ذى مُسكةِ تمييزٍ فى أنه كذب على الله تعالى وعلى الملائكة عليهم السلام وعلى الأنبياء عليهم السلام . إلى أخبارٍ أوردها لا يخفى الكذب فيها على أحد كما لا يخفى ضوء النهار على ذى بصر .

وقد كنا نعجب من إطباق[1] النصارى على تلك الأقوال الفاسدة المتناقضة التى لا يخفى فسادها على أحدٍ به رمق ، إلى أن وقفنا[2] على ما بأيدى اليهود فرأينا أن سبيلهم وسبيلِ النصارى واحدة كشق الأبلمة[3]. وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قولنا : إنّ كل من خالف دين الإسلام ، ونحلة السُّنة ومذهب أصحاب الحديث ، فإنه عارف بضلال ما هو[4] عليه ، إلَّا أنهم بخذلان الله تعالى إياهم مكابرون لعقولهم ، مغلِّبون لأهوائهم وظنونهم على يقينهم تقليدًا لأسلافهم وعصبية واستدامة لرياسة دنيوية . وهكذا وجدنا أكثر من شاهدناه من رؤسائهم .

فنحمد الله كثيرًا على ما هدانا له من الإسلام ، ونحلة السنة ، واتباع الآثار الثابتة ، ونسأله تثبيتنا على ذلك ، وأن يجعلنا من الدُّعاة إليه حتى يدعونا إلى رحمته ورضوانه عند لقائه آمين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وليعلم كلٍ من قرأ كتابنا هذا أننا لم نُخْرِج من الكتب المذكورة شيئًا يمكن أن يُخرَّج على وجهٍ مّا وإن دقّ وبعد ، فالاعتراض بمثل هذا لا معنى

---

(١) فى (خ) [إصفاق] .

(٢) فى النسخة (أ) [وفقنا] بالفاء لا القاف .

(٣) وقد جاءت محرفة فى الأصل فذكرها (كشق الأنملة) . والأبلمة : الخوصة جاء فى لسان العرب : « المال بيننا شق الأبلمة » أى نحن متساوون فيه ، وذلك أن الخوصة إذا شقت طولا انشقت نصفين متساويين .

(٤) فى (أ ، ب) [ما هم عليه] .

له ، وكذلك أيضًا لم نُخْرِج منه كلامًا لا يفهم معناه وإن كان ذلك موجودًا فيها ، لأن للقائل أن يقول قد أصاب الله به ما أراد ، وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلًا إلا الدّعاوى الكاذبة التى لا دليل عليها أصلًا لا مُحتَملًا ولا خفيًا .

فصـــل

التوراة السامرية

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : أول ذلك أن بأيدى السّامرية توراةً غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود ، يزعمون أنها المنزّلة ، ويقطعون أن التى بأيدى اليهود محرفةٌ مبدّلة . وسائر اليهود يقولون إنَّ التى بأيدى السّامريّة محرَّفةٌ مبدّلة[٥]، إلى آخره ، ولم يقع إلينا توراة السّامرية لأنّهم لا يستحلّون الخروج عن فلسطين والأردن أصلًا ، إلّا أننا أتينا ببرهان ضرورى على أن التوراة التى بأيدى السّامرية أيضًا محرَّفةٌ مبدّلة مكذوبة[٦] عندما ذكرنا فى آخر هذه الفصول أسماء ملوك بنى إسرائيل ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم .

فصـــل

عدم الاختلاف فى توراة اليهود

فى أول ورقة من توراة اليهود التى عند ربَّانيهم ، وعانانيهم ، وعيسويهم حيث كانوا فى مشارق الأرض ومغاربها — لا يختلفون فيها على صفة واحدةً ولو رام أحد[٧] أن يزيد فيها لفظة أو ينقص أخرى لا فتضح عند جميعهم مبلغة ذلك إلى أحبارهم الذين كانوا أيام ملك الهارونية لهم قبل « الخراب الثانى » بدهر ، يذكرون أنها مبلغة ذلك من أولئك إلى عذراء الوراق الهارونى ، ففى صدرها قال الله تعالى :

« أَصْنَعُ بنَاء آدَمَ كَصُورَتِنَا كشَبَهِنَا[٨]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح ، وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق ، كما تقول هذا عمل الله ، وتقول للقرد والقبيح والحسن هذه صورة الله ، أى تصوير الله ، والصفة التى انفرد بملكها وخلقها ،

---

(٥) وفى النسخة (ب) زيادة كلمة [ولم] بعد [مبدّلة] .

(٦) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [مكذوبة] .

(٧) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [أحد] .

(٨) النص كما فى التوراة الحالية : « وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . . . فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكرًا وأنثى خلقهم (سفر التكوين الإصحاح (١) الفقرات من ٢٦ – ٢٨) .

لكن قوله « كشبهنا » منع التأويلات ، وسدَّ المخارج ، وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عزَّ وجل ولابد ضرورة .

وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل ؛ إذ الشبه والمثل معناهما واحد ، وحاشا لله أن يكون له مثل أو شبيه .

فصـــل
الكلام عن الأنهر فى التوراة

وبعد ذلك قال :

« ونَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدَنٍ فيسقِى الجنانَ ، ومِنْ ثَمَّ يَفْتَرِقُ فيصيرُ أربعةَ أرؤُس ، اسْمُ أحدِها النيل ، وهو محيْط بجميع بلادِ زُويله(٩) الذى به الذَّهب ، وذَهبُ ذلك البلد جيد ، وبها اللُّؤلُؤ وحجارة البلور . واسم الثانى « جيحان(١٠) » وهو محيط بجميع بلاد الحبشة . واسم الثالث الدّجلة ، وهو السائر شرق « الموصل » . واسم الرابع الفرات « وأخَذ الله آدم ووضعه فى جنّات عدن(١١) » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الكلام من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزىء .

أول ذلك : إخباره أن هذه الأربعة تفترق من النهر الذى يخرج من جنات عدن التى أسكن الله فيها آدم ، إذ خلقه ثم أخرجه منها إذ أكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى عن أكلها ، وكل من له أدنى معرفة بالهيئة وبصفة(١٢) الرُّبع المعمور من الأرض الذى هو فى شمال(١٣) الأرض أو من مشى إلى مصر والشام والموصل – يدرى أن هذا كلّه كذب فاضح ، وأن مخرج النيل من عين الجنوب

---

(٩) بلاد زويلة : قال البكرى « زويلة » مدينة غير مسورة فى وسط الصحراء ، وهى أول حدود بلاد السودان ، ولما فتح « عمرو ابن العاص » برقة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ « زويلة » وصار ما بين « برقة » و « زويلة » للمسلمين ، وبزويلة قبر « دعبل بن على الخزاعى » الشاعر و « زويلة » أيضا من « طرابلس » بين المغرب والقيلة ، ويجلب من « زويلة » الرقيق إلى ناحية أفريقية ، والأخرى « زويلة » المهدية : مدينة بإفريقية بناها المهدى عبيد الله و « زويلة » محلة وباب بالقاهرة (معجم البلدان لياقوت الحموى حـ ٣ ص ١٦٠) .

(١٠) نهر جيحان : نهر بالمصيصة بالثغر الشامى ومخرجه من بلاد الروم ، ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكَفَرْبيًّا بإزاء المصيصة ، وعليه عند المصيصة قنطرة من حجارة رومية قديمة عريضة ويمتد هذا النهر أربعة أميال ثم يصب فى بحر الشام قال أبو الطيب المتنبى :

سريت إلى جيحـــان من أرض آمـــد ثلاثـــا لقـــد أدنـــاك ركض وأبعـــدا

(معجم البلدان : حـ ٢ ص ١٩٦) .

(١١) الكتاب المقدس : الإصحاح الثانى : سفر التكوين . ولم ينص صراحة على أن اسم النهر الأول منها النيل ، وإنما نص على أنه « فيشون : وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب الجيد . . الخ ، ويبدو أنه عبر عن هذه الأسماء بالعبرية أو بالمصرية القديمة .

(١٢) فى النسخة (ب) [وبنصبة] بالباء والنون والصاد .

(١٣) فى (أ ، ب) [سماك] وهو تحريف ظاهر .

من خارج المعمور ، ومصبه قبالة « تنيس[١٤] » ، وقبالة الإسكندرية فى آخر أعمال مصر فى البحر الشامى . وأن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال .

فأما « جيحان » فيخرج من بلاد الروم ، ويمر ما بين « المصيصة[١٥] » وربضها المسمى « كَفَرْبَيَّا[١٦] » حتى يصب فى البحر الشامى على أربعة أميال من « المصيصة ». وأما « دجلة » فمخرجها من أعين بقرب « خِلَاط[١٧] » من عمل « أرمينية[١٨] » بقرب « آمد » من ديار بكر ، وتصب مياهها فى البطائح المشهورة بقرب البصرة فى أرض العراق متاخمة أرض العرب .

وأما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من « قالى قلا[١٩] » قرب « أرمينية » ثم يخرج إلى « ملطية » ، ثم يأخذ على أعمال « الرقة » إلى العراق ، وينقسم إلى قسمين : كلاهما يقع فى « دجلة » .

فهذه كذبة شنيعة كبيرة لا مخلص منها . والله تعالى لا يكذب . وأخرى وهى قوله : إنَّ النيل محيط ببلد « زويلة » . و« جيحان » محيط ببلد الحبشة ، وهذه كذبة شنيعة ما فى جميع

---

(١٤) تِنِّيس : جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين « الفرما » و « دمياط » قال الحسين ابن محمد المهلبى : أما تِنِّيس : فالحال فيها كالحال فى دمياط إلّا أنها أجمل وأوسط ، وبها تعمل الثياب الملونة والفرش ، ويكون ماؤها أكثر السنة ملحا لدخول ماء البحر الأبيض المتوسط إليه ، وليس « بتنيس » هوام مؤذية ، لأن أرضها سبخة شديدة الملوحة وحكى عن يوسف بن صبيح : أنه رأى بها خمسمائة صاحب محبرة يكتبون الحديث ، وسميت باسم « تِنِّيس » بنت « دلوكة » الملكة صاحبة حائط العجوز بمصر . وكانت « تنيس » تعرف بذات الأخصاص إلى نهاية دولة بنى أمية (معجم البلدان : حـ ٢ ص ٥٢) .

(١٥) المصيصة : مدينة على شاطىء « جيحان » من ثغور الشام بين « أنطاكية » وبلاد الروم تقارب « طرسوس » وكانت ثغراً من ثغور المسلمين وهى مسماة فيما زعم أهل السير باسم الذى عمرها ، وهو « مصيصة » بن الروم بن اليمن بن ساج بن نوح عليه السلام ، وكان يعمل بها الفراء قديما ، و « المصيصة » أيضا قرية من قرى دمشق قرب بيت « لهيا » وينسب إلى « المصيصة » أبو القاسم على بن محمد المصيصى الفقيه الشافعى (معجم البلدان : حـ ٥ ص ١٤٤ — ١٤٥ بتصرف) .

(١٦) كَفَرْبَيًّا : هى مدينة بازاء « المصيصة » على شاطىء جيحان ، وكانت مدينة كبيرة ذات أسواق كثيرة ، وقد خربت قديمًا ثم جدَّد بناءها الرشيد، ثم رفع المأمون غلة كانت على منازلها ، وأمر فجعل لها سوراً ، ثم مات قبل إتمامه ، فأمر المعتصم بإتمامه (معجم البلدان : حـ ٤ ص ٤٦٨) .

(١٧) خِلَاط : البلدة العامرة المشهورة ، ذات الخيرات الواسعة ، والثمار اليانعة وهى من فتوح « عياض بن غنم » سار من الجزيرة إليها ، فصالحه أهلها على الجزية ، ومال يؤدونه ، وفيها البحيرة التى ليس لها فى الدنيا نظير ، قال ابن الكلبى : « من عجائب الدنيا بحيرة خِلاط ، فإنها عشرة أشهر لا يكون فيها ضفدع ولا سرطان ، ثم يظهر بها السمك مدة شهرين فى كل سنة (معجم البلدان : حـ ٢ ص ٣٨١) .

(١٨) أرمينية : اسم لصقع عظيم واسع فى جهة الشمال ، والنسبة إليها « أرمِنى » على غير قياس ، بفتح الهمزة ، وكسر الميم ، سميت « أرمينية » بأرمينا بن لنطا بن يافث بن نوح عليه السلام ، وبها قبر « صفوان بن المعطل » صاحب رسول الله ﷺ ، وهو قرب حصن زياد ، ووجد فى كتاب الملحمة المنسوب إلى « بطليموس » كلام كثير عن « أرمينية » . وقيل هما « أرمينيتان » الكبرى والصغرى ، الكبرى هى خلاط ونواحيها ، والصغرى : هى « تفليس » ونواحيها ، ومنها « أبو عبدالله عيسى بن مالك بن شمر الأرمنى » سافر إلى مصر والمغرب (معجم البلدان : حـ ١ ص ١٦٠) .

(١٩) قالى قلا : بأرمينية العظمى من نواحى خلاط ، قال « أحمد بن يحيى » ولم تزل « أرمينية » فى أيدى الفرس منذ أيام « أنو شروان » حتى جاء الإسلام ، وكانت أمور الدنيا تتشتت فى بعض الأحايين ، وصاروا كملوك الطوائف حتى ملك « أرمينية » قس من أهل أرمينية ثم مات فملكتهم بعده امرأة تسمى « قالى » فبنت مدينة وسمتها « قالى قاله » وصورت نفسها على باب من أبوابها ، فعربت العرب « قالى قاله » فقالوا « قاليقلا » ويعمل بها البسط المسماة بـ (القالى) وإليها ينسب الأديب العالم أبو إسماعيل بن القاسم القالى (معجم البلدان : ص ٢٩٩) .

أرض السودان[٢٠] والحبشة وغير الحبشة – نهر غير النيل وما ثم غيره[٢١] أصلًا ، ويتفرع سبعة فروع كلها مخرج واحد ، ثم يجتمع فوق بلاد النوبة .

وكذبة ثالثة : وهى قوله : إن ببلد[٢٢] « زويلة » اللؤلؤ الجيد وهذا كذب ، وما للؤلؤ بها مكان أصلًا إنما اللؤلؤ فى مغاصاته فى بحر فارس ، وبحر الهند والصين ، وهذه فضائح لاخفاء بها لم يقلها الله تعالى قط ، ولا إنسان يهاب الكذب .

فإن قال قائل : فقد صح عن نبيكم ﷺ أنه قال : النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة[٢٣]: قلنا نعم . هذا حق لا شك فيه ، ومعناه هو على ظاهره بلا تكلف تأويل أصلًا ، وهى أسماء لأنهار الجنة كالكوثر والسلسبيل .

فإن قيل قد صح عنه عليه السلام أنه قال :

« ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

وروى عنه : « مقبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة[٢٤]» .

قلنا : هذا حق ، وهو من أعلام نبوته ، لأنه أنذر بمكان قبره فكان كما قال ، وذلك المكان لفضله وفضل الصلاة فيه يؤدى العمل فيه إلى دخول الجنة ، فهى روضة من رياضها ، وباب من أبوابها . ومعهود اللغة أن كل شيء فاضل طيب فإنه يضاف إلى الجنة . ونقول لمن بشرنا بخبر حسن هذا من الجنة . وقال الشاعر : « روائح الجنة فى الشباب » .

وليس كذلك هذا الذى فى توراة اليهود لأن واضعها لم يدعنا[٢٥] فى لبس من كذبه بل بين أنه عنى النيل المحيط بأرض زويله بلد الذهب الجيد ، ودجلة التى بشرق « الموصل » . و« جيحان » المحيط ببلاد الحبشة الذى[٢٦] لم يخلق بعد ، فلم يدع لطالب تأويل لكلامه حيلةً ولا مخرجًا . وأيضًا فإنهم لا يمكنهم ألبتة تخريج ما فى توراتهم المكذوبة على ما وصفنا نحن الآن فى نص توراتهم . . إن الجنة التى أخرج منها آدم لأكله من الشجرة التى فيها إنما هى شرق عدن ، فى الأرض لا فى السماء كما نقول نحن . فثبتت الكذبة لا مخرج منها أصلًا ، ولو لم يكن فى توراتهم

(٢٠) فى النسخة (ب) [بغير واو العطف] .
(٢١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [وما ثم غيره] .
(٢٢) وفى النسخة (ب) [بلد] بغير باء الجر .
(٢٣) الحديث رواه مسلم فى صحيحه من حديث عبيد الله بن عمربسنده عن أبى هريرة وقال الإمام أحمد فى مسنده حدثنا ابن نمير ويزيد ، أنبأنا محمد بن عمر وعن أبى سلمة عن أبى هريرة – وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية حـ ١ ص ٢٦ .
(٢٤) رواه الإمام أحمد بن حنبل ، والبخارى ومسلم والنسائى عن عبد الله بن زيد المازنى ، ورواه الترمذى عن الإمام على وأبى هريرة رضى الله عنهما (الجامع الصغير حـ ٢ ص ١٤٤) .
(٢٥) فى (أ ، ب) [لم يدعها] .
(٢٦) فى (أ ، ب) [التى لم تخلق بعد] .

إلا هذه الكذبة وحدها لكفت فى بيان أنها موضوعة لم يأت بها « موسى » قط ، ولا هى من عند الله تعالى ، فكيف ولها نظائر ونظائر ونظائر ؟

فإن قيل : فى القرآن ذكر سد « يأجوج » و« مأجوج[٢٧] » ولا يدرى مكانه ولا مكانهم . قلنا : مكانه معروف فى أقصى الشمال فى آخر المعمور منه . وقد ذكر أمر يأجوج ومأجوج فى كتب اليهود التى يؤمنون بها ، ويؤمن بها النصارى وقد ذكر يأجوج ومأجوج والسد « أرسطاليس[٢٨] » فى كتابه فى الحيوان عند كلامه على « الغرانيق[٢٩] » ، وقد ذكر سدَّ يأجوج ومأجوج « بطليموس » فى كتابه المسمى « جغرافيا » وذكر طول بلادهم وعرضها . وقد بعث إليه « الواثق » أمير المؤمنين « سلام الترجمان » فى جماعة معه حتى وقفوا عليه . ذكر ذلك « أحمد بن الطيب السرخسى[٣٠] » وغيره ، وقد ذكره « قدامة بن جعفر[٣١] » والناس ، فهيهات خبر من خبر . وحتى لو خفى مكان « يأجوج » و« مأجوج » والسدّ فلم يعرف فى شىء من المعمور مكانه لما ضر ذلك خبرنا شيئًا ، لأنه كان يكون مكانه حينئذ خلف خط الاستواء حيث يكون ميل الشمس ورجوعها وبعدها كما هو فى الجهة الشمالية ، بحيث تكون الآفاق كبعض آفاقنا المسكونة ، والهواء كهواء بعض البلاد التى يوجد فيها النبات والتناسل .

---

(٢٧) يأجوج ومأجوج : قيل إنهما من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت فى الصحيحين فى حديث طويل أن الله تعالى يقول : يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك ، وفى نهاية الحديث : إن فيكم أمتين ما كانا فى شىء إلا كثرتاه : « يأجوج ومأجوج » . وفى مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال : ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب ، وحام : أبو السودان ، ويافث : أبو الترك ، قال بعض العلماء : يأجوج ومأجوج من نسل يافث أبى الترك وقال : إنما سمى هؤلاء تركا لأنهم تركوا من وراء السد (تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٣ ص ١٠٣) .

(٢٨) أرسطاليس : هو ابن نيوقر ماقوس : من أهل اصطخر ، ولد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد فى مدينة « اصطخر » كان أبوه طبيبا للملك المقدونى « أمنتاس » الثانى جد الإسكندر ، وتعلم مع « فيلبس » أبى الإكسندر ، والتحق بأكاديمية « أفلاطون » فلزمها عشرين سنة إلى أن توفى « أفلاطون » ، من كلماته المشهورة : أحب الحق ، وأحب أفلاطون ، وأوثر الحق على أفلاطون ، استدعاه « فيلبس » المقدونى ليتولى تربية ابنه الإسكندر ، وأنشأ مدرسة المشائين ، وأنشأ مكتبة كانت الأولى من نوعها فى العصر القديم ، واتهم بالإلحاد ، وألف كتبا كثيرة فى المنطق والعلوم الطبيعية والأخلاق والسياسة . مات عام ٣٢٢ ق م (الملل والنحل : جـ ٢ ص ٣٦٢ هامش) .

(٢٩) الغرانيق : هى الأصنام التى كان المشركون يتجهون إليها بالعبادة ، وقد وقع فى روع المشركين أن الرسول امتدحها وهو يتلو قول الله تعالى : « أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى » قالوا لقد زاد قوله : « هن الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى » وقد ذكرت الأسانيد المختلفة أن الحديث الذى روى هذه القصة حديث مرسل ، والحقيقة أنه لما نزل فى روع المشركين ذلك كذبهم الله بنزول قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم » (فى ظلال القرآن : سيد قطب – المجلد الخامس ص ٦١٢) .

(٣٠) هو أحد العلماء الفهماء ، له فى علم الأثر الباع الطويل ، وفى علوم الحكماء الذهن الثاقب أحد فلاسفة الإسلام ، تلميذ يعقوب ابن إسحاق الكندى ، له تآليف جليلة فى الموسيقى والمنطق ، كان معلما للمعتضد بالله ، ثم نديما وصديقا له ، وقد قتله المعتضد لأنه أفضى إليه بسر يتعلق بالقاسم بن عبد الله ، وبدر غلام المعتضد ، فأفضى به إليهما ، ومن كتبه : كتاب الأعشاش والمدخل إلى صناعة النجوم ، قتل فى المحرم سنة ٢٨٦ هـ (هامش الملل والنحل جـ ٣ ص ٣٠) .

(٣١) قدامة بن جعفر : هو ابن قدامة بن زياد البغدادى ، أبو الفرج ، كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدمين فى علم المنطق والفلسفة ، كان فى أيام المكتفى بالله العباسى ، وأسلم على يده ، يضرب به المثل فى البلاغة من كتبه : الخراج ، ونقد الشعر ، ونقد النثر ، والرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام (الأعلام : للزركلى جـ ٦ ص ٣١) .

*فى النسخة (ب) أو [مجاهل] .

واعلموا أن كل ما كان فى عنصر الإمكان فأدخله مُدخِلٌ فى عنصر الامتناع بلا برهان فهو كاذب مبطل جاهل أو متجاهل* ، لا سيما إذا أخبر به من قد قام البرهان على صدق خبره ، وإنما الشأن فى المحال الممتنع الذى تكذبه الحواس والعيان أو بديهة العقل ، فمن جاء بهذا فإنما جاء ببرهان قاطع على أنه كذاب مفتر ونعوذ بالله من البلاء .

فصــل

ادعاء التوراة أن آدم إله من الآلهة

ثم قال : وقال الله : « هذا آدم قد صار كواحدٍ منا معرفة فى الخير والشر والآن كيلا يمدَّ يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الدَّهر فطرده الله من جنات عدن(٣٢) » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) :

حكايتهم عن الله تعالى أنه قال هذا آدم قد صار كواحدٍ منَّا مصيبة من مصائب الدّهر ، وموجب ضرورة أنهم آلهه أكثر من واحد ، ولقد أدّى هذا القول الخبيث المفترى كثيرًا من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذى خلق آدم لم يكن إلَّا خلقًا خلقه الله تعالى قبل آدم ، وأكل من الشجرة التى أكل منها آدم فعرف الخير والشر ، ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلهًا من جملة الآلهة ، نعوذ بالله من هذا الكفر الأحمق ، ونحمده إذ هدانا للملَّة الزاهرة الواضحة التى تشهد سلامتُها من كل دَخَل بأنَّها من عند الله تعالى .

فصــل

وبعد ذلك ، « وأسْكِنَ فى شرقىِّ جنَّة عدن » الكروبيم ، ولهيب سيف متقلب بحراسة شجرة الحياة(٣٣).

---

(٣٢) النص كما فى التوراة التى بين أيدينا الآن هو : « وقال الرَّب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا ، عارفا الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ، ويأكل ويحيا إلى الأبد ، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن » الإصحاح الثالث : سفر التكوين ، ويلحظ أن هذا النص قد تحرّف عن النص الذى ذكره ابن حزم ، مما يدل على أن الترجمة والنقل من وقت إلى آخر يعتريهما التغيير والتبديل ، وظاهر الفرق فى المعنى بين النص الذى أورده ابن حزم وبين النص المذكور الآن فى هذه العبارة فابن حزم نقل [كيلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة] والنص الحالى [لعله يمد يده] .

(٣٣) الذى فى التوراة الحالية : « وأقام شرق جنة عدنٍ الكروبيم ، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » (الإصحاح الثالث : سفر التكوين) .

ورأيت فى نسخة أخرى منها . « ووكل بالجنان المشتهر «إسرافيل[٣٤]» ونصب بين يديه رمحًا ناريًا ليحفظ طريق شجرة الحياة » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : إن لم يكن أحدهما خطأ من المترجم وإلا فلا أدرى كيف هذا ؟

فصل
عن قاتل قابيل

وبعد ذلك قال الله تعالى : « كل من قتل قابيل يقاد به إلى سبعة »[٣٥]. ولا تناكر بين جميعهم فى أن « لامَك بن متوشائيل »[٣٦] بن محويائيل بن عيراد بن حنوك بن قابين « هو الذى قتل قابين جد جدِّ أبيه ، وأنه لم يقد به ، فنسبوا إلى الله تعالى الكذب لأنه وعده أن يَقيد[٣٧] به إلى السبعة ولم يُقدبه ، وأيضًا فإن ذكر السبعة هنا حمق ، لأن « لامَك » الذى قتله هو الخامس من ولد قابين . و« قابين » هو الخامس من آباء « لامك » ، فلا مدخل للسبعة ها هنا .

فصل
كلام التوراة عن هابيل

وقبل هذا ذكر « هابيل » بن آدم وأنه راعى غنم ، ثم قال قبل ذلك بنحو ورقتين : « إن « لامك » المذكور آنفًا اتخذ امرأتين اسم إحداهما « عادة » والثانية « صِلَّةُ » وولدت « عادة » « يابال » وهو أول من سكن الأخبية ، وملك الماشية[٣٨]» .

وهاتان قضيتان تكذب إحداهما الأخرى ولا بد .

---

(٣٤) فى (خ) [إسرائيل] .

(٣٥) النص الذى فى التوراة الحالية : « كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه » (الإصحاح الرابع : سفر التكوين) .

(٣٦) لامك بن متوشائيل : ذكر فى مروج الذهب باسم : لامك بن متوشلخ ، وهو ابن متوشلخ بن أخنوخ بن لود بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ، كانت فى أيامه كوائن ، واختلاط فى النسل ، وتوفى وعمره ٧٩٠ سنة ، وهو والد نوح عليه السلام (مروج الذهب : للمسعودى المتوفى ٣٤٦ هـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد جـ ١ ص ٤٠) .

(٣٧) فى (أ ، ب) : [أن يفديه] ولم يفد ، وهو ظاهر التحريف والفساد .

(٣٨) النص فى التوراة الحالية : « واتخذ لامَك لنفسه امرأتين ، واسم الواحدة (عادة) ، واسم الأخرى (صِلَّة) فولدت عادةُ يَابَالَ ، الذى كان أبًا لساكنى الخيام ورعاة المواشى » . (سفر التكوين – الإصحاح : ٤ الفقرات من ٢٠ – ٢١) .

فصـــل

ادعاء التوراة أن أولاد الله اتخذوا نساء

وبعد ذلك قال : « فلما ابتدأ الناس يكثرون على ظهر الأرض ، وولد لهم البنات فلما رأى أولاد الله بنات آدم أنهن حسان اتخذوا منهن نساءً .

وقال بعد ذلك : « كان يدخل بنو الله إلى بنات آدم ، ويولد لهم حرامًا ، وهم الجبابرة الذين على الدهر لهم أسماء[٣٩] » .

وهذا حمق ناهيك به ، وكذب عظيم إذ جعل لله أولادًا ينكحون بنات آدم ، وهذه مصاهرة تعالى الله عنها ، حتى أن بعض أسلافهم قال : إنما عنى بذلك الملائكة ، وهذه كذبة إلَّا أنها دون الكذبة الأولى[٤٠] فى ظاهر اللفظ .

فصـــل

وفى خلال هذا قال : « لا يدين روحى فى الإنسان إلى الدّهر إذ هم منتشرون لزيغانه هو بشر فتكون أعمارهم مائة وعشرون سنة[٤١] » .

وهذا كذب فاحش ، ومصيبة الأبد ، لأنه ذكر بعد هذا القول أن « سام بن نوح » عاش بعد ذلك ستمائة سنة . و« أرفخشاذ[٤٢] بن سام » عاش أربعمائة وخمسًا وستين سنة ، و« شالخ[٤٣] » بن أرفخشاذ عاش أربعمائة سنة وثلاثًا وثلاثين سنة . و« عابر[٤٤] » بن شالخ عاش أربعمائة سنة وأربعًا وستين سنة . و« فالغ » بن « عابر » عاش مائتى سنة وسبعًا وثلاثين سنة . و« رعو بن فالغ » عاش مائتى سنة وتسعًا وعشرين سنة . و« سروغ » ابن « رعو » عاش مائتى سنة وثلاثين سنة . و« ناحور بن سروغ » عاش مائة وثمان وأربعين سنة . و« تارح بن ناحور »

(٣٩) النص كما فى التوراة الحالية : « . . دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا ، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوواسم » . ويلحظ أن وصف الأولاد بأنهم من حرام غير مذكور فى هذه التوراة الحالية ، مما يدل على أن اليهود قد استدركوا هذه الاعتراضات فأسقطوا هذا الوصف فى إعادة الطبعات (راجع الإصحاح السادس : التكوين) .

(٤٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [الأولى] .

(٤١) الإصحاح السادس : سفر التكوين .

(٤٢) فى (أ) « أرفخشاذ » .

(٤٣) فى النسخة (أ) « شالح » بالحاء المهملة بدلا من الخاء .

(٤٤) فى النسخة (ب) « عار » بدون الباء .

عاش مائتى سنة وخمسين سنة[٤٥]، و« إبراهيم بن تارح » عاش مائة سنة وخمسًا وسبعين سنة[٤٦] و« إسحاق بن إبراهيم » عاش مائة سنة وثمانين سنة[٤٧]، و« إسماعيل بن إبراهيم » عاش مائة سنة وسبعًا وثلاثين سنة ، و« يعقوب بن إسحاق » عاش مائة وسبعًا وأربعين سنة[٤٨]. و« لاوى بن يعقوب » عاش مائة سنة وسبعًا وثلاثين سنة . و« عمران بن فهث[٤٩] » عاش كذلك أيضًا ، و« فهث ابن لاوى » عاش مائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة . وأن « سارح بنت أشر » و« مريم بنت عمران » و« هارون بن عمران » عاش كل واحد منهم أزيد من مائة وعشرين سنة بسنيهم . فاعجبوا لهذه الفضائح ولعقول تتابعت على التصديق والتدين بمثل هذا الإفك الذى لا خفاء به .

فصل

اضطراب التوراة فى أعمار البشر

وبعد ذلك ذكر أنّ « متوشالح بن حنوك بن مارد » عاش تسعمائة سنة وتسعًا وستين سنة ، وأنه ولد له « لامك » وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة . وأن « لامك » المذكور إذ بلغ مائة سنة واثنين وثمانين سنة ولد له « نوح » عليه السلام . فلا شك من أن « متوشالح » كان إذ ولد له نوح ابن ثلاثمائة سنة وتسع وستين سنة . فوجب من هذا ضرورة أن نوحًا عليه السلام كان ابن ستمائة سنة إذ مات « متوشالح » فاضبطوا هذا[٥٠].

ثم قال : « إن فى اليوم السابع عشر من الشهر الثانى من سنة ستمائة من عمر « نوح » ، اندفعت المياه بالطوفان[٥١] » . ثم قال : « إن فى اليوم سبعة وعشرين يومًا من الشهر الثانى من سنة إحدى وستمائة لنوح ، خرج نوح من التابوت – يعنى السفينة – هو ومن كان معه . فوجب من هذا ضرورة لا محيد عنها أن « متوشالح بن حنوك » دخل السفينة ، وأنه فيها مات قبل خروجهم منها بشهرين غير ثلاثة أيام ، وقد قطع فيها وبتّ على أنه لم يدخل التابوت أحد من الناس إلّا نوح

---

(٤٥) (سفر التكوين – الإصحاح ١١ الفقرات من ١١ – إلى آخر السفر) .
(٤٦) (سفر التكوين – الإصحاح ٢٥ – الفقرات من ٧ – ٨) .
(٤٧) (سفر التكوين – الإصحاح ٣٥ – الفقرة ٢٩) .
(٤٨) (سفر التكوين – الإصحاح ٤٧ – الفقرة ٢٩) .
(٤٩) فى النسخة (أ) [فاهث] .
(٥٠) ما ورد بالتوراة الحالية عن أعمار الذين ذكرهم ابن حزم يختلف قليلًا عن تلك الأعمار التى ذكرها ، مما يدل على أنهم يحرصون على التحريف والتبديل من وقت إلى آخر . وربما فعلوا ذلك ليتفادوا ما يرد عليهم من نقض واعتراض . وقد تعقب التوراة والإنجيل كثير من علماء المسلمين وأظهروا ما فيها من تحريف وتبديل ومن هؤلاء غير ابن حزم بن قدامة ، وأبو حامد الغزالى ، وابن تيمية ، وغيرهم .
(٥١) (التوراة – سفر التكوين – الإصحاح ٧ – الفقرات من ٧ – ١٤) .

وبنوه الثلاثة وامرأة نوح ، وثلاثة نساء لأولاده[٥٢]، وقد قطع فيها وبتَّ ، على أنه لم ينج من الغرق إنسى أصلًا . ولا حيوان فى غير التابوت .

وهذه كذبات فواضح نعوذ بالله من مثلها ، لأن فى نصوص توراتهم كما أوردنا : أن « متوشالح » لم يغرق ، لأنه لو غرق لم يستوف تمام السنة الموفية ستمائة سنة « لنوح » . وفى نصها أنه استوفاها . وأيضًا فإنه عندهم محمود ممدوح لم يستحق الهلاك قط . وأبطلوا أيضًا أن يكون دخل التابوت إذ قطعوا بأنه لم يدخلها إنسىٌّ أعنى السفينة[٥٣] إلا نوح وبنوه الثلاثة ونساؤهم ، وأبطلوا أن ينجو فى غير التابوت بقطعهم أنه لم ينج إنس ولا حيوان فى غير التابوت . ولابد « لمتوشالح » من أحد هذه الوجوه الثلاثة ، فلاح الكذب البحت فى نقل توراتهم ضرورة . وتيقن كل ذى عقل أنها غير منزلة من الله تعالى ولا جاء بها نبى أصلًا ، لأن الله تعالى لا يكذب ، والأنبياء لا تأتى بالكذب ، فصح يقينًا أنها من عمل زنديق جاهل ، أو مُستَخِفٍّ متلاعب بها . ونعوذ بالله من مثل مقامهم ، وفى هذا الفصل كفاية فكيف ومعه أمثاله كثيرة .

فصـــل

مباركة نوح لابنه سام

وبعد ذلك ذكر أن نوحًا إذ بلغه فعل ابنه حام أبى كنعان فقال : ملعون « كنعان » عبد العبيد يكون لإخوته مستعبدًا يكون لأخويه[٥٤]. يبارك الإله ساما ويكون أبو كنعان عبدًا لهم . إحسان الله « ليافث » ، ويسكن فى أخبية سام ، ويكون أبو كنعان عبدًا لهم . ثم نسى[٥٥] المحرف أو تعاظم استخفافًا بهم فلم يطل لكنه بعد ستة أسطر قال إذ ذكر أولاد حام فقال : بنو حام « كوش » و« مصرايم » و« فوحا[٥٦]» و« كنعان » . وبنو كوش : « وصبان » و« زويلة » و« رغاوة » و« رعمة » و« سفتحا[٥٧]» . وبنو « رعمه » : « السند » و« الهند » و« كوش ولد

---

(٥٢) (التوراة – سفر التكوين – الإصحاح من ١٣ – ١٥) .

(٥٣) فى (أ ، ب) سقطت [أعنى السفينة] .

(٥٤) الذى فى نص التوراة الحالية : « وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا ، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ، ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل ابنه الصغير : فقال ملعون كنعانُ عبدَ العبيد يكون لإخوته ، وقال مبارك الربّ إله سام ، وليكن كنعان عبدًا لهم ، ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام ، وليكن كنعان عبدًا لهم » وواضح اختلاف النص فى التوراة الحالية عن النص الذى ذكره ابن حزم ، وأنه لعن كنعان ولم يلعن أبا كنعان الذى وقع منه الفعل ، وهو دليل التحريف الثانى – (سفر التكوين – الإصحاح ٩ – الفقرات من ٢٠ – إلى آخره) .

(٥٥) فى النسخة (ب) بزيادة [نفسه] بعد « نسى » .

(٥٦)فى التوراة الحالية : « وفوط » بدلًا من « فوحا » .

(٥٧) الذى فى التوراة الحالية : وبنو كوش : سبَا وحويله ، وسبته ، ورَعْمة ، وسبتكا .

نمرود » الذى ابتدأ يكون جبارًا فى الأرض الذى كان جبار صيد بين يدى الله عزَّ وجل ، وكان أول مملكته « بابل[٥٨] » . فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح فى خبره ، وهو بإقرارهم نبى معظم جدًّا . وإذ وصف أن ولد أبى كنعان صاروا ملوكًا على إخوة بنى كنعان وعلى بنيهم ، ثم العجب كله أن على ما توجبه توراتهم كان ملك نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام – على جميع الأرض . ونوح حى ، وسام بن نوح حى ، لأن فى نص توراتهم أن نوحًا عاش إلى أن بلغ إبراهيم بن تارح عليه السلام ثمانية وخمسين عامًا . وأنَّ سام بن نوح عاش إلى أن بلغ يعقوب وعيصا[٥٩] ابنا إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام خمسًا وأربعين سنة ، على ما ذكره من مواليدهم أبًا فأبًا .

فما لنا نرى خبر نوح معكوسًا ؟ فإن قالوا : إنَّ السودان[٦٠] تملكوا اليوم قلنا وفى السودان ملك عظيم جدًّا ، وممالك شتى « كخانة[٦١] » و« الحبشة » و« النوبة » و« الهند » و« التبت » ، والأمر بينهم سواء يملكون طوائف[٦٢] من بنى سام . كما يملك « بنو سام » طوائف منهم ، وحاش لله أن يكذب نبى .

فصـــل

اضطراب التوراة فى أعمار أبناء نوح

وقالت[٦٣] توراتهم : إن نوحًا لما بلغ خمسمائة سنة ، ولد له « يافث وسام وحام » ثم ذكرت[٦٤] أن نوحًا إذ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ، ولسام يومئذ مائة سنة . وقالت بعد ذلك : إن « سام بن نوح » لما كان ابن مائة سنة ولد « أرفخشاذ[٦٥] » لسنتين بعد الطوفان ، وهذا كذب فاحش ، وتلون سمج ، وجهل مظلم ، لأنه إذا كان نوح إذ ولد له « سام » ابن خمسمائة سنة ، وبعد مائة سنة كان الطوفان ، فسام حينئذ ابن مائة سنة ، وإذ ولد له بعد الطوفان بسنتين « أرفخشاذ » فسام كان إذ ولد له « أرفخشاذ » ابن مائة سنة وسنتين . وفى نص توراتهم أنه كان ابن مائة سنة ، وهذا كذب لاخفاء به حاش لله من مثله .

---

(٥٨) (التوراة – سفر التكوين – الإصحاح العاشر ، الفقرات من ٦ – ١١) .
(٥٩) فى النسخة (أ) [وعصيا] بتقديم الصاد على الياء .
(٦٠) فى (خ) [لا لعلة يتملكون] .
(٦١) فى النسخة (ب) [كعانه] بالعين المهملة .
(٦٢) فى النسخة (ب) [طوايف] بالياء بدلًا من الهمز .
(٦٣) وفى النسخة (ب) [وقال] بغير تاء التأنيث . (راجع سفر التكوين الإصحاح ٥ – الفقرة ٢٢) .
(٦٤) وفى النسخة (ب) [ذكر] بغير تاء التأنيث .
(٦٥) وفى النسخة (ب) [أرفكشاد] (راجع سفر التكوين – الإصحاح ١١ ، الفقرات ١٠ ، ١١) .

فصــل

التوراة وتشريد نسل إبراهيم عليه السلام

وبعد ذلك : أن الله تعالى قال لإبراهيم : أعلم علمًا أنه سيكون نسلك(٦٦) غريبًا فى بلد ليس له ، ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمائة سنة ، وأيضًا القوم الذين يعذبونهم يحكم لهم ... وبعد ذلك يخرجون بسرح عظيم(٦٧) وأنت تسير لآبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة ، والجيل الرابع من البنين يرجعون إلى ها هنا(٦٨).

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل على قلته كذبتان فاحشتان شنيعتان منسوبتان إلى الله تعالى ، وحاش لله من الكذب والخطأ .

فأحدهما قوله : « والجيل الرابع من البنين يرجعون إلى ها هنا » .

وهذا كذب فاحش لا خفاء به ، لأن الجيل الأول من بنى إبراهيم عليه السلام هم « إسحاق » واخوته عليهم السلام ، والجيل الثانى هم : « يعقوب وعيصا » وبنو أعمامهما ، والجيل الثالث : أولاد يعقوب لصلبه ، وهم « دوبان » و« شمعون » و« يهوذا » و« لاوى » و« ساخار » و« زابلون » و« يوسف » و« بنيامين » و« داى » و« هباد » و« عاذ » و« أشاد(٦٩)» وأولاد « عيصا » ، ومن كان فى تعدادهما من سائر عقب إبراهيم ، والجيل الرابع : هم أولاد هؤلاء المذكورين ، وهم الجيل الثالث آباؤهم ، ويعقوب جدهم هم الداخلون مصر لا الخارجون منها بنص توراتهم وإجماعهم كلهم بلا خلاف من أحد منهم . وإنما رجع إلى الشام بنص توراتهم ، وإجماعهم كلهم الجيلُ السادسُ من أبناء إبراهيم ، وهم أولاد الجيل الرابع المذكور ، وما رجع من الجيل الرابع ولا من الجيل الخامس ولا واحد إلى الشام . وحاش لله من أن يكذب فى خبره .

فإن قيل : إنما تعد الأجيال من الجيل المعذب – قلنا هذا خلاف نص توراتهم ، لأن نصها : « الجيل الرابع من الأبناء » .

وأيضًا : فإنه لم يعذّب أحد من أولاد يعقوب بل كانوا مبرورين ، وهم الجيل الثالث بنص توراتهم حرفًا حرفًا ، على ما نورد بعد هذا إن شاء الله تعالى .

فإنما ابتدأ التعذيب فى أبناء يعقوب ، وهم الداخلون مع آبائهم ، وهم الجيل الرابع ، فعدّ

---

(٦٦) وفى النسخة (ب) [نسك] بدون لام .

(٦٧) فى (أ ، ب) [بشرح عظيم] وهو تحريف ظاهر .

(٦٨) (سفر التكوين – الإصحاح ١٥ – الفقرات من ١٢ – ١٦) .

(٦٩) فى النسخة (أ) [وأشار] بالراء .

من حيث شئت لست تخرج من شرك الكذب الفاضح وفى هذا كفاية .

والكذبة الثانية : طامة من الطامات ، وهى قوله لإبراهيم : « إن نسلك سيكون غريبًا ، فى بلد ليس له ، ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمائة سنة وبعد ذلك يخرجون » .

فهذه سوءة وعار الدهر ، لأنه إذا عذب الأربعمائة سنة من وقت بدأ بتعذيب بنى إسرائيل بمصر ، فإنما ذلك بعد موت يوسف عليه السلام إلى أن خرج بهم موسى عليه السلام نصًا ، إذ فى سياق توراتهم :

« ولما مات يوسف وجميع(٧٠) إخوته ، وذلك الجيل كله كثر بنو إسرائيل وتكاثروا وتقوّوا ، فملكوا الأرض ، وولى عند ذلك بمصر ملك جديد لم يعرف يوسف فقال لأهل مملكته : إن بنى إسرائيل قد كثروا ، وصاروا أقوى منا فأذلّوهم بيننا لئلا يزدادوا كثرة ويكونوا عونًا لمن رام محاربتنا(٧١)، فقدّم عليهم أصحاب صناعته لسخرتهم(٧٢)» .

هذا نص توراتهم شاهدة بما قلنا . وقد ذكر فى توراتهم إذ ذكر : من دخل مع « يعقوب » من ولده ، وولد ولده :

أن « فاهث(٧٣)» بن لاوى بن يعقوب والد عمران بن « فاهث » وهو جد موسى عليه السلام – كان ممن ولد بالشام ودخل مصر مع أبيه « لاوى » وجده « يعقوب » – وذكر فيها أيضًا : أن جميع عمر « فاهث » المذكور ابن لاوى كان مائة سنة وثلاثًا وثلاثين سنة ، وأن جميع عمر « عمران بن فاهث » المذكور كان مائة سنة وسبعًا وثلاثين سنة . وذكر فيها نصًا : « أن موسى عليه السلام كان إذ خرج ببنى إسرائيل من مصر ابن ثمانين سنة » .

هذا(٧٤) كله نص توراتهم حرفًا بحرف بإجماع منهم أولهم عن آخرهم ، فهبك أن « فاهاث » كان إذ دخلها ابن أقل من شهر ، وأن « عمران » ولد له سنة موته ، وأن « موسى » ولد لعمران سنة موته . فالمجتمع من هذا العدد كله ثلاثمائة سنة وخمسون سنة ؟ وهذه كانت مدتهم بمصر من يوم دخولها إلى أن خرجوا منها(٧٥). على هذا الحساب فأين الأربعمائة سنة ؟ فكيف ولابد أن يسقط سن « فاهاث » إذ دخل مصر مع أبيه « لاوى » والمدة التى كانت من ولادة « عمران » لفاهث إلى

---

(٧٠) فى (أ ، ب) [وجمع] .

(٧١) فى (أ ، ب) [محاورتنا] .

(٧٢) راجع (سفر الخروج – الإصحاح الأول – الفقرات من ٦ – ١١) .

(٧٣) فى النسخة (ب) [فاهث] مرة و [فاهاث] مرة أخرى . وفى النسخة (أ) [قاهاث] بالقاف الممدودة فى كل مرة .

(٧٤) فى النسخة (ب) [هكذا] .

(٧٥) فى النسخة (ب) [عنها] .

موت « فاهث » . والمدة التى كانت من ولادة « موسى » عليه السلام إلى موت أبيه[٧٦] « عمران » .

وفى كتب اليهود : أن « فاهث » دخل مصر وله ثلاث سنين ، وأنه كان إذ ولد له « عمران » ابن ستين سنة ، وأن « عمران » كان إذ ولد له موسى عليه السلام ابن ثمانين سنة .

فعلى هذا لم يكن بقاء بنى إسرائيل بمصر مذ دخلوها مع « يعقوب » إلى أن خرجوا منها مع موسى إلا مائتى عام وسبعة عشر عامًا فأين الأربعمائة عام ؟

فكيف ولابد أن يسقط من هذا العدد الأخير مدة حياة يوسف مذ دخل إخوته وأبوهم وبنوهم مصر إلى أن مات يوسف عليه السلام ؟

فطول هذا الأمد لم يكونوا مستخدمين ، ولا معذبين ، ولا مستعبدين بل كانوا أعزّاء مكرّمين .

وفى نصّ توراتهم أن يوسف عليه السلام كان إذ دخل على فرعون ابن ثلاثين سنة ، ثم كانت سنو الخصب سبع سنين ، وبدأت سنو الجوع ودخل[٧٧] يعقوب ونسله مصر بعد سنتين من سنى الجوع ، فليوسف حينئذ تسع وثلاثون سنة .

وفى نص توراتهم : أن يوسف كان إذ مات ابن مائة سنة وعشر سنين[٧٨]، فصح أن مدّتهم مذ دخلوا مصر إلى أن مات يوسف عليه السلام كانت إحدى وسبعين سنة فقط ولابد . فالباقى مائة سنة وست وأربعون سنة يسقط منها ولابد بنص توراتهم مدة بقاء من بقى من إخوة يوسف بعده ، ولم نجد من ذلك إلّا عمر « لاوى » فقط على نص التوراة كان يزيد على يوسف ثلاثة أعوام أو أربعة ، فعاش بعد يوسف ثلاثة وعشرين عامًا فقط تسقط ولابد من هذا العدد ، فالباقى مائة سنة وثلاث وعشرون سنة ، هذه مدة عذابهم واستخدامهم واستعبادهم على أبعد الأعداد ، وقد تكون أقل ، فأين الأربعمائة سنة ؟!

ولعل وقاح الوجه[٧٩] أن يقول : ما أَعُدُّ ذلك إلّا من دخول يوسف مصر مستعبدًا مستخدما معذبا ثم مسجونا ، فاعلم أنه لا يزيد على المائتى عام وسبعة عشر عامًا التى ذكرنا قبلُ إلا اثنين وعشرين عامًا فقط . فذلك مائتا عام وتسعة وثلاثون عامًا . فأين الأربعمائة سنة ؟ فظهر الكذب المفضوح الذى لا يدرى كيف خفى عليهم جيلا بعد جيل .

---

(٧٦) فى (أ ، ب) [ابنه] .
(٧٧) فى النسخة (أ) [ودخله] .
(٧٨) راجع : (الإصحاح الخمسين : سفر التكوين . الفقرة ٢٦) .
(٧٩) سقطت كلمة [أن] من النسخة (أ) .

ورأيت لنذل منهم مقالة ظريفة ، وهى أنه ذكر هذه القصة وقال : إنما ينبغى أن تعد هذه الأربعمائة سنة من حين خاطب الله عز وجل إبراهيم بهذا الكلام .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأراد هذا الساقط الخروج من مزبلة فوقع فى كنيف عذرة لأنه جاهر بالباطل وتعجل الفضيحة ونسبة الكذب إلى الله تعالى . إذ نص ما حكوه عن الله تعالى أنه قال لإبراهيم :

« إنَّ نسلك يستعبد أربعمائة سنة(٨٠) » .

ولم يقل له قط « من الآن إلى انقضاء استخدامهم أربعمائة سنة » . وأيضًا فإنَّ نص توراتهم :

أن الله تعالى إنما قال هذا الكلام لإبراهيم قبل ولادة إسماعيل هذا أيضًا فكان إبراهيم حينئذ ابن أقل من ستة وثمانين عامًا ثم عاش بعد ذلك أربعة عشر عامًا وولد له إسحاق ، وعاش إسحاق مائة وثمانين سنة(٨١)، ومات إسحاق وليعقوب مائة وعشرون سنة ، ودخل يعقوب مصر وله مائة وثلاثون سنة ، كل هذا نصوص توراتهم بلا اختلاف منهم ، فمات(٨٢) إسحاق قبل دخول يعقوب مصر بعشرة أعوام فمن حين ادعوا أن الله تعالى قال هذا الكلام لإبراهيم إلى دخول يعقوب مصر مائتا عام وأربعة أعوام ، ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى عنها كما ذكرنا مائة عام وسبعة عشر عامًا ، فحصلنا على أربعمائة عام وأربعة وعشرين عامًا فلا منجى من الكذب إما بزيادة أو نقصان ، وحاش لله أن يكذب فى حساب بدقيقة فكيف بأعوام ؟

والله خالق الحساب ومعلمه عباده ، ومعاذ الله أن يكذب موسى عليه السلام أو يخطىء فيما أوحى الله تعالى إليه به ، فوضح يقينا لكل من له أدنى فهم وضوحًا يقينيًّا(٨٣) كما أن أمس قبل اليوم – أنها ليست من عند الله تعالى ، ولا من أخبار نبى ولا من تأليف عالم يتقى الكذب ، ولا من عمل من يحسن الحساب ، ولا يخطىء فيما لا يخطىء فيه صبى يحسن الجمع والطرح والقسمة والتسمية ، ولكنها بلا شك من عمل كافر مستخف ماجن سخر بهم ، وتطايب عليْهم(٨٤)، وكتب لهم ما سخّم الله به وجوههم عاجلًا فى الدنيا بالفضيحة ، وآجلًا فى الآخرة بالنار والخلود فيها ، أو من عمل تيس أرعن تكلف إملاء ما لم يقم بحفظه جاهل مع ذلك مظلم

(٨٠) النص كما فى التوراة الحالية : « اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم ، فيذلونهم أربعمائة سنة » (الإصحاح : ١٥ سفر التكوين) .
(٨١) فى النسخة (ب) [وسنه] بزيادة الواو . (راجع سفر التكوين – الإصحاح ٣٥ الفقرة ٢٨) .
(٨٢) فى النسخة (ب) [ممات] .
(٨٣) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [وضوحا] .
(٨٤) فى (أ ، ب) [وتطايب منهم] .

الجهل بالهيئة وصفة الأرض ، وبالحساب وبالله تعالى وبرسله ﷺ ، فأملى ما خرج إلى فهمه من خبيث وطيب ، ولقد كان فى هذا الفصل كفاية لمن نصح نفسه لو لم يكن غيره فكيف ومعه عجائب جمة ، ونحمد الله تعالى على نعمة الإسلام كثيرًا .

فصــل

ادعاء التوراة بأن نسل إبراهيم يملكون من النيل إلى الفرات

وبعد ذلك ذكر أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام :

« لنسلك أعطى هذا البلد من نهر مصر النهر الكبير إلى نهر الفرات(٨٥) » وهذا كذب وشهرة من الشهر ، لأنه إن كان عنى بنى إسرائيل ، وهكذا يزعمون فما ملكواقط من نهر مصر ، ولا على نحو عشرة أيام منه شبرًا مما فوقه ، وذلك من موقع النيل إلى قرب بيت المقدس ، وفى هذه المسافة الصحارى المشهورة الممتدة ، والحضار(٨٦) ، ثم « رفح » و « غزة »(٨٧) و« عسقلان(٨٨) » و« جبال الشراة » التى لم تزل تحاربهم طول مدة دولتهم ، وتذيقهم(٨٩) الأمرين إلى انقضاء دولتهم ، ولا ملكوا قط من الفرات ولا على عشرة أيام منه ، بل بين آخر حوز بنى إسرائيل إلى أقرب مكان من الفرات إليهم نحو تسعين فرسخا فيها « قنسرين(٩٠) » و« حمص(٩١) » التى لم يقربوا منها قط ، ثم

---

(٨٥) التوراة : الإصحاح : ١٥ سفر التكوين الفقرة : ١٨ ، ١٩ .

(٨٦) فى (خ) [الجفار] .

(٨٧) غزة : مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر ، بينها وبين « عسقلان » فرسخان أو أقل ، وهى من نواحى فلسطين غربى « عسقلان » وفيها مات « هاشم بن عبد مناف » جد رسول الله ﷺ ، وبها قبره ، ولذلك يقال لها « غزة هاشم » وبها ولد الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ، رضى الله عنه ، وإليها ينسب أبو عبد الله محمد بن عمرو بن الجراح الغزى (معجم البلدان : حـ ٤ ص ٢٠٢) .

(٨٨) عسقلان : مدينة من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها قديما عروس الشام ، وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين ، استولى عليها الإفرنج عام ٥٤٨ هـ ، واستردّها « صلاح الدين الأيوبى » عام ٥٨٣ هـ (معجم البلدان : حـ ٤ ص ١٢٢) .

(٨٩) فى (أ) [ونذيقهم] .

(٩٠) قنسرين : فتحت على يد أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه سنة ١٧ هـ ، وكانت هى و « حمص » شيئًا واحدًا ، وهى مأخوذة من قول العرب « قنسرى » أى مسن ، وقيل سميت « قنسرين » لأن ميسرة بن مسروق العبسى مرّ عليها فلما نظر إليها قال ما هذه ؟ فسميت له بالرومية فقال : والله لكأنها قن نسر ، سميت قنسرين وبها قبر صالح النبى عليه السلام على أحد الأقوال ، وتاريخها مفصل فى معجم البلدان (معجم البلدان : حـ ٤ ص ٤٠٣ - ٤٠٤) .

(٩١) حمص : بلد قديم كبير مسور ، وهى بين دمشق وحلب فى منتصف الطريق ، يذكر ويؤنث ، بناه رجل قديم يقال له : حمص ابن المهر بن جان بن مكنف ، قال أبو مخنف أول راية وافت للعرب حمص ، ونزلت حول مدينتها راية « ميسرة بن مسرور العبسى » وأول مولود ولد فى الإسلام بحمص « أدهم بن محرز » وبحمص من المزارات مشهد على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وبها دار خالد بن الوليد رضى الله عنه . (معجم البلدان : حـ ٢ ص ٣٠٣) .

« دمشق » و« صور[٩٢] » و« صيدا[٩٣] » التى لم يزل أهلها يحاربونهم ، ويسومونهم الخسف طول مدة دولتهم بإقرارهم ونصوص كتبهم ، وحاش لله عز وجل أن يخلف وعده فى قدر دقيقة من سرابه فكيف فى تسعين فرسخًا فى الشمال ونحوها فى الجنوب .

ثم قوله : « النهر الكبير » وما فى بلادهم التى ملكوا نهر يذكر إلا الأردن وحده ، وما هو بكبير ، إنما مسافة مجراه من بحيرة الأردن إلى مسقطه فى البحيرة المنتنة نحو ستين ميلًا فقط ، فإن قال قائل إنما عنى الله بهذا الوعد بنى إسماعيل عليه السلام ، قلنا وهذا أيضًا خطأ ، لأن هذا القدر المذكور ها هنا من الأرض أقل من جزء من مائة جزء مما ملّك الله عز وجل بنى إسماعيل عليه السلام . وأين يقع ما بين مصب النيل عند « تِنِّيس » وبين الفرات ، ومن[٩٤] آخر الأندلس على ساحل البحر المحيط ، وبلاد البربر كذلك إلى آخر « السند » و« كابل[٩٥] » مما يلى بلاد الهند . ومن ساحل اليمن إلى ثغور « أرمينية » و« أذربيجان » فما بين ذلك والحمد لله رب العالمين .

فكيف وهذه الدعوى باطلة لأن ذلك الكلام بعضه معطوف على بعض ، فالموعودون بملك ذلك البلد هم المتوعدون بأنهم يتملكون ويعذبون فى البلد الآخر . وقد أكرم الله تعالى بنى إسماعيل وصانهم عن ذلك فوضح الكذب الفاحش فى الأخبار المذكورة ، وصح أنه ليس من عند الله عز وجل ، ولا من كلام نبى أصلًا بل من تبديل وغد جاهل كالحمار بلادة ، أو متلاعب بالدين ، وفاسد المعتقد ونعوذ بالله من الخذلان .

فصل

إخراج إبراهيم من أتون الكردانيين إلى بلد آمن

ومنها أن الله تعالى قال لإبراهيم :

« أنا الله الذى أخرجتك من أتون الكردانيين لأعطيك من هذا البلد حوزًا . فقال له

---

(٩٢) صور : مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء ، وهى ثغر من ثغور المسلمين ، مشرفة على بحر الشام ، داخلة فيه مثل الكف على الساعد ، يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الربع الذى منه شروع بابها ، افتتحها المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب ، وهى معدودة من أعمال الأردن قديما ، بينها وبين « عكا » ستة فراسخ ، من علمائها أبو عبد الله محمد بن على الصورى الحافظ ، وهى الآن مدينة تابعة للبنان (معجم البلدان : حـ ٣ ص ٤٣٣) .

(٩٣) صيدا : مدينة على ساحل بحر الشام ، من أعمال دمشق ، شرق صور بينهما ستة فراسخ ، وسميت بذلك نسبة إلى « صيدون ابن صادوقاء بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام » ، وممن نسب إليها أبو الحسن محمد بن أحمد الصيداوى ، افتتحها الصليبيون عام ٥٠٤ هـ ، وبقيت فى أيديهم إلى أن استعادها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ (المرجع السابق : ٣ : ٤٣٨) .

(٩٤) فى النسخة (ب) سقطت [الواو] .

(٩٥) مدينة بين الهند ونواحى « سجستان » فى ظهر الغور ، و « كابل » اسم يشمل الناحية ، ومدينتها العظمى ، غزاها المسلمون فى أيام بنى مروان وافتتحوها ، وأهلها مسلمون ، وينسب إليها أبو مجاهد على بن مجاهد الكابلى الرازى (معجم البلدان : ٤ ص ٤٢٦) . وهى العاصمة الحالية لأفغانستان .

إبراهيم : يارب بماذا أعرف أنى أرث هذا البلد ؟(٩٦)» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : حاش لله أن يقول إبراهيم عليه السلام لربه هذا الكلام ، فهذا كلام من لم يثق بخبر الله عز وجل حتى طلب على ذلك برهانا . فإن قال قائل جاهل ففى القرآن قال : « رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحيِى الموتَى(٩٧)» ؟ وأن زكريا قال لله تعالى إذ وعده بابن يسمى « يحيى » « رب اجعل لى آية(٩٨)» . قلنا بين المراجعات المذكورة فرق كما بين المشرق والمغرب ، أما طلب إبراهيم عليه السلام رؤية إحياء الموتى فإنما طلب ذلك ليطمئن قلبه المنازع له إلى رؤية الكيفية فى ذلك فقط .

بيان ذلك قوله تعالى له : «أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قال : بلى . ولكِنْ ليطمئِنَّ قَلبى » فوضح أن إبراهيم لم يطلب ذلك برهانًا على شك أزاله عن نفسه ، لكن ليرى الهيئة فقط . وأما زكريا عليه السلام فإنما طلب آية تكون له عند الناس لئلا يكذبوه ، هذا نص كلامه ، والذى ذكروه عن إبراهيم عليه السلام كلام شاكٍّ يطلب برهانًا يعرف به صحة وعد ربه له . تعالى الله عن ذلك ، وحاش لإبراهيم منه .

فصــل

التقاء إبراهيم بالملائكة عليهم السلام

وبعد ذلك قال :

وتجلّى الله لإبراهيم عند بلّوطات مَمْرأ وهوجالس عند باب الخباء عند حمى النهار ، ورفع عينيه ونظر فإذا بثلاثة نفر وقوف أمامه فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء وسجد على الأرض ، وقال يا سيدى : إن كنت قد وجدتَ نعمةً فى عينك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل من ماء ، واغسلوا أرجلكم ، واستندوا تحت الشجرة ، وأقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم وبعد ذلك تمضون ، فمن أجل ذلك مررتم على عبدكم فقالوا : اصنع كما قلت ، فأسرع إبراهيم إلى الخباء إلى سارة ، وقال لها : اصنعى ثلاث صيعانٍ من دقيق سميذ ، اعجنيه واصنعى خبز ملّة ، وحضر إبراهيم إلى البقر ، وأخذ عجلًا رخيصًا سمينًا ودفعه للغلام واستعجل بإصلاحه ، وأخذ سمنًا ولبنًا ، والعجل الذى صنعوه وقُدِّم بين أيديهم وهو واقف عليهم تحت الشجرة وقال : كلوا (٩٩).

---

(٩٦) التوراة : (الإصحاح : ١٥ فقرة : ٧ - ٩ من سفر التكوين) .

(٩٧) سورة البقرة : ٢٦٠ .

(٩٨) سورة آل عمران : ٤١ .

(٩٩) (راجع التوراة : سفر التكوين : الإصحاح : ١٨ الفقرات من ١ - ٨) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل آيات من البلاء شنيعة نعوذ بالله من قليل الضلال وكثيره :

فأوّل ذلك إخباره أن الله تعالى تجلّى لإبراهيم وأنه رأى الثلاثة النفر فأسرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية ، فإن كان أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة بل هو أشد من التثليث ؛ لأنه إخبار بشخوص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيص ، وقد رأيت فى بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية فى إثبات التثليث ، وهذا كما ترى فى غاية الفضيحة ، فإن كان أولئك الثلاثة ملائكة وهكذا يقولون فعليهم فى ذلك أيضًا فضائح عظيمة ، وكذب فاحش من وجوه .

أولها : من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تعالى تجلّى له ، وإنما تجلّى له ثلاثة من الملائكة .

وثانيها : أنه يخاطب أولئك الملائكة بخطاب الواحد[١٠٠]، وهذا مما يزيد فى ضلال النصارى فى هذا الفصل ، وهذا أيضًا محال فى الخطاب .

وثالثها : سجوده للملائكة فإنّ من الباطل أن يسجد رسول الله ﷺ وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله ، فهذه كذبة . وإن قالوا بل لله سجد فهذه كذبة ولابد ، أو يكون الله عندهم هم الثلاثة المتجلون ، لابدّ من إحداها . وعادت البلية أشد ما كانت .

ورابعها : خطابه لهم بأنه عبدهم ؛ فإن كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلى له فقد عادت البلية ، وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاش لله أن يخاطب إبراهيم عليه السلام بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقًا مثله ، مع أن من المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد[١٠١].

وخامسها : قوله : « يؤخذ قليل من ماء ويغسل أرجلكم ، وأقدم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم[١٠٢]» .

فهذه الحالة لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله تعالى فهى التى لا سوى لها ولا بقية بعدها ، والتى تملأ الفم ، وإن كان خاطب بذلك الملائكة فهذا أكذب ، لأن إبراهيم عليه السلام لا يجهل أن الملائكة لا تشتد قلوبهم بأكل كسر الخبز . فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة .

---

(١٠٠) حيث يقول للثلاثة : يا سيدى .

(١٠١) هكذا فى النسختين (أ) و (ب) والأولى أن يقول [بخطاب الواحد] .

(١٠٢) نقل النص هنا محرفا عما ذكره سابقا ، ففى النص السابق يقول : « ليؤخذ قليل من ماء ، واغسلوا أرجلكم ، واستندوا تحت الشجرة ، وأقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم » . والذى فى التوراة الحالية مختلف قليلا عن ذلك ، ولكن المعنى واحد (راجع الإصحاح : ١٨ : فقرة ٤ ، ٥ .

فإن قالوا : ظنهم ناسًا . قلنا : هذا أكذب لأن فى أول الخبر يخبر أن الله تجلّى له ، وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر طريق[١٠٣]؟ حاش له من هذا الضلال .

وسادسها : إخباره أنهم أكلوا الخبز والشوى والسمن واللبن ، وحاش له أن يكون هذا خبرا عن الله تعالى ، لا ولا عن الملائكة ، أين هذا الكذب البارد الفاضح الذى يشبه عقول اليهود المصدقين به ؟ من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله عز وجل فى هذه القصة نفسها :

« ولقد جاءت رُسُلُنا إبراهيم بالبُشْرى قالوا : سَلامًا ، قال : سَلامٌ ، فما لَبِثَ أن جاء بعجلٍ حنيذ ، فلمَّا رأى أيْديَهم لا تصلُ إليهِ نَكِرهم ، وأوجَس مِنهُم خيفةً قالوا لا تخفِ إنَّا أُرْسلْنا إلى قوم لوط »[١٠٤] الآيات .

هيهات نور الحق من ظلمات الكذب ؟ ! والحمد لله رب العالمين كثيرًا .

وفيها أيضا وجه سابع ليس كهذه الوجوه فى الشناعة : وهو إقرارهم بأن إبراهيم أطعم الملائكة اللحم واللبن والسمن معًا . والربانيون منهم يحرّمون هذا اليومَ . فأقل ما فيه النسخ على أن يكون سلامته من أطم الدّواهى ، والسلامة والله منهم بعيدة .

فصــل

بشرى إبراهيم بإنجاب ولد

ثم قال متصلا بهذا الفصل : « وقالوا له : أين سَارَة زوجتك ؟ فقال : ها هى ذه فى الخباء . قال : سأرجع إليك مثل هذا الوقت من قابل ويكون لها ابن ، وسارة تسمع فى الخباء وهو وراءها ، وكان إبراهيم وسارة شيخين قد طعنا فى السن ، وانتهى لسارة أن لا يكون لها عادة كالنساء فضحكت سارة فى نفسها قائلة : أبعد أن بليت[١٠٥] يصير لى ذا وسيدى شيخ ؟ ! قال الله لإبراهيم : لماذا ضحكت سارة قائلة هل لى أن ألد وأنا عجوز وهل يخفى عن الله أمرى فى هذا الوقت إذ قال عزَّ من قائل : يكون لسارة ابن فجحدت سارة وقالت : لم أضحك لأنها خافت ، وقال السيد : ليس كما تقولين بل قد ضحكت فقام القوم من ثُمَّ[١٠٦]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : عاد الخبر بين سارة وإبراهيم وبين الله عزَّ وجل وعاد

(١٠٣) أى لعابر طريق .
(١٠٤) سورة هود : ٧٠ .
(١٠٥) فى النسختين (أ) و (ب) [نليت] بالنون وهو تحريف .
(١٠٦) التوراة : (سفر التكوين - الإصحاح : ١٨ ، فقرات : ٩ - ١٦) .

الحديث الماضى ، ثم فى هذا زيادة : أن الله تعالى قال : « إنَّ سارة ضحكت » وقالت سارة : لم أضحك . فقال الله : بلى ، قد ضحكت . فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء ، حاش لسارة الفاضلة المنبأة من الله عز وجل بالبشارة من أن تكذب الله عزَّ وجل فيما يقول ، وتكذب هى فى ذلك فتجحد ما فعلت ، فتجمع بين سوأتين ، إحداهما : كبيرة من الكبائر ، قد نزه الله عزَّ وجل الصالحين عنها ، فكيف الأنبياء ؟ والأخرى : أدهى وأمر ، وهى التى لا يفعلها مؤمن ، ولو أنه أفسق أهل الأرض لأنها كفر ، ونعوذ بالله من الضلال .

فصـــل

وبعد ذلك وصف أن الملكين باتا عند لوط ، وأكلا عنده الخبز الفطير ، وأن لوطا سجد لهما على وجه الأرض وتعبد لهما(١٠٧) ، وقد مضى مثل هذا وأنه كذب . وأن الملائكة لا تأكل فطيرًا ، ولا مختمرًا ، وأن الأنبياء عليهم السلام لا يسجدون لغير الله تعالى ، ولا يتعبدون لسواه .

فصـــل

طلب إبراهيم من ربه عدم هلاك قوم لوط جميعًا

وذكر أن إبراهيم عليه السلام قال لله عزَّ وجل إذ ذكر له هلاك قوم لوط فى كلام كثير : « أنت معاذ من أن تصنع هذا الأمر لا تقتل الصالح مع الطالح فيكون الصالح كالطالح فأنت معاذ يا حاكم جميع العالم من هذا(١٠٨)» .

ولم ينكر الله تعالى عليه هذا القول . وقال بعد ذلك :

« إن الملكين قَالا لِلوُطٍ انظر مَنْ لَكَ هُنا من صهر بنيك وبناتك وكل مالك فى القريةِ أخْرِجْهم مِن هَذا الموضِع لأنَّا مهلكون هذا الموضع(١٠٩)» .

وقال بعد ذلك : « إن لوطًا كلَّم أصهاره(١١٠) المتزوجين بناته» وقال لهم : « اخرجُوا من هذا الموضِع فإنَّ الله مُهلكهم ، وأنَّه صَارَ عِندهم كاللّاعب » .

---

(١٠٧) التوراة : (الإصحاح : ١٩ فقرات ١ - ٤ من سفر التكوين) .
(١٠٨) التوراة : (الإصحاح : ١٨ فقرات ٢٢ الخ) .
(١٠٩) التوراة : (الإصحاح : ١٩ - الفقرات من ١٢ - ١٤ من سفر التكوين) .
(١١٠) التوراة : (الإصحاح : ١٩ فقرات من ١٦ - ١٨ سفر التكوين)

ثم قال بعد ذلك :

« إن الملائكة أمسكوا بيد لوطٍ وبيدِ زوجته ، وابنتيه لشَفقة الله عليهم وأخرجوهم خارج القرية ، ثم ذكر هلاك القرية بكل ما فيها[١١١]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لا يخلو أصهار لوط وبنوه وبناته الناكحات من أن يكونوا صالحين أو طالحين ، فإن كانوا صالحين فقد هلكوا مع الطالحين ، وبطل عقد الله تعالى مع إبراهيم فى ذلك ، وحاش لله من هذا . وإن كانوا طالحين فكيف تأمر الملائكة بإخراج الطالحين ، وهم كانوا مبعوثين لهلاكهم ، فلابدّ من الكذب فى أحد الوجهين ، وبالجملة فأخبارهم معفونة جدًّا .

فصـــل

ادعاء التوراة على لوط عليه السلام بمضاجعة ابنتيه

وبعد ذلك قال : « وأقام لوط » فى المغارةِ هو وابنتاه فقالت الكبرى للصغرى : أبونا شَيخٌ وليس فى الأرضِ أحدٌ يأتينا كسبيل النساء ، تعالى نسق أبانا الخَمْرَ ونضاجعه ونستبق منه نسلًا فسقتا أباهما خمرًا فى تلك الليلة فأتت الكبرى فضاجعت أباها ولم يعلم بنومها ولا بقيامها فلما كان من الغد قالت الكبرى للصغرى قد ضاجعت أبى أمس تعالى نسقيه الخمر هذه الليلة وضاجعيه أنت ، ونستبقى من أبينا نسلًا فسقتاه تلك الليلة خمرًا ، وأتت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنومها ولا بقيامها ، وحملت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت الكبرى ابنا وسمته « مواب » ، وهو أبو الموابين إلى اليوم ، وولدت الصغرى ابنًا سمته « عمون » وهو أبو العمونيين إلى اليوم[١١٢]. وفى السفر الخامس من التوراة بزعمهم أن موسى قال لبنى إسرائيل : « إن الله تعالى قال : لما انتهينا إلى صبحراء بنى موابِ قال لى : لا تحارب بنى مواب ولا تقاتلهم فإنى لم أجعل لكم فيما تحت أيديهم سهمًا لأنى قد ورثت بنى لوط (ادوا) وجعلتها مسكنًا لهم ، ثم ذكر أن موسى قال لهم : إن الله تعالى قال له أيضًا أنت تخلف اليوم حوز بنى مواب المدينة التى تدعى عاد ، وتنزل فى حوز بنى عمون فلا تحاربهم ، ولا تقاتل أحدًا منهم فإنى لم أجعل لكم تحت أيديهم سهمًا لأنهم من بنى لوط ، وقد ورثتهم تلك الأرض[١١٣].

---

(١١١) التوراة : (أ ، ب) [كلهم أصحابه] راجع : سفر التكوين - الإصحاح ١٩ - الفقرات من ١٥ - ٢٩) .

(١١٢) التوارة : (سفر التكوين - الإصحاح التاسع عشر الفقرات من ٣٠ - ٣٨) .

(١١٣) التوراة : (سفر التثنية : الإصحاح الثانى - الفقرات من ١٦ - ٢٠) . والنصّ الذى فى التوراة يتفق فى المعنى ويختلف فى كثير من الألفاظ مما يدل على أن التحريف ما زال ملازمًا لهم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذه الفصول فضائح وسوآت تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام :

فأولها : ما ذكر عن بنتى لوط عليه السلام من قولهما « ليس أحد فى الأرض يأتينا كسبيل النساء ، تعالَىْ نسق أبانا خمرًا ، ونضاجعه ونستبق منه نسلًا » فهذا كلام أحمق فى غاية الكذب والبرد ؛ أترى كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق فى الأرض أحد يضاجعهما ؟ إنَّ هذا لعجب فكيف والموضع معروف إلى اليوم ؟ ليس بين تلك المغارة التى كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه ، وبين قرية سكنى إبراهيم عليه السلام إلَّا فرسخ واحد لا يزيد ، وهو ثلاثة أميال فقط — فهذه سوأة .

والثانية : إطلاق الكذاب الواضع لهم هذه[114] الخرافة لعنه الله – هذه الطومة — على الله عز وجل من أنه أطلق نبيَّه ورسوله ﷺ على هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد أخرى .

فإن قالوا : لا ملامة عليهم فى ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران ، وهو لا يعلم من هما ، قلنا : فكيف عمل إذ رآهما حاملتين ؟ وإذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشدة ؟ وإذ رآهما تربيان أولاد الزنى ؟

هذه فضائح الأبد ، وتوليد الزنادقة المبالغين فى الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام .

والثالثة : إطلاقهم على الله تعالى : أنه نسب أولادَ ذينك الزنيمين فرخى الزنى إلى ولادة لوط عليه السلام ؟ حتى ورثهما بلدين كما ورث بنى إسرائيل وبنى عيسو ابنى إسحاق سواء بسواء . تعالى الله عن هذا علوًا كبيرًا .

فإن قالوا : كان مباحًا حينئذ . قلنا : فقد صح النسخ الذى تنكرونه بلا كلفة وقال قبل هذا : « إن إبراهيم إذ أمره الله تعالى بالمسير من حران إلى أرض كنعان أخذ مع نفسه امرأته سارة ، وابن أخيه لوط بن هاران ، وذكروا فى بعض توراتهم أنه كلمته الملائكة ، وأن الله تعالى أرسلهم إليه ، فصح بإقرارهم أنه نبى الله عزّ وجل ، وهم يقولون : إنه بقى فى تلك المغارة شريدًا طريدًا فقيرًا لا شىء له يرجع إليه . فكيف يدخل فى عقل من له أقل إيمان أن إبراهيم عليه السلام يترك ابن أخيه الذى تغرب معه ، وآمن به ، ثم تنبأ مثله يضيع ويسكن فى مغارة مع ابنتيه فقير هالكا . وهو على ثلاثة أميال منه ؟ ! وإبراهيم على ما ذكر فى التوراة عظيم المال ، مفرط الغنى ، كثير

(١١٤) فى (أ ، ب) سقطت (لهم) .

اليسار من الذهب والفضة ، والعبيد والإماء ، والجمال والبقر والغنم والحمير ، ويقولون فى توراتهم : إنه ركب فى ثلاثمائة مقاتل وثمانية عشر مقاتلًا لحرب الذين سبَوْا لوطا وماله حتى استنقذوه وماله . فكيف يضيعه بعد ذلك هذا التضييع ؟ ليست هذه صفات الأنبياء ولا كرامتهم(١١٥)، ولا صفات من فيه شيء من الخير ؟ لكن صفات الكلاب الذين وضعوا لهم هذه الخرافات الباردة التى لا فائدة فيها ، ولا موعظة ، ولا عبرة حتى ضلوا بها ، ونعوذ بالله من الخذلان .

فصــل

فرعون يأسر سارة زوجة إبراهيم عليه السلام

وفى موضعين من توراتهم المبدَّلة : « أنَّ سارة امرأة إبراهيم عليه السلام أخذها فرعون ملك مصر(١١٦)، وأخذها ملك الخِلْص أبو مالك مرة ثانية ، وأن الله سبحانه وتعالى أرى الملكين فى منامهما ما أوجب ردّها إلى إبراهيم عليه السلام . وذكر أن سنَّ إبراهيم عليه السلام إذ انحدر من « حران » خمسة وسبعون عامًا(١١٧)، وأن إسحاق ولد له وهو ابن مائة سنة ، ولسارة إذ ولد تسعون عامًا(١١٨) فصح أنه كان يزيد عليها عشر سنين . وذكر أن ملك الخِلْص أخذها بعد أن ولدت إسحاق — وهى عجوز مسنة بإقرارها بلسانها إذ بشرت بإسحاق فكيف بعد أن ولدته وقد جاوزت تسعين عامًا ، ومن المحال أن تكون فى هذا السن تفتن ملكًا ، وأن إبراهيم قال فى كلتا المرتين هى أختى ، وذكر عن إبراهيم أنه قال للملك هى أختى بنت أبى لكن ليست من أمى فصارت لى زوجة . فنسبوا فى نص توراتهم إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوّج أخته . وقد وقفت على هذا الكلام من بعض من شاهدناه منهم ، **وهو إسماعيل ابن يوسف الكاتب المعروف بابن النغرالى**(١١٩) فقال لى : إن نصَّ اللفظة فى التوراة « أخت » وهى لفظة تقع فى العبرانية على الأخت وعلى القريبة ، فقلت يمنع من صرف هذه اللفظة إلى القريبة ها هنا قوله : « لكن ليست من أمى وإنما بنت أبى(١٢٠)» .

فوجب أنه أراد الأخت بنت الأب . وأقل ما فى هذا إثبات النسخ الذى تفرون منه فخلط ولم يأت بشيء .

---

(١١٥) فى الأصل « ولا كرامة » .

(١١٦) التوراة : (سفر التكوين : الإصحاح : ١٢ — الفقرات من ١١ — ٢٠) .

(١١٧) التوراة : سفر التكوين — الإصحاح ١٢ — الفقرة ٤) .

(١١٨) المرجع السابق — (الإصحاح ١٧ الفقرة ١٧ — إلى آخر الإصحاح) .

(١١٩) وقد ناظر ابن حزم اسماعيل بن يوسف هذا ، وألف فى نقده كتابا أسماه « الرد على ابن النغريلة » ، وقد طبع هذا الكتاب منذ سنوات عدة .

(١٢٠) بمراجعة نصوص التوراة الحالية لم نجد هذا التعبير ، وهذا يدل على أن اليهود ، حين وجدوا بعض الاعتراضات عليهم حاولوا =

فصـــل

إبراهيم عليه السلام له أكثر من زوجة

ثم ذكرت موت سارة وقال : « تزوّج إبراهيم عليه السلام امرأة اسمها « قطورة » وولدت له « زِمْرَان » و« يقشان » و« مدان » و« مديان » و« يِشْبق[١٢١]» و« شوحا » وأعطى إبراهيم جميع ماله لإسحاق ، وأعطى بنى الإماء عطايا وأبعدهم عن إسحاق[١٢٢]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا نص الكلام كله متتابعًا مرتبًا ، ولم يذكر له زوجة فى حياة « سارة » ، ولا أمة لها ولد إلا « هاجر » أم إسماعيل عليه السلام ، ولا ذكر له بعد سارة زوجة ولا أمة ، ولا ولدًا غير « قطورة » وبنيها ، وفى كتبهم أن « قطورة » هذه بنت ملك « الربذ[١٢٣]» وهو موضع « عمان » اليوم بقرب البلقاء[١٢٤]، وهذه أخبار يكذب بعضها بعضا .

فصـــل

ثم ذكر أن « رفقة[١٢٥]» بنت شوال[١٢٦] بن تارح زوجة إسحاق عليه السلام كانت عاقرًا . قال فشفعه الله وحملت ، وازدحم الولدان فى بطنها وقالت : لو علمت أن الأمر هكذا كان يكون ما طلبته . ومضت لتلتمس علما من الله عز وجل . فقال لها الله فى بطنك أُمَّتان وحزبان[١٢٧] يفترقان منه ، أحدهما أكبر من الآخر ، والكبير يخدم الصغير ، فلما كانت أيام الولادة إذا بتوأمين فى بطنها وخرج الأول أحمر كله كفروة من شعر فسمى «عيسو » وبعد ذلك خرج أخوه ويده ممسكة بعقب « عيسو » فسماه « يعقوب[١٢٨]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لا مئونة على هؤلاء السفلة فى أن ينسبوا الكذب إلى الله عز وجل ، وحاش لله أن يكذب ، ولا خلاف بينهم فى أن « عيسو » لم يخدم قط « يعقوب » ، وأن بنى عيسو لم تخدم قط بنى يعقوب ، بل فى التوراة نصًا : أن « يعقوب » سجد

= تنقية نصوص التوراة من مواضع النقد فحذفوها وهكذا يستمر التغيير والتبديل فى التوراة (راجع النص الخاص بزوجة إبراهيم وادعائه أنها أخته فى الاصحاح : ١٢ من سفر التكوين : فقرات ١١ ، إلى آخر الإصحاح) .

(١٢١) فى (خ) و « يزياق » . وفى التوراة الحالية [يِشْبَاق] .

(١٢٢) التوراة : (سفر التكوين - الإصحاح : ٢٥ الفقرات من ١ - ٦) .

(١٢٣) فى (خ) [الربة] بدلًا من [الربذ] .

(١٢٤) فى النسخة (ب) [البلقا] بغير همز .

(١٢٥) فى النسخة (ب) [رفعة] بالعين بدلًا من القاف .

(١٢٦) فى (أ ، ب) [بنت بتوئيل] وكذلك فى التوراة الحالية .

(١٢٧) الذى فى التوراة الحالية : « ومن أحشائك يفترق شعبان ، شعب يقوى على شعب ، وكبير يُستَعبدُ لصغير » (سفر التكوين - الإصحاح ٢٥ - الفقرات من ٢٢ الخ) .

(١٢٨) التوراة : (سفر التكوين : الإصحاح : ٢٥ الفقرات من ١٩ - ٢٦) .

على الأرض سبع مرات « لعيسو » إذ رآه . وأن يعقوب لم يخاطب « عيسو » إلا بالعبودية والتذلل المفرط وأن جميع أولاد يعقوب حاش « بنيامين » الذى لم يكن ولد بعد – كلهم سجدوا لعيسو . وأن « يعقوب » أهدى لعيسو – مداراة له خمسمائة رأس وخمسين رأسا من إبل وبقر وحمير وضأن ومعز ، وأن يعقوب رآها منة عظيمة إذ قبلها منه(١٢٩)، وأن بنى عيسو لم تزل أيديهم على أقفاء بنى إسرائيل من أول دولتهم إلى انقطاعها ، إما يتملكون عليهم ، أو يكونون على السواء معهم ، وأن بنى إسرائيل لم يملكوا قط أيام دولتهم بنى عيسو فاعجبوا لهذه الفضائح أيها المسلمون ، واحمدوا الله على السلامة مما ابتلى به غيركم من الضلال والعمى .

فصــل

طلب إسحاق من ابنه عيسو أن يصيد صيدًا

ثم ذكر أن إسحاق قال لابنه « عيسو » يا بنى قد شخت ولا أعلم يوم موتى فاخرج وصد لى صيدًا ، واصنع لى منه طعامًا كما أحب ، وائتنى به لآكله كى تباركك نفسى قبل أن أموت ، وأن « رفقة » أم عيسو ويعقوب ، أمرت يعقوب ابنها أن يأخذ جديين ، وتصنع هى منهما طعاما ، ويأتى يعقوب إلى إسحاق أبيه ليأكله ويبارك عليه ، وأن يعقوب قال لأمه : إن عيسو أخى أشعر وأنا أجرد ، لعل أبى أن يحس بى وأكون عنده كاللاعب وأجلب على نفسى لعنة لا بركة ، فقالت له أمه علىّ استدفاع لعنتك ، وأن يعقوب فعل ما أمرته به أمه . فأخذت هى ثياب عيسو ابنها الأكبر وألبستها يعقوب ، وجعلت جلود الجديين على يديه وعلى حلقه ، وأعطته الطعام . وجاء به إلى أبيه : فقال له يا أبى : فقال له إسحاق : من أنت يا ولدى قال يعقوب : أنا ابنك عيسو بكرك صنعت جميع ما قلت لى ، فاجلس وتأكل من صيدى لتبارك علىّ . وأن إسحاق قال ليعقوب : تقدم حتى أجسّك يا بنى . هل أنت ابنى عيسو أم لا ؟ فتقدم يعقوب فجسه إسحاق وقال : الصوت صوت يعقوب واليدان يدا عيسو . وقال : هل أنت هو ابنى عيسو ؟ فقال : أنا . فبارك عليه وقال له فى بركته تلك : تخدمك الأمم وتخضع لك الشعوب ، وتكون مولى إخوتك ، وتسجد لك بنو أمك . ثم ذكر أن « عيسو » أتى بالصيد إلى إسحاق ، فلما عرف إسحاق القصة قال لعيسو عن يعقوب : قد صيّرته سلطانًا وجعلت جميع إخوته عبيدًا ، فرغب إليه عيسو فى أن يباركه أيضًا ففعل وقال فى بركته : « هو ذا بلا دَسَمِ الأرض يكون مسكنك ، وبلا نَدَى السماء من فوق ، وبسيفك تعيش ، ولأخيك تستعبد ، ولكن يكون حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك(١٣٠)» .

(١٢٩) التوراة : (سفر التكوين – الإصحاح ٣٠ – الفقرات من ١ – ٢٠) .
(١٣٠) التوراة : (سفر التكوين – الإصحاح : ٢٧ الفقرات من ١ – ٤٠) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وفى هذا الفصل فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات :

فأول ذلك : إطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه ، وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء . فكيف من نبى مع أبيه النبى أيضًا . هذه سوءات مضاعفات . أين ظلمة هذا الكذب من نور الصدق فى قوله تعالى : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلّا أنفسهم[١٣١] » .

وثانية : وهى إخبارهم أن بركة يعقوب إنما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث . وحاش للأنبياء عليهم السلام من هذا . ولعمرى إنها لطريقة اليهود فما تلقى منهم إلّا الخبيث المخادع إلّا الشاذ[١٣٢].

وثالثة : وهى إخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة . وحاش لله من هذا .

ورابعة : وهى التى لا يشك أحد فى أن إسحاق عليه السلام إذ بارك يعقوب إذ خدعه – يزعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس إنما قصد بتلك البركة عيسو . وله دعا ، لا ليعقوب فأى منفعة للخديعة ها هنا لو كان لهم عقل . وما أشبه هذه العقول فى هذه القضية[١٣٣] بحمق الغالية من الرافضة القائلين : إن الله تعالى بعث جبريل إلى على فأخطأ جبريل وأتى إلى محمد ، وهكذا بارك إسحاق على عيسو فأخطأت البركة ومضت إلى يعقوب . فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله . فهذه وجوه الخبث والغش فى هذه القضية .

وأمّا وجوه الكذب فكثيرة جدًّا من ذلك : نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام وهو نبى الله تعالى ورسوله فى أربعة مواضع :

أولها : قوله لأبيه إسحاق أنا ابنك « عيسو » وبكرك . فهذه كذبتان فى نسق لأنه لم يكن ابنه « عيسو » ولا كان بكره .

وثالثة[١٣٤]: قوله لأبيه : صنعت جميع ما قلت لى فاجلس وكل من صيدى فهذه كذبتان فى نسق ، لأنه لم يكن قال له شيئًا ولا أطعمه من صيده .

---

(١٣١) سورة البقرة : ٩ .
(١٣٢) سقطت كلمة [إلّا] فى (أ) . والمعنى : « أنك لا تجد من بين اليهود إلا الخبيث المخادع إلّا ما ندر منهم وشذ عن هذا السلوك .
(١٣٣) فى (أ ، ب) [وما أشبه هذه القضية إلا بحمق] .
(١٣٤) فى (أ) [وثانية] .

وكذبات أخر : وهى بطلان بركة إسحاق إذ قال له « تخدمك الأمم ، وتخضع الشعوب وتكون مولى إخوتك ، ويسجد لك بنو أبيك[١٣٥] » – وقوله لعيسو :

« ولأخيك تستعبد » وهذه كذبات متواليات ، والله ما خدمت الأمم قط « يعقوب » ولا بنيه بعده ، ولا خضعت لهم الشعوب ، ولا كانوا موالى إخوتهم ، ولا سجد لهم ولا له بنو أبيه بل بنو إسرائيل[١٣٦] خدموا الأمم فى كل بلدة وفى كل أمة ، وهم خضعوا للشعوب قديمًا وحديثًا فى أيام دولتهم وبعدها . فإن قالوا سيكون هذا قلنا لهم :

قد حصلتم على الصَّغار قديمًا[١٣٧] والأمانى بضائع السخفاء

هيهات :

تَرَجَّى ربيع أن ستحيا[١٣٨] صغارها بخير وقد أعيا ربيعًا كبارُها[١٣٩]

لا سيما مع تقضى جميع الآماد التى كانوا ينبئون بأنها لا تنقضى حتى يرجع أمرهم ، واعلموا أن كل أمة أدبرت فإنهم ينتظرون من العودة ، ويمنون أنفسهم من الرجعة بمثل ما تمنى به بنو إسرائيل أنفسها ، ويذكرون فى ذلك مواعيد كمواعيدهم ، فأمل كأمل ولا فرق ، كانتظار مجوس الفرس « بهرام هماوند » راكب البقرة ، وانتظار الروافض للمهدى[١٤٠]، وانتظار النصارى الذين ينتظرون فى السحاب ، وانتظار الصابئين أيضًا لقصة أخرى ، وانتظار غيرهم للسفيانى .

تمنٍّ يلذ المستهام بمثله وإن كان لا يغنى فتيلًا ولا يجدى
وغيظ على الأيام كالنار فى الحشا ولكنّه غيظ الأسير على القِدِّ[١٤١]

---

(١٣٥) فى (أ ، ب) [بنو أمك] .
(١٣٦) فى (أ ، ب) [بل بنو بنى إسرائيل] .
(١٣٧) فى (أ ، ب) [يقينا] .
(١٣٨) فى (ب) : [تحيا] .
(١٣٩) هذا البيت للراعى وصوابه :

أترجو ربيع أن يجىء صغارها بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

وقبله :

كأنَّ ربيعا فى عماية مسفر أآن دعاها للفساد حمارها

وقد أخذه من قول الفرزدق :

أترجو كليب أن يجىء صغارها بخير وقد أعيا كليبا كبارها

(١٤٠) ينقسم الروافض إلى خمس عشرة فرقة وكلها تنتظر مهْديا معينا ، وأكثر هذه الفرق غلوًّا الفرقة المحمُدية الذين ينتظرون محمد ابن عبد الله ابن الحسن بن على بن أبى طالب ، ولا يصدقون بقتله ولا بموته ، ويزعمون أنه فى جبل حاجر من ناحية نجد إلى أن يؤمر بالخروج ، وكان المغيرة ابن سعيد العجلى يقول لأصحابه : إن المهدىّ المنتظر هو محمد بن عبد الله بن الحسن ويستدل على ذلك بأن اسمه محمد كاسم رسول الله ﷺ ، واسم أبيه « عبد الله كاسم أبى رسول الله ﷺ ، وقال فى الحديث عن النبى عليه السلام قوله فى المهدى : « إن اسمه يوافق اسمى ، واسم أبيه اسم أبى » والمعروف عن المغيرة بن سعيد أنه من أهل الضلالة ومن وضاع الحديث الأمر الذى جعل خالد بن عبد الله القسرى يقتله ثم يصلبه (الفرق بين الفرق : للبغدادى – ص ٥٦ ، ٥٧ – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) .
(١٤١) فى (ب) : [الجد] .

وأما قوله [تكون مولى إخوتك ويسجد لك بنو أبيك] فلعمرى لقد صح ضد ذلك جهارًا ، إذ فى توراتهم أن « يعقوب » كان راعى ابن عمه « لابان » بن ناحور بن لامك وخادمه عشرين سنة ، وأنه بعد ذلك سجد له وجميع ولده حاش من لم يكن خلق منهم بعد لأخيه « عيسو » مرارًا كثيرة ، وما سجد « عيسو » قط ليعقوب قط[١٤٢] ولا ملك قط أحد من بنى يعقوب بنى عيسو ، وأن يعقوب تعبد لعيسو فى جميع خطاب له ، وما تعبد قط عيسو ليعقوب ، وسأله « عيسو » عن أولاده فقال له يعقوب : هم أصاغر منَّ الله بهم على عبدك ، وأن يعقوب طلب رضاء « عيسو » وقال له : « إنى نظرت إلى وجهك كمن نظر إلى بهجة الله فارض عنّى واقبل ما أهديت إليك[١٤٣] » . وأن عيسو بالحرّا[١٤٤] قبل هدية يعقوب حينئذ ، فما نرى عيسو وبنيه إلّا موالى يعقوب وبنيه ، وكذلك ملك بنو عيسو بإقرار توراتهم ميراثهم بساعير وهى جبال الشراة ، وبنو لوط ميراثهم بمواب وعمان ، قبل أن يملك بنو إسرائيل ميراثهم بفلسطين والأردن بدهرٍ طويل ، ثم لم يزالوا يتغلبون على بنى إسرائيل أو يساوونهم طول دولة بنى إسرائيل بإقرار كتبهم ، وما ملك بنو إسرائيل قط بنى عيسو ، ولا بنى لوط ، ولا بنى إسرائيل بإقرارهم ، ولقد بقى بنو عيسو وبنو لوط بإقرار كتبهم فى ميراثهم بساعير ومواب وعمان بعد هلاك دولة بنى إسرائيل ، وأخرجهم عن ميراثهم ثم ملكهم بنو إسماعيل إلى اليوم ، فما نرى تلك البركة كانت إلّا معكوسة . ونعوذ بالله من الخذلان ، ولكن حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث فى زعمهم أن تخرج معكوسة منكوسة .

فصل

ذكر خدمة يعقوب لخاله لابان

ثم ذكر أن يعقوب إذ مضى إلى خاله[١٤٥] « لا بان بن بثوال[١٤٦] » خطب إليه ابنته « راحيل » وقال له : أخدمك سبع سنين فى « راحيل » ابنتك الصغرى ، فقال له « لابان » : « أن[١٤٧] أعطيك إياها أحسن من أن أعطيها رجلًا آخر . أقم عندى » .

وخدم « يعقوب » فى « راحيل » سبع سنين ، وصارت عنده أيامًا يسيرة فى محبته لها ،

(١٤٢) سقطت كلمة [قط] فى (أ) .
(١٤٣) وفى التوراة الحالية : « بعد أن سجد يعقوب وزوجاته وأبناؤه لعيسو قال له : « إنى رأيت وجهك كما يرى وجه الله فرضيت على ، خذ بركتى التى أتى بها إليك : إصحاح : ٣٣ - ٩ - ١١) .
(١٤٤) فى (خ) [بالحزى] .
(١٤٥) فى النسخة (ب) [خله] .
(١٤٦) فى التوراة اسمه [لابان بن ناحور] راجع سفر التكوين - ٢٩ : ٥) .
(١٤٧) فى النسخة (أ) سقطت كلمة [أن] .

وقال « يعقوب » « للابان » : أعطنى زوجتى إذ قد كملت أيامى ، فأدخل بها ، وجمع « لابان » جميع أهل الموضع وصنع وليمة ، فلما كان بالعشى أخذ « ليئة » ابنته وزفها إليه ودخل بها ، فلما كان بالغد ورأى أنها « ليئة » قال « للابان » : ماذا صنعت ؟ أليس فى « راحيل » خدمتك ؟ فلم خدعتنى[١٤٨]؟ فقال : « لابان » : لا نصنع هكذا فى موضعنا : أن نزوج الصغرى قبل الكبرى ، أكمل أسبوع هذه ، وأعطيك أيضًا هذه بخدمة تخدمها سبع سنين أخرى ، وصنع « يعقوب » كذلك ، وأكمل أسبوع « ليئة » وأعطى راحيل ابنته لتكون له زوجه[١٤٩]»

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل آبدة[١٥٠] الدهر : وهى إقرارهم أن « يعقوب » عليه السلام تزوج « راحيل » ، فأدخلت عليه غيرها ، فحصلت « ليئة » إلى جنبه بلا نكاح ، وولد لها منه ستة ذكور وابنة ، وهذا هو الزنى بعينه ، أخذ امرأة لم يتزوجها بخديعة ، وقد أعاذ الله نبيه من هذه السوأة ، وأعاذ أنبياءه عليهم السلام « موسى وهارون وداود وسليمان » من أن يكونوا من مثل هذه الولادة ، وهذا يشهد ضرورة أنها من توليد زنديق متلاعب بالديانات .

فإن قالوا : لابد أنه قد تزوجها إذ يعلم أنها ليست التى تزوج . قلنا فعلى أن يسمح لكم بهذا فقد دخل بها بغير نكاح ، لأنه ذكر أنه لم يدر أنها « ليئه » إلا بالغداة ، وقد صرّح بالدخول بها ، إلا أن يقولوا : لم يدخل بها بل علم أنها ليست « راحيل » فإن قلتم هذا كذبتم النص ، فى قوله « دخل بها » فلما كان بالغداة « فليس لكم من الفضيحة بد ، وإن سكتُّم عن هذا[١٥١] فالنسخ ثابت ولابدّ ، لأن نكاح أختين معًا حرام فى توراتكم ، وقد قال لى بعضهم فى هذا لم تكن الشرائع نازلة من الله تعالى قبل موسى . فقلت هذا كذب ، أليس فى نص توراتكم : أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام : « كل دبيب حى يكون لكم أكله كخضراء العشب أعطيتكم ، لكن اللحم بدمه لا تأكلوه ، وأمّا دماؤكم فى أنفسكم فسأطلبها[١٥٢]» .

فهذه شريعة إباحة وتحريم ، قبل موسى عليه السلام .

(١٤٨) فى (خ) [فلمَ واريتنى ؟] .
(١٤٩) التوراة : سفر التكوين : الإصحاح : ٢٩ الفقرات من ٩ – ١٣) .
(١٥٠) الآبدة : الداهية التى تبقى أبدا [قاموس] .
(١٥١) سقط كلام كثير فى (أ ، ب) من أول [فقد دخل بها بغير نكاح إلى قوله : فليس لكم من الفضيحة بد وإن سكتم عن هذا] .
(١٥٢) سفر التكوين – الإصحاح التاسع ، الفقرات ٣ ، ٤ .

فصــل
عودة يعقوب من رحلته

وبعد ذلك ذكر أن « يعقوب » رجع من عند خاله « لابان » بنسائه[١٥٣] وأولاده قال : ولما أصبح أجاز[١٥٤] امرأتيه وجاريته وأحد عشر من ولده المخاضة ، وبقى وحده ، وصارعه رجل إلى الصبح ، فلما عجز عنه ضرب حُقّ فخذه فانخلع حقُّ فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال له خلّنى لأنه قد طلع الفجر ، قال : لست أدعك حتى تبارك علىّ ، فقال له كيف اسمك ؟ قال : « يعقوب » . قال له : لست تدعى من اليوم « يعقوب » بل « إسرائيل » من أجل أنك كنت قويًا على الله[١٥٥]، فكيف على الناس ؟ فقال له « يعقوب » : عرفنى باسمك . فقال له : لم تسألنى عن اسمى ؟. وبارك عليه فى ذلك الموضع ، فسمّى يعقوبُ ذلك الموضعَ « فنيئيل » وقال : رأيت الله تعالى مواجهة وسلمت نفسى ، وبزغت له الشمس بعد أن جاور « فنيئيل » وهو يعرج من رجله ولهذا لا يأكل بنو إسرائيل العقب الذى على حُقِّ الفخذ إلى اليوم ، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب لمسّ الله وانقباضه[١٥٦].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل شنعة عفت على كل ما سلف يقشعر منها جلود أهل العقول ، وبالله العظيم لولا أن الله عزَّ وجل قصَّ علينا كفرهم بقولهم « يد الله مغلولة[١٥٧]» وبقولهم : « إن الله فقير ونحن أغنياء[١٥٨]» لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم ، لكنا نحكيه منكرين له ، كما نتلوه فيما نصّه عزَّ وجل تحذيرًا من إفكهم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ذكر فى هذا المكان أن يعقوب صارع الله عزَّ وجل تعالى الله عن ذلك ، وعن كل شبهة لخلقه ، فكيف عن لعب الصراع الذى لا يفعله إلَّا أهل البطالة ؟! وأما أهل العقول فلا يفعلونه[١٥٩] لغير ضرورة ثم لم يكتفوا بهذه الشوهة[١٦٠] حتى قالوا : إن الله عز وجل عجز عن أن يصرع « يعقوب » بنص كلام توراتهم ، وحقق ذلك قولهم عن[١٦١] الله تعالى أنه قال له : « كنت قويًا على الله تعالى فكيف على الناس ؟! » .

---

(١٥٣) فى (ب) : [نسائه] بغير حرف الجر .
(١٥٤) أجاز : اجتاز بهم المخاضة .
(١٥٥) الذى فى التوراة الحالية : « لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت » (راجع الإصحاح ٣٢ من سفر التكوين - الفقرة ٢٨) .
(١٥٦) التوراة : سفر التكوين - الإصحاح : ٣٢ من ٢٢ إلى ٣٣) .
(١٥٧) سورة المائدة : ٦٤ .
(١٥٨) سورة آل عمران : ١٨١ .
(١٥٩) سقطت كلمة [يفعلونه] فى (ب) .
(١٦٠) فى (أ ، ب) [الشهرة] .
(١٦١) فى النسخة (أ) [من] بدلا من [عن] .

ولقد أخبرنى بعض أهل البصر(١٦٢) بالعبرانية أنه لذلك سمّاه إسرائيل . و« إيل » بلغتهم هو اسم الله تعالى بلا شك ولا خلاف . فمعناه « إسْرُ الله » تذكيرًا بذلك الضبط الذى كان بعد المصارعة ، إذ قال له : دعنى . فقال له « يعقوب » : لا أدعك حتى تبارك علىَّ . ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال فى كل محفل ، فثبتوا على أن نصَّ التوراة أن « يعقوب » صارع « الوهيم(١٦٣) » وقال : إن لفظ « الوهيم » يعبر بها عن الملك ، فإنما صارع مَلَكًا من الملائكة . فقلت لهم : سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة أن(١٦٤) فيه : « كنت قويًا على الله فكيف على الناس » ؟. وفيه أن « يعقوب » قال : « رأيت الله مواجهة وسلّمت نفسى(١٦٥) » . ولا يمكن ألبتة أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأى الملك ؟! ولا يبلغ من مَسّ الملك – كما نصَّ يعقوب أن يُحرِّم على بنى إسرائيل أُكل عروق الفخذ فى الأبد من أجل ذلك . وفيه : أنه سمّى الموضع بذلك « فنيئيل » لأنه قابل فيه « إيل » وهو الله عز وجل بلا احتمال عندكم .

ثم لو كان ملكًا كما تدعون عن المناظرة لكان أيضًا من الخطأ تصارع نبى وملك لغير معنى . فهذه صفة المتحدين فى العنصر(١٦٦) لا صفة الملائكة والأنبياء .

فإن قيل : قد رويتم أنّ نبيكم صارع « ركانة بن عبد يزيد(١٦٧) » . قلنا : نعم لأن « ركانة » كان من القوة بحيث لا يجد أحدًا يقاومه فى جزيرة العرب ولم يكن رسول الله ﷺ : موصوفًا بالقوة الزائدة فدعاه إلى الإسلام فقال له : إن صرعتنى آمنت بك ، ورأى أن هذا من المعجزات فأمره عليه السلام بالتأهب لذلك ، ثم صرعه للوقت وأسلم « ركانة » بعد مدة . فبين الأمرين فرق ، كما بين العقل والحمق ، ولكل(١٦٨) مقام مقال ، ولكن إذا أكل الملائكة عندكم كسر(١٦٩) الخبز حتى تشتد بها قلوبهم ، والشواء(١٧٠) واللبن والسمن والفطائر فما ينكر بعضهم للصراع مع الناس فى الطرقات ! ! وهذه مصائب شاهدة بضلالهم ، وخذلانهم وصحة اليقين بأن توراتهم مبدّلة .

(١٦٢) ل النسخة (أ) [البصرة] .

(١٦٣) الذى فى التوراة الحالية : « وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر » الإصحاح ٣٢ من سفر التكوين ، والظاهر أنهم كلما رأوا فيها معطما حاولوا تغييره وتبديله ، فيد التحريف جارية فيها من وقت إلى آخر .

(١٦٤) سقطت [أنْ] من النسخة « ب » .

(١٦٥) النص كما ل التوراة الحالية : « . . لأنى نظرت الله وجها لوجه ونُجِّيتْ نفسى » (الإصحاح ٣٢ من سفر التكوين فقرة ٣٠)

(١٦٦) ل (ح) [فهذه أخبار العيّارين فى العنصر] .

(١٦٧) هو ركانة بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصى القرشى . كان من مسلمة الفتح وكان من أشد الناس قوة ، وقد سأل رسول الله ﷺ . أن يصارعه ، وذلك قبل اسلامه ففعل ، وصرعه رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ مرتين أو ثلاثا ، طلق امرأته « سهيمة بنت عويمر » بالمدينة ألبتة ، فسأله رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ ما أردت بها ؟ فقال : أردت واحدة ، فردّها عليه النبى ﴿ ﷺ ﴾ توفى فى أول خلافة معاوية سنة ٧٢ هـ وفى (خ) [ركانة عبد يزيد] .

(١٦٨) ل النسخة (ب) [ولكن لكل مقام] .

(١٦٩) ل (أ ، ب) [كسور] .

(١٧٠) ل (أ ، ب) [والشاى] وهو تحريف ظاهر .

فصــل

الفصل المذكور أن الله تعالى قال ليعقوب : « لست تدعى من اليوم يعقوب لكن إسرائيل[١٧١]» .

ثم فى السفر الثانى من توراتهم : قال الله تعالى : « قل لآل يعقوب وعرف بنى إسرائيل[١٧٢]» . فقد سماه بعد ذلك « يعقوب » وهذه نسبة الكذب إلى الله تعالى .

فصــل

ثم قال : وبينا « إسرائيل » بذلك الموضع ضاجع رؤوبينُ ، بن ليئة سرّيةَ أبيه « بلهةَ[١٧٣]» وهى أم « دان » و« نفثالى » وهما أخواه ، وابنا يعقوب ثم أكد هذا بأن ذكر فى قرب آخر السفر الأول ذكر موت « يعقوب » عليه السلام ، ومخاطبته لبنيه ابنا ابنا ، وأن[١٧٤] يعقوب قال « لرؤوبين » ابنه : « إنك صعدت على سرير أبيك ، ووسخت فراشه ، وليس مما ابتذلت فراشى تخلص[١٧٥]» .

بعد أن ذكر فى توراتهم : « أن شكيم[١٧٦] بن حمور الحوى أخذ « دَيْنَة » بنت يعقوب عليه السلام ، واضطجع معها وأذلها ، ثم بعد ذلك خطبها إلى « يعقوب » أبيها ، إلى أن ذكر قتل « لاوى » و« شمعون » لحمور وشكيم[١٧٧] ابنه ، وجميع أهل مدينته ، وإنكار « يعقوب » على ابنيه قتلهما لهم[١٧٨].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : معاذ الله أن يخذل الله نبيه ولا يعصمه فى حرمة امرأته وابنته من هذه الفضائح ، ثم لا ينكر ذلك بأكثر من التعزير الضعيف فقط .

---

(١٧١) النص فى التوراة الحالية : « لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل » الإصحاح : ٣٢ من سفر التكوين فقرة ٢٩) .
(١٧٢) سفر الخروج - الإصحاح ٣ - الفقرات ١٥ ، ١٦) .
(١٧٣) سفر التكوين - الإصحاح : ٣٥ الفقرات ٣١ ، ٣٢) .
(١٧٤) سقطت [واو العطف] فى (ب) .
(١٧٥) النص كما فى التوراة الحالية : « رؤوبين أنت بكرى ، قوّتى وأول قدرتى ، فضلُ الرفعة وفضل العز فائرا كالماء لا تتفضل ، لأنك صعدت على مضجع أبيك ، حينئذ دنسته ، على فراشى صعد (سفر التكوين : الإصحاح ٤٩ الفقرات من ٣ ، ٤) .
(١٧٦) فى (خ) [سحيم] .
(١٧٧) فى (خ) [قتل لاوى وشمعون لسحيم وابنه] .
(١٧٨) التوراة : سفر التكوين - الإصحاح ٣٤ من ١ - ٣١) .

فصــل

بعد ذلك قال : « وأولاد يعقوب اثنا عشر فأولاد ليئة :رؤوبين بكر يعقوب ، وشمعون ، ولاوى ، ويهوذا ، ويساخر[١٧٩]، وزبولون ، وأبناء راحيل : يوسف وبنيامين . وابنا بلهة أمة راحيل : دان ، ونفثالى . وابنا زلفة أمة ليئة جادا[١٨٠] وأشير هؤلاء بنو[١٨١] يعقوب الذين ولدوا له بفدان آرام[١٨٢]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا كذب ظاهر ، لأنه ذكر قبلُ : أنّ بنيامين لم يولد ليعقوب إلّا « بأقراشا » بقرب بيت لحم على أربعة أميال من بيت المقدس بعد رحيله من « فدان آرام » بدهر . والله تعالى لا يتعمد الكذب ولا ينسى هذا النسيان .

فصــل

محبة يعقوب لابنه يوسف عليه السلام

وبعد ذلك قال : « وكان إسرائيل يحب يوسف لأنه كان ولد له فى شيخوخته[١٨٣]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه العلة توجب محبة بنيامين لأنه ولد له بعد يوسف بأزيد من ست سنين بنص توراتهم . وتوجب مشاركة « يساكر » و« زبولون » فى المحبة ليوسف لأنه ذكر قبل هذا أن يعقوب قال « للابان » خاله : « خدمتك عشرين سنة من ذلك أربع عشرة سنة لابنتيك وست سنين لأدواتك[١٨٤]» وذكر أن بعد سنين أعطاه « ليئة » ، وبعد سبعة أيام أعطاه « راحيل » ، لم يكن بينهما إلا سبعة أيام وهو أسبوع « ليئة » فقط ، وأن « ليئة » ولدت له « رؤوبين » ثم « شمعون » ثم « لاى » ثم « يهوذا » ثم قعدت عن الولد[١٨٥].

وأنَّ « راحيل » أعطت بعد ذلك يعقوب أمتها « بلهة » فتزوجها فولدت له « دانا » ثم « نفثالى » ثم أعطت « ليئة » أمتها « زِلْفَة » ليعقوب فتزوجها فولدت له « جادا » ثم « أشير » ثم

---

(١٧٩) فى النسخة (ب) [ويساكر] .
(١٨٠) فى النسخة (ب) [جاد] .
(١٨١) فى (خ) [أولاد] .
(١٨٢) التوراة : (سفر التكوين - الإصحاح ٣٥ الفقرات من ٢٣ - ٢٦) .
(١٨٣) التوراة : (سفر التكوين - الإصحاح : ٣٧ الفقرة : ٤) .
(١٨٤) التوراة : (سفر التكوين - الإصحاح ٣١ الفقرات من ٤١) .
(١٨٥) التوراة : (سفر التكوين : الإصحاح : ٢٩ الفقرات من ٢١ - ٣٥) .

أطلقت له « راحيل » مماسة « ليئة » فى لُفّاح[١٨٦] أخذته منها فولدت له « راحيل » « يوسف » . ثم بعد ولادة « يوسف » ابتدأ « يعقوب » بمعاملة خاله « لابان » على أجرة ذكرها لرعاية غنمه فرعاها له ست سنين ، هذا كله نص توراتهم ، فصح أنّ « يوسف » كان له عند تمام الست سنين ست سنين فقط بلا شك . وأن جميع أولاد يعقوب حاشا بنيامين فإنما ولدوا ولابدّ فى السبع سنين التى كانت قبل الست سنين المذكورة بلا شك . والأولاد سبعة ، ففى كل عشرة أشهر ولدت ولدًا لا يمكن أقل من هذا فلا شك فى أن « زبولون » لا يزيد على « يوسف » إلّا سنة واحدة فقط ، ولا يزيد عليه « يساكر » إلا سنتين فقط ، وأقل[١٨٧] من هذا على أن تلغى[١٨٨] المدة التى ذكرنا أن « ليئة » قعدت فيها عن الولد ، والمدة التى اعتزلها فيها « يعقوب » ولابدّ أن لها مقدارًا ما . فعلى هذا « فزبولون » و«يوسف » ولدا معا ، والمدة المذكورة تضيق عن هذه القسمة . ففى هذا الخبر كذب مقطوع به ضرورة ولابدّ . ولا يجوز قليل الكذب ولا كثيره على الله تعالى ، ولا على الأنبياء . فصح أنها مفتعلة مبدلة ولو كان لهذا الخبر وجه وإن غمض ، ومخرج وإن بعد، أو أمكنت فيه حيلة أو ساغ فيه تأويل ما ذكرناه . ونسأل الله تعالى العافية .

وفى توراتهم عند ذكر أولاد « عيسو » خبال شديد ، وتخليط فى الأسماء والوالدات ، إلّا أنه ربما خُرِّج على وجوه بعيدة ضعيفة ، فلم نعتن بإيراده لذلك . ولكن نبهنا عليه فالأظهر الأغلب فيه الكذب وأنه إيراد جاهل بتلك القضية بلا شك . وبالله تعالى نستعين .

فصــل

ذكر بيع يوسف عليه السلام

ثم ذكر بيع إخوة يوسف ليوسف ، وأن إخوته كانوا مجتمعين حينئذ يرعون أذوادهم[١٨٩]. ثم قال : « وفى ذلك الزمان اعتزل «يهوذا » عن إخوته وكان مع رجل من أهل « عَدُلّام » يدعى اسمه « حيرة » فبصر فى ذلك الموضع بابنة رجل كنعانى اسمه « شوع » فتزوجها وضاجعها فحملت وولدت ولدًا اسمه « عيرا » ثم حملت ووضعت ثانيًا وسماه « أونان[١٩٠]» ، ثم حملت ووضعت وسمته

(١٨٦) فى (ح) [فى تفاح] فى التوراة : « أن رؤوبين فى أيام حصاد الحنطة وجد لفّاحا فى الحقل وجاء به إلى ليئة أمه ، فقالت راحيل لليئة أعطنى من لفاح ابنك ، فقالت لها أقليل أنك أخذت رجلى فتأخذين لفّاح ابنى أيضا ، فقالت راحيل إذاً يضطجع معك الليلة عوضا عن لفاح ابنك (الإصحاح : ٣٠ الفقرات من ١٤ - ١٦) .

(١٨٧) سقطت [من] فى (ب) .

(١٨٨) فى النسخة (ب) [تلفى] بالفاء المقصورة .

(١٨٩) التوراة : (سفر التكوين - الإصحاح : ٣٧) .

(١٩٠) فى النسخة (ب) [أونان] بزيادة الواو بعد الهمزة .

« شيلة » ثم أمسكت عن الولد فزوج « يهوذا » « عيرا » بكر ولده امرأة ، وكان « عيرا[١٩١]» بكر « يهوذا » مذنبًا بين يدى السيد ، ولذلك قتل . فقال « يهوذا » لابنه « أونان » : « ادخل إلى امرأة أخيك وضاجعها[١٩٢] لتحيى نسله » فلما علم أنه لا ينسب إليه مَنْ ولد منها دخل إلى امرأة أخيه وكان يعزل عنها لئلا يولد لأخيه منه ، ولذلك أهلكه السيد للفاحشة التى اطلع عليها منه فعند ذلك قال « يهوذا » « لثامار » كَنَّتِه[١٩٣] كونى أرملة فى بيت أبيك إلى أن يكبر ابنى « شيله » . وكان يتوقع أن يصيبه من الموت ما أصاب أخاه إن ضاجعها ، فسكنت فى بيت أبيها ، وبعد أيام كثيرة توفيت بنت « شوع » امرأة « يهوذا » فتصبَّر « يهوذا » وتسلى عن حزنها[١٩٤]. وتوجه إلى جُزَّازِ أغنامه مع « حيرة » صديقه العَدُلَّامِى إلى « تِمْنَة » . وقيل « لثامار » إن ختنك صاعد إلى « تِمْنَة[١٩٥]» ليجُزَّ أغنامه ، فألقت عن نفسها ثياب الأرامل وتقنعت وقعدت فى مجمع الطرق المسلوكة الى « تمنة » فعلت ذلك مذ كبر « شيلة » ولم تزوج منه . فلما رآها « يهوذا » ظنها زانية ، وكانت غطت وجهها لئلا تعرف فمال إليها ، وقال : ائذنى لى فى مضاجعتك ، وكان يجهل أنها كنته . فقالت له : ماذا تعطينى إن أمكنتك من مضاجعتى ؟ قال لها : أبعث إليك جديًا من الغنم ، فقالت : نعم ، إن أعطيتنى رهنًا إلى أن تبعث ما وعدت . فقال لها « يهوذا » : وما أرهنه لك ؟ قالت : ارهن لى خاتمك وحزامك ، والعصا التى بيدك فحبلت من مضاجعة واحدة ، ثم انطلقت وألقت الشكل التى كانت فيه ، وعادت إلى شكل الأرامل ، وبعث « يهوذا » الجدى مع صديقه العَدُلَّامى ليأخذ من المرأة الرهن الذى وضعه عندها . فسأل عنها إذ لم يجدها من سكان ذلك الموضع . فقال : أين المرأة القاعدة فى مجمع الطرق ؟ فقالوا له : لم تكن فى هذا الموضع زانية ، فانصرف إلى « يهوذا » فقال له : لم أجدها . وقال لى سكان ذلك الموضع لم تكن هاهنا زانية . فقال له « يهوذا » تأخذ ما عندها مخافة أن تكون ضحكة فإنى قد أرسلت الجدى إليها ، وأنت تقول لم أجدها .

وبعد ثلاثة أشهر قيل ليهوذا : إنَّ كنَّتك « ثامار » قد زنت ، وقد بدا بطنها يظهر . فقال « يهوذا » أخرجوها لتحرق ، فلمّا أخرجت بعثت إلى « يهوذا » إنما حبلت من الذى له هذا .

---

(١٩١) [عير] فى (ب) بغير مدّ . وفى (خ) [عُيَيْر] .

(١٩٢) الذى فى التوراة الحالية [وتزوّج بها ، وأقم نسلًا لأخيك] (الإصحاح ٣٨ الفقرات من ٦ الخ) من سفر التكوين ، وواضح اختلاف التعبير بين و (ضاجعها) وبين (وتزوج بها) مما يدل على أن اليهود يحرصون على التحريف دائما .

(١٩٣) الكَنَّة : زوجة الإبن .

(١٩٤) فى (أ ، ب) : [عنه] . والمعنى : وتسلّى عن حزنه عليها .

(١٩٥) قال صاحب معجم البلدان : « تمنة » : أرض إذا انحدرت إلى « هرش » تريد المدينة صرت فى « تمنة » وبها جبال يقال لها « البيض » (معجم البلدان حـ ٢ ص ٤٦) .

فاعرف هذا الخاتم والزنار والعصا . فلما عرف : قال : هى أعدل منى إذ منعتها « شيلة » ولدى . ولم يضاجعها بعد ذلك .

فلما أدركتها الولادة ظهر فيها توأمان ، ففى وقت خروجهما بدر أحدهما وأخرج يده ، فربطت القابلة فى يده خيطًا أرجوانا ، وقالت هذا يخرج أولا . فأدخل يده إلى نفسه وأخرج الولد الآخر . فقالت له القابلة : لم افترصت[١٩٦] أخاك ، فسمى « فارصا » وبعده خرج الذى ربط فى يده الخيط الأرجوان ، وسمى « زارح[١٩٧] » . تم الفصل .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) . ثم بعد فصول وقصص ذكر أولاد يعقوب المولودين بالشام الذين دخلوا معه مصر إذ بعث يوسف عليه السلام فيهم كلهم . فذكر « يهوذا » وبنيه الثلاثة الأحياء « شيلة » و « فارص » و « زارح » . وذكر لفارص هذا نفسه اثنين ، وهما « حصرون » و « حامول » ابنا « فارص » بن « يهوذا » المذكور .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ففى هذا الكلام عار وفضيحة مكذوبة وكذب فاحش مفرط القبح ؛ فأمّا العار فالذى ذكر عن « يهوذا » من طلبه الزنى بامرأة لقيها فى الطريق على أن يعطيها جديًا ، ثم جوره فى الحكم عليها بالحرق ، فلما علم أنه صاحب الخَصْلَة[١٩٨] أسقط الحكم عن نفسه وعنها .

ثم شنعة أخرى وهى قوله : إن « ونان »[١٩٩] بن « يهوذا » لما عرف أنه لا ينسب إليه من يولد له من امرأته التى تزوجها بعد موت أخيه جعل يعزل عنها . وهذا عجب جدًّا أن تلد امرأة رجل من زوجها من لا ينسب إليه لكن إلى غيره ممن قد مات قبل أن يتزوجها هذا . فلعل فيهم الآن ولادات وأنساب فى كتبهم مثل هذه .

فهذه والله أمور سمجة .

ثم دع « يهوذا » فليس نبيًا ، ولا ينكر ممن ليس نبيًا مثل هذا ، إنما الشأن كله والعجب فى أنهم مطبقون بأجمعهم قطعًا على أن « سليمان بن داود » عليهما السلام ابن « إشماى » ابن « عونين » بن « يوغز » بن « بشاى » بن « مخشون » بن « عمينا ذاب » ابن « نورام »[٢٠٠] بن « حصرون » بن « فارص » المذكور بن « يهوذا » فجعلوا الرسولين الفاضلين مولودين من تلك

---

(١٩٦) افترصت : بالصاد المهملة أى انتهزت الفرصة ، والفرصة فى اللغة النهزة يقال وجد فلان فرصة ، وانتهز فلان الفرصة : اغتنمها وفاز بها .

(١٩٧) التوراة : (سفر التكوين : الإصحاح : ٣٨) .

(١٩٨) الخصلة : بفتح الخاء : الخلة والصفة ، وبالضم : لفيفة من الشعر .

(١٩٩) فى النسخة (ب) [أونان] .

(٢٠٠) فى (خ) [ابن أرم] .

لولادة الخبيثة راجعين إلى ولادة الزنى .

ثم أقبح ما يكون من الزنى رجل مع امرأة ولده – حاش لله من هذا الإفك المفترى !! ولقد قال لى بعضهم إذ قررته على هذا الفصل : إن هذا كان مباحًا حينئذ ، فقلت له فلم امتنع من مضاجعتها بعد ذلك ؟ وكيف يكون مباحًا وهى لم تعرفه بنفسها ولا عرفها عند تلك المعاملة الخبيثة بالجدى المسخوط ، والرهن الملعون ؟ وإنما وطئها على أنها زانية ، إذ اغتلم[٢٠١] إليها لا على أنها امرأة الميت ولده ، إلّا إن قلتم إن الزنى جملة كان مباحًا حينئذ فقد قرت عيونكم فسكت خزيان كالحا .

وتالله ما رأيت أمة تقر بالنبوّة وتنسب إلى الأنبياء ما ينسبه هؤلاء الأنذال الكفرة[٢٠٢]، فتارة ينسبون إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوج أخته فولدت له إسحاق عليهما السلام[٢٠٣]. ثم ينسبون إلى « يعقوب » أنه تزوج إلى امرأة فدست إليه أخرى ليست امرأته فولدت له أولادًا منهم انتسل « موسى » و « هارون » و « داود » و « سليمان » وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام[٢٠٤]. ثم ينسبون إلى « روبان » بن « يعقوب » أنه زنى بربيبته زوج النبى أبيه ، وأم أخويه[٢٠٥]، ثم ينسبون إلى أبيه[٢٠٦] « يعقوب » عليه السلام أنه فسق بها كرها ، وافتضها غلبة . ثم ينسبون إلى « يهوذا » ما ذكرنا من زناه بامرأة ولديه . فحبلت وولدت من الزنى ولدًا منه انتسل « داود » و « سليمان » عليهما السلام[٢٠٧]. ثم ينسبون إلى « يوشع بن نون » أنه تزوج « رحب » الزانية المشهورة الموقفة نفسها للزنى لكل من دبّ ودرج[٢٠٨] فى مدينة « أريحا » . ثم ينسبون إلى « عمران بن فهث ابن لاوى » أنه تزوّج عمته أخت والده واسمها « يوحانذ » ولدت لجده بمصر فولد له منها « هارون وموسى » عليهما السلام . هكذا ذكر نسبها فى قرب آخر السفر الرابع[٢٠٩] ثم ينسبون إلى داود عليه السلام أنه زنى جهارا بامرأة رجل من جنده محصنة وزوجها حى . وأنها ولدت منه من ذلك الزنى ابنا ذكرا ، ثم مات ذلك الفرخ الطيب ثم تزوجها ، وهى أم سليمان بن داود عليهما السلام . ثم ينسبون إلى « أمنون » بن داود عليهما السلام أنه فسق بسرارى أبيه علانية أمام الناس ، ثم ينسبون إلى سليمان عليه السلام العهر ، وأنه تزوج نساء لا يحل له زواجهن ، وأنه بنى لهن بيوت الأوثان ،

---

(٢٠١) اغتلم : هاجت شهوته .
(٢٠٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « الأنذال » .
(٢٠٣) سفر التكوين – الإصحاح ١٧ – الفقرة ١٩ .
(٢٠٤) سفر التكوين – الإصحاح ٢٩ – الفقرات ٢١ – ٣٥ .
(٢٠٥) سفر التكوين – الإصحاح ٤٩ – الفقرة ٣ – ٥ .
(٢٠٦) فى (أ ، ب) : [نبيه] .
(٢٠٧) سفر التكوين – الإصحاح ٣٨ – الفقرات (١٢ – ٢٦) .
(٢٠٨) فى (أ ، ب) : [لكل من هبَّ ودب] (سفر يشوع – الإصحاح السادس – ٢٥ .
(٢٠٩) النص كما فى الإصحاح الثانى من سفر الخروج : « وذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى فحبلت المرأة وولدت ابنا ، ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر ، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد أخذت له سَفَطا من البردى وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ، ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر . . (الفقرات من ١ إلى ١٠) وفى موضع آخر من الإصحاح السادس سفر الخروج الفقرات ٣٠ ، ٣١ « وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى » .

وقرّب لهن القرابين للأوثان . مع ما ذكرنا قبل ، ونذكر إن شاء الله تعالى من نسبتهم الكذب إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام . ولكن أين هذا مما فى توراتهم من نسبتهم لعب الصراع إلى الله تعالى مع « يعقوب » ، والكذب المفضوح(٢١٠) فيما وعده وأخبر به ، فعلى من يصدق بشىء من كل هذا الإفك لعنة الله وغضبه ، فاعجبوا لعظيم كفر هؤلاء القوم ، وما افتراه الكفرة أسلافهم الأنتان على الله تعالى وعلى رسله عليهم السلام . ثم على كل كتاب حقق فيه شىء من هذا ، وعلى كاتبه لعنة الله وغضبه عدد كل شىء خلق الله . فاحمدوا الله معاشر المسلمين على ما هداكم له من الملة الزهراء التى لم يشبها تبديل ولا تحريف ، والحمد لله رب العالمين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وأما الكذبة الفاحشة المفضوحة التى هى من المحال المحض ، والافتراء المجرد فهى ما أذكره إن شاء الله تعالى ، فتأملوه تروا عجبًا .

ذكر فى توراتهم نصًا : أنَّ « يهوذا بن يعقوب » كان مع إخوته يرعون أذوادهم إذ باعوا أخاهم « يوسف » وأن « يهوذا » أشار عليهم ببيعه وإخراجه من الجب ليخلصه بذلك من الموت . ثم ذكر بعد ذلك أن « يهوذا » اعتزل عن إخوته وصار مع « حيرة العدلامى » ، ورأى ابنة رجل كنعانى اسمه « شوع » فتزوجها ، وولدت له ولدًا اسمه « عير(٢١١) » ثم ولدًا آخر اسمه « أونان » ، ثم ولدًا آخر اسمه « شيلة » كما ذكرنا آنفًا حرفًا حرفًا . وذكر بعد ذلك : أن « عير » تزوج امرأة اسمها « ثامار » ودخل بها وكان مذنبًا ولذلك قتله الله تعالى . فزوجها من أخيه « أونان » فكان يعزل عنها فمات لذلك ، وبقيت أرملة ليكبر « شيلة » وتَزَوَّجُ منه ، وأن « شيلة » كبر ولم تزوج منه . وقد اعترف بذلك « يهوذا » إذ قال : هى أعدل منى إذ منعتها « شيلة » ابنى ، وذكر بعد ذلك أنها تحيّلت حتى زنت « بيهوذا » نفسه والد زوجها وحبلت منه ، وولدت منه توأمين « فارص » و « زارح » كما ذكرنا قبل . ثم ذكر بعد ذلك نسل يعقوب وأولاد أولاده المولودين بالشام ، ودخلوا معه مصر فذكر فيهم « حصرون » و « حامول » ابنى فارص بن يهوذا ، فاضبطوا هذا .

وذكر فى توراتهم : ان يوسف عليه السلام إذ بلغ ست عشرة(٢١٢) سنة كان يرعى ذودًا مع إخوته عند أبيه ، وأنهم باعوه ، فصح أنه كان ابن سبع عشرة سنة إذ باعوه ، وهكذا ذكر فى توراتهم .

---

(٢١٠) فى (خ) [والكذب المحض] .
(٢١١) فى (خ) [عُيَير] .
(٢١٢) فى (خ) [سبع عشرة سنة] وفى التوراة فى (الإصحاح السابع والثلاثين من ١ – ٥ سفر التكوين) : سبع عشر سنة أيضا .

ثم ذكر فى توراتهم : أن « يوسف » عليه السلام كان إذ دخل على فرعون وفسر له رؤياه فى البقرات والسنابل وولاه أمر مصر ابن ثلاثين سنة[٢١٣].

ثم ذكر فى توراتهم : أن « يوسف » عليه السلام كان إذ دخل أبوه يعقوب مصر مع جميع أهله ابن تسع وثلاثين سنة . هذا منصوص فيها بلا خلاف من أحد منهم . فصح يقينًا أنه لم يكن بين دخول يعقوب مع نسله مصر ، وبين بيع يوسف إلا اثنان وعشرون سنة وربما أشهر يسيرة زائدة لا أقل ولا أكثر . هذا حساب ظاهر لا يخفى على جاهل ولا عالم .

وقد ذكر فى توراتهم أن فى هذه المدة تزوج « يهوذا » بنت « شوع » وولدت له ولدًا ثم ثانيًا ثم ثالثًا[٢١٤]. وأن الأكبر بلغ فزُوِّج زوجة ثم مات بعد دخوله بها ، فزُوِّجت بعده من أخيه فكان يعزل عنها فمات ، وبقيت مدة حتى كبر الثالث ولم تزوّج منه[٢١٥] فزنت « بيهوذا » والد زوجها فولد له منها توأمان[٢١٦] ثم وُلِد لأحد ذينك التوأمين ابنان وهذا محال ممتنع لا خفاء به ، ولا يمكن ألبتة فى طبيعة بشر ولا سبيل إليه فى الجبلة والبنية بوجه من الوجوه .

هبك أن « يهوذا » اعتزل عن إخوته ، وتزوج بنت شوع بإثر بيع يوسف بيوم وحبلت زوجته ، وولدت له الولد الأكبر فى عامها الثانى ، ثم الثانى فى عام آخر ثم الثالث فى عام ثالث .

وهبك أن الأكبر زُوِّج وله اثنا عشر عاما فهذه ثلاثة عشر عامًا[٢١٧] من جملة اثنين وعشرين عاما وبقى معها ما بقى . ثم زوجت من الثانى وله اثنا عشر عامًا فبقى يعزل عنها لئلا ينسب إلى أخيه من يولد له منها ، ثم مات وبقيت تنتظر أن يكبر « شيلة » وتَزَوَّج منه ، حتى طال عليها ، ورأت أنه قد كبر ولم تزوج منه . وهذا لا يكون ألبتة فى أقل من عام . فهذه أربعة عشر عامًا . ثم زنت « بيهوذا » فحملت فولدت ، فهذا عام أو أقل بيسير ، فلم يبق من الاثنين وعشرين عامًا إلا سبعة أعوام إلى ثمانية أعوام لا أكثر ألبتة . فمن المحال الممتنع فى العقل أن يوجد لرجل ابن ثمان سنين أو سبع سنين ولدان ؟!

ما رأيت أجهل بالحساب من الذى عمل لهم التوراة . وحاش لله أن يكون هذا الخبر البارد الكاذب عن الله تعالى أو عن موسى عليه السلام ، ولا عن إنسان يعقل ما يقول ، ويستحى من تعمد الكذب الفاضح . ونسأل الله العافية .

---

(٢١٣) التوراة - (سفر التكوين - الإصحاح ٤١ الفقرات من ٤٦ الخ) .
(٢١٤) التوراة - سفر التكوين - (الإصحاح ٣٨ - الفقرات من ١ - ٦) .
(٢١٥) الإصحاح ٣٨ - الفقرات من ٨ - ١٢) .
(٢١٦) المرجع السابق من ١٣ - ٣٠ .
(٢١٧) فى (أ ، ب) سقطت [فهذه ثلاثة عشر عاما] .

فصــل

أولاد يعقوب المولودين بالشام

وبعد ذلك ذكر عدد بنى يعقوب المولودين بالشام عند خاله « لابان » الداخلين معه مصر ، فذكر الذين ولدت له « ليئة » وهم ستة ذكور ، وابنة واحدة . وذكر أولاد هؤلاء الستة وسماهم ، فذكر لرؤوبين أربعة ذكور . ولشمعون ستة ذكور ، وللاوى ثلاثة ذكور . و « ليهوذا » ثلاثة ذكور ، وابنى ابن له . فهم خمسة ، و « ليساخر » : أربعة ذكور ، و « لزابلون » ثلاثة ذكور ، المجتمع من بنى « ليئة » ستة ذكور وابنة سابعة ، وخمسة وعشرون أولاد الأولاد فهؤلاء اثنان وثلاثون ، وقال[٢١٨] فى نص توراتهم بعقب تسميتهم :

« هؤلاء بنو ليئة ، وعدد أولادها وبناتها ثلاثة وثلاثون[٢١٩]» ، هكذا نص توراتهم . وهذا خطأ فى الحساب تعالى الله عن أن يخطىء فى الحساب أو أن يخطىء فيه موسى عليه السلام . فصح أنها من توليد جاهل غث أو من عابث سخر بهم ، وكشف سوءاتهم .

فصــل

ثم ذكر بعد هذا أولاد « راحيل » فذكر « يوسف » و « بنيامين » وبنيهما قال : وهم أربعة عشر ذكرًا ، أولاد « زلفى » : « عاد » و « أشار » وبنيهما قال : وهم ستة عشر . وذكر أولاد « بلهة » : « دان » و « نفتالى » وبنيهما . وقال : وهم سبعة . ثم وصل ذلك بأن قال : وعدد نسل « يعقوب » الذين دخلوا معه مصر سوى نساء أولاده ستة وستون . وابنا[٢٢٠] يوسف اللذان ولدا له بمصر اثنان . فجميع الداخلين إلى مصر سبعون[٢٢١].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا خطأ فاحش لأن المجتمِعَ من الأعداد المذكورة تسعة وستون[٢٢٢]، فإذا أسقطت منهم ولدى يوسف اللذين ولدا له بمصر بقى سبعة وستون ، وهو يقول : ستة وستون . فهذه كذبة . ثم قال : فجميع الدّاخلين معه إلى مصر سبعون ، فهذه كذبة ثانية .

---

(٢١٨) فى (أ ، ب) سقط الكلام من أول [ستة ذكور إلى وقال] .
(٢١٩) التوراة – (سفر التكوين – الإصحاح ٤٦ الفقرات من ٨ – ١٦) .
(٢٢٠) فى النسخة (ب) : [وأبناء] .
(٢٢١) سفر التكوين – الإصحاح ٤٦ – الفقرات من ١٩ – ٢٧) .
(٢٢٢) لأن أولاد ليئة : ٣٢ ، وأولاد راحيل وزلفى وبلهة : ٣٧ فيكون مجموعهم ٦٩ .

وقد قلنا(٢٢٣) إن الذى عمل لهم التوراة كان ضعيف البصارة بالحساب وليست هذه صفة الله عزّ وجل ، ولا صفة من معه مسكة عقل تردعه عن الكذب وتعمده على الله تعالى ، وعن تكلف ما لا يحسن ولا يقوم به .

وذكر فى هذا الفصل قصة أخرى فيها الاعتراض إلّا أنها تُخرَّج على وجه مّا فلذلك لم نفرد لها فصلًا .

وهى : أنه ذكر أولاد « بنيامين » فقال : « بالع » و« باكر » و« أشبيل » و« أجير(٢٢٤) » و« نعمان » و« أيجى » و« روش » و« مُفّيم » و« حُفّيم » و« أرْد(٢٢٥) » .

فصل

بركة يعقوب عليه السلام لأولاده

ثم ذكر بركة « يعقوب » عليه السلام على بنيه ، وأنه وضع يده اليمنى على رأس « أفرايم » ابن « يوسف » ، واليسرى على رأس « مَنَسَّى » بن « يوسف » ، وأن ذلك شق على « يوسف » عليه السلام ، وقال لا يحسن هذا يا أبت لأن هذا بكر ولدى فاجعل يمينك على رأسه ، يعنى مَنَسَّى ، فكره ذلك « يعقوب » وقال : علمت يا بنى ، علمت وستكثر ذرية هذا وتعظم ، ولكنّ أخاه الأصغر يكون أكثر نسلًا وعددًا(٢٢٨). يعنى أن « أفرايم » يكون عدد نسله أكثر من عدد « منسى » .

ثم ذكر فى مصحف(٢٢٩) « يوشع أن بنى « مَنَسَّى » كانوا إذا دخلوا الشام وقسمت

---

(٢٢٣) فى (أ ، ب) : [قدّمنا] .
(٢٢٤) فى النسخة (ب) [جير] وفى التوراة (جيرا) (سفر التكوين - الإصحاح ٤٦ - الفقرات من ١٩ - ٢٣) .
(٢٢٥) فى النسخة (ب) [ارد] بالراء المهملة .
(٢٢٦) فى النسخة (ب) [وأبناء] .
(٢٢٧) سفر العدد - الإصحاح ٢٦ - الفقرات من ٣٨ - ٤٢) .
(٢٢٨) التوراة : (سفر التكوين - الإصحاح ٤٨ الفقرات من ١٢ - ٢٠) .
(٢٢٩) يطلق عليه (سِفر) فى الكتاب المقدس .

عليهم الأرض اثنين وخمسين ألف مقاتل وسبعمائة . وأن بنى « أفرايم » كانوا حينئذ اثنين وثلاثين ألفًا وخمسمائة ، وذكر فى كتاب لهم مُعظَّم عندهم اسمه « سفطيم[٢٣٠]» أنه ذكر بنى إسرائيل قبل داود عليه السلام أربعة من ملوك بنى « منسى » وأربعة من بنى « أفرايم » ، وأن من جملة بنى « منسى » المذكورين رجلًا اسمه « مفتاح بن علفاذ » قتل من بنى « أفرايم » اثنين وأربعين ألف مقاتل حتى كاد يستأصلهم ، وفى كتاب لهم آخر معظَّم عندهم أيضًا اسمه « ملاخيم[٢٣١]» : أنه ملك عشرة أسباط[٢٣٢] من بنى إسرائيل بعد سليمان عليه السلام ، إلى أن ذهب الأسباط المذكورون وسبوا من بنى « أفرايم » ملكين كانت مدتهما جميعًا ستة وعشرين سنة فقط . وهما « باريعام » وابنه « باباط » ووليهم من بنى « منسى[٢٣٣]» خمسة ملوك ، واتصلت دولتهم مائة عام وعامين وهما « زحريا » بن « باريعام[٢٣٤]» بن « نواس[٢٣٥]» بن « يهويا[٢٣٦]» « حار[٢٣٧]» بن « يهو[٢٣٨]» كلهم ملك ابن ملك ابن ملك ابن ملك ابن ملك ، ولم يكن فيمن ملك الأسباط العشرة أقوى ملكًا من هؤلاء المنسانين[٢٣٩]، وهذا ضد قول « يعقوب » الذى حكوه عنه . وحاش لله أن يكذب نبى فيما ينذر به عن الله عز وجل .

فإن قالوا : إن « يوشع » بن « نون » و« دبور » أنسه ، وميخا المورشى النبى كلهم كان من بنى « أفرايم » ، وكان بنو « أفرايم » إذا أخرجوا من مصر أربعين ألف مقاتل ، وخمسمائة مقاتل ومائتى مقاتل . وكان بنو « منسى[٢٤٠]» يومئذ اثنين وثلاثين ألف مقاتل ومائتى مقاتل . قلنا لم تذكروا أن « يعقوب » قال : « يكون الشرف فى نسل أفرايم » . إنما حكيتم أنه قال : إن « أفرايم » يكون أكثر نسلًا وعددًا من « منسى[٢٤١]» على التأبيد والعموم ، وإيصال البركة لا على وقت خاص قليل ، ثم يعود الأمر بخلاف ذلك فتبطل البركة ، ويصير المبارك مدبرًا ، والمدبر مباركًا فى الأبد .

---

(٢٣٠) فى (خ) [شفطيم] بالشين .
(٢٣١) فى التوراة الحالية (اسمه ملاخى] .
(٢٣٢) الأسباط : جمع سِبْط بكسر السين ، وهم ولد الولد ، والأسباط من بنى إسرائيل كالقبائل من العرب .
(٢٣٣) فى النسخة (أ) [منشا] بالشين .
(٢٣٤) فى النسخة (أ) [بريعم] .
(٢٣٥) فى النسخة (أ) [يؤاش] .
(٢٣٦) فى النسخة (ب) [نهريا] .
(٢٣٧) فى النسخة (أ) [حاز] .
(٢٣٨) فى النسخة (ب) [بهو] بالباء .
(٢٣٩) فى النسخة (أ) [المنشانين] .
(٢٤٠) فى النسخة (أ) [منشا] .
(٢٤١) النص كما فى التوراة : فلما رأى يوسف أن أباه وضع يده اليمنى على رأس أفرايم ساء ذلك فى عينه فأمسك بيد أبيه لينقلها عن رأس « أفرايم » إلى رأس « منسى » وقال يوسف لأبيه : ليس هكذا يا أبى لأن هذا هو البكر ، ضع يمينك على رأسه فأبى أبوه وقال : علمت يا ابنى علمت ، هو أيضا يكون شعبا وهو أيضا يصير كبيرًا ، ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه ، ونسله يكون جمهورًا من الأمم . . الخ (سفر التكوين : الإصحاح ٤٨ الفقرات من ١٧ – الخ الإصحاح) .

فصــل

ثم ذكر عن « يعقوب » عليه السلام أنه قال لرؤوبين فى ذلك الوقت : أنت أول المواهب مفضل فى الشرف ، مفضل فى العز ، ولا تَفْضُل منهملة ماء[٢٤٢].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا كلام يكذب أوَّله آخره .

فصــل

تنبأ التوراة بإعطاء أولاد يهوذا القيادة

ثم ذكر أنه عليه السلام قال « ليهوذا » حينئذ : لا تنقطع من « يهوذا » المخصرة[٢٤٣] ولا من نسله قائد حتى يأتينى المبعوث الذى هو رجاء الأمم[٢٤٤].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا كذب قد انقطعت من ولد « يهوذا » المخصرة وانقطعت من نسله القواد ، ولم يأت المبعوث الذى هو رجاؤهم . وكان انقطاع الملك من ولد « يهوذا » من عهد « بخت نصر » مذ أزيد من ألف عام وخمسمائة عام إلا مدة يسيرة ، وهى مدة « زربائيل » بن « صلتائيل[٢٤٥]» فقط . وقد قررت على هذا الفصل أعلمهم وأجدلهم ، وهو « أشموال بن يوسف اللاوى » الكاتب المعروف بابن النغرال[٢٤٦] فى سنة أربع وأربعمائة فقال لى لم تزل رءوس الجواليت[٢٤٧] ينتسلون من ولد داود وهم من بنى « يهوذا » وهى قيادة وملك ورياسة ، فقلت هذا خطأ لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود ولا من غيرهم ، وإنما هى

---

(٢٤٢) النص كما جاء فى التوراة : . . . رأوبين : أنت بكرى ، قوّتى وأول قدرتى ، فضل الرفعة وفضل العز فائرًا كالماء لا تتفضل : لأنك صعدت على مضجع أبيك ، حينئذ دنسته على فراشى صعد » . (الإصحاح ٤٩ من سفر التكوين – الفقرات من ٣ – ٥) .

(٢٤٣) المخصرة : بكسر الميم كالسوط ، وكل ما اختصر الإنسان بيده من عصا ونحوه ، والمراد الحكم والسلطان .

(٢٤٤) النص فى الإصحاح ٤٩ من سفر التكوين : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع ، من بين رجليه حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب » الفقرات من ٨ - ١٢) .

(٢٤٥) فى (ح) [ابن صلتيال] .

(٢٤٦) اختلفت المصادر فى رسم اسمه : ففى الفِصَل ابن « ابن النفرال » بالفاء مرة وبالغين مرة أخرى ، وصحف إلى الغزال فى طبقات صاعد ، وابن « نغراله » فى التبيان وأعمال الأعلام ، ويكتبه الأستاذ غرسيه غومس بلام خفيفة ، وابن « النغريلى » فى ذخيرة ابن بسام ، وابن « نغداله » عند دوزى ، وابن « نغريلة » فى الأصل المخطوط من رسالة ابن حزم (الرد على ابن النغريله اليهودى لابن حزم الأندلسى – تحقيق د . احسان عباس) (ص ٨ ، ٩ من المقدمة بتصرف) .

(٢٤٧) الجالوت : معناه بالعبرانية (مُسْبى) اسم لبطل جبار فلسطينى من مدينة (جت) اشتهر بالمحاربة التى قام بها ضد إسرائيل ، فأراد أن يكفى أصحابه مئونة الحرب بأن يصارع بنفسه أشجع رجال إسرائيل ، على أنه إذا قتل خضع الفلسطينيون لإسرائيل ، وإن قتل خصمه خضع إسرائيل لهم ، فبقى « جليات » هكذا مدة ، وهو يعير إسرائيل فى الصباح وفى المساء ، ويطلب من يبارزه ، فأتى « داود » ورماه بحجر فشق جبينه ، ووقع صريعا ، فاحتز « داود » رأسه وحمله أمام الشعب ، وقد ذكر تفصيل قصته فى الإصحاح السابع عشر ، من سفر صموئيل الأول (دائرة المعارف : للبستانى حـ ٦ ص ٥٠٤) .

تسمية لا حقيقة لها ، ولا له قيادة ، ولا بيده مِخْصرة ، فكيف وبعد أحزيا[٢٤٨] بن بورام لم يكن من بنى « يهوذا » والٍ أصلًا مدة [٢٤٩] ستة أعوام ، ثم بعده نشأ الملقب « صدقيا » بن « يوشيا » ، لم يكن منهم لأحد له معين ، ولا من يملك على أحد اثنين وسبعين عامًا متصلة حتى ولى « زربائيل » ثم انقطع الولادة منهم جملة ، لا رأس « جالوت » ولا غيره مدة ولاة الهارونيين[٢٥٠] ملكًا ملكًا مئين من السنين ليس لأحد من « يهوذا » فى ذلك أمر إلى دولة المسلمين أو قبلها بيسير ، فأوقعوا اسم رأس الجالوت على رجل من بنى « داود » إلى اليوم ، إلَّا أنَّ بعض المؤرخين القدماء ذكر أن « هردوس » وابنيه ، وابن[٢٥١] ابنه « اعريفاس » ابن « أعريفاس » كانوا من بنى « يهوذا » ، والأظهر أنهم من الروم عند كل مؤرخ ، فظهر كذب هؤلاء الأنذال بيقين ، وحاش لله أن يكذب نبى .

فصل

ثم ذكر أن « يعقوب » عليه السلام قال « للاوى » و « شمعون » سأبددهما فى « يعقوب » وأفرقهما فى « إسرائيل[٢٥٢] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : أما لاوى فكان نسله مبددًا فى بنى إسرائيل كما ذكر ، وأما « بنو شمعون » فلا ، بل كانوا مجتمعين فى البلد الذى وقع لهم كسائر الأسباط ولا فرق ، وليس إنذار النبوة مما يكذب فى قصة ويصدق فى أخرى ، هذه صفات إنذارات الحسَّاب القاعدين على الطرق للنساء ولمن لا عقل له .

فصل

إرسال موسى عليه السلام لفرعون

وقال فى السفر الثانى من توراتهم : إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : قل لفرعون السيد يقول « إسرائيل[٢٥٣] » بكر ولدى ، ويقول لك ائذن لولدى ليخدمنى ، وإن كرهت الإذن[٢٥٤]

---

(٢٤٨) فى (أ ، ب) [فكيف وبعد أحرب – ابن برام] .
(٢٤٩) فى (أ ، ب) [مدة من] .
(٢٥٠) نسبة إلى هارون .
(٢٥١) سقطت [وابن ابنه] من النسخة (أ) .
(٢٥٢) النص كما فى الإصحاح ٤٩ من سفر التكوين : « أقسمهم فى يعقوب وأفرقهما فى إسرائيل . الفقرات من ٥ – ٨) .
(٢٥٣) فى النسخة (أ) [لإسرائيل] ، وفى (ب) [الإسرائيل] .
(٢٥٤) فى (أ ، ب) [وإن كرهت الآن] .

سأهلك بكر ولدك[٢٥٥].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا عجب ناهيك به ، ليت شعرى ماذا ينكرون على النصارى بعد هذا ؟ وهل طرق للنصارى سبيل الكفر فى أن يجعلوا لله ولدًا ، ونهج لهم طريق التثليث — على ما ذكرنا قبل هذا — إلا هذه الكتب الملعونة المبدّلة ؟!

إلّا أنّ النصارى لم يدعوا بنوّة لله تعالى إلا لواحد أتى بمعجزات عظيمة وأما هذه الكتب السخيفة ، وكل من تَدَيَّن[٢٥٦] بها فإنهم ينسبون بنوّة لله إلى جميع بنى إسرائيل ، وهم أوسخ الأمم وأرذلهم جملة[٢٥٧]، وكفرهم أوحش ، وجهلهم أفحش .

فصـــل

معجزات موسى أمام فرعون

ثم ذكر أن « هارون » ألقى العصا بين يدى فرعون وعبيده فصارت حية فدعا فرعون بالعلماء والسحرة ، وفعلوا بالرقى[٢٥٨] المصرى مثل ذلك ، ولكن عصا موسى ازدردت عصيهم . ثم ذكر أن « موسى » و « هارون » فعلا ما أمرهما السيد ، فرفع العصا وضرب بها ماء النهر بين يدى فرعون وعبيده فعاد دمًا ومات كل حوت فيه ، ونتن النهر ، ولم يجد المصريون سبيلًا إلى الشرب منه ، وصار الماء فى جميع أرض مصر دمًا ، ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم[٢٥٩].

ثم ذكر أن « هارون » مدّ يده على مياه مصر وخرجت الضفادع منها ، وغطت أرض مصر ، ففعل السحرة برقاهم مثل ذلك ، وأقبلوا بالضفادع على أرض مصر[٢٦٠] ثم ذكر أن « هارون » مدّ يده بالعصا وضرب بها غبار الأرض ، فتخلق منها بعوض فى الآدميين والأنعام وعاد جميع الغبار بعوضًا فى جميع أرض مصر ، فلم يفعل السحرة مثل ذلك برقاهم ، وراموا اختراع البعوض فلم يقدروا عليه ، فقال السحرة لفرعون هذا صنع الله[٢٦١].

---

(٢٥٥) النص كما فى سفر الخروج — الإصحاح الرابع : « يقول الرب : إسرائيل ابنى البكر ، فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه ، هأنا أقتل ابنك البكر » (الفقرات ٢٢ — ٢٤) .

(٢٥٦) فى (خ) [وكل من يؤمن بها] .

(٢٥٧) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (جملة) .

(٢٥٨) الرقى : جمع رقية ، التعاويذ التى يستخدمونها فى السحر .

(٢٥٩) التوراة : سفر الخروج — (الإصحاح السابع — الفقرات من ٩ — ٢٤) .

(٢٦٠) التوراة : سفر الخروج : (الإصحاح الثامن — الفقرات من ١ — ٨) .

(٢٦١) التوراة : (سفر الخروج — الإصحاح الثامن — الفقرات من ١٦ — ٢٠) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه الآبدة المصمئِلَة[٢٦٢]، والصَّيلَم المطبقة ولو صحّ هذا لبطلت نبوة موسى عليه السلام ، بل نبوة كلِّ نبى .

ولو قدر السحرة على شىء من جنس ما يأتى به النبى لكان باب السحرة ، وبابُ مدَّعى النبوة واحدًا ، ولما انتفع موسى بازدراد[٢٦٣] عصاه لعصيهم ، ولا بعجزهم عن البعوض وقد قدروا على قلب العِصِىِّ حياتٍ ، وعلى إعادة الماء دمًا ، وعلى المجىء بالضفادع ولما كان لموسى عليه السلام عليهم بنبوته أكثر من أنه أعلم بذلك العمل منهم فقط ، ولو كان كما قال هؤلاء الكذابون الملعونون لكان فرعون صادقًا فى قوله : « إنه لكبيركم الذى علمكم السحر » ، ولا منفعة لهم فى قول السحرة فى البعوض : « هذا صنع الله » ، لأنه يقال لبنى إسرائيل فعلى موجب قول السحرة لم يكن من صنع الله قلب العصا حية ، والماء دمًا ، والمجىء بالضفادع ، بل من غير صنع الله .

وهذه عظيمة تقشعر منها الجلود . أين هذا الإفك المفترى البارد من نور الحق الباهر ؟! إذ يقول الله عزّ وجل : « إنَّما صنعوا كيْد ساحر[٢٦٤]» وإذ يقول تعالى : « وجاء السَّحَرةُ فِرْعون قالوا : أئِنَّ لنا لأجرًا إن كُنَّا نحن الغالبين ، قال : نعم ، وإنّكم لمن المقرَّبين ، قالوا : إمَّا أن تُلقىَ وإمّا أن نكون نحن الملقين ، قال : أَلْقُوا ، فلمَّا أَلقوْا سحروا أعين الناس واسْتَرْهَبوهم ، وجاءوا بسحرٍ عظيم ، وأوْحَيْنا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفِكُون ، فوقع الحقُّ وبَطَلَ ما كانُوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

وأُلْقِىَ السحرة ساجدين ، قالوا آمَنَّا بِرَبِّ العالمينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهَارون[٢٦٥]» .

وإذ يقول تعالى : « فإذا حِبَالُهم وعِصِيُّهم يُخَيَّلُ إليه من سحرهم أَنَّها تسعى[٢٦٦]. فأخبر عزّ وجل أن الذى عمل موسى حق . وأن عصاه صارت ثعبانًا على الحقيقة بقوله تعالى : « فإذا هى ثعبانٌ مبين[٢٦٧]» .

فصح أنه تبين ذلك لكل من رآه يقينًا . وأخبر أن الذى عمل السحرة إنما هو إفك وتخييل وكيد ، وهذا هو الحق الذى تشهد به العقول ، لا فى الكتاب المبدّل المحرّف ، فصح أن فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها ، وهذا الذى يصححه البرهان ، إذ لا يحيل الطبائع إلَّا خالقها ،

---

(٢٦٢) الآبدة : الداهية التى يبقى ذكرها أبدًا ، و « اصْمَأَلّ » اصْمِئْلالًا : اشتد ، والمصمئلة الداهية ، والصامل ، والصميل ، اليابس ، والصيَّلَم ، الأمر الشديد .

(٢٦٣) فى النسخة (ب) [بازدراه] بالهاء فى آخره وفى النسخة (أ) [بازدراء] بالهمز فى آخره .

(٢٦٤) سورة طه : ٦٩ .

(٢٦٥) سورة الأعراف : ١١٣ – ١٢٢ .

(٢٦٦) سورة طه : ٦٦ .

(٢٦٧) سورة الأعراف : ١٠٧ . والشعراء : ٣٢ .

شهادة لرسله وأنبيائه ، وفرْقا بين الصدق والكذب ، لا قولهم عمل السحرة مثل ما عمل موسى فى وقت تكليفه برهانا[٢٦٨] على صدق قوله ، وعند تحديه لهم على أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين وهو كاذب ، فأتوْا بمثله ، فانظروا النتيجة يرحمكم الله .

هذه سوأة تشهد شهادة قاطعة صادقة بأن صانع ذلك الكتاب الملعون المكذوب الذى يسمونه « الحماش[٢٦٩]» ويدّعون أنه توراة موسى عليه السلام إنما كان زنديقًا مستخفًا بالبارى تعالى ورسله وكتبه ، وحاش لموسى عليه السلام منه ، وأنهم إلى الآن يزعمون أن إحالة الطبائع ، وقلب الأجناس عن صفاتها الذاتية إلى أجناسٍ أُخر ، واختراع الأمور فى المعجزات[٢٧٠] البينية يقدر على ذلك بالرُّقى والصّناعات . واعلموا[٢٧١] أنّ من صدّق بهذا فهو[٢٧٢] مبطل للنبوة بلا مرية ، إذ لا فرق بين النبى وغيره إلّا فى هذا الباب ، فإذا أمكن لغير النبى فلم يبق إلّا دعوى لا برهان عليها ، ونعوذ بالله من الضلال .

ولقد شاهدناهم متفقين إلى اليوم على أن رجلًا من علمائهم ببغداد دخل من بغداد إلى قرطبة[٢٧٣] فى يوم واحد ، وأنبت قرنين فى رأس رجل من بنى الاسكندرانى[٢٧٤] كان ساكنا بقرب دار اليهود عند فَنْدَق الحرقة كان يؤذى يهود تلك الجهة ويسخر منهم ، وهذه كذبة وفضيحة لا نظير لها ، والموضع مشهور عندنا **بقرطبة** [٢٧٥] داخل المدينة ، وبنو عبد الواحد بن يزيد الاسكندرى من بيئة رفيعة مشهورة أدركنا آخرهم . كانت فيهم وزارة وعمالة ليس فيهم مغمور ولا خفى إلى أن بادوا ما عرف قط أحدٌ منهم ولا من جيرانهم هذه الأحموقة المختلقة[٢٧٦].

والقوم بالجملة أكذب البرية ، أسلافهم وأخلافهم ، وعلى كثرة ما شاهدنا منهم ، ما رأيت فيهم قط متحريًا إلّا رجلين فقط .

---

(٢٦٨) فى الأصل (أ ، ب) [برهان] بالرفع والأصح نصبها على الحال .

(٢٦٩) فى (أ ، ب) [الحماس] بالسين المهملة .

(٢٧٠) فى النسخة (ب) [واختراع الأمور المعجزات فى البنية] .

(٢٧١) فى النسخة (أ) [وعلموا] .

(٢٧٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (فهو) .

(٢٧٣) فى (أ ، ب) [قريظة] .

(٢٧٤) فى النسخة (أ) [الإسكندرى] .

(٢٧٥) قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس ، وسط بلادها ، وبها كان ملوك بنى أمية وينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم ، منهم أحمد ابن محمد بن عبد البر ، وله كتاب مؤلف فى الفقهاء بقرطبة ، وقد هدمت فى زمن بنى عباد ، وحلت محلها فى العاصمة والملك « أشبيلية » ، وقد رثاها الشعراء والأدباء من ذلك :

ذكّرنـــه الزمـــن الماضى بقرطبـــة   بين الأحبـــة فى لهو وإينـــاس

(معجم البلدان : ٤ — ٣٢٤) .

(٢٧٦) فى النسخة (ب) [المختلفة] بالفاء وفى (أ ، ب) سقطت كلمة [ولا من جيرانهم] .

فصــل

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وفى قصة قلب الماء دمًا فضيحة أخرى ظاهرة الكذب وهى : أن فى نص الكلام الذى يزعمونه التوراة : « ثم قال السيد لموسى قل لهارون ، مدَّ يدك بالعصا على مياه مصر ، وأنهارها وأوديتها ، ومروجها ، وجناتها ، لتعود دمًا ، **وتصير ماء فى آنية**(٢٧٧) **التراب والخشب دمًا** . ففعل موسى وهارون كل ما أمرهما به السيد » إلى قوله « وصار الماء فى جميع أرض مصر دمًا . ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم ، واشتد قلب فرعون ، ولم يسمع لهما على حال ، ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يوجه قلبه إلى هذا أيضًا ، وحفر جميع المصريين حوالى النهر ليصيبوا الماء منها لأنهم لا يقدرون على شرب الماء من النهر(٢٧٨) » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا نص كتابهم فأخبر أن كلَّ ماء كان بمصر فى أنهارها وأوديتها ، ومروجها وجناتها ، وأوانى الخشب والتراب ، والماء كله فى جميع أرض مصر صار دمًا . فأى ماء بقى حتى تقلبه السحرة دمًا ، كما فعل موسى وهارون ؟ أبى الله إلا فضيحة الكذابين وخزيهم .

فإن قالوا قلبوا ماء الآبار التى(٢٧٩) حفرها المصريون حول النهر . قلنا لهم : فكيف عاش الناس بلا ماء أصلًا ؟ أليت هذه فضائح مرددة ؟ وهل يخفى أن هذا من توليد ضعيف العقل أو زنديق مستخف لا يبالى بما أتى به من الكذب . ونعوذ بالله من الضلال .

فصــل

ذكر بعض المعجزات لموسى

وبعد ذلك ذكر أن الله تعالى أمر موسى أن يقول لفرعون : « ستكون يدى على مكسبك الذى لك فى الفحوص(٢٨٠) وخيلك وحميرك وجمالك وبقرك وأغنامك بوباء شديد ، ويظهر السيد أعجوبة فيما يملكه بنو إسرائيل ، ووقت السيد لذلك وقتًا ، وقال غدًا يفعل السيد(٢٨١) هذا فى

(٢٧٧) يبدو أن فى العبارة تحريفا ، والذى نراه صوابا أن تكون هكذا [ويصير الماء فى آنية التراب والخشب دما] .

(٢٧٨) الذى فى التوراة الحالية : « . . . ثم قال الرب لموسى : قل لهارون خذ عصاك ومدّ يدك على مياه المصريين على أنهارهم ، وعلى سواقيهم وعلى آجامهم ، وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دما ، فيكونَ دم فى كل أرض مصر فى الأخشاب وفى الأحجار ، ففعل هكذا موسى وهارون كما أمر الرب . . الخ (سفر الخروج – الإصحاح السابع – الفقرات من ١٤ – ٢٤) .

(٢٧٩) فى النسخة (أ) [حتى] بدلًا من [التى] .

(٢٨٠) الـفحص : مجثم القطاة . والفحوص : يقصد بها الأماكن .

(٢٨١) فى (أ ، ب) سقطت العبارة من أول [أعجوبة فيما يملكه بنو إسرائيل إلى وقال غدا يفعل السيد] .

الأرض ، ففعل السيد ذلك فى يوم آخر ، وماتت جميع دواب المصريين ، ولم يمت لبنى إسرائيل دابة فاشتد قلب فرعون ولم يأذن لهم[٢٨٢] » .

ثم ذكر بعد ذلك أمر الله تعالى موسى بأن يأخذ ما حملت الكف من رماد الكانون ويلقيه إلى السماء بين يدى فرعون ليصير غبارًا فى جميع أرض مصر فيكون فى الآدميين والأنعام خرّاجات[٢٨٣] ونفاطات[٢٨٤]، فأخذ رمادًا من كانون ووقف بين يدى فرعون ورماه موسى إلى السماء وصارت منه نفاطات فى الآدميين والأنعام ، ولم تقدر السحرة على الوقوف عند موسى لما كان أصابهم من ألم النفاطات ، وكان مثل ذلك فى جميع أرض مصر والسحرة ، فشدّد الله قلب فرعون ، ولم يسمع لهما على حال ما عهد السيّد إلى موسى[٢٨٥].

وبعد ذلك قال : إن الله أمر موسى أن يقول لفرعون : غدًا هذا الوقت أمطر بردًا كثيرًا جدًّا لم ينزل مثله على مصر من اليوم الذى أسست فيه إلى هذا الوقت ، فابعث واجمع أنعامك ، وكل من تملكه فى الفدّان ، فكل ما أدركه البرد فى الفدان ولم يدخل البيوت يموت[٢٨٦] فمن خاف وعيد السيّد من عبيد فرعون أَدْخَلَ عَبِيدَه وأنعامه فى البيوت ، ومن استهان بوعيد السيد أبقى عبيده وأنعامه فى الفدّان .

وقال السيد لموسى : مُدَّ يدك إلى السماء لينزل البرد فى جميع أرض مصر فمدَّ موسى يده بالعصا ، فأتى السيّد بالرّعد ، والبرد المختلف على الأرض ، ثم أمطر السيّد البرد فى جميع أرض مصر مخلوطا بنار ، ولم ينزل بعظمة فى تلك الأرض من حين سكن ذلك الجنس فأهلك البرد فى جميع أرض مصر كلّ ما ظهر به فى الفدادين من الآدميين والأنعام وجميع عشبهما ، وكسر جميع شجرها ، ولم ينزل منه بشىء فى أرض قوص[٢٨٧] حيث كان بنو إسرائيل[٢٨٨].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : تأمّلوا هذا الكذب الهجين اللّائح . ذكر أولًا أنّ موسى أتى بالوباء وأخبر عن الله تعالى أنه قال لفرعون سأهلك مكسبك الذى فى الفحوص ،

---

(٢٨٢) التوراة : (سفر الخروج - الإصحاح التاسع - الفقرات من ١ - ٧) .

(٢٨٣) خراجات : بثور ودمامل .

(٢٨٤) نفاطات : الفعل (نفط) كفرح ، وكَفٌّ نفيطة : قَرِحَتْ عَمَلًا .

(٢٨٥) (ما) مفعول به ليسمع . سفر الخروج - الإصحاح التاسع ، الفقرات من ٨ - ١٢) .

(٢٨٦) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [يموت] .

(٢٨٧) قوص : مدينة كبيرة عظيمة قصبة صعيد مصر ، وأهلها أرباب ثروة واسعة ، وكانت قديما محط التجار القادمين من « عدن » ، وأكثرهم من هذه المدينة ، وهى شديدة الحر لقربها من البلاد الجنوبية ، وتقع على الضفة الشرقية للنيل ، وهى قريبة من البحر الأحمر وكان يعدها الجغرافيون فى الزمن القديم فى الإقليم الأول (معجم البلدان - بتصرف حـ ٤ - ٤١٣) .

(٢٨٨) فى النص الذى ذكر فى التوراة الحالية استعمل كلمة (الحقل) بدلًا من (الفدان) واستعمل كلمة (جاسان) بدلًا من (قوص) . (راجع النص فى سفر الخروج الإصحاح ٩ - الفقرات من ١٢ - ٢٦) .

وخيلك وحميرك وجمالك ، وبقرك ، وأغنامك فعمّم جميع الناس ، ما أُدْخِل فى البيوت وما لم يدخل ، يعم جميع الحيوان صنفًا صنفًا ، ثم أخبر : أن جميع دواب المصريين ماتت ولم تمت لبنى إسرائيل ولا دابة . ثم ذكر أمر « النفاطات » ثم ذكر أمر « البرد » ، وأن موسى أنذر فرعون عن الله تعالى ، وأمره بإدخال أنعامه فى البيوت وأن ما أدرك البرد منها فى الفحص يهلك .

فليت شعرى !! أى دابة بقيت لفرعون وأهل مصر ، وقد ذكر أن الوباء أهلك جميعها ؟ وأين[٢٨٩] الإبل والحمير والخيل والغنم والبقر ؟ أليس هذا عجبا !! وليس يمكن أن يقول : إنَّ دواب بنى إسرائيل هلكت آخرًا إذ سلمت أولًا ، لأنه قد بيّن أنه لم يقع من البرد شىء فى أرض « قوص » حيث سكنى بنى إسرائيل ، ولم يكن بين آية وآية بإقرارهم وقت يمكن فيه جلب أنعام إليهم من بلد آخر ؛ لأنه لم يكن بين الآية والآية إلّا يوم أو يومان أو قريب من ذلك ، ومصر واسعة الأعمال ، ولا تتصل بشىء من العمائر ، بل بين جميع انتهاء أقطارها من كل جهة ، وبين أقرب العمائر إليها مسيرة أيام كثيرة ، كالشام وبلاد الغرب ، وأرض النوبة والسودان ، وأفريقية ، فظهر كذب من عمل ذلك الكتاب المبدّل المحرّف المفترى الذى يزعمونه التوراة وحاش لله من ذلك ، والحمد لله على السلامة من مثل عملهم وضلالهم كثيرًا .

فصـــل

اضطراب التوراة فى ذكر مدة بقاء بنى إسرائيل بمصر

وبعد ذلك قال : « وكان مسكن بنى إسرائيل بمصر أربعمائة وثلاثين سنة ، فلما انقضت هذه السنون خرج ذلك اليوم معسكر السيد من أرض مصر[٢٩٠]» .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه فضيحة الدهر ، وشهرة الأبد ، وقاصمة الظهر ، يقول هاهنا : إنَّ مسكن بنى إسرائيل بمصر أربعمائة سنة وثلاثون سنة ، وقد ذكر قبل : أن « فاهاث[٢٩١]» بن « لاوى » دخل مصر مع جده « يعقوب » ومع أبيه « لاوى » ومع سائر أعمامه وبنى أعمامه ، وأن عمر « فاهاث » بن « لاوى » المذكور كان مائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة . وأن « عمران بن فاهاث بن لاوى » المذكور كان عمره مائة سنة وسبعًا وثلاثين سنة . وأن « موسى بن عمران بن فاهاث بن لاوى » المذكور كان إذ خرج ببنى إسرائيل من مصر مع نفسه ابن ثمانين سنة .

---

(٢٨٩) فى النسخة (ب) [وبين] .

(٢٩٠) راجع (سفر الخروج - الإصحاح ١٢ - الفقرات من ٤٠ - ٤٢) .

(٢٩١) فى النسخة (ب) [فاهاث بنى لاوى] وفى النسخة (أ) [قاهاث] بالقاف .

هذا كله منصوص كما نذكره فى الكتاب الذى يزعمون أنه التوراة ، فهبك أن « فاهات » دخل مصر ابن شهر أو أقل ، وأن « عمران » ابنه ولد بعد موته ، وأن « موسى بن عمران » ولد بعد موت أبيه ليس يجتمع من كل ذلك إلا ثلاثمائة عام وخمسون عامًا فقط . فأين الثمانون عامًا الباقية من جملة أربعمائة سنة وثلاثين سنة .

فإن قالوا نضيف إلى ذلك مدة بقاء يوسف بمصر قبل دخول أبيه وإخوته ، قلنا : قد بيّن فى التوراة أنه كان إذ دخلها[٢٩٢] ابن سبع عشرة سنة ، وأنه كان إذ دخلها أبوه وإخوته ابن تسع وثلاثين سنة ، فإذن[٢٩٣] كان مقامه بمصر قبل أبيه وإخوته اثنين وعشرين سنة ، ضمها إلى ثلاثمائة سنة وخمسين سنة يقوم من الجميع بلا شك ثلاثمائة واثنان وسبعون سنة . أين الثمانى والخمسون الباقية من أربعمائة وثلاثين سنة ؟ هذه شهرة لا نظير لها ، وكذب لا يخفى على أحد ، وباطل نقطع بأنه لا يمكن ألبتة أن يعتقده أحد فى رأسه شيء من دماغ صحيح ، لأنه لا يمكن أن يكذب الله تعالى فى دقيقة . ولا أن يكذب رسوله ﷺ عامدًا ، ولا مخطئًا فى دقيقة فيقره الله تعالى على ذلك ، فكيف ؟ ولابد أن يسقط من هذه المدة سنّ « فاهاث[٢٩٤] » إذ ولد له « عمران » وسنّ « عمران » إذ ولد له « موسى » عليه السلام ، والصحيح الذى يُخرَّج على نصوص كتبهم : أنّ مدة بنى إسرائيل مذ دخل « يعقوب » وبنوه مصر إلى أن خرجوا منها مع « موسى » عليه السلام ، لم تكن إلا مائتى عام وسبعة عشر عاما ، فهذه كذبة فى مائتى عام وثلاثة عشر عامًا ، ولو لم يكن فى توراتهم إلّا هذه الكذبة وحدها لكفت فى أنها موضوعة مبدلة من حمار فى جهله ، أو مستخف سخر بهم ولابد .

فصل

التوراة المحرفة تصف الاله بألفاظ لا تليق

وبعد ذلك قال : وعند ذلك مجد « موسى » و« بنو إسرائيل » بهذه السورة ، وقالوا : مجد بنا السيد فإنه يعظم ويشرف ، وأغرق فى البحر الفرس وراكبه ، قوّتى ومديحى للسيّد الذى صار لى مُسلما[٢٩٥]، هذا إلهى أمجده ، وإله أبى أعظمه ، السيد قاتل كالرجل القادر[٢٩٦].

وفى السفر الخامس : « اعلموا أن السيّد إلهكم الذى هو نار أكول[٢٩٧] » .

---

(٢٩٢) فى النسخة (ب) [دخله] .
(٢٩٣) فى النسخة (ب) [فاما] .
(٢٩٤) فى النسخة (أ) [قاهاث] بالقاف .
(٢٩٥) فى (أ ، ب) [ومديحى للسيد وقد صار خلاصى . .] .
(٢٩٦) التوراة - سفر الخروج - (الإصحاح ١٥ الفقرات من ١) والذى فى النص الحالى : « الربُّ رجل الحرب » .
(٢٩٧) النص كما فى التوراة الحالية : « لأن الرّب إلهك هو نار آكلة إله غيور » (سفر التثنية - الإصحاح الرابع - الفقرة - ٢٤) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه سوأة من السوءات لتشبيه الله عزّ وجل بالرجل القادر ، ويخبر بأنه نار ، هذه مصيبة لا تجبر ، ولقد قال بعضهم : أليس الله تعالى يقول عندكم : « الله نور السّماوات والأرض(٢٩٨) » ؟

قلت : بلى . وقد قال رسول الله ﷺ : إذ سأله « أبو ذر(٢٩٩) » : هل رأيت ربك ؟ . فقال : « نورٌ أنّى أراه » .

وهذا بيّنٌ ظاهرٌ أنه لم يعن النور المرئى ، لكن نور لا يرى . فلاح أن معنى « نور السماوات والأرض » إذا ثبت ، أنه ليس هو النور المرئى الملون ، إنّه الهادى لأهلهما فقط . وأن النور اسم من أسماء الله تعالى فقط .

وأما قوله تعالى : « مَثَلُ نورِهِ كمِشكاةٍ فيها مِصْباح ، المصباحُ فى زجاجة – إلى قوله – ولَوْ لَمْ تَمسَسْهُ نار » .

فإنه شبه نوره الذى يهدى به أولياءه بالمصباح الذى ذكر ، فإنه شبه مخلوقًا بمخلوق .

وبيان ذلك : قوله تعالى متصلًا بالكلام المذكور فى الآية نفسها :

« نورٌ عَلَى نورٍ يَهْدِى الله لنورِهِ مَنْ يشاء(٣٠٠) » .

فصح ما قلناه يقينا من أنه تعالى : إنما عنى بنوره هداه للمؤمنين فقط ، وهذا أصح تشبيه يكون ، لأن نور هداه فى ظلمة الكفر كالمصباح فى ظلمة الليل .

فصل

وصف التوراة للمن النازل من السماء

ثم وصف المنَّ النازل عليهم من السماء فقال : وكان أبيض شبيهًا بزريعة الكزبر(٣٠١) ومذاقه كمذاق السميذ(٣٠٢) المعسل ، ثم قال فى السفر الرابع :

---

(٢٩٨) سورة النور : آية ٣٥ .

(٢٩٩) أبو ذر الغفارى : هو جندب بن جنادة أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، وكان رأسًا فى العلم والزهد والجهاد ، قال عنه الرسول ﷺ : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر – مات رضى الله عنه عام ٣٢ هـ » (تذكرة الحفاظ للذهبى – حـ ١ ص ١٧ ، ١٨) .

(٣٠٠) النور : ٣٥ .

(٣٠١) فى القاموس المحيط « الكُزْبُرَة » وقد تفتح الباء وهى من الأبازير .

(٣٠٢) فى (أ ، ب) [كالسميد المعل] وهو تحريف ظاهر . والنص كما فى التوراة الحالية « وهو كبِزْر الكزْبَرَة أبيض وطعمه كرقاقٍ بعسل » (سفر الخروج – الإصحاح ١٦ – الفقرة ٣١) .

« كان المَنّ شبيهًا بزريعة الكُزْبر ، ولونه إلى الصُّفره ، وكان طعمه كطعم الخبز[٣٠٣] المعجون بالزيت » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا تناقض فى الصفة واللّون والطعم ، وإحدى الصفتين تكذّب الأخرى بلا شك .

فصــل

تجسيم التوراة للاله ووصفه بصفات البشر

وبعد ذلك قال : إنّ الله عزّ وجل قال لبنى إسرائيل : لقد رأيتمونى كلكم من السماء ، فلا تتخذوا معى آلهة الفضة . ثم قال بعد ذلك : ثم صعد « موسى » و« هارون » و« ناداب » و« أبيهو » وسبعون رجلًا من المشايخ[٣٠٤] ونظروا إلى إله إسرائيل ، وتحت رجليه كلَبِنَةٍ من زمرد فيروزى ، وكسماء صافية ، ولم يمدّ الرّبُّ يده إلى خيار بنى إسرائيل الذين نظروا إلى الله ، وأكلُوا وشربوا وقال بمقربة من ذلك : « وكان منظر عظمة السيد كنارٍ آكلةٍ فى قرن الجبل يراه جماعة منْ بنى إسرائيل[٣٠٥] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا تجسيم لا شك فيه ، وتشبيه لا خفاء به . وليس هذا كقول الله تعالى :

« وجاء ربُّك والملكُ صفًّا صفًّا[٣٠٦] » .

ولا كقوله تعالى :

« إلّا أنْ يأتيهم الله فى ظُلَل منَ الغَمَام والملائكةُ[٣٠٧] » .

ولا كقول رسول الله ﷺ : « ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة فى ثلث اللّيل الباقى إلى سماء الدنيا » ، لأن هذا كله على ظاهره بلا تكلف تأويل ، إنما هى أفعال يفعلها الله عزّ وجل تسمّى مجيئا وإتيانا وتنزلا ، ولا مثل قوله تعالى :

---

(٣٠٣) النص كما فى التوراة : « وأما المن فكان كبزر الكزبرة ، ومنظره كمنظر المُقْل ، كان الشعب يطوفون ليلتقطوه ، ثم يطحنونه بالرّحى ، أو يدقونه فى الهاون ، ويطحنونه فى القدور ، ويعملونه ملّات ، وكان كطعم قطائف بزيت . . (سفر العدد - الإصحاح ١١ - الفقرات من ٧ - ١٠) .

(٣٠٤) التوراة : (سفر العدد - الإصحاح ١١ - ١٦ الخ الإصحاح) .

(٣٠٥) النص كما فى الإصحاح ١٤ من سفر العدد « . . . يارب قد ظهرت لهم عينا لعين ، وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهارًا ، وبعمود نار ليلًا . . . » الفقرة ١٤ - وهذا يدل على استمرار التحريف فى التوراة من وقت إلى آخر .

(٣٠٦) سورة الفجر : ٢٢ .

(٣٠٧) سورة البقرة : ٢١٠ .

« يد الله فوق أَيْدِيهم[٣٠٨] » « ويبقى وجه ربك[٣٠٩] » .

وسائر ما فى القرآن من مثل هذا ، فكله ليس بمعنى الجارحة ، لكن على وجوهٍ ظاهرة فى اللغة قد بيناها فى غير هذا المكان ، عمدتها أن كل ذلك خبر عن الله تعالى لا يرجع بشىء من ذلك إلى سواه أصلًا ، ثم كيف يجتمع ما ذكرنا عن توراتهم مع قوله فى السفر الخامس : « كلمكم الله من وسط اللهيب فسمعتم صوته ، ولم تروا له شخصا[٣١٠] » .

وهاتان قضيتان تكذب كلُّ واحدةٍ منهما الأخرى ولابد .

فصــل

التوراة تتهم هارون عليه السلام بصناعة العجل

وبعد ذلك قال : فلما أطال موسى المقام اجتمع بنو إسرائيل إلى « هارون » وقالوا : قم واعمل لنا إلهًا يتقدمنا ، فإننا لا ندرى ما أصاب موسى الرجل الذى أخرجنا من مصر . فقال لهم هارون : اقلعوا أقراط الذهب عن آذان نسائكم وأولادكم وبناتكم ، وائتونى بها ، ففعلوا ما أمرهم به وأَتَوْه بالأقراط ، فلمَّا قبضها هارون أفرغها وعمل لهم منها عجلًا ، وقال : هذا إلهكم يا بنى إسرائيل الذى أخرجكم من مصر فلما بصر بها هارون بنى مذبحًا بين يدى العجل ، وبرح مسمعًا : غدًا عيد السيد ، فلما قاموا صباحًا قربوا له قربانًا ، وأهدَوا له هدايا ، وقعدت العامة تأكل وتشرب وقاموا للّعب[٣١١].

ثم ذكر إقبال موسى ، وأنه لما تدانى من المعسكر بصر بالعجل وجماعات تتغنى . وبعد ذلك ذكر أنه قال لهارون : « ماذا فعلت بك هذه الأمة إذ جعلتم تذنبون ذنبًا عظيمًا ؟

فقال له هارون : لا تغضب سيدى ، فإنك تعرف رأى هذه الأمة فى الشر ، قالوا لى : اعمل لنا إلهًا يتقدمنا لأننا نجهل ما أصاب موسى الذى أخرجنا من مصر ، فقلت لهم : من كان عنده منكم ذهب فليقبل به إلىَّ وألقيته فى النار ، وخرج لهم منه هذا العجل ، فلما رأى

---

(٣٠٨) سورة الفتح : ١٠ .

(٣٠٩) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٣١٠) النص كما جاء فى التوراة الحالية : « قال لى الرب اجمع لى الشعب فأسمعهم كلامى لكى يتعلموا أن يخافونى كل الأيام التى هم فيها أحياءٌ على الأرض ويعلّموا أولادهم ، فتقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل ، والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب ، فكلمكم الرّب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ، ولكن لم تروا صورة بل صوتًا . . الخ » (سفر التثنية ٤ /١٠ – ١٦) .

(٣١١) سفر الخروج – (الإصحاح ٣٢ الفقرات من ١ – ٧) والعبارات مختلفة ولكن المعنى واحد .

« موسى » القوم قد تعرّوا ، وكان « هارون » قد عرَّاهم بجهالة قلبه ، وصيَّرهم بين يدى أعدائهم عراة(٣١٢).

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا الفصل عفا على ما قبله ، وطم عليه أن يكون « هارون » وهو نبى مرسل يتعمد أن يعمل لقومه إلهًا ، يعبدونه من دون الله عز وجل وينادى عليه غدا « عيد السيد » ويبنى للعجل مذبحًا ، ويساعدهم على تقريب القربان للعجل ، ثم يجردهم ويكشف أستاههم للرقص وللغناء أمام العجل إلا أن تكون أحق إستاه كشفت(٣١٣)، إن هذا لعجب !! نبى مرسل كافر مشرك(٣١٤) يعمل لقومه إلهًا من دون الله ، أو يكون العجل ظهر من غير أن يتعمد « هارون » عمله ، فهذه والله معجزة كمعجزات موسى ولا فرق . إلَّا أنّ هذا هو الضلال والتلبيس ، والإشكال والتدليس المبعد عن الله تعالى ، إذ لو كان هذا لما كان موسى أولى بالتصديق من عابد العجل الملعون . أترى بعد استخفاف النذل الذى عمل لهم هذه الخرافة بالأنبياء عليهم السلام استخفافا . حاش لله(٣١٥) من هذا ؟ أوَتَرون بَعْد حمق من يؤمن بأن هذا من عند « موسى » رسول الله وكليمه عن الله تعالى – حمقًا ؟! نحمد الله على العافية .

أين هذا الهوس البارد والكذب المفترى من نور الحق الذى يشهد له العقل بالصحة الذى جاء به « محمد رسول الله ﷺ عن الله عز وجل حقًا ؟ »

إذ يقول فى هذه القصة نفسها ما لا يمكن سواه :

« واتخذ قومُ مُوسَى من بَعْدِه من حُلِيِّهم عجْلًا جسدًا له خُوار ، ألم يَرَوْا أنَّه لا يُكَلِّمُهم ولا يَهْديهم سبيلًا ، اتخذوه وكانوا ظالمين(٣١٦)» .

وقوله عزّ وجل :

فكذلك ألْقى السامرىّ فأخرجَ لهم عجْلًا جسدًا له خُوار ، فقالُوا : هذا إلهكم ، وإله مُوسى فنسى أفلا يرون أَن لَا يَرْجع إليهم قولًا ، ولا يملكُ لهم ضرًّا ولا نفعًا ، ولقد قال لهم هارون من قبل : يا قوم إنّما فُتِنْتُم به ، وإنَّ ربَّكُم الرَّحْمنُ فاتَّبعونى وأطيعوا أَمْرى ، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى . قال « يا هارون » : ما منعك إذ رأيتهم ضلُّوا ألَّا تتبعن

(٣١٢) سفر الخروج (الإصحاح ٣٢ – الفقرات من ٢١ – ٢٦) .
(٣١٣) يقصد : أم أحق الناس بكشف إسته هو ذلك الذى وضع هذه الخرافة .
(٣١٤) فى النسخة (أ) [مشترك] .
(٣١٥) فى النسخة (ب) [لله] .
(٣١٦) الأعراف : ١٤٨ .

فَعَصَيْتَ أمرى . قال : يا ابن أمَّ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، إنِّى خشيت أن تقولَ فرقْتَ بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى[٣١٧] » .

وقوله :

« يا ابن أمَّ إنَّ القومَ استضعفونى وكادوا يقتلوننى[٣١٨] » .

فهذا هو الصدق حقًا ، إنما عمل لهم العجلَ الكافرُ الضالُّ السامرى ، وأما « هارون » فنهاهم عنه جهده ، وأنهم عصوه ، وكادوا يقتلونه ، وقد تبين الصبُّحُ لذى عينين ، ولاح صدق قوله تعالى من كذب الآفكين .

وأما « الخوار » فقد صح عن ابن عباس ما لا يجوز سواه ، وأنه إنما كان دوى الريح تدخل من قبله وتخرج من دبره[٣١٩] ، وهذا هو الحق لأنه تعالى أخبر أنه لا يكلمهم ، ولو خار من عند نفسه لكان ضربًا من الكلام ، ولكانت حياة فيه ، وهو محال ، إذ لا تكون معجزة ، ولا إحالة لغير نبى أصلًا . وبالله تعالى التوفيق .

فصل

الإله يستجيب لموسى فى العفو عن بنى إسرائيل

وفى خلال هذه الفصول ذكر أن الله عزّ وجل قال لموسى : دعنى أغضب عليهم وأهلكهم ، وأُقْدِمُك على أمة عظيمة ، وأن موسى رغب إليه وقال له : تَذَكَّرْ إبراهيم وإسرائيل وإسحاق عبيدك الذين خلقتهم بيدك ، وقلت لهم سأكثر ذريتكم حتى يكونوا كنجوم السماء ، وأورثتهم جميع هذه الأرض التى وعدتهم بها ويملكونها ، فحنَّ السيد ولم يتم ما كان أراد إنزاله من المكروه بأمته .

---

(٣١٧) طه : ٨٨ : ٩٤ .

(٣١٨) الأعراف : ١٥٠ .

(٣١٩) روى حماد عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « مر هارون بالسامرى ، وهو يصنع العجل فقال : ما هذا ؟ فقال : ينفع ولا يضر ، فقال : اللهمّ اعطه ما سألك على ما فى نفسه فقال : اللهم إنى أسألك أن يخور فكان الخوار من أجل دعوة هارون ، قال ابن عباس خار كما يخور الحىّ من العجول . . وروى أن موسى قال : يارب هذا السّامرى أخرج لهم عجلا جسدًا له خوار من حليهم ، فمن جعل الجسد والخوار ، قال الله تبارك وتعالى : أنا . وفى رواية عن معمر عن ابن عباس أيضا : لما انسكبت الحلى فى النار جاء السامرى وقال لهارون : يا نبى الله أألقى ما فى يدى ؟ وهو يظن أنه كبعض ما جاء به غيره من الحلى ، فقذف التراب فيه وقال : كن عجلا جسدًا له خوار فكان كما كان للبلاء والفتنة ، وقيل خواره وصوته كان بالريح لأنه كان عمل فيه خروقًا فإذا دخلت الريح فى جوفه خار ولم تكن فيه حياة ، وهذا قول مجاهد . وعلى القول الأول ، كان عجلًا من لحم ودم وهو قول الحسن وقتادة والسدى . (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـ ١١ ص ٢٣٥ - ط دار الكتب العربية سنة ١٩٦٧) . وفى ذكر هذه الروايات دلالة على أن ابن حزم لم يتحر الدقة فى النقل عن ابن عباس (المحقق) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل عجائب .

أحدها : إخباره بأن الله تعالى لم يتم ما أراد إنزاله من المكروه بهم ، وكيف يجوز أن يريد الله عزّ وجل إهلاكَ قوم قد تقدّم وعده لهم بأمور ولم يتمها لهم بعد ؟ وحاش لله منْ أن يريد إخلاف وعده فيريد الكذب .

وثانيها : نسبتهم البداء[٣٢٠] إلى الله عز وجل ، وحاش لله من ذلك ، والعجب من إنكار من أنكر منهم النسخ بعد هذا ، ولا نكرة فى النسخ لأنه فعل من أفعال الله أتبعه بفعل آخر من أفعاله مما قد سبق فى علمه كونه[٣٢١] كذلك ، وهذه صفة كل ما فى العالم من أفعاله تعالى :

وأما البداء : فمن صفات من يهم بالشيء ثم يبدو له غيره ، وهذه صفة المخلوقين ولا صفة من لم يزل ، ولا يخفى عليه شىء فى المستأنف .

وثالثها : قوله فيها : (ويملكونها) ، وهذا كذب ظاهر ما ملكوها إلّا مدة ثم خرجوا عنها إلى الأبد ، والله تعالى لا يكذب ، ولا يخلف وعده .

فصــل

طلب الإله لموسى أن يذهب وقومه لفلسطين

وبعد هذا ذكر أن الله تعالى قال لموسى : اذهب واصعد من هذا الموضع أنت وأمتك التى أخرجت من مصر إلى الأرض التى وعدت بها مقسمًا « إبراهيم » و« إسحاق » و« يعقوب » لأورثها نسلهم ، وأبعث بين يديك ملكًا لإخراج « الكنعانيين » ، و« الأموريين » ، و« الحيثيين » ، و« الفرزيين » ، و« الحويين » ، و« اليبوسيين » – تدخل فى أرض تفيض لبنًا وعسلًا ، لست أنزل معكم لأنكم أمة قساة الرقاب لئلا تهلك بالطريق[٣٢٢]، فلما سمعت العامة هذا الوعيد الشديد عجبت ولم تأخذ زينتها ، فقال السيد لموسى : قل لبنى إسرائيل أنتم أمة قد قست رقابكم سأنزل عليكم مرة وأهلككم ، فضعوا زينتكم لأعلم ما أفعل بكم[٣٢٣].

---

(٣٢٠) البداء : له معان ، البداء فى العلم وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكى ، والبداء فى الأمر ، وهو أن يأمر بشىء ثم يأمر بعده بخلافه ومن لم يجوز النسخ أن الأوامر المختلفة فى الأوقات المختلفة متناسخة ، وقد قال بالبداء على الله تعالى المختار ابن أبى عبيد الثقفى لأنه كان يدّعى علم ما يحدث من الأحوال وإن لم يوافق قوله ، قال قد بدا لربكم وكان لا يفرق بين النسخ والبداء (الملل والنحل : للشهرستانى حـ ١ ص ٢٣٨) .

(٣٢١) ل (خ) [وكونه] .

(٣٢٢) سفر الخروج الإصحاح ٢٣ الفقرات من ٢٠ – إلى نهاية الإصحاح .

(٣٢٣) سفر الخروج (الإصحاح ٣٣ – الفقرات من ١ – ٧) .

وبعد ذلك بفصول قال : « إن موسى قال لله تعالى إن كنت سيدى عنى راضيًا فأنا أرغب إليك أن تذهب معنا[٣٢٤]» .

وبعد ذلك : « إنَّ الله تعالى قال لموسى : سأخرج بنفسى بين يديك »

* * *

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل كذبتان وتشبيه محقق أما الكذبتان :

فإحداهما قوله : إنه سيبعث بين يدى موسى ملكًا لإخراج الأعداء ، وأما هو تعالى فليس ينزل معهم ثم نزل معهم ، وهذا كذب لا مخلص منه تعالى الله عن هذا ، وحاش له من أن يقول سأفعل ثم لا يفعل ، وأن يقول لا أفعل ثم يفعل .

والثانية قوله : « إنى سأنزل إليكم مرة وأهلككم » ثم لم يفعل . حاش لله من هذا .

وأما التشبيه المحقق : فامتناعه من أن ينزل بنفسه ، واقتصاره على أن يبعث مَلَكًا لنصرتهم ، ثم أجاب إلى النزول معهم ، وهذا لا يسوغ فيه ما يسوغ[٣٢٥] فى حديث التنزيل من أنه فعل بفعله تعالى ، لأنه لو كان هذا لكان إرسال الملك أقوى ما يوجد فى العالم ، فإذا قد بطل فقد صح أنه نزول نقلة ولابد .

فصــل

إدعاء التوراة أن الله وعد موسى أن يراه من ظهره لا من وجهه

وفى خلال هذه الفصول قال : وكان السيد يكلم « موسى » مواجهة فمًا بفم كما يكلم المرء صديقه[٣٢٦]، وأن موسى رغب إلى الله تعالى أن يراه ، وأن الله تعالى قال له : سأدخلك فى حجر ، وأحفظك بيمينى حتى أجتاز ثم أرفع يدى وتبصر ورائى لأنك لا تقدر أن ترى وجهى[٣٢٧].

ففى هذين الفصلين تشبيه شنيع قبيح جدًا من إثبات آخر بخلاف الوجه وهذا ما لا مخرج منه .

---

(٣٢٤) سفر الخروج – الإصحاح ٣٣ – الفقرات من ١٢ – إلى آخر الإصحاح .

(٣٢٥) سقطت فى النسخة (أ) كلمة [فيه ما يسوغ] . وفى (أ ، ب) فمن حديث التنزيل .

(٣٢٦) النص كما فى التوراة : « ويكلم الرَّب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » (سفر الخروج – الإصحاح ٣٣ – الفقرة – ١١) .

(٣٢٧) النص : « ويكون متى أجتاز مجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز ، ثم أرفع يدى فتنظر ورائى ، وأما وجهى فلا يُرى » (سفر الخروج – ٢١/٣٣ – ٢٣) .

فصـــل
تخبط كتب اليهود فى عددهم حين خروجهم من مصر

وفى السفر الثالث : أن البارى تعالى قال له : من ضاجع امرأة عمه أو خاله ، أو كشف عورة بنته فيحملان جميعًا ذنوبهما ويموتان من غير أولاد[٣٢٨].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : كنا ذكرنا أننا لا نخرّج عليهم من توراتهم كلامًا لا يفهم معناه ، إذ للقائل أن يقول : قد أصاب الله به ما أراد ، لكن هذا المكان لم يتخلف فيه وعدنا ، لأنها شريعة مكلِّفة ملزمة ، ومن المحال أن يكلّف الله الناسَ عملًا لا يفهمونه ولا يعقلون معنى الأمر به .

فصـــل
ذكر التوراة لقبائل بنى إسرائيل الخارجين من مصر

وفى السفر الرابع : ذكر أن عدد بنى إسرائيل الخارجين من مصر ، القادرين على القتال خاصة من كان ابن عشرين سنة فصاعدًا - كانوا ستمائة ألف مقاتل وثلاثة آلاف مقاتل وخمسمائة مقاتل ، وخمسين مقاتلا ، وأنه لا يدخل فى هذا العدد من كان له أقل من عشرين ولا من لا يطيق القتال[٣٢٩]، ولا النساء جملة ، وأن عددهم إذ دخلوا الأرض المقدسة ستمائة ألف رجل ، وألف رجل ، وسبعمائة رجل وثلاثون رجلًا . لم يَعُدَّ فيهم من له أقل من عشرين سنة ، وأن على هؤلاء قسمت الأرض المغنومة ، وعلى النساء وعلى من كان دون العشرين أيضًا[٣٣٠].

وفى كتبهم : أن « داود » عليه السلام أحصى فى أيامه بنى إسرائيل فوجد بنى « يهوذا » خاصة : خمسمائة ألف مقاتل . ووجد التسعة الأسباط الباقية . حاش بنى لاوى ، وبنى بنيامين فلم يحصهما ألف ألف مقاتل غير ثلاثين ألفًا سوى النساء ، وسوى من لا يقدر على القتال من صبى أو شيخ أو معذور ، وكل هؤلاء ، إنما كانوا فى « فلسطين » و« الأردن » وبعض عمل « الغور » فقط . والبلد المذكور بحالته كما كان لم يزد بالاتساع ولا نقص .

وفى كتبهم أيضا : أن إبيا بن رحبعام[٣٣١] بن سليمان بن داود عليه السلام قتل من العشرة

---

(٣٢٨) النص كما فى التوراة : « وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه ، يحملان ذنبهما ، يموتان عقيمين وإذا أخذ رجل امرأة أخيه ذلك نجاسة قد كشف عورة أخيه يكونان عقيمين . . ألخ (سفر لاويين - الإصحاح العشرون - ٢٠ - ٢٢) .

(٣٢٩) (سفر العدد . الإصحاح الأول - الفقرات من ٤٥ - ٤٧) .

(٣٣٠) التوراة (سفر العدد - الإصحاح ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦) .

(٣٣١) فى (أ ، ب) [ابنا بن ربعام] .

الأسباط من بنى إسرائيل خمسمائة ألف رجل . وأن ابنه « انتيا بن إبيا » كان معه من بنى يهوذا خاصة ثلاثمائة ألف مقاتل ومن بنى بنيامين خاصة[٣٣٢] اثنين وخمسين ألف مقاتل .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : البلد المذكور باق لم ينقص ولا صغرت أرضه . وَحَدُّه[٣٣٣] بإقرارهم فى الجنوب « غزة » و« عسقلان » و« رفح[٣٣٤] » وطرف[٣٣٥] من جبال الشراة — بلد « عيسو » ، ولا خلاف بينهم فى أنهم لم يملكوا قط قرية فما فوقها من هذه البلاد ، وأنهم لم يزالوا من أول دولتهم إلى آخرها محاربين مرة لبنى إسرائيل ومرارًا عليهم . وحد ذلك البلد فى الغرب[٣٣٦]: البحر الشامى . وحدّه فى الشمال : « صور » و« صيدا » وأعمال « دمشق » التى لا يختلفون فى أنهم لم يملكوا قط منها مضرب وتد ، وأنهم لم يزالوا من أول دولتهم إلى آخرها محاربين لهم ، فمرة عليهم ومرة لهم ، وفى أكثر ذلك يملكون بنى إسرائيل ويسومونهم سوء العذاب ، ومرة يخرج بنو إسرائيل عن ملكهم فقط ، وحدّ البلد المذكور فى الشرق بلاد « مواب » و« عمون » وقطعة من صحراء العرب التى هى الفلوات والرمال ، ولا خلاف بينهم فى أن نصّ توراتهم أن الله تعالى قال لموسى وبنى إسرائيل : (إلى هنا[٣٣٧] لا تحاربوا بنى « عيسو » ، ولا « بنى مواب » ، ولا « بنى عمون » فإنى لم أورثكم من بلادهم وطأة[٣٣٨] قدم فما فوقها ، لأنى قد ورثت بنى عيسو ، وبنى لوط هذه البلاد ، كما ورثت بنى إسرائيل تلك التى وعدتهم بها ، وأنهم لم يزالوا من أول دولتهم إلى آخرها يحاربونهم ، فمرة يملكهم « بنو عمون » و« بنو مواب » ، ومرة يخرجون عن رقهم فقط ، وطول بلاد بنى إسرائيل المذكورة بمساحة الحلفاء[٣٣٩] المحققة من « عقبة أفيق[٣٤٠] » ، وهى على أربعة وخمسين ميلًا من دمشق إلى **طبرية** ، ثمانية أميال ، وهى « **جبل أفرايم** » إلى الطور اثنى عشر ميلًا ، إلى « **اللجون**[٣٤١] » اثنى عشر ميلا ، إلى **علمين**[٣٤٢] عندهما ينقطع عمل الأردن ،

---

(٣٣٢) فى (أ ، ب) سقط الكلام من [ابنه انتيابن ابيا إلى بنيامين خاصة] .
(٣٣٣) وفى (خ) [حدة] .
(٣٣٤) وفى (أ ، ب) [رجح] .
(٣٣٥) وفى (أ ، ب) [وطرق] .
(٣٣٦) وفى (أ ، ب) : فى [القرب] بالقاف .
(٣٣٧) فى (خ) سقطت [إلى هنا] .
(٣٣٨) فى النسخة (ب) [وطاءة] (سفر التثنية – الإصحاح الثانى – الفقرات من ٤ – ١٥) .
(٣٣٩) [الحلفاء] وهى النبات المعروف الذى ينبت على شواطىء القنوات ، وفوق الجبال وفى (أ ، ب) [الخلفاء] بالخاء بدلًا من الحاء المهملة .
(٣٤٠) فى (أ ، ب) [أنيق] بالنون بدلًا من الفاء .
(٣٤١) اللجون : بلد بالأردن ، بينه وبين « طبرية » عشرون ميلا ، وفى « اللجون » صخرة مدورة فى وسط المدينة ، وعليها قبة زعموا أنها مسجد إبراهيم عليه السلام وتحت الصخرة عين غزيرة الماء ، وذكروا أن إبراهيم عليه السلام دخل هذه المدينة فى وقت مسيره إلى مصر ، ومعه غنم له ، وكانت المدينة قليلة الماء ، فسألوا إبراهيم أن يرتحل عنهم لقلة الماء ، فيقال : إنه ضرب بعصاه هذه الصخرة فخرج منها ماء كثير ، واللجون أيضا : موضع فى طريق مكة من الشام قرب « تيماء » معجم البلدان : ٥ – ١٣ ، ١٤) .
(٣٤٢) علمين : علمان من قرى زمار باليمن ، ويضاف إليها « ذو » فيقال « وذو علمان » (المرجع السابق – ٤ : ١٤٧) .

ومبدأ عمل فلسطين ميل واحد ، إلى **الرملة**[٣٤٣] نحو أربعين ميلًا ، إلى عسقلان ثمانية عشر ميلًا . وموضع الرملة هو كان آخر عمل بنى اسرائيل . فذلك ثلاثة وسبعون ميلًا . وعرضه من البحر الشامى إلى أول عمل **جبل الشراة** ، وأول عمل مواب ، وأول عمل « **عمان** » ، نحو ذلك أيضا . وعمل صغير شرقى الأردن يسمى « الغور » فيه مدينة « **بيسان**[٣٤٤] » يكون أقل من ثلاثين ميلًا فى ثلاثين ميلا ولا يزيد ، وكان هذا العمل الذى بشرقى الأردن بزعمهم وقع لبنى رءوبين و« بنى جاد[٣٤٥] » ونصف بنى منسى[٣٤٦] ابن **يوسف عليه السلام** ، لأنه كان يصلح لرعى المواشى وكان هؤلاء أصحاب بقر وغنم .

فاعجبوا لهذا الكذب الفاحش المفضوح ، وهذا المحال الممتنع أن تكون المسافة المذكورة تقسم أرضها على عدد يكون أبناء العشرين منهم فصاعدًا خاصة أزيد من ستمائة ألف فأين من دون العشرين ؟ وأين النساء ؟ والكل بزعمهم أخذ سهمه من الأرض المذكورة ليعيش من زرعها وثمرتها ، واعلموا أنه لا يمكن ألبتة أن يكون فى المساحة المذكورة على أن تكون مساحة كل قرية ميلًا فى ميل ، مزارعها ومشاجرها إلا ستة آلاف قرية ومائتى قرية ، هذا على أن يكون جميع العمل المذكور عمرانًا متصلًا ، لا مرج فيه ولا شجر ، ولا أرض محجرة لا تعمر ، ولا أرض مرملة كذلك ، ولا سبخة ملح كذلك ، وهذا محال أن يكون . فعلى هذا يقع لكل قرية من الرجال المذكورين مائة رجل أو نحو ذلك ، سوى من هو دون العشرين منهم[٣٤٧] ، وسوى النساء ، ولا سبيل ألبتة على هذا أن يدركوا فيها المعاش ، وهذا كذب لا خفاء به ، لاسيما إذ بلغوا ألف ألف مقاتل وخمسمائة مقاتل ، سوى من لا يقاتل ، وسوى النساء .

أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح فى قوله تعالى حاكيًا عن فرعون أنه قال إذ تبع بنى إسرائيل : « **إنَّ هؤلاءِ لشِرْذِمَةٌ قليلُون**[٣٤٨] » .

---

(٣٤٣) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، وكانت رباطا للمسلمين ، وهى كورة فلسطين وكانت دار ملك « داود » و « سليمان » واستنقذها « صلاح الدين » سنة ٥٨٣ هـ من الفرنجة ، وقد خرَّبها خوفا من الاستيلاء عليها مرة أخرى ، والرملة أيضا محلة خربت نحو شاطىء دجلة . والرملة : قرية لبنى عامر من بنى عبد القيس بالبحرين ، وينسب إلى رملة فلسطين أبو خالد يزيد بن خالد الرملى الهمدانى (المرجع السابق حـ ٣ : ٦٩ ، ٧٠) .

(٣٤٤) بيسان : هى مدينة فى الأردن بالغور الشمالى ، ويقال لها لسان الأرض ، وهى بين حوران وفلسطين ، وتوصف بكثرة النخل ، وبيسان أيضا موضع فى جهة خيبر بالمدينة ، قال رسول الله ﷺ فى غزاة ذى قرد على ماء يقال له بيسان، فسأل عن اسمه فقالوا يا رسول الله اسمه بيسان وهو ملح فقال ﷺ : بل هو نعمان ، وهو طيب ، فاشتراه طلحة وتصدق به . و « بيسان » أيضا موضع معروف بأرض اليمامة . و « بيسان » أيضا قرية من قرى الموصل (معجم البلدان – ٥٢٨/١) .

(٣٤٥) فى النسخة (أ) [جادا] .

(٣٤٦) فى (أ) [بنى منشا] .

(٣٤٧) فى (أ ، ب) [بينهم] .

(٣٤٨) سورة الشعراء : ٥٤ .

هذا الذى لا يجوز غيره ، ولا يمكن سواه أصلاً .

وكذبة أخرى : وهى أنهم ذكروا فى كتاب « **يوشع** » : أن البلد المذكور كان فيه من المدن فى سهم بنى يهوذا مائة مدينة وأربعة مدن[٣٤٩]، وفى سهم بنى شمعون سبع عشرة مدينة . وفى سهم بنيامين ثمان وعشرون مدينة[٣٥٠]، وفى سهم بنى زبلون اثنتا عشرة مدينة[٣٥١]، وفى سهم بنى نفتالى تسع عشرة[٣٥٢] مدينة . وفى سهم بنى دان ثمانى عشرة مدينة[٣٥٣] فذلك مائتا مدينة ، واثنتان وست وثلاثون مدينة . قال فى الكتاب المذكور — سوى قراها » لا يحصيها إلا الله عزّ وجل .

وذكر فيه أنه وقع لنصف « بنى منسى[٣٥٤]» بن يوسف بشرقى الأردن « باشان[٣٥٥]» وعملها ، وأن مدائنهم المحصنة ستون مدينة سوى قراها لا يحصيها إلا الله . فالمجتمع من هذه المدن المذكورة ثلاثة مائة مدينة غير أربع مدن ، ولم يذكر عدد مدائن بنى « رءوبين » ولا عدد مدائن بنى عاد ، ولا عدد مدائن نصف بنى مَنسّى الذى بغرب الأردن ، ولا مدائن بنى أفرايم .

وهذه الأسباط التى لم تذكر مدنها تقع على ما توجبه تواريتهم فى الربع من جميع بنى إسرائيل ، يقع لهم على هذا الحساب نحو مائة مدينة . إذا ضمت إلى العدد الذى ذكرنا فتمام الجميع نحو أربعمائة مدينة . فاعجبوا لهذه الشهرة أن تكون البقعة التى قد ذكرنا مساحتها على قلتها وتفاهتها تكون فيها هذه المدن . وقد ذكر أن نصف سبط بنى منسى الذين وقعوا بشرقى الأردن ، ووقع فى خططهم ستون مدينة كانوا ستة وعشرين ألف رجل مقاتلين كلهم ليس فيهم ابن أقل من عشرين سنة[٣٥٦]. والعمل باق إلى اليوم لعله إثنى عشر ميلا فى مثلها ، ما رأيت أقل

---

(٣٤٩) سفر يشوع — الإصحاح ١٥ الفقرات من ١ — إلى آخر الإصحاح .

(٣٥٠) فى سفر يشوع — الإصحاح ١٨ — « وكانت مدن سبط بنى بنيامين حسب عشائرهم . . . . . ست عشرة مدينة مع ضياعها . . ثم أربع عشرة مدينة مع ضياعها فيكون المجموع كما فى هذا النص ٣٠ ثلاثين مدينة لا ثمان وعشرين مدينة كما ذكر ابن حزم (راجع الإصحاح المذكور الفقرات من ٢١ — إلى آخر الإصحاح) .

(٣٥١) سفر يشوع — (الإصحاح ١٩ — الفقرات من ١٠ — ١٦) .

(٣٥٢) سفر يشوع — (الإصحاح ١٩ — الفقرات من ٣٢ — ٣٩) .

(٣٥٣) سفر يشوع — الإصحاح ١٩ — الفقرات من ٤٠ إلى آخر الإصحاح .

(٣٥٤) فى النسخة (أ) [بنى منشا] .

(٣٥٥) سفر يشوع — الإصحاح ١٧ .

(٣٥٦) النص كما فى التوراة : « ولنصف سبط منسّى أعطى موسى فى ناشان ، وأما نصفه الآخر فأعطاهم يشوع مع إخوتهم فى عبر الأردن غربا ، وعندما ما صرفهم يشوع أيضا إلى خيامهم باركهم . . . الخ (سفر يشوع — الإصحاح ٢٢ — الفقرات من ٧ — إلى آخر الإصحاح) .

حياء من الذى كتب لهم تلك الكتب المرذولة ، وسخم بها وجوههم . ونعوذ بالله من الضلال .

« فصـــل »

ويتصل بهذا الفصل فصل آخر هو أشنع منه فى شهرة الكذب وشنعة المحال ، وظهور التوليد ، وبشاعة الافتعال :

ذكر فى صدر السفر الثانى إذ ذكر خروج بنى إسرائيل عن مصر مع موسى عليه السلام : أن الله تعالى أمر موسى أن يعد بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر بسنة واحدة ، وشهر واحد فقط ، فعدّ جميع قبائلهم فقال : هؤلاء أكابر البيوت فى قبائلهم « حنوك » و« فلو » و« **حصرون** » و« **كرمى** » وهم بنو « **رؤوبين** » بكر ولد « **إسرائيل** » ، هذه قبائل « رؤوبين[٣٥٧] » .

وذكر فى أول السفر الرابع : أن مُقدّمهم كان « **اليصور بن شديئور** » ، وأن عددهم كان ستة وأربعين ألف رجل ، لم يعدّ فيهم[٣٥٨] من له أقل من عشرين سنة ولا من لا يطيق الحرب .

وذكر فى صدر السفر الثانى فقال : « **وبنو شمعون** » « **يموئيل**[٣٥٩] » ، و« **يامين** » و« **أوهد** » و« **ياكين** » و« **صوحر** » و« **شأول** » بن الكنعانية . هذه قبائل شمعون .

وذكر فى أول السفر الرابع : « أن مُقدّمهم كان **شلو ميئيل** بن صور يشداى » . وأن عددهم كان تسعة وخمسين ألف رجل ، لم يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة ، ولا من لا يطيق الحرب[٣٦٠] .

وقال فى صدر السفر الثانى : هذه تسمية بنى لاوى فى قبائلهم « جرشون » و« قهاث[٣٦١] » و« مرارى » و« ابنا جرشون » و« لبنى » و« شمعى » فى قبائلهم ، و« بنو

(٣٥٧) فى النسخة (ب) [روابين] (راجع سفر التكوين - الإصحاح ٤٦ - الفقرات من ٨ - ١٠) .
(٣٥٨) فى (أ ، ب) [لم يعد منهم] (راجع سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات ٥ ، ١٨ ، ٢١) .
(٣٥٩) فى (خ) [يموال] (راجع سفر التكوين - الإصحاح ٤٦ - الفقرات من ١٠ - ١١) .
(٣٦٠) راجع سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات : ٦ ، ٢٢ ، ٢٣) .
(٣٦١) فى النسخة (ب) [قهات] بالتاء المثناة بدلًا من التاء المثلثة (راجع سفر التكوين ٤٦ الفقرات ١١) .

قهاث » : « عمرام » و« يصهار » و« حبرون » و« عزيئيل » . وابنا مرارى : « محلى » و« موشى » . هذه أنساب بنى لاوى فى قبائلهم . فتزوج « عمران » « يوكابد » عمته ، فولدت له « موسى » و« هارون » وبنو يصهار : « قورح » و« نافج » و« ذكرى » وبنو قورح : « أشير[٣٦٢] » و« القانة » و« أبياساف » . وبنو عزيئيل : « ميشائيل » و« الصافان » ، و« سترى » . فتزوج « هارون » إلى « يشبع[٣٦٣] » بنت « عميناداب » أخت نخشون ، فولدت له « ناداب » و« أبيهوا » و« العازار » و« إيثامار » فتزوج « العازار » بن هارون فى بنات بنى « فوطيئيل[٣٦٤] » فولدت « فيحاس[٣٦٥] » .

وقال فى صدر السفر الرابع : فكلم السيد موسى فى مغار سينا ، وقال له : عدّ بنى لاوى فى بيوت آبائهم وأهاليهم ، فكل ذكر ابن شهر فصاعدًا حسبهم موسى كما عهد إليه السيد فوجد ولد « لاوى » على أسمائهم مسمين : « جرشون » و« قهاث » و« مرارى » . وولد جرشون « لبنى » و« شمعى » . وولد « قهاث » « عمرام » و« يصهار[٣٦٦] » و« عزيئيل » . وولد مرارى : « محلى » و« موشى » . وأنه عدّ عامة ذكور بنى « جرشون » ابن شهر فصاعدا فكانوا ستة آلاف[٣٦٧] وخمسمائة ، كانوا فى ساقة القبة فى الغرب تحت أيدى « الياساف » ابن « لايل[٣٦٨] » . وبعد ذلك ذكر أنه حسب ألفى رجل وستمائة رجل ، وثلاثين رجلًا . ثم قال : هذه نسبة « قهاث » خرج منه رهط « عمرام » و« يصهار » و« حبرون » و« عزيئيل » فحسب من كان منهم ذكرًا ابن شهر فصاعدًا ، فوجدهم ثمانية آلاف رجل وستمائة ذكر مقدّمهم « لصافان[٣٦٩] » ابن « عزيئيل » المذكور . وأمرهم أن يكونوا فى جنوب القبة[٣٧٠]. حاش موسى و« هارون » وأولادهما ، فإنهم يكونون أمام القبة فى الشرق ، وأنه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة إلى ابن خمسين سنة فقط فوجدهم ألفى رجل وسبعمائة رجل وخمسين رجلًا . وذكر أنه حسب بنى مرارى « محلى » و« موشى » بنى مرارى ومن كان منهم ابن شهر فصاعدًا من الذكور فوجدهم ستةآلاف ومائتين مقدّمهم : « صوريئيل » ابن « أبيحايل[٣٧١] » وأمرهم أن يكونوا فى شمال القبة ،

(٣٦٢) فى النسخة (ب) [أسير] بالسين المهملة .

(٣٦٣) فى (أ ، ب) [اليشابع] .

(٣٦٤) فى (خ) [أبو طيبال] بدلًا من [بنى فوطيئيل] .

(٣٦٥) راجع سفر الخروج - (الإصحاح السادس الفقرات من ١٤ - ٢٦) .

(٣٦٦) فى التوراة : « وحبرون » فولد « قهاث » أربعة لا ثلاثة كما فى سفر العدد الذى أشار إليه ابن حزم (راجع سفر العدد - الإصحاح الثالث - الفقرة ١٩) .

(٣٦٧) فى التوراة الحالية : « سبعة آلاف وخمسمائة » لا ستة آلاف كما ذكر ابن حزم (راجع السفر السابق - الإصحاح الثالث - الفقرة ٢٣) .

(٢٦٨) راجع سفر العدد - (الإصحاح الثالث - الفقرات من ١٤ - ٢٥) .

(٣٦٩) فى النسخة (ب) [ليصافان] .

(٣٧٠) راجع المرجع السابق - (الفقرات من ٢٧ - ٣٢) .

(٣٧١) راجع المرجع السابق - (الفقرات من ٣٣ - ٣٦) .

وأنه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة فصاعدًا إلى خمسين سنة فوجدهم ثلاثة آلاف رجل ، ومائتى رجل . وبعد أن ذكر من كان من بنى لاوى ابن شهر فصاعدًا من الذكور كما أوردنا قال : فجميع اللاويين[٣٧٢] الذين حسب موسى وهارون من كل ذكر من ابن شهر فصاعدًا اثنان وعشرون ألفًا .

وأن السيد أوحى إلى موسى : احسب بكور ذكور ولد إسرائيل المذكور[٣٧٣] من ابن شهر فصاعدًا ، وتأخذ لى اللاويين عن بكور جميع ولد إسرائيل فعدَّ موسى بكور ولد بنى إسرائيل الذكور[٣٧٤] من ابن شهر فصاعدًا فوجدهم اثنين وعشرين ألفًا ، ومائتين وثلاثة وسبعين[٣٧٥]. فقال السيد لموسى : خذ « بنى لاوى » عن بكور ذكور ولد إسرائيل ليكون « بنى لاوى » لى ، وعن المائتين والثلاثة والسبعين الزائدين عن عدد بنى لاوى ، تأخذ عن كل واحد خمسة أثقال بوزن الهيكل ، فأخذ موسى دراهم الزائدين فبلغت ألفًا وثلاثمائة وخمسة وستين ثقلًا ، وأعطاها لهارون وولده على ما عهد عليه السيد[٣٧٦].

ثم ذكر فى سفر « يوشع » أن « العازار بن هارون » بنفسه أتى إلى « يوشع بن نون » إذ فتحت الأرض المقدسة ، وكلمه فى أن يعطى « بنى لاوى » مدائن للسكنى ففعل . وأنه وقع لبنى هارون خاصة ثلاث عشرة مدينة من مدائن بنى « يهوذا » و« بنيامين » و« شمعون » . وأنه وقع لسائر بنى « قاهاث » ابن « لاوى » عشر مدائن من مدائن[٣٧٧] بنى دان وبنى أفرايم ، ونصف سبط منسى[٣٧٨] الذين مع سائر الأسباط ، وأنه وقع لبنى جرشون بن لاوى ثلاث عشرة مدينة من مدائن « يساخر[٣٧٩] » ، و« أشار[٣٨٠] » ، و« نفتالى » ونصف سبط « منسى » الذى بشرق الأردن . وأنه وقع لبنى مرارى بن لاوى اثنتى عشرة مدينة من مدائن بنى زابلون ، وبنى رؤوبين ، وجاد بن يعقوب بشرق الأردن فذلك لبنى لاوى ثمان وأربعون مدينة[٣٨١].

وذكر فى السفر الرابع : أنه أحصى أيضًا بنى جاد بن يعقوب الرجال خاصة من كان منهم

---

(٣٧٢) فى النسخة (ب) [اللاوايين] .
(٣٧٣) فى النسخة (أ) [الذكور] بدون ميم .
(٣٧٤) فى النسخة (ب) [المذكور] .
(٣٧٥) سفر العدد (الإصحاح الثالث - الفقرات من ٤٠ - ٤٣) .
(٣٧٦) راجع سفر العدد - (الإصحاح الثالث ، الفقرات من ٤٤ - ٥١) .
(٣٧٧) فى (أ ، ب) سقطت [من مدائن] .
(٣٧٨) فى النسخة ب (أ) [منشا] .
(٣٧٩) فى النسخة (ب) [يساخار] .
(٣٨٠) فى النسخة (ب) و [أشير] .
(٣٨١) راجع سفر يشوع - (الإصحاح ٢١ الفقرات من ١ - ٧) .

ابن عشرين سنة فصاعدًا ، المبارزين للحرب فوجدهم خمسة وأربعين ألف رجل وخمسين[٣٨٢] رجلًا ، مقدمهم « ألياساف بن رعوئيل » وأنه أحصى بنى « يهوذا » الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدًا المبارزين للحرب خاصة فوجدهم أربعة وسبعين ألفًا وستمائة رجل[٣٨٣]، وقد ذكر قبل وبعد أن هذا العدد كله إنما هم من ولد « شيلة » ، و« فارص » و« زارح » بنى يهوذا فقط ، مقدمهم « نحشون » بن عميناداب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن إسرائيل .

وأنه أحصى بنى يساكر[٣٨٤] الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدًا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم أربعة وخمسين ألف رجل وأربعمائة رجل ، مقدمهم « نثنائيل ابن صوغر[٣٨٥] » ، وأنه أحصى « بنى زبلون » الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدًا المبارزين للحرب خاصة فوجدهم سبعة وخمسين ألف رجل وأربعمائة رجل ، مقدمهم « ألياب بن حيلون[٣٨٦] » ، وأنه حسب بنى « يوسف » عليه السلام الذكور خاصة ، من كان منهم ابن عشرين فصاعدًا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم اثنين وسبعين ألف رجل وسبعمائة رجل منهم من ولد « أفرايم بن يوسف » أربعون ألف رجل ، وخمسمائة رجل ، ومقدمهم « اليشمع[٣٨٧] بن عميهود » ومن ولد « منسى[٣٨٨] » بن يوسف اثنان وثلاثون ألف رجل ، ومائتا رجل ، مقدمهم « جمليئيل بن فدهصور[٣٨٩] » ، وأنه حسب بنى « بنيامين » الذكور خاصة ، من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب خاصة فكانوا خمسة وثلاثين ألف رجل ، وأربعمائة رجل مقدّمهم « أبيدن بن جدعونى[٣٩٠] » . وأنه حسب « بنى دان » الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعدا من المبارزين للحرب خاصة فكانوا : اثنين وستين ألف رجل وسبعمائة رجل ، مقدمهم « أخيعزر بن عميشداى » وكلهم من ولد « حوشيم ابن دان[٣٩١] » وأنه حسب « بنى أشير » الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعدا من

(٣٨٢) الذى فى السفر الرابع سفر العدد أن عدد بنى جاد خمسة وأربعون ألفا وستمائة وخمسون (سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات من ٢٤ - ٢٥) و (الإصحاح الثانى ١٤ ، ١٥) .

(٣٨٣) راجع (سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات من ٢٦ ، ٢٧) .

(٣٨٤) فى (أ) [يساكر] .

(٣٨٥) فى (أ) : [منشا] .

(٣٨٦) سفر العدد ، الإصحاح الأول - الفقرات (٣٠ ، ٣١) والإصحاح الثانى (٧ ، ٨) .

(٢٨٧) فى (خ) : (اليسماع] .

(٢٨٨) سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات من ٢٨ ، ٢٩ ، والإصحاح الثانى (٥) .

(٣٨٩) راجع (سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات من ٣٣ - ٣٥) و (الإصحاح الثانى : ١٨ ، ١٩ ، ٢١) .

(٣٩٠) راجع (سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات ٣٦ ، ٣٧) و (الإصحاح الثانى : ٢٢ - ٢٤) .

(٣٩١) راجع (سفر العدد - الإصحاح الأول - الفقرات ٢٨ ، ٢٩) و (الإصحاح الثانى : ٢٥ - ٢٧) .

المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم واحداً وأربعين ألف رجل وخمسمائة رجل ، مقدمهم « فجعيئيل ابن عكران[٣٩٢]» وأنه حسب « بنى نفتالى » من كان منهم من الذكور خاصة ابن عشرين فصاعدًا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم ثلاثة وخمسين ألف رجل وأربعمائة رجل ، مقدمهم « أخيرع ابن عينن[٣٩٣]» وأن هذا الحساب كان بعد عام واحد وشهر واحد من خروجهم من مصر حاش قسمة المدائن المذكورة ، وأنها بعد دخولهم فلسطين والأردن .

فليتأمل كل ذى تمييز صحيح من الخاصة والعامة هذا الكذب الفاحش الذى لا خفاء به ، والمحال الممتنع ، والجهل المفرط الموجب كل ذلك ضرورة أنها كتب محرفة مبدّلة من تحريف فاسق سخر بهم ، وأنها لا يمكن ألبتة أن تكون من عند الله ، ولا من عند نبى ، ولا من عمل صادق اللهجة .

فمن ذلك إخباره : بأن رجال « بنى دان » كانوا إذ خرجوا من مصر اثنين وسبعين ألفًا وسبعمائة رجل ، لم يعد فيهم من كان منهم ابن أقل من عشرين سنة ، ولا من لا يطيق البروز للحرب ، ولا النساء ، وأنهم كلهم راجعون إلى « حوشيم بن دان » وحده . ولم يكن « لدان » بإقرارهم ولد غير « حوشيم » مع قرب أنسابهم من « حوشيم » ، لأن فى نصٍّ توراتهم : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام : أن الجيل الرابع من الأولاد يرجعون إلى الشام ، فاضبطوا هذا يظهر لكم الكذب علانية لا خفاء به ، وأن « بنى يهوذا » كانوا أربعة وسبعين ألفًا وستمائة رجل ، ليس يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة ، وكلهم راجعون كما ذكرنا إلى ثلاثة أولاد ليهوذا لم يعقب له غيرهم . وفى الحياة يومئذ رئيسهم : « نحشون » بن عميناداب بن أرام[٣٩٤] بن حصرون بن فارص ابن يهوذا . وأن « بنى يوسف » عليه السلام : كانوا اثنين وسبعين ألف رجل ، وسبعمائة رجل ، ليس يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة وكلهم راجع إلى « أفرايم » و« منسى » لم يعقب ليوسف غيرهما ، وفيهم يومئذ فى الحياة « صلفحاد ابن حافر بن جلعاد بن منسى بن يوسف » عليه السلام .

وقد ذكر أيضًا فى توراتهم أولاد « أفرايم » فلم يجعل له إلا ثلاثة ذكور ، ولم يجعل « لمنسى » إلا ولدين . وذكر أولاد « جلعاد » المذكور ابن « منسى » ولم يجعل له إلا ستة ذكور فقط ، فاجعلوا « لمنسى » و« أفرايم » أقصى ما يمكن أن يكون للرجل من الأولاد ، ثم لجلعاد وإخوته وبنى

---

(٣٩٢) راجع (سفر العدد – الإصحاح الأول – الفقرات ٤٠ ، ٤١) و (الإصحاح الثانى : ٢٧ – ٢٩) .
(٣٩٣) راجع (سفر العدد – الإصحاح الأول – الفقرات ٤٢ ، ٤٣) و (الإصحاح الثانى : ٢٩ – ٣١) .
(٣٩٤) فى النسخة (أ) [رام] .

عمه مثل ذلك . ثم « الحافر » وطبقته مثل ذلك . وانظروا هل يمكن أن يبلغ ذلك ثلث هذا العدد . والأمر فى ولد « دان » أفحش من سائر ما فى ولد إخوته ، وإن كان الكذب فى كل ذلك فاحشا ، لأن البضع والسبعين ألف رجل وزيادة لم يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة ، يرجعون إلى ثلاثة من ولد « يهوذا » ، واثنين من ولد « يوسف » وأما الاثنان وستون ألف رجل ونيف لا يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة ، فإنما يرجع إلى واحد فقط لم يكن « لدان » غيره بلا خلاف منهم ، فكيف إذا أضيف إلى هذا العدد من له أقل من عشرين سنة من الرجال ؟ والأغلب أنهم قريب من عدد المتجاوزين عشرين سنة أو أقل بيسير ، وجميع النساء والأغلب أنهن فى عدد الرجال أو قريبًا من ذلك ، فيجتمع من ولد « حوشيم بن دان » وحده فى مدة مائتى عام وسبعة عشر عامًا نحو مائة ألف وستين ألف إنسان .

هذا المحال الممتنع الذى لم يكن قط فى العالم على حسب بنيته ورتبته[٣٩٥].

ويجتمع من ولد « يوسف » عليه السلام على هذا أرجح من مائتى ألف إنسان ومن ولد « يهوذا » نحو ذلك ، وليس يمكنهم أن يقولوا إن الطبقات من الولادات كانت كثيرة جدًا لوجهين :

أحدهما : قوله فى توراتهم إن الجيل الرابع من الأولاد يرجعون إلى الشام .

والثانى : أن[٣٩٦] الذى ذكر أنسابهم من « بنى لاوى » ، و« بنى يهوذا » ، و« بنى يوسف » و« بنى رؤوبين » كانوا متقاربين فى التعداد[٣٩٧] « كموسى » و« هارون » و« مريم » بنى « عمران ابن فاهاث[٣٩٨] بن لاوى بن إسرائيل » . و« اليصافان بن عزيئيل ابن فاهاث بن لاوى بن إسرائيل » . وقورح وإخوته[٣٩٩] « بنو يصهار بن فاهاث بن لاوى ابن إسرائيل » . و« نحشون وإخوته[٤٠٠] بنو عميناداب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا ابن إسرائيل » . و« أحار بن كرمى بن سيداى ابن شيلة بن يهوذا بن إسرائيل » .

و« دابان » و« أبيرام » ابنا « الباب بن ملوكن بن روبان بن إسرائيل » وإخوتهم ، وأولادهم وأولاد أولادهم ، هذا نص ذكر أنسابهم فى توراتهم ، فوضح أن الأمر متقارب فى تعدادهم[٤٠١]، وظهر بهذا عظيم الكذب الفاحش فى الأعداد التى ذكروا ، ولا يمكنهم ألبتة أن يقولوا : إنه كان لإسرائيل غير من سمينا من الأولاد الإثنى عشر ، ولا أنه كان لأولاد إسرائيل المذكورين غير من سمينا

---

(٣٩٥) سقطت هذه الكلمة فى (أ) وفى (ب) [وتربيته] وهو تحريف ظاهر .
(٣٩٦) فى النسخة (أ) [أو] بدلا من (أن) .
(٣٩٧) فى النسخة (ب) [التعدد] .
(٣٩٨) فى النسخة (ب) [قاهاث] بالقاف المثناة .
(٣٩٩) فى النسخة (أ) [وأخواته] .
(٤٠٠) فى النسخة (أ) [وأخواته] .
(٤٠١) فى النسخة (ب) [فى تعددهم] .

من الأولاد ، وعددهم واحد وخمسون رجلًا فقط ، « لبنيامين » عشرة ، و« لجادا[٤٠٢] سبعة ، و« لشمعون » ستة . و« لرؤوبين » و« أشير » و« يساخر[٤٠٣] » و« نفتالى » لكل واحد منهم أربعة أربعة . و« ليهوذا » و« لاوى » و« زبلون » لكل واحد منهم ثلاثة ثلاثة . و« ليوسف » اثنان ولدان[٤٠٤].

فياللناس !! كيف يمكن أن يتناسل من ولادة واحد وخمسين رجلًا فقط فى مدة مائتى عام وسبعة عشر عاما فقط أزيد من ألفى ألف إنسان ؟

هذا غاية المحال الممتنع ، لأنه نص فى توراتهم : أنه انتسل منهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف رجل كلهم لم يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة . ولعلَّ من دون العشرين عامًا منهم يقاربون هذا العدد . ثم النساء ولعلهن نحو هذا العدد . فاعجبوا لهذه الفضائح . وقد رام بعض من صككت وجهه من علمائهم بهذه الفضيحة أن يلوذ بهذا الشغب . فقلت : دع عنك هذا التمويه فقد سدّت عليك توراتك كل المذاهب[٤٠٥]، لأن فيها — بعلمك[٤٠٦]— حيث ذكر خروجهم من مصر ، وحيث ذكر دخولهم إلى الشام ، وحيث ذكر قسمة الأرض عليهم فى سفر « يوشع » ذكر أفخاذ قبائلهم ، وتسمية أسباطهم اسمًا اسمًا ، فلم يزد على من سمينا ولا واحدًا .

فلو كان ما تقول : لكانت أيضًا قد كَذَبَتْ فى هذا الموضع إذ ذكرت بزعمك هذا ، قسمة الأرض ، ورتبة الجيوش ، وأعداد الأسباط بخلاف ما تزعم . فلابدَّ فيها من الكذب المتيقن كيفما تصرفت الحال ، فسكت خاسئًا .

فإن قيل : ألم يقل « يعقوب » إذ عرض عليه « يوسف » ابنه « أفرايم » و « منسى[٤٠٧] » فقال له « يعقوب » : « أفرايم » و « منسى » يكونان لى ، وينسبان إلىّ ، ومن ولد لك بعدهما ينسبان إليك .

قلنا : لا يخلو « يوسف » عليه السلام من أن لا يكون له ولد غيرهما ممّن أعقب خاصة ، كما نقول نحن ، وتشهد به نصوص توراتكم ، وجميع كتبكم ، أو يكون ليوسف ولد أعقب غير أفرايم و « منسى[٤٠٨] » ، فلو كان ذلك فكتبكم كلها كاذبة أولها عن آخرها من التوراة فما

---

(٤٠٢) فى النسخة (ب) [جاد] .
(٤٠٣) فى النسخة (ب) [يساكر] بالكاف .
(٤٠٤) فى النسخة (ب) [والدان واحد] بغير واو العطف ، وفى (خ) ولدان ولدا فى واحد] . ويبدو أن فى الكلام حذف والتقدير [ولدا فى يوم واحد] .
(٤٠٥) فى (خ) [كل الطرق] .
(٤٠٦) فى (ب) [بغلمك] بالغين بدلًا من العين المهملة .
(٤٠٧) فى النسخة (أ) [ومنشا] .
(٤٠٨) فى النسخة (أ) [ومنشا] وقد تكررت فيها على هذا النحو .

وراءها . لأنه فى كل مكان ذكر فيه رتبة معسكر الأسباط سبطا سبطا ، وعددهم إذ خرجوا من مصر ، وعددهم إذ دخلوا الشام ، وعددهم إذ أهدوا الكباش والعجول وحقاق(٤٠٩) الذهب . وعددهم إذ وقفوا على الجبلين للبركة واللعنة ، وعددهم إذ نقشت أسماؤهم فى الفصوص المرتبة على صدر هارون فى أزيد من ألف موضع فى سائر كتبهم . ولم يذكر ليوسف إلا سبطين فقط ؛ سبط « منسّى » ، وسبط « أفرايم » فبطل الاعتراض بذلك الكلام المذكور . وبالله التوفيق .

وقد علم كل من يميز من الرجال والنساء أن الكثرة الخارجة من الأولاد لم توجد فى العالم لصعوبة الأمر فى تربية أطفال الناس ولكون الإسقاط فى الحوامل ، ولإبطاء حمل المرأة بين بطن وبطن ، ولكثرة الموت فى الأطفال .

فهذه أربع عوارض قواطع دون الكثرة الخارجية فى الأولاد للناس ، ثم كون الإناث فى الولادات أيضًا . ولو طلبنا أن نعد من عاش له عشرون ولدًا فصاعدا من الذكور وبلغوا الحلم فما وجدناهم إلّا فى الندرة ، ثم فى القليل من الملوك وذوى اليسار المفرط الذين تنطلق أيديهم على(٤١٠) الكثير من النساء والإماء ، ثم على الخدام اللواتى هن العون على التربية والكفاية . وعلى كثرة المال الذى لا يكون المعاش إلّا به ، وأمّا من لا يجد إلا الكفاف(٤١١) وفوقه مما لا يبلغ الإكثار من الوفر ، ولا يقدر إلّا على المرأة والمرأتين ونحو ذلك ، فلا يوجد هذا فيهم ألبتة بوجه من الوجوه ولا يمكن ذلك أصلًا لهم لما ذكرنا آنفًا من القواطع الموانع ، وقد شاهدنا الناس وبلغتنا أخبار أهل البلاد البعيدة ، وكثر بحثنا عما غاب عنا منا ، ووصلت إلينا التواريخ الكثيرة المجموعة فى أخبار من سلف من عرب وعجم فى كثير من الأمم ، فما وجدنا فى كل(٤١٢) ذلك المعهود من عدد أولاد الذكور فى المكثرين الذين يتحدث بهم عند كثرة الولد إلّا من أربعة عشر ذكرا فأقل ، وأمّا ما زاد إلى العشرين فنادر جدًّا .

هذه الحال فى جميع بلاد أهل الإسلام ، والذى بلغنا عن ممالك النصارى إلى أرض الروم ، وممالك الصقالبة(٤١٣) والترك والهند والسودان قديما وحديثا ، وأما الثلاثون فأكثر فما بلغنا ذلك إلّا عن نفر يسير عمن سلف . منهم « **أنس بن مالك**(٤١٤) الأنصارى » ، وخليفة **ابن أبى السعدى** ، **وأبو بكرة** ، فإن هؤلاء لم يموتوا حتى مشى بين يدى كل واحد منهم مائة

---

(٤٠٩) فى (خ) [وجفان] بالجيم .
(٤١٠) فى النسخة (ب) [عن] .
(٤١١) فى النسخة (ب) [الكتاب] .
(٤١٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [كل] .
(٤١٣) فى (ب) : « الصقالية » بالياء .
(٤١٤) هو : أنس بن مالك الأنصارى الخزرجى ، أبو ثمامة صاحب رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ وخادمه ، ولد بالمدينة عام ١٠ هـ وأسلم صغيرا ، وخدم النبى ﷺ إلى أن قبض ، ثم رحل إلى دمشق والبصرة فمات بها سنة ٩٣ هـ وقد مشى أمامه مائة رجل من ولده يرجعون نسبهم إليه ، من ذكور ولده ، وولده خاصة (راجع جمهرة أنساب العرب ص ٣٥١) .

ذكر من ولده . **وعمر بن عبد الملك**[٤١٥] فإنه كان يركب معه ستون رجلًا من ولده ، وجعفر ابن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، فإنه عاش له أربعون ذكرًا من ولده سوى أبنائهم ، وعبد الرحمن بن الحكم بن هشام[٤١٦] بن عبد الرحمن ابن معاوية فإنه ولد له خمسة وأربعون ذكرًا عاش منهم نيف وثلاثون ، وموسى بن إبراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فإنه بلغ له منهم مبلغ الرجال واحد وثلاثون ابنًا ذكورًا كلهم ، وكان أبوه أميرًا على اليمن مرة قائمًا ومرة واليًا للمأمون ، ووصيف مولى المعتصم التركى كان له خمسة وخمسون ذكرًا بالغين من ولده الأدنين ، و « تامرت » مولى بن مناد صاحب « طرابلس » فإنه كان يركب معه[٤١٧] ثمانون ذكرًا من أولاده الأدنين ، إلا أن هذا كان يغتصب كل امرأة أعجبته من أمة أو حرة ويولدها ، ورجل من ملوك البربر من « بنى دمر » معتزلى كان يركب معه مائتا فارس من ولده وولد ولده ، وتميم[٤١٨] بن زيد بن يزيد بن يعلى بن محمد العرنى ، فإنه بلغنا أنه كان له نيف وخمسون ذكرًا بالغين وكان ملك بنى نفر ممن[٤١٩] ملك بلادًا عظيمة . وأبو النهار ابن زيرى[٤٢٠] بن منكاد فكان يركب معه ثلاثون ذكرًا من ولده الأدنين . ومرزوق بن أشكر ابن الثغرى بجهة « لارده » — فكان يركب معه ثلاثون فارسًا من ولده الأدنين . وبلغنا عن ملك من ملوك الهند أنه كان له ثمانون ولدًا ذكرًا بالغون .

وتذكر اليهود فى تواريخهم أن رئيسًا كان يدبر أمرهم كلهم يسمى « جدعون بن بواش » من بنى منسى[٤٢١] بن يوسف عليه السلام كان له سبعون ولدًا ذكورًا ، وأن آخر من مدبريهم[٤٢٢] أيضًا من سبط منسى يسمى « بايين بن جلعاد » كان له اثنان وثلاثون ولدًا ذكورًا ، وآخر من مدبريهم اسمه « عبدون بن هلال » من بنى أفرايم بن يوسف كان له أربعون ابنًا ذكرًا بالغون . وآخر من مدبريهم من سبط يهوذا اسمه « أفصان » من سكان بيت لحم كان له ثلاثون زوجة ، وثلاثون ابنًا ذكورًا ، وثلاثون بنتًا . وتزعم الفرس أن « جودرز » الملك على كرمان كان له تسعون

---

(٤١٥) هو : ابن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج المعروف بابن ملاك ، أحد من ولى الإسكندرية ، استخلفه بها محمد ابن هبيرة ، قتله أنصاره فى قصره بالاسكندرية عام ٢٠٠ هـ (الأعلام) .

(٤١٦) عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية : رابع ملوك بنى أمية فى الأندلس ولد فى طليطلة عام ١٧٦ هـ ، وكان أبوه واليا فيها قبل ولايته ، وبويع بقرطبة سنة ٢٠٦ هـ وهو أول من جرى على سنن الخلفاء فى الزينة والشكل وترتيب الخدمة ، كان مطلعا على علوم الشريعة ، وبعض فنون الفلسفة ، توفى بقرطبة عام ٢٣٨ هـ وقد ولد له مائة ولد ، وخمسون أنثى (جمهرة أنساب العرب ص ٩٨) (والأعلام : للزركلى) .

(٤١٧) فى (ب) : ومعه .

(٤١٨) فى (ب) : وتيم .

(٤١٩) فى النسخة (ب) [من] . وفى (خ) [بنى يفرن] .

(٤٢٠) فى (خ) [وأبو البهار بن زيرى بن مناد] .

(٤٢١) فى (أ) : [بنى منشا] .

(٤٢٢) فى (أ ، ب) [منهم] .

ابنًا ذكورًا بالغون . فإذا كانت هذه الصفة لم نجدها منذ نحو ثلاثة آلاف عام إلَّا فى أقل من عشرين إنسانا فى مشارق الأرض ومغاربها فى الأمم السالفة والخالفة ممن علت حاله ، وامتد عمره ، وكثرت أمواله وعياله ، فكيف يتأتى من هذا العدد ما لم يسمع بمثله قط فى الدّهر ، لا فى نادر ولا فى شاذ لبنى إسرائيل كافة بمصر ؟ وحالهم فيها معروفة مشهورة لا يقدر أحد على إنكارها ، وهى أنهم كانوا فى حياة يوسف عليه السلام فى كفاف من العيش أصحاب غنم فقط ، ولم يكونوا فى يسار فائض ، ثم كانوا بعد موت يوسف وإخوته عليه السلام فى فاقة عظيمة وعذاب ونصب ، وسخرة متصلة ، وذلّ راتب[٤٢٣]، وبلاء دائب ، وتعب زاهق ، يكاد يقطع عن الشبع ، فكيف عن الاتساع فى العيال ، والأشر[٤٢٤] فى الاستكثار من الولد ؟ فهذه كذبة عظيمة مطبقة فاضحة .

وثانية : وهى أن فى توراتهم أنهم كانوا ساكنين فى أرض « قوس » فقط وأن معاشهم كان من المواشى فقط .

وذكر فى توراتهم : أنهم إذ خرجوا من مصر خرجوا بجميع مواشيهم ، فاعجبوا أيها السامعون وتفكروا ما الذى يكفى ستمائة ألف وثلاثة آلاف لم يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة ، سوى النساء – للقوت والكسوة من المواشى ، ثم اعلموا يقينا أن أرض مصر كلها تضيق عن مسرح هذا المقدار من المواشى فكيف أرض قوص وحدها[٤٢٥]؟

وهم يقولون فى توراتهم : إن إبراهيم ولوطا عليهما السلام لم تحمل كثرة مواشيهم أرض واحدة ، ولا أمكنهما أن يسكنا معا ، فكيف بمواشٍ تقوِّم بأزيد من ألف ألف وخمسمائة ألف إنسان ؟ لقد كان الذى عمل لهم هذه الكتب الملعونة المكذوبة ضعيف العقل ، قليل الفكرة فيما يطلق به قلمه ، فهذه كذبة فاحشة ثانية عظيمة جدًّا .

وثالثة : أنه ذكر فى توراتهم أنهم كانوا كلهم يسخرون فى عمل (الطوب) وتاالله إن ستمائة ألف طواب لكثير جدًا ، لا سيما فى « قوص » وحدها ، وليس يمكنهم أن يقولوا : إنهم كانوا متفرقين ، فإن توراتهم تقول غير هذا وتخبر أنهم كانوا مجتمعين ، ذكر ذلك فى مواضع جمة منها ، حيث أمرهم بذبح الخرفان ومس العنب بالدم ، ومنها حيث أباح لهم فرعون الخروج مع موسى عليه السلام ، فكانوا كلهم مجتمعين بمواشيهم يوم خروجهم . وهذه كذبة عظيمة ثالثة لاخفاء بها .

والرابعة : أنه ذكر « بنى لاوى » ثلاثة رجال فقط : « فهاث[٤٢٦]» و« جرشون » ،

---

(٤٢٣) فى النسخة (ب) [رابت] بتقديم الباء على التاء .

(٤٢٤) الأشَرُ : النشاط .

(٤٢٥) راجع (سفر الخروج – الإصحاح ١٢ – الفقرات من ٣٧ – ٣٩) .

(٤٢٦) « قهاث » بالتاء المثناه بدلًا من الثاء فى النسخة (ب) .

و« مرارى » ، وأن ذكور نسل هؤلاء الثلاثة فقط كانوا : اثنين وعشرين ألفا من الذكور خاصة من ابن شهر فصاعدًا ، من جملتهم ثمانية آلاف رجل وخمسمائة رجل وثمانون رجلًا ليس فيهم ابن أقلّ من ثلاثين سنة ، ولا ابن أكثر من خمسين سنة ، ثم ذكر أولاد « مرارى » فلم يذكر له إلّا ولدين : « محلّى » و« موشى » فقط ، وذكر أولاد « جرشون » بن « لاوى » فلم يذكر له إلّا ولدين فقط : « لبنى » و« شمعى » وذكر أولاد « فهاث » بن « لاوى » فلم يذكر إلّا أربعة فقط : « عمرام » و« يصهار » و« حبرون » و« عزيئيل » . فرجع نسل « لاوى » كله إلى هؤلاء الثمانية فقط . ثم لم يجعلوا لتوجيه التأويل فى كذبهم مساغًا ، بل عدَّ أولاد « عمرام » بأنهم « موسى » و« هارون » عليهما السلام فقط ، و« العازار » و« فرصوم » ابنى « موسى » عليه السلام وكانا صغيرين حينئذ جدًّا ، وأربعة أولادٍ لهارون عليه السلام ، وعد أولاد « يصهار » فذكر « قورح » وإخوته ، وثلاثة أولاد لقورح وبقى سائر العدد المذكور من الألوف وهى : ثمانية آلاف رجل ، وستمائة رجل ، لا يعدُّ فيهم ابن أقل من شهر من بنى « فهاث » خاصة ، راجعا إلى أولاد « حبرون » و« عزيئيل » وأخوى « قورح » فقط ، هذا و« الصافان » بن « عزيئيل » حى مقدم طبقته سوى النساء ، ولعلَّ عددهن كعدد الرجال ، وهذا من الحمق الذى لا نظير له ، ومن قلة الحياء فى الدرجة العليا ، ومن الكذب البحت فى المقدمة ، ومن المحال فى المحل الأقصى ، وجارٍ مجرى الخرافات التى تقال عند السمر بالليل ، ولعمرى لو ضل بتصديق هذا الهوس[٤٢٧] الفاجر واحد واثنان لكان عجبا ، فكيف أن يضل به عالم عظيم ، وجيل بعد جيل مذ أزيد من ألف وخمسمائة عام مذ كتب لهم « عزرا[٤٢٨] » الوراق هذا السخام الذى أضلهم به ؟ ونحمد الله على عظيم نعمته علينا حمدًا كثيرا . ونسأله العصمة فى باقى أعمارنا مما امتحن به من شاء إضلاله آمين آمين .

والخامسة قوله فى سفر يوشع : أنه وقع لبنى هارون ثلاث عشرة مدينة ، و« العازار ابن هارون » حى قائم ، فياللناس !! أفى المحال أكثر من أن يدخل فى عقل أحد أن نسل « هارون » بعد موته بسنة وأشهر يبلغ عددًا لا يسعه للسكنى إلا ثلاث عشرة مدينة ؟ هل لهذا الحمق دواء إلا الغل والقيد والمجمعة[٤٢٩] ، وما يتبع ذلك من الكى والسوط ؟ ونعوذ بالله من الخذلان .

وكذبة سادسة ظريفة جدًّا : وهى أنه ذكر فى توراتهم أن عدد ذكور « بنى جرشون »

---

(٤٢٧) فى النسخة (ب) [المهوس] .
(٤٢٨) فى (أ ، ب) [عزر] .
(٤٢٩) فى (خ) [والجامعة] .

ابن لاوى من ابن شهر فصاعدًا كانوا ستة آلاف وخمسمائة ، وأن عدد ذكور « بنى فهاث » ابن « لاوى » من ابن شهر فصاعدًا كانوا ثمانية آلاف وستمائة ، وأن عدد ذكور بنى مرارى ابن لاوى من ابن شهر فصاعدًا(٤٣٠) كانوا ستة آلاف ومائتين ، ثم قال : فجميع الذكور من بنى لاوى من ابن شهر فصاعدًا اثنان وعشرون ألفًا ، فكان هذا ظريفًا جدًّا ، وشيئًا تندى منه الآباط . وهل يجهل أحد أن الأعداد المذكورة إنما هى يجتمع منها واحد وعشرون ألفًا وثلاثمائة ؟

هذا أمر لا ندرى كيف وقع ؟ أتراه بلغ المسخم الوجه الذى كتب لهم هذا الكتاب الأحمق من الجهل بالحساب هذا المبلغ ؟ إن هذا لعجب !!

ولقد كان الثور أهدى منه ، والحمار أنبه منه بلا شك . أترى ؟ لم يأت بعده من اليهود مذ أزيد من ألف عام وخمسمائة عام من تبين له أن هذا خطأوباطل ؟ ولا يمكن أن يدعى هنا غلط من الكاتب ، ولا وهم من الناسخ ، لأنه لم يدعنا فى لبس من ذلك ، ولا فى شك من فساد ما أتى به ، بل أكد ذلك وبينه وفضحه وأوضحه بأن قال : إن بكور ذكور بنى إسرائيل كانوا اثنين وعشرين ألفًا ومائتين وثلاثة وسبعين ، وأن الله تعالى أمر « موسى » أن يأخذ بنى لاوى الذكور عن بكور ذكور بنى إسرائيل ، وأن يأخذ عن المائتين والثلاثة والسبعين الزائدين من بكور ذكور بنى إسرائيل عن الإثنين وعشرين ألفًا من بنى لاوى عن كل رأس خمسة أشقال فضة ، فاجتمع من ذلك ألف شقل وثلاثمائة شقل ، وخمسة وستون شقلا ، فارتفع الإشكال جملة . (وبالله التوفيق)(٤٣١).

وتالله ما سمعنا قط بأخبث طينة ، ولا أفسد جبلة ممن كتب لهم هذا الضلال إلا من اتبعه وصدّق بضلاله . فهذه ست كذبات فى نسق ، لو لم يكن فى توراتهم منها إلّا واحدة لكان برهانا قاطعا موجبا لليقين بأنها كتاب موضوع بلا شك ، مبدّل محرّف مُغير(٤٣٢) مكذوب . فكيف بجميع ما أوردنا من ذلك ونورد إن شاء الله ، ونعوذ بالله من الخذلان .

ويتلو هذا كذبة سابعة(٤٣٣) بشيعة شنيعة ، وهى أنهم لا يختلفون فى أن داود عليه السلام هو ابن « أبشباى بن عونيذ بن بوعز بن شلومون(٤٣٤) بن نحشون بن عميناداب بن أرام ابن حصرون » لا يختلفون فى أن « عونيذ » المذكور جد داود أبا أبيه كانت أمه « روث » العمونية

---

(٤٣٠) فى (أ ، ب) سقط الكلام من قوله [كانوا ثمانية آلاف وستمائة ... فصاعدًا] .
(٤٣١) فى (خ) سقطت عبارة [وبالله التوفيق] .
(٤٣٢) فى (أ ، ب) [صغير] بدلًا من [مغير] .
(٤٣٣) فى (أ ، ب) [شائعة] بدلًا من [سابعة] .
(٤٣٤) فى النسخة (ب) [أشلومون] .

التى لها عندهم[٤٣٥] كتاب مفرد من كتب النبوة ، ولا يختلفون فى أن من خروجهم من مصر إلى ولاية « داود » عليه السلام كانت ستمائة سنة ، وستا وستين .

وفى نص التوراة عندهم وبلا خلاف منهم : أن مقدم[٤٣٦] بنى يهوذا إذ خرجوا من مصر كان « نحشون بن عميناداب » المذكور ، وأنه أخو امرأة « هارون » عليه السلام .

وفى نص توراتهم أنهم قالوا : قال الله تعالى : إنه لا يدخل الأرض المقدسة أحد خرج من مصر ، وله عشرون سنة فصاعدًا إلا « يهوشع بن نون » الأفرايمى ، و« كالب بن يُفَنَّة اليهوذانى » ، فصح ضرورة أن « نحشون » مات فى التيه ، وأن الدَّاخل فى أرض الشام هو ابنه « شلومون[٤٣٧] » . فاقسموا الآن ستمائة وستا وستين على أربع ولادات فقط . وهذه ولادة « بوعز ابن شلومون » الداخل ثم ولادة « داود » عليه السلام ، ثم « أبشاى » ثم لا تختلف كتبهم فى أن « داود » عليه السلام ولى وله ثلاث وثلاثون سنة عند تمام الستمائة سنة وست وستين ، فينبغى أن تسقط سنو « داود » إذ ولى من العدد المذكور -- يكون الباقى خمسمائة سنة وثلاثا وسبعين سنة لثلاث ولادات . وهى ولادة « أبشاى » وولادة « عونيذ » وولادة « بوعز » . فتأملوا : ابن كم كان [عمر[٤٣٨]] واحد منهم إذ ولد له ابنه المذكور ؟ تعلموا أنه كذب مستحيل فى نسبة ذلك من أعمارهم يومئذ لأن فى كتبهم نصًّا أنه لم يعش أحد بعد موسى عليه السلام فى بنى إسرائيل مائة وثلاثين سنة إلا « يهوياراع » الكوهن الهارونى وحده ، بالضرورة يجب أن كلَّ واحدٍ ممن ذكرنا كان له أزيد من مائة ونيف وأربعين إذ ولد له ابنه المذكور .

وهذه أقوال يكذب بعضها بعضا ، فصح ضرورة لا محيد عنها أنها كلها مبدلة مستعملة محرفة مكذوبة ملعونة ، وثبت أن ديانتهم المأخوذة من هذه الكتب ديانة فاسدة مكذوبة من عمل الفسّاق ضرورة كالشيء المدرك بالعيان واللمس ، ونحمد الله على السلامة .

فصـــل

شوق بنى إسرائيل إلى خضروات الأرض

ثم وصف قيام بنى إسرائيل على موسى عليه السلام ،وطلبهم منه اللحم للأكل وذكروا شوقهم[٤٣٩] إلى القرع ، والقثاء ، والبصل ، والكرات ، والثوم الذى تشبه رائحته فى الروائح عقولهم

(٤٣٥) فى (أ ، ب) لا توجد كلمة [عندهم] .
(٤٣٦) فى النسخة (ب) [مقدمهم] .
(٤٣٧) فى النسخة (ب) [سلومان] .
(٤٣٨) ليست فى النسخ التى اعتمدنا عليها ، ولكن المعنى يقتضيها .
(٤٣٩) فى النسخة (ب) [أشواقهم] .

فى العقول ، وذكروا ضجرهم من المنّ ، والله عزَّ وجل قال لموسى عليه السلام : « تقول للعامة تقدسوا غدًا تأكلوا اللحم ، هأنا أسمعكم قائلين : من ذا يطعمنا أكل اللحم(٤٤٠)؟ قد كنا بخير بمصر ليعطينكم السيد اللحم فتأكلون ، ليس يومًا واحدًا ولا يومين ، ولا خمسة ، ولا عشرة حتى تكمل أيام الشهر ، حتى يخرج على مناخركم ، ويصيبكم التخم لما تخليتم عن السيّد الذى هو فى وسطكم ، ويبكون قدامه قائلين : لماذا خرجنا من مصر ؟ فقال موسى لله تعالى : هم ستمائة ألف رجل ، وأنت تقول : أنا أعطيهم اللحوم شهرا طعما ؟ أترى تكثر بذبائح البقر والغنم فيقتاتون بها ؟ أم تجمع حيتان البحر معًا لتشبعهم ؟. فقال له الرب : أترى يد السيد عاجزة ؟! سترى أن يوافيك كلامى أم لا » ؟.

ثم ذكر أن الله تعالى : أرسل ريحا فأتت بالسمّانى من خلف البحر إلى بنى إسرائيل فأكلوها ، ودخل اللحم بين أضراسهم ، وأصابتهم التخم ، وأخذهم وباء شديد مات منهم به كثير ، وأن هذا كان فى الشهر الثانى من السنة الثانية(٤٤١) من خروجهم من مصر(٤٤٢).

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ذكر(٤٤٣) فى هذا الفصل آيات من الله رب العالمين ، وما تأتى له طامة إلَّا تكاد تنسى ما قبلها : فأول ذلك : أخبار اللعين المبدل للتوراة بأن الله تعالى إذ قال لموسى : غدًا تأكلون اللحم إلى تمام الشهر . قال له موسى : هم ستمائة ألف رجل وأنت تقول : أنا أعطيهم اللحوم(٤٤٤) طعاما شهرًا(٤٤٥). أترى تكثر بذبائح البقر والغنم يقتاتون بها ، أو تجمع حيتان (٤٤٦) البحر معًا لتشبعهم ؟

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : حاش لله أن يراجع رجل له مسكة عقل(٤٤٧) ربه عز وجل هذه المراجعة ، وأن يشك فى قوته على ذلك ، وعلى ما هو أعظم منه . فكيف رسول نبى ؟ أترى « موسى » عليه السلام دخله قط شك فى أن الله تعالى قادر على أن يكثر بذبائح البقر والغنم حتى يشبعهم ؟ أو على أن يأتيهم من حيتان البحر بما يشبعهم منه ؟ حاش لله من ذلك . أتراه خفى على « موسى » عليه السلام : أن الله تعالى هو الذى يرزق جميع بنى آدم فى شرق الأرض وغربها اللحم وغير اللحم ؟ وأنه تعالى رازق سائر الحيوانات كلها من الطائر والعائم والمنساب ،

---

(٤٤٠) فى (خ) [من ذا يعطينا اللحم لنأكل] .
(٤٤١) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [من السنة الثانية] .
(٤٤٢) راجع (سفر العدد – الإصحاح الحادى عشر من أوله إلى آخره) .
(٤٤٣) سقطت كلمة (ذكر) فى (ب) .
(٤٤٤) سقطت كلمة [اللحوم] من النسخة (أ) .
(٤٤٥) (أ ، ب) [شهيًا] .
(٤٤٦) فى النسخة (ب) [تجتمع] .
(٤٤٧) فى (أ ، ب) : [له من العقل مسكة] .

والماشى على رجلين ، وأربع ، وأكثر ، حتى يستنكر أن يشبع شرذمة قليلة لا قدر لها من اللحم . حاش له من ذلك !! فكيف يقول « موسى » عليه السلام هذا الكلام الأحمق ؟ حاش له من ذلك .

وقبل ذلك بعام وشهر وبعض آخر طلبوا اللحم فأتاهم بالسمانى ، والمنّ ، وأكلوا ذلك بنص توراتهم ، أتراه نسى ذلك فى هذه المدة اليسيرة ؟ أو يظن أنه قدر على الأولى ويعجز عن الثانية ؟ حاش له من هذا الهوس . ثم زيادة فى بيان هذا الكذب : أن فى توراتهم أن بنى إسرائيل إذ خرجوا من مصر مع « موسى » خرجوا بجميع مواشيهم من البقر والغنم ، وأن أهل كل[٤٤٨] بيت منهم ذبحوا جديًا أو خروفًا فى تلك الليلة[٤٤٩].

وذكر فى مواضع منها : أنهم أهدوا الكباش والتيوس والخرفان والجديان والبقر والعجول إلى قبة العهد .

وذكروا فى آخرها : أن « بنى رؤوبين » و« بنى جادا[٤٥٠]» ونصف سبط « بنى منسى[٤٥١]» كان معهم غنم كثير ، ومن البقر عدد لا يحصى ، فى حين ابتداء قتالهم ، وفتحهم لأرض الشام ، فأى عبرة فى إشباعهم من اللحم ، واللحم حاضر معهم كثير لا قليل ؟ ثلاثة من الغنم كانت تكفى الواحد منهم شهرًا كاملًا ، وثور واحد كان يكفى أربعة منهم شهرًا كاملًا . على أن يأكلوا اللحم قوتا حتى يشبعوا بلا خبز ، فكيف إذا تأدموا به ؟ فأى عجب فى إشباعهم باللحم ؟ حتى يراجع « موسى » ربه تعالى بإنكار ذلك من قوة ربه عزَّ وجل ، فهل فى العالم أحمق ممن كتب هذه الكذبة الشنيعة الباردة السخيفة الممزوجة بالكفر ؟ اللهم لك الحمد على تسليمك لنا مما امتحنتهم به .

فإن قالوا : إنَّ فى كتابكم أن الله تعالى قال لزكريا : « إنَّا نبشرك بغلامٍ اسمه يحيى[٤٥٢]» الآية .

وأن زكريا قال لربه تعالى : « أنَّى يكونُ لى غلامٌ وكانت امرأتى عَاقرًا وقد بلغت من الكِبَر عتيًّا ، قال كذلك قال ربك هو علىَّ هين[٤٥٣]» الآية « قال ربِّ اجعلْ لى آيةً : قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويًا[٤٥٤]» . وفى كتابكم أيضًا : أن الملك قال لمريم : « أنا رسولُ

---

(٤٤٨) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة [كل] .
(٤٤٩) راجع (سفر الخروج - الإصحاح الثانى عشر - ١ - ١٤) .
(٤٥٠) فى النسخة (ب) [جاد] بدون مد أمام الدال .
(٤٥١) فى (أ) : [بنى منشا] وتكرر ذلك فيها .
(٤٥٢) سورة مريم : آية : ٧ .
(٤٥٣) سورة مريم : ٩ .
(٤٥٤) سورة مريم : ١٠ .

ربّكِ لأهَبَ لَكِ غلَاما زكيًا[٤٥٥]» قالت : ربِّ أنَّى يكون لى غلام ؟ الآية « قال : كذلك قال ربك هو علىَّ هين[٤٥٦]» الآية .

قلنا : ليس فى جواب زكريا ومريم عليهما السلام اعتراض على بشرى البارى عزّ وجل لهما ، كما فى كتابكم عن موسى عليه السلام ، ولا فى كلام زكريا ومريم عليهما السلام إنكار على أن يعطيهما ولدين ، وهما عقيم وبكر ، إنما سألا أن يعرفا الوجه الذى منه يكون الولد فقط . لأن « أنَّى » فى اللغة العربية التى بها نزل القرآن بلا خلاف معناها « من أين » . فصح ما قلنا من أنهما سألاه أن يعرفهما الله تعالى من أين[٤٥٧] يكون لهما الولدان ؟ أو من أى جهة ؟ أبنكاح زكريا لامرأة أخرى ؟ أم نكاح رجل لمريم ؟ أم من اختراعه تعالى وقدرته ؟ . فإنما سأل زكريا الآية ليظهر صدقه عند قومه ، ولئلا يظن أنهما أخذاه وادعياه ، هذا هو ظاهر الآيتين اللتين ذكرنا من القرآن دون تكلف تأويل بنقل لفظ أو زيادة أو حذف[٤٥٨]، بخلاف ما حكيتم عن موسى من الكلام الذى لا يحتمل إلا التكذيب فقط .

فصـــل

معاندة هارون ومريم لموسى عليهم السلام

وبعد ذلك ذكر قيام « مريم » و« هارون » أخى موسى عليه السلام معاندين « لموسى » من أجل امرأته الحبشية[٤٥٩].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وكيف تكون حبشية ؟ وقد قال فى أول توراتهم أنها بنت « يثرون » المديانى[٤٦٠]، وهو بلا شك من ولد « مدين بن إبراهيم » عليه السلام فأحد هذين القولين يكذب الآخر .

---

(٤٥٥) سورة مريم : ١٩ ، ٢٠ .
(٤٥٦) سورة مريم : ٢١ .
(٤٥٧) فى النسخة (ب) [من أنىَّ] .
(٤٥٨) فى (خ) : [أو زيادة حرف] .
(٤٥٩) فى النسخة (ب) [الحبشة] . وذكر فى هامشها أن فى التوراة التى وقعت بيديه [الكوشيه] .
(٤٦٠) فى (خ) : [يثرو المدينى] - راجع (سفر الخروج - الإصحاح الثانى - الفقرات من ١٦ - ٢٢) . وراجع أيضًا (سفر العدد - الإصحاح الثانى عشر - الفقرات من ١ وفيه يقول : « وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها ، لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية ، فقالا : هل كلم الربّ موسى وحده ، ألم يكلمنا نحن أيضًا . . الخ » .

فصــل

طلب موسى من الأسباط أن يخرجوا للأرض المقدسة

ذكر كما ذكرنا أن فى الشهر الثانى من السنة الثانية من خروجهم من مصر كان طلبهم اللحم كما ذكرنا ، وأنه بعد ذلك وقع لهارون و« مريم » الشغب مع « موسى » أخيهما عليه السلام – كما ذكرنا – وأن « مريم » مرضت وأخرجت من المعسكر سبعة أيام حتى برئت ثم رجعت ، وأن بعد ذلك وجه « موسى » عليه السلام الإثنى عشر رجلا الذين كان من جملتهم « هوشع بن نون » الأفرايمى ، و« كالب بن يفته » اليهوذانى ، ليروا الأرض المقدسة وذكر أنهم طافوها فى أربعين يوما ، ثم رجعوا ، وخوّفوا بنى إسرائيل ، حاش « كالب » و« هوشع[٤٦١] » ، وأن الله تعالى سخط عليهم ، وأهلكهم ، وأوحى إلى موسى : « أما جيفكم فستكون ملقاة فى المفاز ، ويكون أولادكم سائحين فى المفاز أربعين سنة على عدد الأربعين يوما التى دوختم فيها البلد ، أجعل لكم كل يوم سنة ، وتكافئون أربعين سنة بخطاياكم[٤٦٢] ». وأنهم بقوا فى التيه أربعين سنة ، فلما أتموها أمرهم الله عزّ وجل بالحركة فتحركوا ، ثم ماتت « مريم » أخت « موسى » عليهما السلام[٤٦٣] ، ثم مات « هارون » عليه السلام[٤٦٤] ، ثم حارب « موسى » « عوج » و« سحون » الملكين ، وأخذ بلادهما[٤٦٥] ، وأعطى بلادهما لبنى رؤوبين ، و« بنى جادا[٤٦٦] » ، ونصف سبط

---

(٤٦١) (سفر العدد – الإصحاح الثالث عشر كله فيه : « لكن كالب أنصت الشعب إلى موسى وقال : إننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها ، وأما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا : لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا . . الخ » .

(٤٦٢) النص كما فى التوراة : « يقول الربّ لأفعلنّ بكم كما تكلمتم فى أذنىّ ، فى هذا القفر تسقط جثثكم ، جميع المعدومين منكم حسب عددكم من ابن ٢٠ سنة فصاعدًا الذين تذمّروا علىّ ، لم تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأسكننكم فيها ما عدا كالب بن يَفُنَّه ويشوع بن نون ، وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإنى سأدخلكم فيعرفون الأرض التى أحتقرتموها ، فجثثكم أنتم تسقط فى القفر ، وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى القفر » (سفر العدد – الإصحاح ١٤ – الفقرات من ٢٦ – الخ) .

(٤٦٣) ماتت ودفنت بقادش راجع (سفر العدد – الإصحاح ٢٠ ، الفقرة ١) .

(٤٦٤) مات هارون فى جبل هور على تخم أرض أدوم فى الطريق من قادش ، وقد ذكر ذلك فى (سفر العدد – الإصحاح العشرون – الفقرات من ٢٥ – إلى آخر الإصحاح) .

(٤٦٥) راجع (سفر العدد – الإصحاح الحادى والعشرون – الفقرات من ٢١ – آخر الإصحاح) .

(٤٦٦) فى النسخة (ب) [وبنى جاد] .

« منسى[٤٦٧] » ثم حارب المدنيين[٤٦٨] وقتل ملوكهما ، ثم إنه عليه السلام مات وله مائة سنة وعشرون سنة[٤٦٩].

وفى صدر توراتهم : أنه عليه السلام إذ خرج عن مصر كان له ثمانون سنة هذا كله نص توراتهم حرفًا حرفًا .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا كذب فاحش ، وقد قلنا : إن الذى عمل لهم التوراة التى بأيديهم كان قليل العلم بالحساب ، ثقيل اليد فيه جدًّا ، أو عيَّارًا[٤٧٠] ماجنًا مستخفًّا لا دين له سخر منهم بأمثال التيوس والحمير . لأنه إذا خرج وله ثمانون سنة وبقى بعد خروجه سنة[٤٧١] وشهرًا ، ثم تاهوا أربعين سنة ، ثم قاتلوا ملوكًا عدة وقتلوهم وأخذوا بلادهم[٤٧٢] وأموالهم ، فقد اجتمع من ذلك ضرورة زيادة على المائة والعشرين سنة أكثر من سنة ولا بد ، والأغلب أنهما سنتان زائدتان ، فكذب ولا بدّ فى سنِّ موسى إذ مات ، أو كذب الوعد الذى أخبر عن الله تعالى بتيههم أربعين سنة ، حاش للبارى تعالى أن يكذب ، أو أن يغلط فى دقيقة أو أقل ، وحاش لنبيه ﷺ من مثل ذلك ، وصحّ أنها مولدة موضوعة .

فصــل
طلب موسى من قومه عدم السماع لأدعياء النبوة

ثم ذكر فى السفر الخامس فقال : إن طلع فيكم نبى وادّعى أنه رأى رؤيا وأتاكم بخبر ما يكون ، وكان ما وصفه ثم قال لكم بعد ذلك : اتبعوا أبناء آلهة الأجناس فلا تسمعوا له[٤٧٣].

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فى هذا الفصل شنعة من شنع الدّهر ، وتدسيس كافر مبطل للنبوات كلها ، لأنه أثبت النبوة بقوله : إن طلع فيكم نبى ويصدقه فى الأخبار

(٤٦٧) فى النسخة (أ) [منشا] (راجع سفر العدد – الإصحاح ٣٢ – الفقرات من ١ – ٣٤) .

(٤٦٨) فى الأصل (المدينتين) وهو تحريف ظاهر – وفى التوراة : (لا ضايقوا المديانيين وأضربوهم لأنهم ضايقوكم بمكايدهم) (راجع سفر العدد – الإصحاح ٢٥ – الفقرات من ١٦ – إلى آخر الإصحاح) .

(٤٦٩) مات موسى فى أرض موآب ، ودفن فى الجواء مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم وكان ابن مائه وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته (سفر التثنية – الإصحاح ٣٤) .

(٤٧٠) العيّار : الذكى الكثير التطواف .

(٤٧١) فى (ب) [سنة أو شهرًا] .

(٤٧٢) فى النسخة (أ) [لبلادهم] .

(٤٧٣) النص كما فى (سفر التثنية الإصحاح ١٣ – الفقرات من ١) : « إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلًا : لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم لأن الرّب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرّب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم ، وراء الرّب إلهكم تسيرون » .

بما يكون ثم أمرهم بمعصيته إذا دعاهم إلى اتباع آلهة الأجناس ، وهذا تناقض فاحش ، ولئن جاز أن يكون نبى يصدق فيما ينذر به يدعو إلى الباطل والكفر ، فلعل موسى(٤٧٤) صاحب هذه الوصية من أهل هذه الصفة ، وما الذى يؤمننا من ذلك ؟ وهل ها هنا شيء يوجب تصديقه واتباعه ، ويبينه من الكذابين إلا ما صحح نبوته من المعجزات ؟ فلما لزمت معصيته إذا أمر بباطل فإن معصية موسى لازمة وغير جائزة فى شيء مما أمر به ، إذ لعلّه أمر بباطل إذ كان فى الممكن أن يكون نبى يأتى بالمعجزات يأمر بباطل ، وحاش لله من أن يقول موسى عليه السلام هذا الكلام . والله ما قاله قط ، ولقد كذب عليه الكذاب(٤٧٥) المبدل للتوراة . وكذلك حاش لله من أن يكون نبى من الأنبياء يكذب أو يأمر بباطل ، وحاش لله(٤٧٦) أن تظهر آية على يدى من يمكن أن يكذب ، أو يأمر بباطل ، هذا هو التلبيس من الله على عباده ، ومزج الحق بالباطل ، وخلطهما حتى لا يقوم برهان على تحقيق حق ولا إبطال باطل .

واعلموا أن هذا الفصل من توراتهم ، والفصل الملعون الذى فيه أن السحرة عملوا مثل بعض ما عمل « موسى » عليه السلام ، فإنهما مبطلان على اليهود المصدقين بهما نبوة كل نبى يقرون له بنبوة قطعًا ، لأنه لا فرق فيهما بين « موسى » وسائر أنبيائهم ، وبين الكذابين والسحرة ، وحاش لله من هذا ، وبه تعالى نعوذ من الخذلان .

هذا مع قوله بعد ذلك : « وأيما نبى أحدث فيكم من ذاته نبوة ممّا لم نأمر به ، ولم أعهد إليه به ، أو تنبأ فيكم يدعو للآلهة والأوثان فاقتلوه » .

فإن قلتم فى أنفسكم : من أين يعلم أنه من عند الله ؟ أو من ذاته ؟ فهذا علمه فيكم ؛ إذا أنبأ بشيء ولم يكن ، فاعلموا أنه من ذاته(٤٧٧).

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا كلام صحيح ، وهذا مضادٌّ للذى قبله من أنه ينبيء بالشيء فيكون كما قال ، وهو مع ذلك يدعو إلى عبادة غير الله ، والقوم مخذولون نقلوا دينهم عن زنادقة مستخفين لا مؤنة عليهم أن ينسبوا إلى الأنبياء عليهم السلام الكفر والضلال والكذب

---

(٤٧٤) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (موسى) .

(٤٧٥) فى النسخة (ب) [الكذب] .

(٤٧٦) فى (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : « من أن يكون نبى – وحاش لله » .

(٤٧٧) أول الكلام الذى ورد عن الأنبياء بعد موسى كما فى سفر التثنية – الإصحاح ١٨ – الفقرات من ١٥ « يقيم لك الربّ إلهك نبيًا من وسطك من إخوانك مثلى ، له تصنعون ، حسب كل ما طلبت من الرّب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلًا : لا أعود أسمع صوت الرّب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا لئلا أموت ، قال لى الرّب قد احسنوا فيما تكلموا ، أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه ، وأما النبى الذى يُطغِى فيتكلم باسمى كلامًا لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى ، وإن قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ! فما تكلم به النبى باسم الرّب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه) .

والعهر[٤٧٨] كالذى ذكرنا قبلُ ، وكنسبتهم إلى « هارون » عليه السلام : أنه هو الذى عمل العجل لبنى إسرائيل ، وبنى له مذبحًا ، وقرب له القربان ، وجرَّد أستاه قومه للرقص والغناء قدام العجل عراة .

وكما نسبوا إلى سليمان عليه السلام : أنه قرَّب القرابين للأوثان على الكدى[٤٧٩]، وأنه قتل « يواب بن صوريا » صبرًا ، وهو نبى مثله .

وكما نسبوا إلى « شاول » وهو نبى عندهم يوحى إليه قتل النفوس ظلمًا .

ونسبوا إلى » بلعام بن ناعورا » وهو نبى عندهم يوحى الله تعالى إليه مع الملائكة العون على الكفر ، وأن « موسى » وجيشه قتلوه .

ثم نسبوا النبوة إلى « منسى[٤٨٠] بن حزقيا » الملك ، وهو بإقرارهم كافر ملعون يعبد الأوثان ، ويقتل الأنبياء .

وينسبون المعجزات إلى « شمشون » الدابى[٤٨١]، وهو عندهم فاسق مشهور بالفسق ، متعشق للفواسق ملم بهنَّ .

وينسبون المعجزات إلى السحرة ، فاعجبوا لعظيم بليتهم ، واحمدوا الله على السلامة ، واسألوه العافية لا إله إلَّا هو .

فصل

ثم قال فى آخر توراتهم : فتوفى « موسى » عبد الله بذلك الموضع فى أرض « مواب » مقابل بيت « فغور » ، ولم يعرف آدمى موضع قبره إلى اليوم ، وكان موسى يوم توفى ابن مائة وعشرين سنة لم ينقص بصره ، ولا تحركت أسنانه فنعاه بنو إسرائيل فى أوطنة « مواب » ثلاثين يومًا ، وأكملوا نعيه .

---

(٤٧٨) فى (أ ، ب) [والعمد] : لا ن ، والعهر] وهو تحريف ظاهر .
(٤٧٩) الكَدَى : جمع كُدْية وهى : الأرض الغليظة والصفات العظيمة الشديدة ، والشىء الصلب بين الحجارة والطين .
(٤٨٠) فى النسخة (أ) [منشا] .
(٤٨١) فى (خ) [الدالى] .

ثم إن « يشوع بن نون » امتلأ من روح الله ، إذ جعل موسى يديه عليه وسمع له بنو إسرائيل ، وفعلوا ما أمر الله به ، « موسى » ، ولم يخلف « موسى » فى بنى إسرائيل نبى مثله ، ولا من يكلمه الله مواجهة فى جميع عجائبه التى فعل على يديه بأرض مصر فى فرعون مع عبيده ، وجميع أهل مملكته ، ولا من صنع ما صنع موسى فى جماعة بنى إسرائيل(٤٨٢).

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا آخر توراتهم وتمامها ، وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ، ودليل قاطع ، وحجة صادقة فى أن توراتهم مبدّلة ، وأنها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تخرّص(٤٨٣) بجهله ، أو تعمّد بكفره(٤٨٤)، وأنها غير منزلة من عند الله تعالى ، إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلًا على موسى فى حياته ، فكان يكون أخبارًا عنهما ، لم يكن بمساق ما قد كان ، وهذا هو محض الكذب تعالى الله عن ذلك .

وقوله « لم يعرف قبره آدمى إلى اليوم » بيان لما ذكرنا كاف ، وأنه تاريخ ألف بعد دهر طويل ولا بد .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ها هنا انتهى ما وجدنا من التوراة لليهود التى اتفق عليها الربانيون ، والعانانيون ، والعيسويون ، والصدوقيون منهم مع النصارى أيضًا بلا خلاف منهم فيها من الكذب الظاهر فى الأخبار وفيما يخبر به عن الله تعالى ثم عن ملائكته ، ثم عن رسله عليهم السلام من(٤٨٥) المناقضات الظاهرة ، والفواحش المضافة إلى الأنبياء عليهم السلام ، ولو لم يكن فيها إلّا فصل واحد من الفصول التى ذكرنا لكان موجبا ولا بدّ لكونها موضوعة محرفة مبدّلة مكذوبة ، فكيف وهى سبعة وخمسون فصلًا ، من جملتها فصول يجمع الفصل الواحد منها سبع كذبات أو مناقضات فأقل ، سوى ثمانية عشر فصلًا يتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الأخبار بأعيانها عند النصارى ، والكذب لائح ولا بد فى إحدى الحكايتين ، فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب والمناقضة فى مقدار توراتهم ؟ وإنما هى مقدار مائة ورقة وعشرة أوراق فى كل صفحة منها ثلاثة(٤٨٦) وعشرون سطرًا إلى نحو ذلك بخط هو إلى الانفساح أقرب يكون فى السطر بضع عشرة كلمة .

---

(٤٨٢) راجع (سفر التثنية – الإصحاح ٣٤ – الفقرات من ٥ – إلى آخر الإصحاح) .
(٤٨٣) ف (أ ، ب) : [تخرّص] .
(٤٨٤) ف (أ ، ب) : [بفكره] .
(٤٨٥) ف (خ) : [ومن] .
(٤٨٦) فى النسخة (ب) [من ثلاثة وعشرين] .

كيف حُرِّفت التـــوراة ؟

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ونحن نصف إن شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بنى إسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام إلى انقراض دولتهم ، إلى رجوعهم إلى بيت المقدس إلى أن كتبها لهم « عزرا » الوراق بإجماع من كتبهم ، واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد من أحد منهم فى ذلك ، وما اختلفوا فيه من ذلك ، نبهنا عليه ليتيقن كل ذى فهم أنها محرفة مبدلة - وبالله تعالى نستعين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : دخل بنو إسرائيل الأردن ، وفلسطين والغور[1] مع « يوشع بن نون » مدبر أمرهم عليه السلام إثر موت « موسى » عليه السلام ، ومع « يوشع » « العازار بن هارون عليه السلام » صاحب السرادق بما فيه ، وعنده التوراة لا عند أحدٍ غيره بإقرارهم ، فدبر « يوشع » عليه السلام أمرهم فى استقامة وألزمهم[2] للدّين إحدى وثلاثين سنة مذ مات « موسى » عليه السلام إلى أن مات « يوشع[3]» ثم دبرهم « فينحاس بن العازار[4] ابن هارون » وهو صاحب السرادق ، والكوهن الأكبر ، والتوراة عنده لا عند أحد غيره خمسًا وعشرين سنة فى استقامة والتزام للدين ، ثم مات وطائفة منهم عظيمة يزعمون أنه حىٌّ إلى اليوم وثلاثة أنفس إليه ، وهم « إلياس » النبى الهارونى عليه السلام ، وملكيصيدق بن قالع بن عامر[5]

---

(١) الغور : المنخفض من الأرض ، وقال الزجاج : « الغور » أصله ما تداخل وما هبط ، ، « الغور » غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق ، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض بيت المقدس فيه نهر الأردن ، وعلى طرفه طبرية وبحيرتها ، وأشهر بلاده « بيسان » وهو وخم شديد الحر ، وأكثر ما يزرع فيه قصب السكر ومن قراه « أريحا » مدينة الجبارين ، وفى طرفه البحيرة المنتنة (معجم البلدان : ٢١٧/٤) .

(٢) ف (خ) : [والتزامهم] .

(٣) راجع (سفر يوشع - الإصحاح الرابع والعشرون) .

(٤) ف (ب) : [ابن الغزر] .

(٥) ف النسخة (ب) [عابر] .

ابن أرفخشاذ بن سام بن نوح عليه السلام ، والعبد الذى بعثه إبراهيم عليه السلام ليزوّج اسحاق عليه السلام « رفقة بنت بتوئيل بن ناخور » أخى إبراهيم عليه السلام ، فلما انقضت المدة المذكورة « لفينحاس[٦] » «بن العازار[٧] » ، كفر بنو إسرائيل ، وارتدوا كلهم ، وعبدوا الأوثان علانية ، فملكهم كذلك ملك « صور » و« صيدا » مدة ثمانية أعوام على الكفر ، ثم دبّر أمرهم « عثنيال[٨] بن قنار بن أخى كالب بن يفنة بن يهوذا » أربعين سنة على الإيمان ، ثم مات فكفر بنو إسرائيل كلهم ، وارتدُّوا ، وعبدوا الأوثان علانية ، فملكهم كذلك « عغلون[٩] » ملك « بنى موآب » ثمانى عشرة سنة على الكفر ، ثم دبر أمرهم « أهوذ بن قار[١٠] » ، قيل إنه من سبط « أفرايم » ، وقيل من سبط « بنيامين » ، واختلف أيضًا فى مدة رياسته ، فقيل ثمانون سنة ، وقيل خمس وخمسون سنة على الإيمان إلى أن مات . ثم دبرهم « سمعان بن غاث بن سبط أشار » خمسًا وعشرين سنة على الإيمان[١١] ، ثم مات فكفر بنو إسرائيل كلهم ، وعبدوا الأوثان جهارًا ، فملكهم كذلك « مراش » الكنعانى عشرين سنة على الكفر[١٢] ، ثم دبّرت أمرهم « دبور » النبتية[١٣] من سبط « يهوذا » ، وكان زوجها رجلًا يسمى « السدوث[١٤] » من سبط أفرايم إلى أن ماتت وهم على الإيمان ، فكان مدة تدبيرها لهم أربعون سنة ، فلما ماتت كفر بنو إسرائيل كلهم وارتدوا وعبدوا الأوثان جهارًا ، فملكهم « عوزيب[١٥] » و « زاب » ملك بنى مدين سبع سنين على الكفر . ثم دبّر أمرهم « جدعون بن يوآش » من سبط « أفرايم » ، وقيل بل من سبط « منسى[١٦] » وهم يصفون أنه كان نبيًا وكان له واحد وسبعون ابنًا ذكورًا ، فملكهم على الإيمان أربعين سنة[١٧] ، ثم مات وولى ابنه أبو مالك بن جدعون ، وكان فاسقًا خبيث السيرة ، فارتد جميع بنى إسرائيل ، وكفروا وعبدوا الأوثان جهارًا[١٨] ، وأعانه أخواله من أهل « نابلس » من بنى إسرائيل من سبط يوسف بتسعين ديرًا من بيت « ماعل » الصنم ، ومضوا معه فقتل جميع إخوته ، حاش

---

(٦) فى النسخة (ب) [ليفخاس] .
(٧) فى النسخة (ب) [العزار] وفى النسخة (أ) [العزر] .
(٨) فى النسخة (ب) [عسال بن كنار] وفى التوراة : « عشيئيل بن قناز » (سفر القضاة : ٣/٩) .
(٩) فى النسخة (ب) [عقلون] . وفى التوراة : عجلون « سفر القضاة -- الإصحاح ٣ -- ١٢ -- الخ » .
(١٠) واسمه فى التوراة : « إهودَ بن جيرا البنياميني » (سفر القضاة - الإصحاح ٣ -- الفقرات من ١٥ - ٣٠) .
(١١) الذى فى التوراة : « أن الذى جاء بعد (إهود) شمجر بن عناة ، وأنه ضرب من الفلسطينيين ستمائة رجل بمنساس البقر » (راجع سفر « قضاة » الإصحاح ٣ الفقرات ٣١) .
(١٢) واسمه فى التوراة « يابين » ملك كنعان وكان له تسعمائة مركبة من حديد » (سفر قضاة الإصحاح ٤ الفقرات من ١ - ٣) .
(١٣) فى (خ) : [نور النبيذ] وفى التوراة اسمها (دبورة) امرأة نبية زوجة ايفدُوث (سفر قضاة : ٤/٤ الخ) .
(١٤) فى (خ) : [الينذوث] (فى التوراة اسمه لفيدوث) (المرجع السابق) .
(١٥) فى النسخة (أ) [عوزيب] بباءين مفردتين . فى التوراة اسمها (غراب وذئب) (سفر قضاة : ٧/٣٥) .
(١٦) فى النسخة (أ) [منشا] .
(١٧) راجع سفر قضاة – الإصحاح السادس من ١١ إلى آخر الإصحاح) .
(١٨) راجع سفر القضاة : (الإصحاح التاسع – الفقرات من ١ -- إلى آخر الإصحاح) .

واحدًا منهم أفلت وبقى كذلك ثلاث سنين إلى أن قتل ، ودبّرهم بعده « مولع بن قوا[١٩] » من سبط « يساخر » ، ولم نجد بيانًا هل كان على الإيمان أو على الكفر خمسًا وعشرين سنة[٢٠]، ثم مات ، ثم دبّر أمرهم بعده « بابين بن جلعاد » من سبط « منسى[٢١] » اثنين وعشرين عامًا على الإيمان إلى أن مات . وكان له اثنان وثلاثون ولدًا ذكورًا[٢٢] قد ولى كل واحدٍ منهم مدينة من مدائن بنى إسرائيل ، فارتد بنو إسرائيل كلهم بعد موته ، وعبدوا الأوثان جهارًا ، وملكهم « بنو عمون » ثمان[٢٣] عشرة سنة متصلة على الكفر ، ثم قام فيهم رجل من سبط « منسى » اسمه « هيلع » بن « جلعاد[٢٤] »، ولا يختلفون فى أنه كان ابن زانية ، وكان فاسقًا خبيث السيرة ، نذر إن أظفره الله بعدوه ، أن يقرب لله سبحانه وتعالى أول من يلقاه من منزله ، فأول من لقيه ابنته ، ولم يكن له ولدٌ غيرها فوفى بنذره وذبحها قربانًا ، وكان فى عصره نبى فلم يلتفت إليه ، وأنه قتل من « بنى أفرايم » اثنين وأربعين ألف رجل ، فملكهم ست سنين ، ثم مات[٢٥]، فوليهم بعده « أفصان[٢٦] » من سبط « يهوذا » من سكان بيت لحم ، وكان له ثلاثون ابنًا ذكورًا ، فوليهم سبع سنين ، وقيل ست سنين ، ثم مات ، والأظهر من حاله على ما توجبه أخبارهم الاستقامة ، ووليهم بعده « أيلون » من سبط « زبلون » عشر سنين إلى أن مات[٢٧]. وولى بعده عبدون بن هلال[٢٨] من سبط « أفرايم » ثمانى سنين على الإيمان ، وكان له أربعون ولدًا ذكورًا ، فلما مات ارتد بنو إسرائيل كلهم ، وكفروا وعبدوا الأوثان جهارًا ، فملكهم الفلسطينيون وهم الكنعانيون ، وغيرهم أربعين سنة على الكفر[٢٩]، ثم دبرهم « شمشون بن مانوح » من سبط « دانى » وكان مذكورًا عندهم بالفسق واتباع الزوانى ، فدبّرهم عشرين سنة ، وينسبون إليه المعجزات ، ثم أُسِرَ ومات[٣٠]، فدبر بنو إسرائيل بعضهم بعضًا فى سلامة وإيمان أربعين سنة بلا رئيس يجمعهم ، ثم دبرهم الكاهن

---

(١٩) فى التوراة : « تولع بن فواة بن دودو » (راجع سفر قضاة – الإصحاح العاشر – الفقرات من ١) .

(٢٠) فى التوراة : « ثلاثا وعشرين سنة » (سفر قضاة – الإصحاح العاشر – الفقرة ٣) .

(٢١) فى النسخة (أ) [منشا] . وفى التوراة اسمه : « يائير الجلعاوى » (سفر قضاة : ٣/١٠) .

(٢٢) فى التوراة : « وكان له ثلاثون ولدًا يركبون على ثلاثين جحشا » .

(٢٣) فى (أ ، ب) : [ثلاث عشرة] .

(٢٤) فى التوراة الحالية اسمه « يفتاح بن جلعاد » وسيرته وتاريخه فى (سفر قضاة – الإصحاح الحادى عشر) .

(٢٥) راجع (سفر قضاة – الإصحاح الحادى عشر – والثانى عشر إلى نهاية الفقرات ٧) .

(٢٦) فى التوراة اسمه (إبصان) من بيت لحم (سفر القضاة – ٨/١٢ – ١٠) .

(٢٧) راجع (سفر قضاة – الإصحاح ١١/١٢ – ١٢) .

(٢٨) فى النسخة (ب) [ابن سبط] وفى التوراة اسمه « عبدون بن هلّيل الفِرْعَتونى) (سفر قضاة ١٣/١٢) .

(٢٩) راجع (سفر قضاة – الإصحاح ١٣ – الفقرات من ١ – ٢) .

(٣٠) قصته مذكورة فى (سفر قضاة – الإصحاح الرابع عشر والخامس عشر) .

الهارونى على الإيمان عشرين سنة إلى أن مات[٣١]، ثم دبّرهم « شمويل[٣٢]» بن « فتان » النبى من سبط « أفرايم » قيل عشرين سنة ، وقيل أربعين سنة ، كل ذلك فى كتبهم على الإيمان . وذكروا أنه كان له ابنان « يوهال » و« أبيا[٣٣]» يجوران فى الحكم ويظلمان الناس[٣٤]، وعند ذلك رغبوا إلى « شمويل[٣٥]» أن يجعل لهم ملكا ، فولّى عليهم « شاول الدّباغ بن قيش بن أنيل بن شارون ابن بورات بن آسيا بن خس » من سبط « بنيامين » وهو « طالوت » ، فوليهم عشرين سنة ، وهو أول ملك كان لهم ، ويصفونه بالنبوة وبالفسق والظلم والمعاصى معا ، وأنه قتل من بنى « هارون » نيفًا وثمانين شابا[٣٦] وقتل نساءهم ، وأطفالهم ؛ لأنهم أطعموا « داود » عليه السلام خبزًا فقط .

فاعلموا الآن أنه كان مذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت « موسى » عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو « شاول » المذكور سبع ردّات فارقوا فيها الإيمان ، وأعلنوا عبادة[٣٧] الأصنام :

فأولها : بقوا فيها ثمانية أعوام . والثانية : ثمانية عشر عاما . والثالثة : عشرين عاما . والرابعة : سبعة أعوام . والخامسة : ثلاثة أعوام وربما أكثر . والسادسة : ثمانية عشر عاما . والسابعة : أربعين عامًا .

فتأملوا !! أى كتاب يبقى مع تمادى الكفر ، ورفض الإيمان هذه المدد الطوال فى بلد صغير مقدار ثلاثة أيام فى مثلها فقط ، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحدٌ على ظهر الأرض غيرهم .

ثم مات « شاول » المذكور مقتولا ، وولى أمرهم « داود » عليه السلام وهم ينسبون إليه الزنى علانية بأم سليمان عليه السلام ، وأنها ولدت منه من « الزنى » ابنا مات قبل ولادة سليمان .

فعلى من يضيف هذا إلى الأنبياء عليهم السلام ألف ألف لعنة .

وينسبون إليه أنه قتل جميع أولاد « شاول » لذنب أبيهم . حاش صغيرا مقعدا كان فيهم فقط . وكانت مدته عليه السلام أربعين سنة .

---

(٣١) فى التوراة اسمه (عالى) « وكان له ابنان (حُفنى وفينحاس) وقد مات عن ثمان وتسعين عامًا حين أخبر بأن الفلسطينيين كسروا إسرائيل كسرة عظيمة وأخذوا تابوت الله فسقط عن الكرسى فانكسرت رقبته بعد أن قضى لإسرائيل ٤٠ سنة (سفر صموئيل الأول والإصحاح الرابع — الفقرات من ١٢ — ١٨) .

(٣٢) فى النسخة (ب) [مشموال] . وفى (خ) [شموال بن « قانا »] وفى التوراة اسمه (صموئيل الأول) .

(٣٣) فى النسخة (ب) [ببايجوران] . وفى (أ ، ب) [قوهال وبيا] .

(٣٤) وفى التوراة اسمه (صموئيل الأول وكان له ابنان ، البكر اسمه (يوئيل) والثانى اسمه (أبيًا) (راجع تاريخ حياتهم فى سفر صموئيل الأول — الإصحاح الرابع من الفقرات ١٩ — الخ الإصحاح السابع) .

(٣٥) فى (ب) [شموال] .

(٣٦) فى (أ ، ب) : [إنسانا] .

(٣٧) فى النسختين (أ ، ب) [بعبادة] .

ثم ولى « سليمان » عليه السلام ، وقد وصفوه بما ذكرنا قبل . وذكروا عنه أن نفقته فرضها على الأسباط ، لكل سبط شهر من السنة . وأن جنده كانوا اثنى عشر ألف فارس على الخيل ، وأربعين ألفا على الرمك(٣٨)، خلافا لما فى التوراة ، أن لا يكثروا من الخيل ، وهو الذى(٣٩) بنى الهيكل فى بيت المقدس وجعل فيه السرادق والمذبح والمنارة الآن والقربان والتوراة ، والتابوت وسكنه(٤٠) بنى هارون ، فكانت ولايته أربعين سنة . ثم مات عليه السلام ، فافترق أمر بنى إسرائيل ، فصار « بنو يهوذ » ، و« بنو بنيامين » لبنى « سليمان بن داود » عليه السلام فى بيت المقدس . وصار مُلْكُ الأسباط العشرة الباقية إلى مَلِكٍ آخر منهم يسكن « بنابلس » على ثمانية عشر ميلًا من « بيت المقدس » ، وبقوا كذلك إلى ابتداء إدبار أمرهم على ما نبين إن شاء الله تعالى ، فنذكر بحول الله تعالى وقوته أسماء ملوك بنى سليمان عليه السلام وأديانهم ، ثم نذكر ملوك الأسباط العشرة ، وبالله عزّ وجل نتأيد ، ليرى كل واحد كيف كانت حال التوراة ، والديانة فى أيام دولتهم .

ملوك الأسباط العشرة

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولى إثر موت « سليمان بن داود » عليه السلام ابنه « رحبعام بن سليمان » : وله ست عشرة سنة . وكانت ولايته سبعة عشر عامًا ، فأعلن الكفر طول ولايته ، وعبد الأوثان جهارًا هو وجميع رعيته ، وجنده بلا خلاف منهم . ويقولون : إن جنده كانوا مائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، وفى أيامه غزا ملك مصر فى سبعة آلاف فارس ، وخمسة عشر ألف رجل بيت المقدس(٤١)، فأخذها عنوة بالسيف وهرب « رحبعام » ، وانتهب ملك مصر المدينة والقصر ، والهيكل وأخذ كل ما فيها ، ورجع إلى مصر سالمًا غانمًا .

ثم مات « رحبعام » على الكفر ، فولى مكانه ابنه « أبيا » وله ثمانى عشرة سنة ، فبقى على الكفر هو وجنده ورعيته ، وعلى عبادة الأوثان علانية . وكانت ولايته ست سنين . ويقولون : قتل من الأسباط العشرة فى حروبه معهم خمسمائة ألف انسان .

ثم ولى بعد موته ابنه « أشا بن(٤٢) أبيا » : وله عشر سنين ، وكان مؤمنًا ، فهدم بيوت الأوثان ، وأظهر الإيمان ، وبقى فى ولايته إحدى وأربعين سنة على الإيمان . وذكروا أن جنده

(٣٨) الرّمك : محرك الفرس والبرذون تتخذ للنسل .
(٣٩) فى النسخة (ب) سقطت كلمة [الذى] .
(٤٠) فى (أ ، ب) : [وسكينة] .
(٤١) فى النسختين (أ ، ب) [إلى بيت المقدس] بزيادة حرف الجر [إلى] .
(٤٢) فى النسخة (أ) [أسا] بالسين المهملة .

كانوا ثلاثمائة آلاف مقاتل من « بنى يهوذا » ، واثنين وخمسين ألفًا من « بنى بنيامين » .

ومات وولى بعده ابنه : « يهوشافاط بن أشا » وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، فكانت ولايته : خمسًا وعشرين سنة ، وذكروا عنه أنه كان على الإيمان إلى أن مات .

فولى ابنه « يهورام بن يهوشافاط » : ولم نجد أمر سيرته ودينه إلا أنه كان مؤلفًا لعبادة الأوثان من ملوك سائر الأسباط . وولى وله اثنان وثلاثون سنة ، وكانت ولايته ثمانية أعوام ، ومات .

فولى مكانه ابنه « أحزياهو[٤٣] » . وله اثنان وعشرون سنة فأظهر الكفر ، وعبادة الأصنام فى جميع رعيته ، وكانت ولايته سنة وقتل . فوليت أمه « عثلياهو[٤٤] بنت عمرى ملك العشرة الأسباط ، فتمادت على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان ، وقتلت الأطفال ، وأمرت بإعلان الزنى فى البيت المقدس ، وجميع عملها ، وعهدت ألا تمنع امرأة ممن أراد الزنى معها ، وعهدت أن لا ينكر ذلك أحد ، فبقيت كذلك ست سنين إلى أن قتلت .

فولى ابن ابنها « يؤاش[٤٥] بن أحزياهو » : وله سبع سنين ، فاتصلت ولايته أربعين سنة ، وأعلن الكفر ، وعباد الأوثان ، وقتل « زكريا » النبى عليه السلام بالحجارة ، ثم قتله غلمانه فولى بعده ابنه « أمصياهو[٤٦] بن يؤاش » : وله خمس وعشرون سنة ، فأعلن الكفر وعبادة الأوثان هو وجميع رعيته فبقى كذلك إلى أن قتل وهو على الكفر ، وكانت ولايته تسعًا وعشرين سنة ، وفى أيامه انتهب ملك الأسباط العشرة البيت المقدس ، وأغاروا على كل ما فيه مرتين .

ثم ولى بعده « عزياهو[٤٧] بن أمصياهو » ، وله ست عشرة سنة ، فأعلن الكفر وعبادة الأوثان هو وجميع رعيته إلى أن مات . وكانت ولايته اثنتين وخمسين سنة وهو قتل « عاموص » النبى عليه السلام الداوودى .

فولى بعده ابنه « يوثام بن عزياهو » وله خمس وعشرون سنة ولم نجد له سيرة ، وكانت ولايته ست عشرة سنة فمات .

فولى مكانه ابنه « أحاز بن يوثام » وله عشرون سنة ، فأعلن الكفر وعبادة الأوثان ، وكانت ولايته ست عشرة سنة إلى أن مات[٤٨].

---

(٤٣) (ب) [أحزيا] .
(٤٤) فى النسخة (ب) [عثليا] فقط بدون زيادة [هو] .
(٤٥) فى النسخة (ب) [يواش] بالواو بغير همز وفيها [أحزيا] .
(٤٦) فى النسخة (ب) [أمصيا] بدون [هو] .
(٤٧) فى النسخة (ب) [عزيا] بدون [هو] .
(٤٨) فى النسخة (أ ، ب) [فأعلن الكفر وعبادة الأوثان] قبل قوله [إلى أن مات] وهى مكررة ولهذا حذفناها من الأصل .

فولى بعده ابنه « حزقيا بن أحاز » ، وله خمس وعشرون سنة ، وكانت ولايته تسعًا وعشرين سنة فأظهر الإيمان ، وهدم بيوت الأوثان ، وقتل خدمتها ، وبقى على الإيمان إلى أن مات هو وجميع رعيته ، وفى السنة السابعة من ولايته انقطع ملك العشرة الأسباط من بنى إسرائيل ، وغلب عليهم : « سليمان » الأعسر ملك « الموصل[٤٩] »، وسباهم ونقلهم إلى « آمد » و « بلاد الجزيرة » .

وسكن فى بلاد الأسباط العشرة أهل « آمد » والجزيرة ، فأظهروا دين « السّامرة » الذين هناك إلى اليوم .

ثم مات « حزقيا » ، وولى بعده ابنه « منسى[٥٠] بن حزقيا » ، وله اثنتا عشرة سنة ففى السنة الثالثة من ملكه أظهر الكفر ، وبنى بيوت الأوثان ، وأظهر عبادتها هو وجميع أهل مملكته . وقتل « شعيا » النبى ، قيل نشره بالمنشار من رأسه إلى مخرجه ، وقيل قتله بالحجارة وأحرقه بالنار ، والعجب كله أنهم يصفون فى بعض كتبهم بأن الله أوحى إليه مع ملك من الملائكة ، وأن ملك « بابل » كان أسره وحمله إلى بلده وأدخله فى ثور نحاس ، وأوقد النار تحته ، فدعا الله فأرسل إليه ملكًا فأخرجه من الثور ، وردّه إلى بيت المقدس ، وأنه تمادى مع ذلك كله على كفره حتى مات ، وكانت ولايته خمسًا وخمسين سنة ، فقولوا يا معشر السامعين ، بلد تعلن فيه عبادة الأوثان ، وتبنى هياكلها ، ويقتل من وجد فيه من الأنبياء ، كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب الله سالمًا ؟ أم كيف يمكن هذا ؟

فلما مات « منسى[٥١] » ولى مكانه ابنه « آمون بن منسى » وهو ابن اثنين وعشرين عامًا ، فكانت ولايته سنتين على الكفر ، وعبادة الأوثان إلى أن مات .

فولى مكانه ابنه « يوشيا بن آمون » وهو ابن ثمان سنين . ففى السنة الثالثة من ملكه أعلن الإيمان ، وكسر الصلبان وأحرقها ، واستأصل هياكلها ، وقتل خدامها ، ولم يزل على الإيمان إلى أن قتل ، قتله ملك مصر . وفى أيامه أخذ « أرميا » النبى السرادق والتابوت والنار ، وأخفاها حيث لا يدرى أحد لعلمه بفوت ذهاب أمرهم .

ثم ولى بعده ابنه « يهوياحوز[٥٢] بن يوشيا » ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، فأعلن الكفر

(٤٩) الموصل : هى إحدى قرى بلاد الإسلام ، وهى باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد إلى « أذربيجان » وسميت بذلك لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل وصلت بين دجلة والفرات وهى مدينة قديمة على طرف دجلة ، ومقابلها من الجانب الشرق « نينوى » وفى وسطها قبر « جرجس » النبى ، وكان أول من عظمها وألحقها بالأمصار « مروان بن محمد » (معجم البلدان : ٥/٢٢٤) .

(٥٠) و (٥١) فى النسخة (أ) [منشا] وقد تكررت .

(٥٢) فى النسخة (ب) [يهوخار] .

وردّ(٥٣) عبادة الأوثان ، وأخذ التوراة من الكاهن الهارونى ونشر منها أسماء الله حيث وجدها ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر ، وأسره ملك مصر .

فولى مكانه « يهوياقيم(٥٤) بن يوشيا » أخوه ، وهو ابن خمس وعشرين سنة فأعلن الكفر وبنى بيوت الأوثان هو وجميع أهل مملكته ، وقطع الدين جملة ، وأخذ التوراة من الهارونى فأحرقها بالنار ، وقطع أثرها ، وكانت ولايته إحدى عشرة سنة ، ومات .

فولى مكانه ابنه « يهوياكين بن يهوياقيم(٥٥)» وتلقب « بنخيا(٥٦)» وهو ابن ثمانى عشرة سنة فأقام على الكفر وأعلن عبادة الأوثان . وكانت ولايته ثلاثة أشهر ، وأسره « بختنصر » .

فولى مكانه عمه « متنيا(٥٧) بن يوشيا » وتلقب « صدقيا » وهو ابن إحدى وعشرين سنة فثبت على الكفر ، وأعلن عبادة الأوثان هو وجميع أهل مملكته ، وكانت ولايته إحدى عشرة سنة ، وأسره « بختنصر » وهدم البيت والمدينة ، واستأصل جميع بنى إسرائيل ، وأخلى البلد منهم ، وحملهم مسبيين إلى بلاد « بابل » . وهو آخر ملوك بنى إسرائيل ، وبنى سليمان جملة ، فهذه كانت صفة ملوك بنى « سليمان بن داود » عليهما السلام .

فاعلموا الآن أن التوراة لم تكن من أول دولتهم إلى انقضائها إلّا عند الهارونى الكوهن الأكبر وحده فى الهيكل فقط .

وأما ملوك الأسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط ولا واحد فما فوقه ، بل كانوا كلهم معلنين عبادة(٥٨) الأوثان ، مخيفين للأنبياء ، مانعين القصد إلى « بيت المقدس » ، لم يكن فيهم نبى قط إلّا مقتولًا ، أو هاربًا مخافا .

فإن قيل : أليس قد قتل « إلياس » جميع أنبياء « بابل » لأجل الوثن الذى كان يعبده الملك ، والنخلة التى كانت تعبدها بنى إسرائيل ، وهم ثمانمائة وثمانون رجلا ؟ قلنا : إنما كان(٥٩) بإقرار كتبهم فى مشهد واحد ، ثم هرب من وقته وطلبته امرأة الملك لتقتله ، وما أبصره(٦٠) أحد .

فأول ملوك الأسباط العشرة « يربعام بن ناباط » الأفرايمى ، وليهم إثر موت « سليمان »

---

(٥٣) فى النسخة (ب) [إلى عبادة] بزيادة [إلى] . وفى (أ ، ب) [فرد الكفر وأعلن عادة الأوثان] .
(٥٤) فى النسخة (ب) [الياقيم] .
(٥٥) فى النسخة (ب) [يهو باكين بن الياقيم] .
(٥٦) فى النسخة (ب) [نخيا] بدون حرف الجر .
(٥٧) فى النسخة (ب) [متينا] بتقديم الياء على النون . وفى (خ) [متنيا بن يوسف] .
(٥٨) فى النسخة (أ ، ب) [بعبادة] .
(٥٩) فى النسخة (ب) : [ذلك] بعد كلمة [كان] وهى ساقطة من النسخة (أ) .
(٦٠) فى النسخة (ب) : [بصره] .

النبى ﷺ ، فعمل من حينه عجلين من ذهب وقال : هذان إلاهاكم اللذان خلصاكم من مصر ، وبنى لهما هيكلين ، وجعل لهما سدنة من غير « بنى لاوى » وعبدهما هو وجميع أهل مملكته ، ومنعهم من المسير إلى بيت المقدس ، وهو كان شريعتهم لا شريعة لهم غير القصد إليه والقربان فيه ، فملك أربعًا وعشرين سنة ، ثم مات .

وولى ابنه « ناداب(٦١) بن يربعام » على الكفر المعلن سنتين ثم قتل(٦٢) هو وجميع أهل بيته .

وولى « بعشابن إيلا » من « بنى يساخر » على عبادة الأوثان علانية أربعًا وعشرين سنة .

وولى ولده « إيلا بن بعشا » على الكفر وعبادة الأوثان سنتين إلى أن قام عليه رجل من قواده اسمه « زمرى » فقتله وجميع أهل بيته .

وولى « زمرى » سبعة أيام ، فقتل وأحرق عليه داره ، وافترق أمرهم على رجلين ، أحدهما يسمى « تبنى بن جينة(٦٣) » والآخر « عمرى » فبقيا كذلك إثنى عشر عامًا ، ثم مات « تبنى » وانفرد بملكهم « عمرى » فبقى كذلك ثمانية أعوام على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن مات .

وولى بعده ابنه « أحاب(٦٤) بن عمرى » على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان إحدى وعشرين سنة . وفى أيامه كان إلياس النبى عليه السلام هاربًا عنه فى الفلوات ، وعن امرأته بنت ملك « صيدا » وهما يطلبانه للقتل ، ثم مات « أحاب(٦٥) » وولى ابنه « أحزيا(٦٦) بن أحاب » على الكفر وعبادة الأوثان ثلاث سنين ثم مات . وولى مكانه أخوه « يهورام بن أحاب » على الكفر وعبادة الأوثان اثنتى عشرة سنة إلى أن قتل هو وجميع أهل بيته .

وفى أيامه كان « اليسع » عليه السلام وولى مكانه « باهو بن نمشى » من سبط « منسى(٦٧) » فكان أقلهم كفرًا ، هدم هياكل ما على الوثن ، وقتل سدنته ، إلا أنه لم ينقض(٦٨) قطع عبادة الأوثان بل ترك الناس عليها ، ولم يظهر(٦٩) الإيمان ، فولى كذلك ثمانيًا وعشرين سنة ومات .

---

(٦١) فى (خ) [ناباط بن يربعا] .
(٦٢) فى النسخة (أ) [قتله] .
(٦٣) فى (خ) [تبنى بن حسّاب] .
(٦٤) فى النسخة (ب) : [أخاب] بالخاء .
(٦٥) فى النسخة (ب) : [أخاب] بالخاء .
(٦٦) فى النسخة (ب) : [أخزيا] بالخاء .
(٦٧) فى النسخة (أ) [منشيا] .
(٦٨) فى النسختين (أ ، ب) [ينقص] بالصاد المهملة .
(٦٩) فى النسخة (ب) [يطهر] بالطاء المهملة .

وولى مكانه ابنه « يهوياحاز[٧٠] بن ياهو » سبع عشرة سنة فبنى بيوت الأوثان ، وأعلن عبادتها هو ورعيته إلى أن مات . وفى كتبهم أن أمر الأسباط العشرة ضعف فى أيامه ، حتى لم يكن معه من الجند إلا خمسون فارسًا وعشرة آلاف رجل فقط ، لأن ملك « دمشق » غلب عليهم وقتلهم .

وولى مكانه ابنه « يواش بن يهوياحاز » ست عشرة سنة على أشد من كفر أبيه ، وأخذ فى عبادة الأوثان ، وهو الذى غزا « بيت المقدس » وأغار عليه ، وعلى الهيكل ، وأخذ كل ما فيه ، وهدم من سور المدينة أربعمائة ذراع ، وهرب عنه ملكها[٧١] « يهوذا » ثم مات .

وولى مكانه ابنه « ياربعام[٧٢] بن يؤاش » خمسًا وأربعين سنة على مثل كفر أبيه ، وعبادة الأوثان ، وغزا أيضًا « بيت المقدس » وهرب أمامه ملكها الداوودى ، فأتبعه فقتله ثم مات .

وولى مكانه ابنه « زخريا بن ياربعام[٧٣] بن يؤاش بن يهوياحاز بن ياهو بن نمسى[٧٤] » ستة أشهر على الكفر وعبادة الأوثان ، إلى أن قتل هو وجميع أهل بيته .

وولى مكانه « شلوم بن نامس » من سبط « نفتالى » فملك شهرًا واحدًا على الكفر وعبادة الأوثان ، ثم قتل .

وولى بعده « مياخيم » بن « قارا » من سبط « يساخر[٧٥] » عشرين سنة على عبادة الأوثان والكفر ومات .

وولى مكانه ابنه « محيا بن مياخيم » على الكفر وعبادة الأوثان سنتين إلى إن قتل هو وجميع أهل بيته .

وولى مكانه « ناجح بن مليا » من سبط « دانى » فملك ثمانيًا وعشرين سنة على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن قتل هو وجميع أهل بيته .

وفى أيامه أجلى « تباشر » ملك الجزيرة « بنى رءوبين » و« بنى جادا[٧٦] » ونصف سبط « منسى[٧٧] » من بلادهم « بالغور » وحملهم إلى بلاده وسكّن بلادهم قومًا من بلاده .

---

(٧٠) فى النسخة (ب) : [يهو أحاز] .
(٧١) فى (أ ، ب) [ملك] .
(٧٢) فى النسخة (ب) [بارنعام] بالباء المفردة والنون الفوقية .
(٧٣) فى النسخة (ب) [بارنعام] كالسابقة .
(٧٤) فى النسخة (أ) [نمشى] .
(٧٥) فى النسخة (ب) [يساكر] .
(٧٦) فى النسخة (ب) [بنى جاد] .
(٧٧) فى النسخة (أ) [منشيا] .

ثم ولى مكانه « هوسيع بن أيلا » من سبط « جادا » على الكفر وعبادة الأوثان سبع سنين إلى أن أسره كما ذكرنا « سليمان » الأعسر ملك « الموصل » ،وحمله والتسعة الأسباط ، ونصف سبط « منسى » إلى بلاده أسرى وسكّن بلادهم قوما من أهل بلده ، وهم « السامرية » إلى اليوم . و « هوشيع » هذا آخر ملوك الأسباط العشرة . وانقضى أمرهم .

فبقايا المنقولين من « آمد » و« الجزيرة » إلى بلاد بنى إسرائيل هم الذين ينكرون التوراة جملة ، وعندهم توراة(٧٨) أخرى غير هذه التى عند اليهود ، ولا يؤمنون بنبى بعد « موسى » عليه السلام ،ولا يقولون بفضل بيت المقدس ، ولا يعرفونه ، ويقولون : إن المدينة المقدسة هى « نابلس » فأمر توراة أولئك أضعف من توراة هؤلاء ، لأنهم لا يرجعون فيها إلى نبى أصلا ولا كانوا هنالك أيام دولة بنى إسرائيل ، وإنما عملها لهم رؤساؤهم أيضًا فقد صح يقينًا أن جميع أسباط بنى إسرائيل حاش سبط « يهوذا » و« بنيامين » ومن كان بينهم من بنى هارون بعد « سليمان » عليه السلام مدة مائتى عام وواحد وسبعين عامًا لم يظهر فيهم قط إيمانٌ ولا يومًا واحدًا فما فوقه ، وإنما كانوا عباد أوثان ، ولم يكن قط فيهم نبى إلا مخاف ، ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ، ولا رسم ، ولا أثر ، ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلًا ، مضى على ذلك جميع عامتهم ، وجميع ملوكهم ، وهم عشرون ملكًا ، قد سميناهم إلى أن جاءوا(٧٩) ودخلوا فى الأمم وتدينوا بدين الصابئين الذين كانوا بينهم متملكين ، وانقطع اسمهم(٨٠) ورسمهم إلى الأبد ، فلا يُعرَف منهم عينُ أحد ، وظهر يقينا أن « بنى يهوذا » و« بنى بنيامين » كانت مدة ملكهم بعد موت « سليمان » عليه السلام أربعمائة سنة غير(٨١) أعوام على اختلاف من كتبهم فى ذلك فى بضعة عشر عامًا ، وقد قلنا : إنها كتب مدخولة فاسدة . ملك هذين السبطين فى هذه المدة من « بنى سليمان بن داود » عليهما السلام تسعة عشر رجلًا . ومن غيرهم امرأة تمّوا بها عشرين ملكًا ، قد سميناهم كلهم آنفا ، كانوا كفارًا معلنين عبادة(٨٢) الأوثان ، حاش خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ولا مزيد ، وهم « أشا بن أسا » ولى إحدى وأربعين سنة ، وابنه « يهوشافاط » ابن « أشا » ولى خمسًا وعشرين سنة . فهذه ست وستون سنة اتصل فيهم الدين ظاهرا بعد ثلاث وعشرين سنة اتصل فيها(٨٣) الكفر ظاهرا وعبادة الأوثان ، ثم ثمانية أعوام « ليورام بن يهوشافاط » لم نجد له حقيقة دين ، فحملناه على الإيمان لسبب أبيه . ثم اتصل الكفر ظاهرًا وعبادة الأوثان

(٧٨) فى النسخة (ب) [نذارة] .
(٧٩) فى (أ ، ب) [أوجلوا] وهو تحريف ظاهر .
(٨٠) فى (أ ، ب) [وانقطع رسم رميهم] .
(٨١) فى النسخة (ب) [على] .
(٨٢) فى الأصل [بعبادة] .
(٨٣) فى (أ ، ب) سقط قوله [الدين ظاهراً بعد ثلاث وعشرين سنة اتصل فيها] .

فى ملوكهم وعامتهم مائة عام وستين عامًا ، مع كفر سائر أسباطهم ، فعمهم الكفر وعبادة الأوثان فى أولهم وآخرهم . فأىّ كتاب أو أى دين يبقى مع هذا ؟

ثم ولى « حزقيا » المؤمن تسعا وعشرين سنة ، ثم اتصل الكفر بعده فى عامتهم وملوكهم ، وعبادة الأوثان سبعًا وخمسين سنة .

ثم ولى « يوشا » المؤمن الفاضل إحدى وثلاثين سنة ، ثم لم يل بعده إلّا كافر معلن عبادة[٨٤] الأوثان مدة اثنين وعشرين عامًا وستة أشهر منهم من نشر أسماء الله من التوراة ، ومنهم من أحرقها وقطع أثرها ، ولم نجد بعد هؤلاء من ظهر فيهم[٨٥] إلا الكفر ، وقتل الأنبياء عليهم السلام إلى أن انقطع أمرهم جملة بغارة « بختنصر » وسبوا كلهم ، وهدم البيت ، واستأصل أثره ، هذا إلى غارات كانت على مدينة « بيت المقدس » وهيكلها الذى لم تكن التوراة عند أحد إلا فيه ، لم يترك فيها شيء ، مرة أغار عليهم صاحب مصر أيام « رحبعام[٨٦] بن سليمان » ، ومرتين فى أيام « أمصياهو[٨٧] » الملك من قبل صاحب العشرة الأسباط إلى أن أملاها[٨٨] عليهم من حفظه « عزرا » الوراق الهارونى ، وهم مقرون أنه وجدها عندهم ، وفيها خلل كثير فأصلحه ، وهذا يكفى ، وكان كتابة « عزرا » للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس ، وكتبهم تدل على أن « عزرا » لم يكتبها لهم ولم[٨٩] يصلحها إلا بعد نحو أربعين عامًا من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عامًا التى كانوا فيها خالين[٩٠]، ولم يكن فيهم حينئذ نبى أصلًا ، ولا القبة ولا التابوت ، واختلف فى المنارة[٩١] كانت عندهم أم لا ؟

ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت ، وظهرت ظهورًا ضعيفا أيضًا ولم تزل تتداولها الأيدى مع ذلك إلى أن جعل « أنطاكيوس » الملك الذى بنى « أنطاكية » وثنا للعبادة فى « بيت المقدس » ، وأخذ بنى إسرائيل بعبادته ، وقربت الخنازير على مذبح البيت ، ثم تولى أمرهم قوم من « بنى هارون » بعد مئين من السنين ، وانقطعت القرابين فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التى بأيديهم اليوم ، وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدلًا من القرابين ، وعملوا لهم دينًا جديدًا ، ورتبوا لهم الكنائس فى كل قرية ، بخلاف حالهم طول دولتهم ،

(٨٤) فى الأصل [بعبادة] .
(٨٥) فى الأصل [ولم نجد بعد هؤلاء ظهر فيهم إيمان إلا الكفر] .
(٨٦) فى النسخة (ب) [رخبعام] بالخاء الفوقية .
(٨٧) فى النسخة (ب) [أمصيا] بدون [هو] .
(٨٨) فى النسخة (ب) [أملها] .
(٨٩) فى النسخة (ب) سقطت كلمة [لم] .
(٩٠) فى (خ) [جالين] بالجيم التحتية .
(٩١) فى (أ ، ب) [النار] .

وبعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمائة عام ، وأحدثوا لهم اجتماعا فى كل سبت على ما هم عليه اليوم بخلاف ما كانوا طول دولتهم ، فإنه لم يكن لهم فى شىء من بلادهم بيت عبادة ، ولا مجمع ذكر وتعلم ، ولا مكان قربان قربة ألبتة إلا بيت المقدس وحده ، وموضع السرادق قبل بنيان بيت المقدس فقط ، وبرهان هذا أن فى سفر « يوشع بن نون » بإقرارهم أن « بنى رءوبين » و« بنى جادا(٩٢)» ونصف سبط « منسى(٩٣)» إذ(٩٤) رجعوا بعد فتح بلاد الأردن و« فلسطين » إلى بلادهم بشرقى الأردن بنوا مذبحا ، فَهمّ « يوشع بن نون » وسائر بنى إسرائيل بغزوهم من أجل ذلك ، حتى أرسلوا إليه : إننا لم نُقِمْه لا لقربان ولا لتقديس أصلًا . ومعاذ الله أن نتخذ موضع تقديس غير المجتمع عليه الذى فى السرادق وبيت الله . فحينئذ كف عنهم ، ففى دون هذا كفاية لمن عقل فى أنها كتاب مبدّل مكذوب موضوع ، ودين معمول خلاف الدين الذى يقرون أن « موسى » عليه السلام أتاهم به ، وما يريد(٩٥) الشيطان منهم أكثر من هذا ، ولا فى الضلال فوق هذا ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وأيضا فإن فى التوراة التى ترجمها السبعون شيخًا « لبطليموس » الملك بعد ظهور التوراة ، وأفشوها(٩٦) مخالفة للتى كتبها لهم « عزرا » الوراق ، وتدّعى النصارى أن تلك التى ترجم السبعون شيخًا فى اختلاف أسنان الآباء بين آدم ونوح عليهما السلام التى من أجل ذلك الاختلاف تولد بين تاريخ اليهود وتاريخ النصارى زيادة ألف عام ونيف على ما نذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى .

فإن كان هو كذلك فقد وضح اليقين ، بكذب(٩٧) السبعين شيخًا ، وتعمدهم لنقل الباطل ، وهم الذين عنهم أخذوا دينهم ، وأفٍّ أفٍّ لدين أخذ عن متيقن كذبه .

وأيضًا فإن فى السفر الخامس من أسفار التوراة الذى يسمونه التكرار : أن الله تعالى قال لموسى : « اصنع لوحين على حال الأولين ، واصعد إلى الجبل ، واعمل تابوتًا من خشب لأكتب فى اللوحين العشر كلمات التى أسمعكم السيد فى الجبل من وسط اللهيب عند اجتماعكم إليه ، وبرى(٩٨) بهما إلىّ فانصرفت من الجبل ، وجعلتهما فى التابوت ، وهما فيه إلى اليوم » .

وفى السفر المذكور أيضًا بعد هذا الفصل قال : ومن بعد أن كتب « موسى » هذه العهود فى مصحف ، واستوعبها ، أمر « بنى لاوى » حاملى تابوت عهد الرب ، وقال لهم : خذوا

(٩٢) فى (ب) [جاد] .
(٩٣) فى (أ) [منشا] .
(٩٤) فى (أ) [إذا] .
(٩٥) فى (أ ، ب) [وما يزيد] بالزاى بدلا من الراء المهملة .
(٩٦) فى النسخة (ب) وفشوها [هى] وقد سقطت من النسخة (أ) .
(٩٧) فى (أ ، ب) [وكذب السبعون] .
(٩٨) فى النسخة (أ) [ويرى] بالياء المثناة — ويرى بمعنى ألقى .

هذا المصحف ، واجعلوه فى المذبح ، واجعلوا عليه تابوت عهد الرب إلٰهكم ليكون عليكم شاهدًا .

وقال قبل ذلك فى السفر المذكور أيضًا : إذا استجمعتم على تقديم ملك عليكم على حال ملوك الأجناس فلا تقدموا إلّا من ارتضاه الرب من عدد إخوتكم ، ولا تقدموا أجنبيًا على أنفسكم إلى أن قال : فإذا قعد على سرير ملكه فليكتب من هذا التكرار فى مصحف ما يعطيه الكوهن المتقدم من « بنى لاوى » بما يشاكله ويكون ذلك معه ، فيقرأه كل يوم طول ولايته ليخاف الرب إلاهه ، ويذكر كتابه وعهده ، فهذا كله بيان واضح بصحة ما قلنا من أن العشر كلمات ومصحف التوراة إنما كان فى الهيكل فقط تحت تابوت العهد ، وفى التابوت فقط عند الكوهن الأكبر وحده ، لأنه بإجماعهم لم يكن يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه .

وفيه أيضًا : أنه أمر أن يكتب الكوهن المذكور من السفر الخامس فقط شيئا يمكن أن يقرأه الملك كل يوم ، ومثل هذا لا يكون إلا يسيرًا جدًا ورقة أو نحو ذلك . مع أنهم لا يختلفون فى أنه لم يلتفت إلى ذلك ألبتة بعد « سليمان » عليه السلام أحد من ملوكهم إلا أربعة أو خمسة كما قدمنا فقط ، من جملة أربعين ملكًا .

وأيضًا فإنه قال فى السفر المذكور : ثم كتب « موسى » هذا الكتاب وبرى به إلى الكهنة من « بنى لاوى » الذين كانوا يحسنون عهد الرب ، وقال لهم « موسى » : إذا اجتمعتم للتقديس بين يدى الرب إلٰهكم فى الموضع الذى تخيره الرب ، فاقرءوا ما فى هذا المصحف فى جماعة « بنى إسرائيل » عند اجتماعهم فقط يسمعوا ما يلزمهم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وفى نصّ توراتهم : أنهم كانوا لا يلزمهم المجىء إلى « بيت المقدس » إلّا ثلاث مرات فى كل سنة فقط ، فإنما أمر بنص التوراة كما أوردنا أن يقرأها عليهم الكوهن الهارونى عند اجتماعهم فقط . فثبت أنها لم تكن إلّا فى الهيكل فقط ، عند الكوهن الهارونى فقط لا عند أحد سواه .

وقد أوضحنا قبل أنّ العشرة الأسباط لم يدخل قط « بيت المقدس » منهم أحد بعد موت « سليمان » عليه السلام إلى أن انقطعوا ، وأن « بنى يهوذا » و« بنيامين » لم يجتمعوا إليه إلّا فى عهد الملوك الخمسة المؤمنين فقط فظهر بهذا — كما قلنا — وصح تبديلها بيقين ، ولا شك فى أن تلك المدة الطويلة التى هى أربعمائة سنة غيرُ شىء ، قد كان فى الكهنة الهارونيين ما كان فى غيرهم من[99] الكفر والفسق ، وعبادة الأوثان كالذى يذكرون عن ابنى الكوهن[100] عالى

(٩٩) فى النسخة (ب) [فى] .

(١٠٠) سقطت كلمة [الكوهن] فى النسخة (ب) . و (خ) .

الهاروني ، وغيرهما ، ممن يقرُّون[١٠١] في كتبهم أنهم خدموا الأوثان ، وبيوتها من « بني هارون » و« بني لاوي » . ومن هذه صفته فلا يؤمن عليه تغيير ما ينفرد به ، وهذه كلها براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها .

قال « أبو محمد » (رضي الله عنه) : إلّا سورة واحدة ذكر في توراتهم أنَّ « موسى » عليه السلام أمر بأن تكتب وتعلم جميعُ « بني إسرائيل » ليحفظوها ويقوموا بها ، ولا يمتنع أحد من نسلهم من حفظها ، وهذا نصها حرفا بحرف : « اسمعي يا سماوات ، قولي وتسمع الأرض كلامي ، يكثر كالمطر ، ويسيل[١٠٢] كالرذاذ كلامي ، ويكون كالمطر على العشب ، وكالرذاذ على الخصب لأني أنادي باسم الرّب ، فيعظمه الرّب إلهنا الذي أكمل خلقته[١٠٣] واعتدلت أحكامه ، الله الأمين ، الذي لا يجور ، العدل القيوم ، أذنب لديه غير أوليائه ، ومحت[١٠٤] الأمة العاصية المستحيلة ، وهذا شكر للرّب يا أمة جاهلة نهمة[١٠٥]، أما هو : أبوكم الذي خلقكم ، ومليككم ، فتذكروا القديم ، وفكروا في الأجناس ، وسلوا آباءكم[١٠٦] فيعلمونكم ، وأكابركم فيعرفونكم ، إذا كان يقسم العلي الأجناس ، ويميز بين بني آدم[١٠٧] جعل قسمة الأجناس على حساب بني إسرائيل ، فهم الربُّ أمته ، ويعقوب قسمته ، وجده في الأرض المقفرة ، وفي موضع قبيح غير مسلوك فأطلقه وأقبل به وحفظه كحفظ الشعر للعين ، وأطارهم كما يستطير العقاب بفراخها ، وتحوم عليها ، وتبسط جناحها حفظا لها ، فأقبل بهم وحملهم على منكبيه ، فالرب وحده كان قائدهم ، ولم يكن معه إله غيره ، فجعلهم في أشرف أرضه ليأكلوا خبزها ، ويصيبوا عسل حجارتها ، وزيت جنادلها ، وسمن مواشيها ، ولبن ضانها ، وشحوم خرفانها ، وكباش « بني باسان[١٠٨]، ولحوم التيوس ، بلباب[١٠٩] البُرّ ، ودم العنب ، وتعاموا[١١٠] سمنوا ، ودبروا ، واتسعوا[١١١]، ثم تخلوا من الله خالقهم ، وكفروا بالله مسلمهم ، فألجئوه بعبادتهم[١١٢] الأوثان إلى أن سخط عليهم ، ولسجودهم للشيطان لا لله ، ولسجودهم لآلهة الأجناس كانوا يجهلونها ،

(١٠١) في (أ ، ب) [يقرءون] وفي (خ) سقطت [في كتبهم] .
(١٠٢) في (أ ، ب) [وبل] بدلا من [ويسيل] .
(١٠٣) في النسخة (أ) [خليقته] .
(١٠٤) في (خ) [وتنجست] .
(١٠٥) في (أ ، ب) [قيمة] وفي (خ) [فهمة] وهو تحريف .
(١٠٦) في الأصل [أباكم] .
(١٠٧) في (ب) [يهدى] .
(١٠٨) في (أ ، ب) [بلسان] .
(١٠٩) في (ب) [ولبان] بالنون الفوقية . وفي (أ) [ولباب] .
(١١٠) في (أ ، ب) [وتعاصوا] .
(١١١) في (أ ، ب) [واشعوا] وهو تحريف ظاهر .
(١١٢) في (أ ، ب) [فالجوه لعبادتهم] .

ولم يعبدها[١١٣] قبلهم آباؤهم فتخلوا من الله الذى ولدهم ، فنسوا[١١٤] الرب خالقهم ، فبصر الرب بهذا ، وغضب له ، إذ تخلى[١١٥] بنوه وبناته ، فقال : أخفى وجهى عنهم حتى أعلم آخر أمرهم ، فإنها أمة كافرة عاصية ، وقد أسخطونى بعبادة من ليس إلها ، وأغضبونى بفواحشهم ، وسأغيرهم على يدى أمة ضعيفة ، وأخسف بهم على يدى أمة جاهلة ، ويتقدم غضبى نارٌ تحرق إلى الهواء ، فيأتى على الأرض بمعاقبته[١١٦] ، وتذهب أصول الجبال فأجمع عليهم بأسى ، وأثقبهم بنبلى ، وأهلكهم جوعًا ، وأجعلهم طعامًا للطير ، وأسلط عليهم أنياب السباع ،وأصعب[١١٧] عليهم الحياة ، فإن برزوا أهلكتهم رماحًا ، وإن تحصنوا أهلكت الشاب منهم ، والعذار ، والطفل ، والشيخ ، رعبًا حتى أقول : أين هم ؟ فأقطع من الأرض ذكرهم ، لكنى رفّهت عنهم لشدة حرد أعدائهم لئلا يزهوا ويقولوا أيدينا القوية[١١٨] فعلت لا الرب ، فهذه الأمة لا رأى[١١٩] لها ، ولا تمييز فليتها عرفت وفهمت ، وأبصرت ما يدركها فى آخر أمرها ، كيف يتبع واحدًا منهم ألف[١٢٠] ويفر عن اثنين عشرة آلاف ؟

أما هذا بأن ربهم أسلمهم ، وربهم أغلق فيهم ، ليس إلٰهنا مثل آلهتم ، وصارحكما ، كَرْمُهم من كَرْم « سدوم » ، وعناقيدهم من أرباض « عامورا » ، فعناقيدهم عناقيد المرارة ، وشرابهم مرارة الثعابين ، ومن السم الذى لا دواء له ، أما هذا فى علمى ، ومعروف فى خزائنى لى الانتقام ، وأنا أكافىء فى وقته ، فترهق أرجلكم ، فكان قد حان وقت خرابهم ، وإلى ذلك تسرع الأزمنة ، سيحكم الربُّ على أمته ، ويرحم عبيده إذا أبصرهم قد ضعفوا ، وأغلق عليهم وذهب أواخرهم ، وقال : أين آلهتهم التى يتقون ، ويأكلون من قربانهم ، ويشربون منه ، فليقوموا ، وليغيثوهم فى وقت حاجتهم . فتبصَّروا تبصروا : أنا وحدى ولا إله غيرى ، أنا أميت ، وأنا أحيى ، وأنا أمرض ، وأنا أبرى ، ولا ينخلص شىء من يدى ، فأرفع إلى السماء يدى ، وأقول : بحياتى الدائمة ، لئن حددت رحى كالصاعقة ، وابتدأت يمينى بالحكم ، لا كافانى أعدائى ، وأهل السنان ، ولأسكرن نبلى دمًا ، ولأقطعن برحى لحومًا ، فامدحوا يا معشر الأجناس أمة ، فإنه سيأخذ بدماء عبيده ، وينتقم من أعدائهم ، ويرحم أرضهم .

---

(١١٣) فى الأصل [ولم بعدها] .
(١١٤) فى (ب) [فنسبوا] .
(١١٥) فى (ب) [تحلى] بالحاء المهملة .
(١١٦) فى (أ ، ب) [بمعانسته] .
(١١٧) فى (ب) [وأعصب] . وفى (خ) [وأغضب عليهم الحيَّات] .
(١١٨) فى (ب) [القوة] .
(١١٩) فى (ب) [لا أرى] .
(١٢٠) فى (أ ، ب) [ألفا] بالنصب .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه السورة التى أبيحت لهم ، وأمروا بحفظها وكتابتها لا ماسواها بنص توراتهم بزعمهم ، وقد بينا قبل أنهم لم يشتغلوا بعد موت « سليمان » عليه السلام ، لا بهذه السورة ولا بغيرها إلا مدة الملوك الخمسة فقط ، لأنهم[١٢١] قد عبدوا كلهم الأوثان ، وقتلوا الأنبياء وأخافوهم ، وشردوهم ، هذا ما لا يشك فيه كافر ولا مؤمن .

على أن فى هذه السورة من الفضائح ما لا يجوز أن ينسب إلى الله عز وجل ، مثل قوله : إن الله تعالى هو أبوهم الذى ولدهم ، وأنهم بنوه وبناته حاش لله من هذا ، وهل طرق للنصارى وسهّل عليهم أن يجعلوا لله ولدًا إلّا ما وجدوا فى هذه الكتب الملعونة المكذوبة المبدّلة بأيدى اليهود ؟!

وليس فى العجب أكثر من أن يجعلهم أنفسهم أولاد الله تعالى ، وكل من عرفهم يعرف أنهم أوضر[١٢٢] الأمم بزة ، وأبردهم طلعة ، وأغثهم مفاظع[١٢٣]، وأتمهم خبثًا ، وأكثرهم غشًا ، وأجبنهم نفوسًا ، وأشدهم مهانة ، وأكذبهم لهجة ، وأضعفهم همة ، وأرعنهم شمائل ، بل حاش لله من هذا الاختيار الفاسد .

ومثل قوله فى هذه السورة : أنه تعالى حملهم على منكبيه .

ومثل قوله : أنه قد قسم الأجناس من بنى آدم ، وجعل قسمة الأجناس على حساب بنى إسرائيل ، وجعلهم سهمه ، فهذا كذب ظاهر حاش لله منه لأن أولاد بنى إسرائيل كانوا اثنى عشر ، فعلى هذا يجب أن يكون أجناس « بنى آدم » اثنى عشر ، وليس الأمر كذلك ، فإن كان عنى من تناسل من[١٢٤] أولاد إسرائيل ، فالكذب[١٢٥] حينئذ أشنع وأبشع ، لأن عددهم لا يستقر على قدر واحد ، بل كل يوم يزيدون وينقصون بالولادة والموت ، هذا ما لا شك فيه ، فكل هذه براهين واضحة بأنها محرّفة مبدّلة مكذوبة ، فإذ[١٢٦] هى كذلك فلا يجوز ألبتة فى عقل أحد أن يشهد فى تصحيح شريعة ، ولا فى نقل معجزة ، ولا فى إثبات نبوة ، بنقل مكذوب مفترى موضوع . هذا ما لا شك فيه .

وقد قلنا أو نقول : إنّ نقل اليهود فاسدٌ مدخول ، لأنه راجع إلى قوم اتبعوا من أخرجهم من الذل والبلاء والسخرة ، والخدمة فى عمل الطوب ، وذبح أولادهم عند الولادة ، ومن[١٢٧] حال

(١٢١) فى النسخة (ب) [قد لأنهم] .
(١٢٢) الوضَرَ محركة : وسخ الدسم واللبن . وغسالة السقاء ، والقصعة ونحوهما ، وما تشمه من ريح تجدها من طعام فاسد .
(١٢٣) فى (أ) [مقاطع] بالقاف والطاء المهملة .
(١٢٤) فى (أ ، ب) [من تناسل بنى إسرائيل] .
(١٢٥) فى (أ ، ب) [فكذب] .
(١٢٦) فى (ب) [فإن] .
(١٢٧) سقطت [من] فى (ب) .

لا يصبر عليها كلب مطلق ، ولا حمار مسيب إلى العزّ ، والراحة ، والعافية ، والتملك للأموال ، وأن يكونوا آمرين مخدومين ، آمنين على أولادهم وأنفسهم . ولا ينكر فى مثل هذا الحال أن يشهد المخلص للمخلص بكل ما يريد منه .

ومع هذا كله فإنّ اتباعهم « لموسى » عليه السلام الذى أخرجهم من تلك الحالة إلى هذه الأخرى ، وطاعتهم(١٢٨) له كانت مدخولة ضعيفة مضطربة .

وقد ذكر فى نص توراتهم : أنهم(١٢٩) إذ عملوا العجل ناذوْا هذا إله « موسى » الذى يخلصهم من « مصر » .

ومرة أخرى أرادوا قتله ، وتصايحوا : قدّم على أنفسنا قائدا ونرجع إلى مصر ، ومع هذا كله قولهم : إن السحرة عملوا مثل كثير مما عمل موسى ، وأن كل ذلك بيان(١٣٠) ممكن بصناعة معروفة ، وفى هذا كفاية .

وهم مقرون بلا خلاف من أحد منهم : أنه لم يتبع « موسى » أمةٌ سواهم ، ولا نقلت لهم معجزة طائفة غيرهم ، وأمّا النصارى : فعنهم أخذوا نبوّة موسى ومعجزاته ، وأما سائر الأمم والملل ، كالمجوس والفرس والصابئين ، والسريانيين ، والمانية(١٣١)، والسمنية ، والبراهمة ، والهند والصين ، والترك — فلا ، أصلا . ولا على أديم الأرض مصدق بنبوة « موسى » وبالتوراة التى بأيديهم إلاهم ، ومن هو شعبة منهم كالنصارى .

وأمّا نحن — المسلمين — فإنما قبلنا نبوة « موسى » ، و« هارون » ، و« داود » و« سليمان » ، و« إلياس » ، و« اليشع » عليهم السلام ، وصدقنا بذلك وآمنا بهم ، وأنّ « موسى » الذى أنذر « بمحمد » ﷺ لإخبار رسول الله ﷺ بصحة نبوتهم ، ومعجزاتهم فقط ، ولولا إخباره عليه السلام بذلك ما كانوا عندنا إلا « كشموال » ، و« إيراث » ، و« حداث » ، و« حقاى » ، و« حبقوق » ، و« عدوا » ، و« يوأل » ، و« عاموص » ، و« عوبديا » ، و« ميسخا » ، و« ناحوم » ، و« صفينا » ، و« ملاخى » وسائر من تقر اليهود بنبوتهم ، كإقرارهم بنبوة « موسى » سواء بسواء ، ولا فرق بين طرق نقلهم لنبوة جميعهم ، ونحن لا نصدق نقل اليهود فى شىء من ذلك ، بل نقول : إنه قد كان لله تعالى أنبياء فى « بنى إسرائيل » أخبر بذلك الله تعالى فى كتابه المنزل ، على نبيه الصادق المرسل ، فنحن

(١٢٨) فى (ب) [وطاعته] .
(١٢٩) سقطت [أنهم] فى (ب) .
(١٣٠) فى (خ) لا توجد كلمة [بيان] .
(١٣١) فى (ب) [والمنانية] .

نقطع بنبوة من سمّى لنا منهم • ونقول فى هؤلاء الذين لم يسم لنا محمد ﷺ أسماءهم : الله عزّ وجل أعلم ، إن كانوا أنبياء فنحن نؤمن بهم ، وإن لم يكونوا أنبياء فلسنا نؤمن بهم •

آمنا بالله ، وكتبه ، ورسله ، لا نفرق بين أحدٍ من رسله[١٣٢]»

وهكذا نقر بنبوة « صالح[١٣٣] »، و« هود » ، و« شعيب[١٣٤] »، و« إسماعيل[١٣٥] » وبأنهم رسل الله يقينًا ، ولا نبالى بإنكار اليهود لنبوتهم ، ولا بجهلهم بهم ، لأن الصادق عليه السلام شهد برسالتهم . وأما التوراة فما وافقنا قط عليها ، لأننا نحن نقر بتوراة حق أنزلها الله تعالى على « موسى » عليه السلام وأصحابه ، لأنه تعالى أخبرنا بذلك فى كتابه الناطق على لسان رسول الله ﷺ الصادق ، ونقطع بأنها[١٣٦] ليست هذه التى بأيديهم بنصها ، بل حرف كثير منهم وبدّل ، وهم يقرون بهذه التى بأيديهم ، ولا يعرفون التى نؤمن نحن بها ، وكذلك لا نصدّق بشريعتهم التى هم عليها الآن ، بل نقطع بأنها محرفة مبدَّلة مكذوبة ، وهم لا يؤمنون « بموسى » الذى بشر « بمحمد » ﷺ ، وبرسالته وبأصحابه .

فاعلموا أننا لم نوافقهم قط على التصديق بشىء من دينهم ، ولا مما هم عليه ، ولا مما بأيديهم من الكتاب ، ولا بالنبى الذى يذكرونه لما قد أوضحناه من فساد نقلهم ، ووضوح الكذب فيه ، وعموم[١٣٧] الدواخل فيه[١٣٨].

---

(١٣٢) الآية كما فى سورة البقرة ٢٨٥ « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله » •

(١٣٣) صالح : نبى أرسله الله إلى قوم ثمود من العرب ، وقد طلب من قومه أن يستمعوا إليه ، وأن يعبدوا الله وحده فرفضوا دعوته ، وطلبوا آية على صدقه ، وهى ناقة تخرج من صخرة عينوها له ، فأجابهم إلى ماطلبوا ، ولكنهم لجوا فى كفرهم ، وعقروا ناقة نبيهم فعاقبهم الله على ذلك فأرسل عليهم ريحا طاغية اقتلعتهم (دائرة المعارف الإسلامية حـ ٤ ص ١٠٦) •

(١٣٤) شعيب : هو حمو موسى عليه السلام : وجاء فى الآية ٩١ من سورة هود : أنه أرسل بعد هود وصالح ولوط ، وجاء فى سورة الشعراء الآيات ١٧٩ – ١٨٩ : أنه أرسل إلى أصحاب الأيكة فدعاهم إلى التوحيد ، وحثهم على إقامة القسط فى الميزان والكيل ، وحذرهم من العبث بالنظام فاستجاب إليه بعضهم ، ولج الباقون فى كفرهم ، وقبر شعيب اختلف فيه : أهو فى قرية « حطين » أو بين « مدين » التى خربت و« مدين » الحديثة (دائرة المعارف الإسلامية) •

(١٣٥) إسماعيل : هو ابن إبراهيم عليه السلام ، وجاء فى الآية ٥٥ من سورة مريم : أنه كان رسولًا نبيا ، وقد ذكر فى الآية ١٢٧ من سورة البقرة : أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق من آباء يعقوب ، وجاء أيضا أن إبراهيم أولد « هاجر » إسماعيل ، وكان أول بنيه ، وأنه كان سببا فى النزاع بين « هاجر » و « سارة » ، وقد أعان إسماعيل أباه فى بناء البيت الحرام ، ويقال بأن إبراهيم وهاجر دفنا فى الحجر فى بيت الله الحرام . (دائرة المعارف الإسلامية) .

(١٣٦) فى (ب) [على أنها] .

(١٣٧) فى (أ) [عموم] بغير واو العطف .

(١٣٨) إلى هنا انتهى الكلام فى النسخة (أ) من الجزء الأول من الفصل . أما النسخة (ب) فقد استمرت حتى انتهى الحديث عن اليهود والتوراة ، وبدأ الجزء الثانى بالحديث عن النصارى ونحن قد سرنا على هذا التقسيم .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ونذكر إن شاء الله تعالى طرفًا مما فى سائر الكتب التى عندهم ، التى يضيفونها إلى الأنبياء عليهم السلام من الفساد كالذى ذكرنا فى توراتهم ، ولا خلاف فى أن اهتبالهم بالتوراة كان أشد وأكثر أضعافا مضاعفة من اهتبالهم[١٣٩] بسائر كتب أنبيائهم .

أما كتاب « يوشع » فإن فيه براهين قاطعة بأنه أيضا تاريخ ألفه لهم بعض متأخريهم بيقين ، وأن « يوشع » لم يكتبه قط ، ولا عرفه ولا أنزل عليه ، فمن ذلك أن فيه نصًا : (فلما انتهى ذلك إلى « دوسراق » ملك « بيوس » التى بنى فيها « سليمان بن داود » بيت المقدس ، فعل أمرًا ذكره) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ومن المحال الممتنع أن يخبر « يوشع » أن « سليمان » بنى بيت المقدس ، و« يوشع » قبل سليمان بنحو ستمائة سنة ، ولم يأت هذا النص فى كتاب « يوشع » المذكور على سبيل الإنذار أصلًا ، إنما مساقه — بلا خلاف منهم — مساق الأخبار عما قد مضى[١٤٠] . وفيه قصة بشيعة جدًا ، وهى أن « عخار » ابن « كرمى » بن « شذان[١٤١] » ابن « شيلة » بن « يهوذا » بن « يعقوب » عليه السلام غل[١٤٢] من الغنم خيطًا أرجوانًا ، وحق ذهب فيه خمسون مثقالا ، ومائتا درهم فضة ، فأمر « يوشع » برجمه ، ورجم بنيه ، ورجم بناته حتى يموتوا كلهم بالحجارة ، وأمر بإحراق مواشيه كلها ، وحاش لله أن يحكم نبى بهذا الحكم فيعاقب بأغلظ العقوبة من لا ذنب له من ذريه لم تجن شيئًا بجناية أبيهم ، مع أن نصّ التوراة : لا يقتل الأبُ بذنب الإبن ، ولا الإبن بذنب الأب . فلابدّ ضرورة من أن يقولوا نسخ « يوشع » هذا الحكم ، فيثبتوا النسخ من نبى لشريعة نبى قبله ، وفى شريعة « موسى » أيضًا ، أو ينسبوا الظلم وخلاف أمر الله إلى « يوشع » فيجعلوه ظالما عاصيا لله مبدلًا لأحكامه ، وما فيها حظ لمختارٍ منهم . وبالله تعالى التوفيق .

وفيه : أن كل من دخل من بنى إسرائيل الأرض المقدسة ، فإنهم كانوا مختونين ، وفيه أبناء تسعة وخمسين عامًا ، وأقل ، وأن « موسى » عليه السلام لم يختن ممن ولد بعد خروجه من مصر أحدًا ، هذا مع إقرارهم أن الله تعالى شدّد فى الختان ، وقال : « من لم يختتن فى يوم أسبوع ولادته فلتنف نفسه من أمته » بمعنى : فليقتل .

---

(١٣٩) اهتبل الصيد : بغاه ، والصياد يهتبل الصيد أى يغتنمه ويفتره . جاء فى اللسان . جاء فى اللسان : الاهتبال : الاغتنام وفى الحديث من اهتبل جوعه مؤمن كان له كيت وكيت . والمراد هنا : الطلب والعناية .

(١٤٠) فى (ب) [مضوا] .

(١٤١) فى (ب) [سلوان] .

(١٤٢) غل : غلولًا « خان » كأغل أو خاص بالفىء ومنه قول الله تعالى : « وما كان لنبى أن يغلّ ، ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة » (آل عمران : ١٦١) .

فكيف يضيع « موسى » هذه الشريعة الوكيدة ؟ حتى يختنهم كلهم « يوشع » بعد موت « موسى » بدهر ؟

ولقد فضحت بهذا وجه بعض علمائهم . فقال لى : كانوا فى التيه فى حل وارتحال ، فقلت له : فكان ماذا ؟ فكيف وليس كما تقولون ؟ بل كانوا يبقون المدة الطويلة فى مكان واحد .

وفى نص كتاب « يوشع » بزعمكم : أنه إنما ختنهم إذ جازوا الأردن قبل الشروع فى الحرب ، وفى أضيق وقت ، وختنهم كلهم حينئذ ، وهم رجال كهول ، وشبان ، وتركوا الختان إذ لا مئونة فى ختانهم أطفالا تحمله أمه مختونًا كما تحمله غير مختون ، ولا فرق ، فسكت منقطعًا .

وأما الكتاب الذى يسمونه (الزبور) : ففى المزمور الأول منه : « قال لى الرّب : (أنت ابنى أنا[١٤٣] اليومَ ولدتك) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فأى شىء تنكرون على النصارى فى هذا الباب ؟ ما أشبه الليلة بالبارحة ؟! وفيه أيضًا : « أنتم بنو الله ، وبنو العلى كلكم » .

وهذه أطم من التى قبلها . ومثل ما عند النصارى أو أنتن .

وفيه[١٤٤] فى المزمور الرابع والأربعين منه : (عرشك يا الله فى العالم ، وفى الأبد ، قضيبت[١٤٥] العدل ، قضيبت[١٤٦] ملكك ، أحببت الصلاح ، وأبغضت المكروه ، من أجل[١٤٧] ذلك دهنك إلٰهك بزيت القرح[١٤٨] بين أشراكك) .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه سوأة الأبد ، ومضيعة الدهر ، وقاصمة الظهر ، وإثبات إله آخر على الله تعالى دَهَنَه بالزيت إكرامًا له ، ومجازاة على محبته الصلاح ، وإثبات أشراك الله تعالى ، وهذا دين النصارى بلا مئونة - [ولكن[١٤٩]] إثبات إله دون الله - وقد ظهر عند اليهود هذا علانية على ما نذكر بعد أن شاء الله تعالى .

وبعده بيسير يخاطب الله تعالى : « وقفت زوجتك عن يمينك وعقاصها من ذهب ، أيتها

(١٤٣) فى (ب) [أنت ابن اليوم ولدتك » .
(١٤٤) فى (أ) [وهو] .
(١٤٥) فى (أ) [قضيب] بالباء التحتية المفردة .
(١٤٦) فى (أ) [قضيب] بالباء التحتية المفردة .
(١٤٧) فى (ب) [وكذلك] .
(١٤٨) فى (أ) [الفرح] بالفاء الموحدة . والقرح : البثر إذا ترامى إلى فساد وجرب شديد ، يهلك فصلان الإبل ، وأقرحوا أصاب إبلهم ذلك . وزيت القرح : الذى يستعمل فى علاج الجرب .
(١٤٩) هكذا فى الأصل ، والكلام لا يفهم بوجودها ، والأصح - عندنا - بدون لكن ، وتكون الجملة اعتراضية - لبيان دين النصارى بلا مئونة .

الإبنة : اسمعى ، وميلى بأذنيك ، وأبصرى ، وآنسى عشيرتك ، وبيت أبيك ، فيهواك الملك وهو الرب والله فاسجدى له طوعًا » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ما شاء الله كان . أنكرنا الأولاد فأتونا بالزوجة ، والأختان !! تبارك الله ، فما نرى لهم على النصارى فضلاً أصلًا ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وفيه فى المزمور الموفى مائة وسبعا(١٥٠): « قال الرَّب لربِّى : اقعد على يمينى حتى أجعل أعداءك كرسى قدميك » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا كالذى قبله فى الجنون والكفر ، رب فوق ربٍّ ، وربٌّ يقعد عن يمين ربٍّ ، وربٌّ يحكم على ربٍّ . ونعوذ بالله من الخذلان .

وفيه فى المزمور السادس والثمانين منه : « يقول روح القدس لصهيون : يقال رجل ، ورجل ولد فيها ، وهو(١٥١) الذى أسسها الرب العلى ، الذى خلقها عند مكتنه الأمة » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا دين النصارى الذى يشنعون به عليهم ، من أن الله ولد « صهيون » ، لو انهدمت الجبال من هذا ما كان عجبا .

وفيه فى المزمور السابع والسبعين منه : « الرَّب قام كالمنتبه من نومه كالجبار الذى يقربه(١٥٢) أثر الخمار كما يقوم الجريش(١٥٣)» .

وفيه : « اتقوا ربكم الذى قوته كقوة الجريش » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ما سمع فى الحمق اللفيف ، ولا فى الكفر السخيف بمثل هذا الفعل(١٥٤)، مرة يشبه قيام الله تعالى بالمنتبه من نومه ، وقد علمنا أنه لا يكون المرء أكسل ولا أحوج إلى التمدد ، ولا أثقل حركة منه حين قيامه منه ، ومرة يشبهه بجبار ثمل ، وما عهد للمرء وقت يكون فيه أنكد ولا أثقل عينين ، ولا أخبث نفسا ، ولا آلم صداعًا ، ولا أضعف عويلا منه فى حان(١٥٥) الخمار . ومرة يمثله بالجريش ، وما الجريش والله ما هو إلَّا ثور من الثيران بقرن فى وسط رأسه ، حاش لله من هذه النحوس التى حَقُّ من يؤمن بها السوط حتى يعتدل دماغه ، أو يحمق بالكل ويقذف الناس بالحجارة ، ويسقط عنه الخطاب ونعوذ بالله من البلاء .

---

(١٥٠) فى (خ) [وتسعا] .
(١٥١) فى (أ) [وهى العلى أسسها الرب الذى خلقها بعد عند مكتبة الأمة أن هذا ولد هناك] .
(١٥٢) فى (أ) [يغر به] .
(١٥٣) الجريش : الشىء لم ينعم دقه فهو جريش .
(١٥٤) فى (خ) [الفصل] .
(١٥٥) فى (خ) [فى حين] .

وفيه من المزمور الحادى والثمانين : « قام الله فى مجتمع الآلهة ، وقف إله العزة فى وسطهم يقضى[١٥٦] » .

وهذه حماقة ممزوجة بكفر سمج ، مجتمع الآلهة ، وقيام الله بينهم ، ووقوفه فى وسط أصحابه . ما شاء الله كان !! ألا إنَّ هذا أخبث من قول النصارى ؛ لأن الآلهة عند النصارى[١٥٧] ثلاثة ، وهم عند هؤلاء السفلة الأراذل[١٥٨] جماعة . ونعوذ بالله من الخذلان .

وفيه[١٥٩] من المزمور الثامن والثمانين : « من ذا يكون مثل الله فى جميع بنى الله » ؟ وبعده يقول : « إن داود يدعونى والدًا وأنا جعلته بكر بنيَّ » وبعده : « إن عرش داود يبقى ملكه سرمدًا أبدًا » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذه كالتى قبلها صارت الآلهة قبيلة وبنى أبَ ، وكان فيهم واحد هو سيدهم ليس فيهم مثله ، والآخرون فيهم نقص بلا شك ، تعالى الله عن ذلك ونحمده كثيرًا على نعمة الإسلام ، ملّة التوحيد الصادقة التى تشهد العقول بصحتها ، وصحة كل ما فيها ، مع كذب الوعد فى بقاء ملك « داود » سرمدًا .

وفيها مما يوافق قول الملحدين الدهرية : الناس كالعشب إذا خرجت أرواحهم نسوا ، ولا يعلمون مكانهم ، ولا يفهمون بعد ذلك .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وإن دين اليهود ليميل إلى هذا ميلًا شديدًا ، لأنه ليس فى توراتهم ذكر المعاد[١٦٠] أصلًا ، ولا الجزاء[١٦١] بعد الموت . وهذا مذهب الدَّهرية بلا كلفة ، فقد جمعوا الدَّهرية ، والشك ، والتشبيه ، وكل حمق فى العالم ، على أن فيه بما أطلعهم الله على[١٦٢] تبديل ما شاء رفعه من كتابهم ، وكف أيديهم عما شاء إبقاءه حجة لنا عليهم ، ومعجزة لنبينا ﷺ .

وفى المزمور الحادى والستين منه : « أن العرب وبنى سبأ يؤدون إليه المال ويتبعونه ، وأن الدم يكون له عنده ثمن » . وهذه صفة الدِّية التى ليست إلَّا فى ديننا . وفيه أيضًا : « ويظهر

(١٥٦) سقطت [يقضى] من (ب) .
(١٥٧) فى (أ ، ب) [من ثلاثة] .
(١٥٨) فى (ب) [الأرذال] .
(١٥٩) فى (ب) [فى] .
(١٦٠) فى (ب) [معاد] .
(١٦١) فى (ب) [لجزاء] .
(١٦٢) وفى (ب) [لم يطلقهم الله على تبديله وإبقائه حجة لنا عليهم] . وسقط منها [ماشاء رفعه من كتابهم ، وكف أيديهم عما شاء] .

من المدينة » هكذا نصا[١٦٣]. وهذا إنذار بيّن برسول الله ﷺ .

وأمّا الكتب التى يضيفونها إلى « سليمان » عليه السلام . فهى ثلاثة :

أحدها[١٦٤]: يسمى « شارهسير » ثم معناه شعْر الأشعار ، وهو على الحقيقة هوس الأهواس ، لأنه كلام أحمق لا يعقل ، ولا يدرى أحدٌ منهم مراده ، إنما هو مرة يتغزل بمذكر ، ومرة يتغزل بمؤنث ، ومرة يأتى منه بَلْغم لزج بمنزلة ما يأتى به المصدوع والذى فسد دماغه . وقد رأيت بعضهم يذهب إلى أنه رموز على الكيميا ، وهذا وسواس آخر ظريف .

والثانى : يسمى : « مثلا معناه الأمثال » ، فيه مواعظ ، وفيه أن قال : « قبل أن يخلق الله شيئًا فى البدء من الأبد : أنا صرت . ومن القديم قبل أن تكون الأرض ، وقبل أن تكون النجوم : أنا قد كنت استلمت ، وقد كنت ولدت ، وليس كان خلق الأرض بعد ، ولا الأنهار ، وإذ خلق الله السماوات قد كنت حاضرا ، وإذ كان يجعل للنجوم حدّا صحيحا ، ويدق بها ، وكان يوثق السماوات فى العلو ، ويقدر عيون المياه ، وإذ كان يحدق على البحر بتخمة[١٦٥]، ويجعل للمياه تخما[١٦٦] لئلا تجاوز جوزها ، وإذ كان يعلق أساسات الأرض ، أنا معه كنت مهيئًا للجميع .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فهل فى الملحدة أكثر من هذا ؟ وهل يضاف هذا الحمق إلى رجل معتدل ؟ فكيف إلى نبى مرسل[١٦٧]؟ وهل هذا الإشراك صحيح ؟ وحاش لله أن يقول « سليمان » عليه السلام هذا الكلام . تالله ما غبط[١٦٨] أهل الإلحاد بإلحادهم إلّا هذا ومثله . ورأيت بعضهم يخرج هذا على أنه إنما أراد علم الله تعالى .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ولا يعجز من لا حياء له عن أن يقلب كل كلام إلى ما اشتهى بلا برهان ، وصرف[١٦٩] الكلام عن موضعه ومعناه إلى معنى آخر لا يجوز إلّا بدليل صحيح غير ممتنع المراد فى اللغة .

والثالث : يسمى : « فوهلث » ، معناه الجوامع .

فيه أن قال مخاطبا لله تعالى : « اخترنى أميرًا لأمتك ، وحاكما على بنيك وبناتك » .

---

(١٦٣) فى (خ) [أيضًا] .
(١٦٤) فى (ب) [واحدها] .
(١٦٥) فى (ب) [تنجمه] . وفى (أ) [بنجمه] .
(١٦٦) وفى (أ ، ب ([نحى] .
(١٦٧) فى (أ ، ب) [بنى إسرائيل] وهو تحريف سىء .
(١٦٨) فى (ب) (عبط) بالعين المهملة .
(١٦٩) فى (أ ، ب) [ووصف] .

وهذا كالذى سلف . وحاش لله أن يكون له بنات وبنون ، لا سيما مثل بنى إسرائيل فى كفرهم فى دينهم ، وضعفهم فى دنياهم ، ورذالتهم فى أحوالهم النفسية والجسدية .

وفى كتاب « حزقيا » يقول السيد : « سأمدّ يدى على « بنى عيسو » وأُذْهِبُ عن أرضهم الآدميين والأنعام ، وأُفْقِرهم ، وأنتقم منهم على يدى أمتى بنى إسرائيل » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا ميعاد قد ظهر كذبه يقينا ، لأن « بنى إسرائيل » قد بادوا جملة ، و« بنو عيسو » باقون فى بلادهم بنص كتبهم ، ثم بعد ذلك باد « بنو عيسو » فما على أديم الأرض منهم أحد نعرف أنه منهم ، وصارت بلادهم للمسلمين ، وسكانها(١٧٠) « لخم » وغيرها من العرب ، وبطل بذلك أن يدعوا : أن هذا يكون فى المستأنف .

وفى كتاب « لشعيا » : أنه رأى الله عزَّ وجل شيخا أبيض الرأس واللحية ، وهذا تشبيه . حاش لنبى أن يقوله .

وفيه : « قال الرب من سمع قط مثل هذا ! أنا أعطى غيرى أن يلد ، ولا ألد أنا ؟! وأنا الذى أرزق غيرى البنين أفأكون(١٧١) أنا بلا ابن » ؟

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا أطم ما سُمِعَ به أن يقيس الله عزَّ وجل نفسه فى كون البنين على خلقه ، وكل هذا أشنع من قول النصارى فى إضافة الشرك ، والولد ، والزوجة إلى الله تعالى . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : لم نكتب مما فى الكتب التى يضيفونها إلى الأنبياء عليهم السلام إلّا طرفا يسيرًا ، دالًّا على فضيحتها أيضًا وتبديلها ، وقد قلنا : إنهم كانوا فى بلد صغير محاطٍ به ، ثم لا ندرى كيف يمكنهم اتصال شىء من ذلك إلى نبى من أنبيائهم ؟ لاسيما من لم يكن إلّا فى أيام كفرهم مخافًا ومقتولا ، فصح بلا شك أنها من توليد مَنْ عمل لهم الصلوات التى هم عليها ، والشرائع التى يقرون أنها من عمل أحبارهم فى دولتهم(١٧٢) الثانية ، إذ ظهر دينهم ، وانتشرت بيوت عبادتهم ، فصارت لهم مجامع يتعلمون فيها دينهم ، وعلماء يعلمونهم فى كلّ بلد ، بخلاف ما أوضحنا أنهم كانوا عليه أيام دولتهم الأولى ، من كونهم كلّهم كفارا مئين(١٧٣) من السنين ، وكونهم لا مسجد لهم أصلًا إلا بيت المقدس ، ولا مجمع بعلم لهم

---

(١٧٠) فى (ح) [وسكنها لخم وغيرهم] . ولخم : حى باليمن كانت منهم ملوك العرب فى الجاهلية . ولزيادة الإيضاح راجع كلمة عرب فى (دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدى) .

(١٧١) فى (أ) [فأكون] بغير همزة الاستفهام . وفى (أ ، ب) سقطت كلمة [البنين] .

(١٧٢) فى (أ) سقطت كلمة [فى دولتهم] وحرفت كلمة [الثانية] فكتبت [الثابتة] .

(١٧٣) فى (أ ، ب) [أميين] وهو تحريف ظاهر .

أصلًا ، ولا عالمًا يعلمهم بوجه من الوجوه ، ولا جامع لشىء من كتبهم – والحمد لله رب العالمين .

ولو تقصينا ما فى كتب أنبيائهم من المناقضات والكذب لكثر ذلك جدًّا . وفيما أوردناه كفاية .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وقد اعترض بعضهم فيما كان يدّعى عليهم من تبديل التوراة ، وكتبهم المضافة(١٧٤) إلى الأنبياء قبل أن نبين لهم أعيان ما فيها من الكذب البحت ، فقال : قد كان فى مدة دولتهم أنبياء ، وبعد دولتهم ومن المحال أن يقر أولئك الأنبياء على تبديلها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : فجواب هذا القول أن يقال : إن كان يهوديًّ كذبت ، ما فى شىء من كتبكم أنه رجع إلى البيت مع « زربائيل » بن « صيلئال » ابن « صدقيا » الملك بنبى(١٧٥) أصلًا ، ولا كان معه فى البيت نبى بإقرارهم أصلًا ، وكان ذلك قبل أن يكتبها لهم « عزرا » الوراق بدهر ، وقبل رجوعهم إلى البيت مع « زربائيل » مات « دانيال آخر أنبيائهم فى أرض « بابل » ، وأما الأنبياء الذين كانوا فى بنى إسرائيل بعد « سليمان » فكلهم كما بينا إما مقتول بأشنع القتل ، أو مخاف مطرود منفى لا يسمع منهم كلمة إلاَّ خفية ، حاش مد الملوك المؤمنين الخمسة فى « بنى يهوذا » أو « بنى بنيامين » خاصة ، وذلك قليل تلاه ظهور الكفر ، وحرق التوراة ، وقتل الأنبياء . وهو كان خاتمة الأمر ، وعلى هذا الحال وافاهم انقراض دولتهم .

وأيضاً : فليس كل نبى يبعث بتصحيح كتاب من قبله ، فبطل اعتراضهم بكون الأنبيا فيهم جملة . وإن كان نصرانيا يقر بالمسيح و « زكريا » و « يحيى » عليهم السلام ، قيل له : إن المسيح بلا شك كانت عنده التوراة المنزلة كما أنزلها الله تعالى ، وكان عنده الإنجيل المنزل . قال الله تعالى : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتّوراة والإنجيل ورسولاً إلى بنى إسرائيل(١٧٦) » . إلاَّ أنه عرض فى النقل عنه بعد رفعه عارض أشد وأفحش من العارض فى النقل إلى « موسى » عليه السلام فلا كافة فى العالم متصلة إلى المسيح عليه السلام أصلا ، والنقل إليه راجع إلى خمسة فقط وهم « متى » ، و « باطرة » بن نونا ، و « يوحنا بن سبذاى » ، و « يعقوب » ، و « يهوذا » ، أبنا

---

(١٧٤) فى (ب) [والمضافة] .
(١٧٥) فى (ب) [نبنى] .
(١٧٦) سورة آل عمران : ٤٨ ، ٤٩ .

« يوسف » فقط . ثم لم ينقل عن هؤلاء إلا ثلاثة فقط ، وهم : « لوقا » الطبيب الأنطاكى ، و « مارقس » الهارونى و « بولس » البنيامينى . وهؤلاء كلهم كذابون ، وقد وضح عليهم الكذب جهاراً على ما نوضحه بعد هذا إن شاء الله تعالى . وكل هؤلاء مع ما صح من كذبهم وتدليسهم فى الدين ، فإنما كانوا متسترين(١٧٧) بإظهار دين اليهود ، ولزوم السبت بنص كتبهم ، ويدعون إلى التثليث سرًّا ، وكانوا مع ذلك مطلوبين حيث ما ظفروا بواحدٍ منهم ظاهراً قتل . فبطل الإنجيل والتوراة برفع المسيح عليه السلام بطلانا كليا . وهذا الجواب إنما كان يحتاج إليه قبل أن يظهر من كذب توراتهم وكتبهم ما قد أظهرنا ، وأما بعد ما أوضحنا من عظيم كذب هذه الكتب بما لا حيلة فيه فاعتراضهم(١٧٨) ساقط ، لأن يقين الباطل لا يصححه شىء أصلاً ، كما أن يقين الحق لا يفسده شىء أبداً .

فاعلموا الآن أن كل ما عورض به الحق المتيقن ليبطل به ، أو عورض به دون الكذب المتيقن ليصحح به ، فإنما هو شغب(١٧٩) وتمويه ، وإيهام(١٨٠) وتخييل(١٨١) فاسد بلا شك ، لأن يقينين لا يمكن ألبتة فى البنية أن يتعارضا أبداً ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قيل : فإنكم تقرون بالتوراة والإنجيل ، وتستشهدون(١٨٢) على اليهود والنصارى بما فيها من ذكر صفات نبيكم ، وقد استشهد نبيكم عليهم بنصها فى قصة الراجم للزانى المحصن .

وروى أن « عبد الله بن سلام(١٨٣) » ضرب يد « عبد الله بن صوريا » إذ وضعها على آية الرجم . وروى أن النبى ﷺ : أخذ التوراة ، وقال : آمنت بما فيك . وفى كتابكم :

« يأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل إليكم من ربكم(١٨٤) » .

وفيه أيضاً : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين(١٨٥) » .

وفيه أيضاً : « إنَّا أنزلنا التوراة فيها هدًى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا ، للذين هادوا ،

---

(١٧٧) فى (ب) [منتشرين] .
(١٧٨) فى (أ) [فاعتراض] .
(١٧٩) فى (ب) [سغب] بالسين المهملة .
(١٨٠) فى (أ) [وإبهام] بالباء الموحدة التحتية .
(١٨١) فى (ب) [وتحيل] بالحاء المهملة .
(١٨٢) فى (ب) [وتشهدون] .
(١٨٣) وهو ابن الحارث الإسرائيلى ، صحابى قيل إنه من نسل ابن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبى إلى المدينة ، وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وفيه نزلت الآية وشهد من بنى إسرائيل ، شهد مع عمر رضى الله عنه فتح المقدس والجابية ، له خمسة وعشرون حديثا مات سنة ٤٣ هـ (الأعلام : للزركلى) .
(١٨٤) المائدة : ٦٨ .
(١٨٥) آل عمران : ٩٣ .

والربانيون ، والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء[١٨٦] » .

وفيه : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون[١٨٧] » .

وفه أيضاً : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم[١٨٨] » .

وفيه : « يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم[١٨٩] » .

وفيه : « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ؟[١٩٠] » .

قلنا وبالله التوفيق : كل هذا حق . حاش قوله عليه السلام «آمنت بما فيك » فإنه باطل لم يصح قط ، وكله موافق لقولنا فى التوراة والإنجيل بتبديلهما ، وليس شىء منه حجة لمن ادّعى أنهما بأيدى اليهود والنصارى كما أنزلا[١٩١]، على ما نبين الآن إن شاء الله تعالى بالبرهان الواضح .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : أما إقرارنا بالتوراة والإنجيل فنعم ، وأى معنى لتمويهكم بهذا ، ونحن لم ننكرهما قط بل نكفر من أنكرهما ؟ إنما قلنا إن الله تعالى : أنزل التوراة على « موسى » عليه السلام حقا ، وأنزل الزبور على « داود » عليه السلام حقا ، وأنزل الإنجيل على « عيسى » عليه السلام حقا ، وأنزل الصحف على « إبراهيم » و « موسى » عليهما السلام حقا ، وأنزل كتبا لم تسم[١٩٢] لنا على أنبياء لم يُسمَّوْا لنا حقا ، نؤمن بكل ذلك .

قال تعالى : « صحف إبراهيم وموسى[١٩٣] » .

وقال تعالى : « وإنه لفى زبر الأولين[١٩٤] » .

وقلنا ، ونقول : إن كفار بنى إسرائيل بدّلوا التوراة والزبور فزادوا ونقصوا ، وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء « لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون[١٩٥] » . لا معقب

---

(١٨٦) المائدة : ٤٤ .
(١٨٧) المائدة : ٤٧ .
(١٨٨) المائدة : ٦٦ .
(١٨٩) النساء : ٤٧ .
(١٩٠) المائدة : ٤٣ .
(١٩١) فى (أ) [نزلا] .
(١٩٢) فى (أ ، ب) [يسم] .
(١٩٣) سورة الأعلى : ١٩ .
(١٩٤) سورة الشعراء : ١٩٦ .
(١٩٥) الأنبياء : ٢٣ .

لحكمه(١٩٦) » ، وبدل كفار النصارى الإنجيل كذلك فزادوا ونقصوا ، وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء ، « لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون(١٩٧) » ، فدرس ما بدَّلوا من الكتب المذكورة ، ورفعه الله تعالى ، كما درست الصحف وكتب سائر الأنبياء جملة فهذا هو الذى قلنا . وقد أوضحنا البرهان على صحة ما أوردنا من التبديل والكذب فى التوراة والزبور . ونورد إن شاء الله تعالى فى الإنجيل ، وبالله تعالى نتأيّد ، فظهر فساد تمويههم بأننا نقر بالتوراة والإنجيل والزبور ، ولم ينتفعوا بذلك فى تصحيح ما بأيديهم من الكتب المكذوبة المبدَّلة ، والحمد لله رب العالمين .

وأما استشهادنا على اليهود والنصارى بما فيهما من الإنذار لنبينا ﷺ فحق ، وقد قلنا آنفا إن الله تعالى أطلعهم على تبديل ما شاء رفعه من ذينك(١٩٨) الكتابين ، كما أطلق أيديهم على قتل من أراد كرامته بذلك من الأنبياء الذين قتلوهم بأنواع المثل ، وكفّ أيديهم عما شاء إبقاءه من ذينك الكتابين حجة عليهم ، كما كف أيديهم الله تعالى عمن أراد أيضاً كرامته بالنصر من أنبيائه الذين حال بين الناس وبين أذاهم ، وقد أغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام ، وقوم فرعون نكالاً لهم ، وأغرق آخرين شهادة لهم ، وأملى لقوم ليزدادوا إثما ، وأملى لقوم آخرين ليزدادوا فضلا وهذا ما لا ينكره أحد من أهل الأديان جملة ، وكان ما ذكرناه زيادة فى أعلام النبى ﷺ الواضحة ، وبراهينه اللائحية ، والحمد لله رب العالمين . فبطل اعتراضهم علينا باستشهادنا عليهم بما فى كتبهم المحرفة من ذكر نبينا ﷺ ، وأما استشهاد رسول الله ﷺ بالتوراة فى أمر رجم الزانى المحصن ، وضرب « ابن سلام » رضى الله عنه يد « ابن صوريا » إذ جعلها على آية الرجم فحق ، وهو مما قلناه آنفا : إن الله تعالى أبقاه خزيا لهم وحجة عليهم ، وإنما يحتج عليهم بهذا كله بعد إثبات رسالته ﷺ بالبراهين الواضحة الباهرة بالنقل القاطع للعذر على ما قد بينا ، ونبين إن شاء الله تعالى . ثم نورد ما أبقاه الله تعالى فى كتبهم المحرَّفة من ذكره عليه السلام إخزاء لهم وتبكيتا وفضيحة لضلالهم ، لا لحاجة منا إلى ذلك أصلاً ، والحمد لله رب العالمين .

وأما الخبر بأن النبى عليه السلام أخذ التوراة وقال : « آمنت بما فيك » فخبر مكذوب ، موضوع ، لم يأت قط من طرق فيها خير ، ولسنا نستحل الكلام فى الباطل لو صح ، فهو من التكلف الذى نهينا عنه ، كما لا يحل توهين الحق ، ولا الاعتراض فيه . وأما قول الله عزَّ وجل : « يأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل إليكم من ربكم(١٩٩) ».

(١٩٦) الرعد : ٤١ .
(١٩٧) الأنبياء : ٢٣ .
(١٩٨) فى النسخة (أ) [ديك] بالدال المهملة .
(١٩٩) المائدة : ٦٨ .

فحق لا مرية فيه ، وهكذا نقول ، ولا سبيل لهم إلى إقامتهما أبداً لرفع ما أسقطوا منهما ، فليسوا على شيء إلا بالإيمان بمحمد ﷺ . فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل ، كلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل الله منهما وُجِدَ ، أو عُدِم ، ويكذبون بما بُدِّل فيهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما ، وهذه هى إقامتهما حقا ، فلاح صدق قولنا موافقاً لنص الآية بلا تأويل ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قوله تعالى : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين[٢٠٠] » فنعم إنما هو فى كَذِب كذبوه ونسبوه إلى التوراة على جارى عادتهم زائدِ على الكذب الذى وضعه أسلافهم فى توراتهم ، فبكّتهم عليه السلام فى ذلك الكذب المحدث بإحضار التوراة إن كانوا صادقين فظهر كذبهم .

وكم عرض لنا هذا مع علمائهم فى مناظراتنا لهم قبل أن نقف على نصوص التوراة ، فالقوم لا مئونة عليهم من الكذب حتى الآن إذا طمعوا بالتخلص من مجلسهم لا يكون ذلك إلاّ بالكذب ، وهذا خلق خسيس ، وعارٌ لا يرضى به مصحح ، ونعوذ بالله من مثل هذا .

وأما قوله تعالى : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون، والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله[٢٠١] » .

فنعم . هذا حق على ظاهره كما هو ، وقد قلنا : إن الله تعالى أنزل التوراة ، وحكم بها النبيون الذين أسلموا « كموسى » و « هارون » و « داود » و « سليمان » ومن كان بينهم من الأنبياء عليهم السلام ، ومن كان فى أزمانهم من الربانيين والأحبار الذين لم يكونوا أنبياء بل كانوا حكاماً من قبل الأنبياء عليهم السلام ، قبل حدوث التبديل ، هذا نص قولنا ، وليس فى هذه الآية أنها لم تبدَّل بعد ذلك أصلاً ، لا بنصٍّ ولا بدليل ، وأمّا من ظن الجهله من المسلمين أن هذه الآية نزلت فى رجم النبى ﷺ لليهوديين اللّذين زنيا وهما محصنان فقد ظن الباطل ، وقال بالكذب ، وتأوّل المحال ، وخالف القرآن ، لأن الله تعالى قد نهى نبينا عليه السلام عن ذلك نصًّا بقوله : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة[٢٠٢] » .

(٢٠٠) آل عمران : ٩٣ .
(٢٠١) المائدة : ٤٤ .
(٢٠٢) المائدة : ٤٨ .

وقال عز وجل : « ولا تَتَّبِع أهواءَهم ، واحْذَرهم أنْ يفتنوك عن بعضٍ ما أنْزَل الله إليْكَ » .

قال « بو محمد » (رضى الله عنه) : فهذا نص كلام الله عزّ وجل الذى ما خالفه فهو باطل ، وأما قوله تعالى : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه(٢٠٤) » .

فحق على ظاهره لأن الله تعالى أنزل فيه الإيمان بمحمد ﷺ ، واتباع دينه ، ولا يكونون أبداً حاكمين بما أنزل الله تعالى فيه إلّا باتباعهم دين محمد ﷺ ، فإنما أمرهم الله تعالى بالحكم بما أنزل فى الإنجيل الذى ينتمون إليه ، فهم أهله ، ولم يأمرهم قط تعالى بما يسمى إنجيلاً ، وليس بإنجيل ، ولا أنزله الله تعالى كما هو(٢٠٥) قط . فالآية موافقة لقولنا ، وليس فيها أن الإنجيل لم يبدَّل لا بنص ولا بدليل ، إنما فيها(٢٠٦) إلزام النصارى الذين يتسمَّوْن بأهل الإنجيل : « أن يحكموا بما أنزل الله فيه ، وهم على خلاف ذلك » . وأما قوله تعالى : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم(٢٠٧) » .

فحق كما ذكرناه قبل ، ولا سبيل إلى إقامة التوراة والإنجيل المنزّلين بعد تبديلهما إلا بالإيمان بمحمد ﷺ ، فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل حقاً لإيمانهم بالمنزَّل فيهما . وجحدهم ما لم ينزل فيهما ، وهذه هى إقامتهما حقاً .

وأما قوله تعالى : « يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدّقا لما معكم(٢٠٨) » .

فَنَعَم ، هذا عموم قام البرهان على أنه مخصوص ، وأنه تعالى ، إنما أراد مصدقاً لما معكم من الحق ، لا يمكن غير هذا ، لأننا بالضرورة ندرى أن معهم حقاً وباطلاً ، ولا يجوز تصديق الباطل ألبتة ، فصح أنه إنما أنزله تعالى مصدقاً لما معهم من الحق .

وقد قلنا : إن الله تعالى أبقى فى التوراة والإنجيل حقاً ليكون حجة عليهم وزائداً فى خزيهم ، وبالله تعالى التوفيق ، فبطل تعلقهم بشيء مما ذكرنا والحمد لله رب العالمين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون بجهلهم القول بأن التوراة والإنجيل اللذين بأيدى اليهود والنصارى محرفان وإنما حملهم على هذا قلة اهتبالهم بنصوص القرآن والسنن ، أترى هؤلاء ما سمعوا قول الله تعالى : « يأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل

(٢٠٣) المائدة : ٤٩ .
(٢٠٤) المائدة : ٤٧ .
(٢٠٥) فى النسخة (أ) سقطت [كما هو] .
(٢٠٦) فى (أ ، ب) : [فيه] .
(٢٠٧) المائدة : ٦٦ .
(٢٠٨) النساء : ٤٧ .

وتكتمون الحق وأنتم تعلمون[٢٠٩] » . وقوله تعالى : « وإن فريقا منهم ليكتمون الحقَّ وهم يعلمون[٢١٠] » . وقوله تعالى : « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله[٢١١] » إلى آخر الآية .

وقوله تعالى : « يحرفون الكلم عن مواضعه[٢١٢] » .

ومثل هذا فى القرآن كثير جدًّا . ونقول لمن قال من المسلمين : إن نقلهم نقل تواتر يوجب العلم وتقوم به الحجة ، لا شك فى أنهم لا يختلفون فى أن ما نقلوه من ذلك عن « موسى » و « عيسى » عليهما السلام لا ذكر فيه لمحمد ﷺ أصلاً ، ولا إنذار بنبوته ، فإن صدّقهم هؤلاء الغافلون[٢١٣] فى بعض نقلهم فواجب أن يصدقهم فى سائره ، أحبُّوا أم كرهوا ، وإن كذّبوهم فى بعض نقلهم ، وصدقوهم فى بعض فقد تناقضوا ، وظهرت مكابرتهم . ومن الباطل أن يكون نقل واحد جاء مجيئا واحداً بعضه حق وبعضه باطل ، فقد تناقضوا وما ندرى كيف يستحيل مسلم إنكار تحريف التوراة والإنجيل ، وهو يسمع كلام الله عز وجل « محمد رسولُ الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهُم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار[٢١٤] » .

وليس شىء من هذا فيما بأيدى اليهود والنصارى مما يدعون أنه التوراة والإنجيل ، فلابدّ لهؤلاء الجهال من تصديق ربهم عزَّ وجل أن اليهود والنصارى : بدّلوا التوراة والإنجيل ، وألا[٢١٥] يرجعوا إلى الحمق ويكذبوا ربهم عزَّ وجل ، ويصدقوا اليهود والنصارى فَيَلْحَقُوا بهم ، ويكون السؤال عليهم كلهم حينئذ واحداً فيما أوضحناه من تبديل الكتابين وما أوردناه مما فيهما من الكذب المشاهد عياناً مما لم يأت نص بأنهم بدلوهما لعلمنا بتبديلهما يقيناً ، كما نعلم ما نشهده بحواسنا مما لا نصَّ فيه فكيف[٢١٦] قد اجتمعت المشاهدة والنص ؟ !

حدثنا أبو سعيد الجعفرى ، حدثنا أبو بكر الأدفوى ، محمد بن على المصرى حدثنا

---

(٢٠٩) ال عمران : ٧١ .
(٢١٠) البقرة : ١٤٦ .
(٢١١) آل عمران : ٧٨ .
(٢١٢) المائدة : ١٣ .
(٢١٣) فى (أ ، ب) [القائلون] .
(٢١٤) سورة الفتح : ٢٩ .
(٢١٥) فى (ب) [فيرجعون] .
(٢١٦) فى (أ ، ب) سقطت كلمة (فكيف) .

أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس . حدثنا أحمد بن شعب[٢١٧] عن محمد ابن المثنى[٢١٨] عن عثمان بن عمر[٢١٩]. حدثنا على هو ابن[٢٢٠] المبارك . حدثنا يحيى بن أبى كثير[٢٢١] عن أبى سلمة بن عبد الرحمن[٢٢٢] بن عوف عن أبى هريرة رضى الله عنه[٢٢٣] قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها لأهل الإسلام بالعربية ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمَنَّا بالذى أُنْزِلَ إلَيْنَا وأنزلَ إليكُم ، وإلَٰهُنَا وإلَٰهُكُمْ وَاحد[٢٢٤] » .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذا نص قولنا ، والحمد لله رب العالمين .

ما نزل القرآن والسنة عن النبى ﷺ بتصديقه[٢٢٥] صدَّقنا به . وما نزل النص بتكذيبه ، أو ظهر كذبه كذَّبنا به ، وما لم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه وأمكن أن يكون حقاً أو كذباً لم نصدقهم ولم نكذبهم ، وقلنا ما أمرنا رسول الله ﷺ أن نقوله كما قلنا فى نبوّة من لم يأتنا باسمه نصٌّ ، والحمد لله رب العالمين .

حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمن[٢٢٦] بن خالد . حدثنا إبراهيم بن أحمد البلخى . حدثنا

---

(٢١٧) هو أحمد بن شعيب بن على بن سنان النسائى ، القاضى الحافظ صاحب كتاب السنن ، قال عنه ابن حبان : ثبت ثقة ، سمع من خلائق لا يحصون ، توفى سنة ٣٠٣ هـ بفلسطين (تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلانى حـ ١ ص ٣٨ ، ٣٩) .

(٢١٨) هو : ابن عبيد بن قيس أبو موسى ، البصرى ، الحافظ المعروف بالزَّمن ، روى عن عبد الله بن إدريس ، وأبى معاوية ، وعثمان ابن عمر بن فارس ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، ولد سنة ١٦٧ هـ وتوفى سنة ٢٥٢ هـ ، روى عنه مسلم ٧٧٢ حديثا . (تهذيب التهذيب . حـ ٩ ص ٤٢٥) .

(٢١٩) هو عثمان بن عمر بن فارس ، البصرى ، قيل أصله من بخارى ، روى عن ابن عون ، وعلى بن المبارك ، ومالك بن أنس وطائفة ، قال أحمد وابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم صدوق ، مات سنة ٢٠٩ هـ . (تهذيب التهذيب حـ ٧ ص ١٤٢) .

(٢٢٠) هو : على بن المبارك الهنائى البصرى ، روى عن عبد العزيز بن صهيب ، وأيوب وهشام بن عروة ، ويحيى بن كثير ، قال النسائى : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان فى الثقات (تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٣٧٦) .

(٢٢١) هو يحيى بن أبى كثير الطائى ، مولاهم ، روى عن أنس وإلى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وهلال بن أبى ميمونة ، قال عمرو بن على مات سنة ١٢٩ هـ ، قال ابن حبان : كان يدلس ، لم يسمع من أنس ، ولا من صحابى . (المرجع السابق : حـ ١١ – ص ٢٦٨) .

(٢٢٢) هو : أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، الزهرى ، المدنى ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل إسماعيل ، روى عن أبيه ، وعن عثمان ابن عفان ، وطلحة ، وعبادة بن الصامت ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من المدنيين ، وقال : كان ثقة فقيها ، كثير الحديث (المرجع السابق : ١١ – ١١٥) .

وفى (أ ، ب ، ج) [سلمة] بدلًا من [أبو سلمة] .

(٢٢٣) أبو هريرة الدوسى اليمنى ، صاحب رسول الله ﷺ هو : عبد الرحمن بن صخر ، وكان اسمه فى الجاهلية عبد شمس ، قال : كنانى أبى بأبى هريرة لأنى كنت أرعى غنما فوجدت أولاد هرة وحشية ، فلما أبصرهن وسمع أصواتهن أخبرته فقال : أنت أبو هر ، قدم مهاجرًا ليالى فتح خيبر ، وحفظ عن النبى ﷺ ، وعن أبى بكر وعمر ، وكان من أصحاب الصفة ولى أمر المدينة ، وناب عن مروان فى إمرتها ، وتوفى سنة ٥٨ هـ (تذكرة الحفاظ : للذهبى حـ ١ ص ٣٢ – ٣٦) .

(٢٢٤) العنكبوت : ٤٦ .

(٢٢٥) فى (ب) [بتصديق صدقابه] .

(٢٢٦) هو عبدالرحمن بن خالد : الهمذانى أحد سيوخ ابن حزم ، روى عنه صحيح البخارى .

الفربرى . حدثنا البخارى(٢٢٧). حدثنا إبراهيم(٢٢٨) بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . حدثنا ابن شهاب عن عبيد الله(٢٢٩) بن عبد الله بن عتبه بن مسعود قال ابن عباس(٢٣٠): « كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء ، وكتابكم الذى أنزل على رسوله ﷺ حَدَثٌ تقرءونه محضاً لم يُشَب ، وقد حدَّثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله تعالى وغيّروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقد قالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هذا أصح إسناد عن ابن عباس رضى الله عنه ، وهو نفس قولنا ، وما له فى ذلك من الصحابة مخالف .

وقد روينا أيضاً عن عمر رضى الله عنه : أنه أتاه « كعب الحبر » بسفر وقال له : هذه التوراة أفأقرؤها ؟ فقال له عمر بن الخطاب : إن كنت تعلم أنها التى أنزل الله على « موسى » فاقرأها آناء الليل والنهار . فهذا عمر لم يحققها .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ونحن إن شاء الله تعالى نذكر طرفاً يسيراً من كثير جدًا من كلام أحبارهم الذين أخذوا كتابهم ودينهم ، وإليهم يرجعون فى نقلهم لتوراتهم ، وكتب الأنبياء ، وجميع شرائعهم ، ليرى كل ذى فهم مقدارهم من الفسق والكذب ، فيلوح له(٢٣١) أنهم كانوا كذابين مستخفين بالدين . وبالله تعالى التوفيق . ولقد كان يكفى من هذا إقرارهم بأنهم عملوا هذه الصلوات شريعة(٢٣٢) عوضاً مما أمر الله تعالى به من القرابين ، وهذا تبديل الدِّين جهاراً .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : ذكر أحبارهم وهو فى كتبهم مشهور لا ينكرونه عند من يعرف كتبهم : أن إخوة يوسف إذا باعوا أخاهم طرحوا اللعنة على كل من بلَّغ إلى أبيهم حياة

---

(٢٢٧) البخارى : هو شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفى البخارى ، صاحب الصحيح ، ولد سنة ١٩٤ هـ ، وحفظ تصانيف ابن المبارك وهو صبى ، ونشأ يتيما ، ورحل إلى عديد من البلدان ، قال : كتبت عن أكثر من ألف رجل ، وقال محمد ابن خميروية : سمعت البخارى يقول : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مائتى ألف حديث غير صحيح . مات سنة ٢٥٦ هـ رحمه الله (تذكرة الحفاظ : للذهبى جـ ٢ – ص ٥٥٥ ، ٥٥٦) .

(٢٢٨) هو : الزهرى نزيل بغداد ، روى عن أبيه ، وصالح بن كيسان ، والزهرى قال أبو داود : ولى بيت المال ببغداد ، وقال : عبد الله ابن أحمد : ولد سنة ١٠٨ هـ ومات سنة ١٨٣ هـ . (تهذيب التهذيب : لابن حجر جـ ١ ص ١٢٢) .

(٢٢٩) هو : عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى : روى عن أبيه وأرسل عن عم أبيه عبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وعن أبى هريرة وعائشة ، قال الواقدى : كان ثقة ، وقال العجلى : كان أعمى ، وكان أحد فقهاء المدينة مات سنة ٩٩ هـ . (تهذيب التهذيب : لابن حجر : جـ ٧ ص ٢٣) .

(٢٣٠) ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى ابن عم رسول الله ﷺ ، كان يقال له : الحبر والبحر لكثرة علمه ، روى عن النبى ﷺ ، وعن أبيه ، وأمه أم الفضل ، وخالته ميمونة ، مات سنة ٦٨ هـ وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وكان موته بالطائف (تهذيب التهذيب : جـ ٥ ، ص ٢٧٧) .

(٢٣١) فى (ب) [فيلوح أنهم له] .

(٢٣٢) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [شريعة] .

ابنه يوسف ، ولذلك لم يخبره الله عزَّ وجلَّ بذلك ، ولا أحد من الملائكة . فاعجبوا لجنون أمة تعتقد أن الله خاف أن يقع عليه لعنة قوم باعوا النبي أخاهم ، وعقُّوا النبيَّ أباهم أشدَّ العقوق ، وكذبوا أعظم الكذب ، فوالله لو لم يكن فى كتبهم إلَّا هذا الكذب ، وهذا الحمق ، وهذا الكفر لكانوا به أحمق الأمم ، وأكفرهم ، وأكذبهم ، فكيف ولهم ما قد ذكرنا ونذكر إن شاء الله تعالى ؟

وفى بعض كتبهم أن « هارون » عليه السلام قال لله تعالى إذا أراد أن يسخط على بنى إسرائيل : يارب لا تفعل ، فلنا عليك ذِمامٌ وحق لأن أخى وأنا أقمنا لك مملكة عظيمة .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : وهذه طامة أخرى حاش لهارون عليه السلام ، أن يقول هذا الجنون . أين هذا الهوس وهذه الرُّعونة من الحق النير إذ يقول الله تعالى : « يمنون عليك أن اسلموا ، قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين[٢٣٣] » .

وفى بعض كتبهم أن الصورتين اللتين أمر الله تعالى « موسى » أن يصورهما على التابوت خلف الحجلة فى السرداق[٢٣٤] إنما كانتا صورة الله وصورة « موسى» عليه السلام معه تعالى الله عن كفرهم علوًّا كبيرا .

وفى بعض كتبهم : أن الله تعالى قال لبنى إسرائيل : من تعرض لكم فقد تعرض حدقة عينى .

وفى بعض كتبهم : أن علة تردد بنى إسرائيل مع « موسى » فى التيه أربعين سنة حتى ماتوا كلهم ، إنما كانت لأن فرعون كان بنى على طريق مصر إلى الشام صنما سمّاه « باعل صفون » وجعله طلسما لكل من هرب من مصر يحيّره ولا يقدر على النفاذ[٢٣٥].

فاعجبوا لمن يجيز أن يكون طلسم فرعون يغلب الله تعالى !! ويحيّر نبيَّه[٢٣٦] « موسى » ومن معه حتى يموتوا !! فأين كان فرعون من[٢٣٧] هذه القوة إذ غرق فى البحر . ؟

وفى بعض كتبهم : أن « دينه » بنت يعقوب عليها السلام إذ غصبها « شكيم بن حمور » وزنى بها حملت وولدت ابنة ، وأن عقاباً خطف تلك الفرخة من[٢٣٨] الزنى ، وحملها إلى مصر ،

---

(٢٣٣) الحجرات : ١٧ .
(٢٣٤) فى (أ) [السرداق] .
(٢٣٥) فى (ب) [النفاد] بالدال المهملة .
(٢٣٦) فى (أ ، ب) [ويجيز بتيه موسى] وهو تحريف ظاهر .
(٢٣٧) فى (أ ، ب) [عن] .
(٢٣٨) سقطت (من) فى (ب) .

ووقعت فى حجر « يوسف » فربَّاها وتزوجها ، وهذه تشبه الخرافات التى يتحدث بها النساء بالليل إذا غزلن .

وفى بعض كتبهم : أن « يعقوب » إنما قال فى ابنه « نفتال[٢٣٩] » : « أيل مطلق » لأنه قطع من قرية « إبراهيم » عليه السلام التى بقرب بيت المقدس إلى « منف » التى بمصر ، ورجع إلى قرية الخليل فى ساعة من النهار لشدة سرعته[٢٤٠] لا لأن الأرض طويت له . ومقدار ذلك مسيرة نيف وعشرين يوماً .

وفى بعض كتبهم ممّا لا يختلفون فى صحته : أن السحرة يحيون الموتى على الحقيقة . وأن ها هنا أسماء لله تعالى ودعاء وكلاماً ومن عرفه من صالح أو فاسق أحال الطبائع ، وأتى بالمعجزات وأحيا الموتى وأن عجوزاً ساحرة أحيت لشاول الملك وهو « طالوت » شمؤال النبى بعد موته ، فليت شعرى إذا كان هذا حقاً !! فما يؤمنهم : أن « موسى » وسائر من يقرون بنبوته كانوا من أهل هذه الصفة . ولا سبيل إلى فرق بين شيء من هذا أبداً .

وفى بعض كتبهم : أن بعض أحبارهم المعظمين عندهم ذكر لهم أنه رأى طائرا يطير فى الهواء ، وأنه باض بيضة وقعت على ثلاث عشرة مدينة فهدمتها كلها .

وفى بعض كتبهم : أن المرأة المدنية التى ذكر فى التوراة التى زنى بها زمرى بن خالوا من سبط « شمعون » طعنه « فينحاس[٢٤١] » بن العزار بن هارون » برمحه فنفذه ، ونفذ المرأة تحته ثم رفعهما فى رمحه إلى السماء كأنهما طائران فى سفود ، وقال هكذا نفعل بمن عصاك .

قال كبير من أحبارهم ، معظم عندهم : إنه كان تكسير عَجُزِ تلك المرأة مقدارَ مزرعة مُدى خردل[٢٤٢].

وفى كتبهم : أن طول لحية فرعون كان سبعمائة ذراع ، وهذه والله مضحكة تسلى الثكالى ، وترد[٢٤٣] الأحزان .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : عن مثل هؤلاء فلينقل الدين !! وتبًّا لقومٍ أخذوا كتبهم ودينهم عن مثل هذا الرقيع الكذاب وأشباهه .

---

(٢٣٩) فى (أ) [نفثال] بالثاء المثلثة .
(٢٤٠) فى (ب) [سرعة] .
(٢٤١) فى (ب) [فنخاس] بالخاء الموحدة .
(٢٤٢) الخردل : فارسى : نبات بمصر يعرف بحشيشة السلطان .
(٢٤٣) فى (خ) [وتطرد] .

وفى بعض كتبهم المعظمة : أن جباية سليمان عليه السلام فى كل سنة كانت ستمائة ألف قنطار ، وستة وثلاثين ألف قنطار من ذهب ، وهم مقرون أنه لم يملك قط إلا فلسطين والأردن ، والغور فقط . وأنه لم يملك قط « رفح[٢٤٤] » ولا « غزة » ولا « عسقلان » ولا « صور » ولا « صيدا » ، ولا « دمشق » ، ولا « عمان » ، ولا « البلقاء[٢٤٥] » ولا « مواب » ، ولا جبال « الشراة ». فهذه الجباية التى لم جُمِع كُل الذهب الذى بأيدى الناس لم يبلغها ، من أين خرجت ؟ .

وقد قلنا : إن الأحبار الذين علموا لهم هذه الخرافات كانوا ثقالًا فى الحساب ، وكان الحياء فى وجوههم قليلا جدًّا .

وذكروا أنه كان لمائدة سليمان عليه السلام فى كل سنة أحد عشر ألف ثور ، وخمسمائة ثور وزيادة ، وستة وثلاثين ألف شاه سوى الإبل والصيد ، فانظروا ماذا يكفى لحوم من ذكرنا من الخبز ؟ وقد ذكروا عدداً مبلغه ستة آلاف مدى[٢٤٦] فى العام لمائدته خاصة .

واعلموا أن بلاد بنى إسرائيل تضيق عن هذه النفقات . هذا مع قوله : إنه عليه السلام كان يهدى كل سنة ثلثى هذا العدد من بُرٍّ ، ومثله من زيت إلى ملك « صنور » . فليت شعرى !! لأى شيء كان يهاديه بذلك ؟ هل ذلك إلاَّ لأنه كفؤه ونظيره فى الملك ؟ ! وهذه كلمات كذبات ، ورعونة لا خفاء بها ، وأخبار متناقضة .

وذكروا : أنه كانت توضع فى قصر « سليمان » عليه السلام كل يوم مائة مائدة ذهب ، على كل مائدة مائة صفحة ذهب ، وثلاثمائة طبق ذهب ، على كل طبق ثلاثمائة كأس ذهب ، فاعجبوا لهذه الكذبات الباردة ، واعلموا أن الذى عملها كان ثقيل الذهن فى الحساب مقصراً فى علم المساحة ، لأنه لا يمكن أن يكون قطر دائرة الصحفة أقل من شبر ، وإن لم تكن كذلك فهى صحيفة لا صحفة طعام ملك ، فوجب ضرورة أن تكون مساحة كل مائدة من تلك الموائد عشرة أشبار فى مثلها لا أقل سوى حاشيتها وأرجلها .

صحيفة لا صحفة طعام ملك ، فوجب ضرورة أن تكون مساحة كل مائدة من تلك الموائد عشرة أشبار فى مثلها لا أقل سوى حاشيتها وأرجلها .

واعلموا أن مائدة من ذهب هذه صفتها لا يمكن ألبتة أن يحركها إلاَّ فيل ، لأن الذهب أوزن الأجسام وأثقلها ، ولا يمكن ألبتة أن يكون فى كل مائدة من تلك الموائد أقل من ثلاثة آلاف رطل

(٢٤٤) فى (ب) [رفج] بالجيم .
(٢٤٥) فى (ب) [البلقا] بغير همز .
(٢٤٦) المدى : بالضم مكيال للشام ومصر ، وهو غير المدّ .

ذهب ، فمن يرفعها ؟ ومن يضعها ؟ ومن يغسلها ؟ ومن يمسحها ؟ ومن يديرها ؟ فهذا الذهب كله ، وهذه[٢٤٧] الأطباق من أين ؟

فإن قيل : أنتم تصدقون بأن الله تعالى آتاه مُلْكاً لا ينبغى لأحد مِنْ بَعدِه ، وأن الله سخّر له الريح والجن والطير ، وعلمه منطق الطير والنمل ، وأن الريح تجرى بأمره ، وأن الجن كانوا يعلمون[٢٤٨] له المحاريب والتماثيل ، والجفان ، والقدور . قلنا : نعم ونكفر من لم يؤمن بذلك ، وبين الأمرين فرق واضح ، وهو أن الذى ذكرتَ مما نصدِّق به نحن هو من المعجزات التى تأتى بمثلها الأنبياء عليهم السلام داخل كله تحت الممكن فى بنية العالم ، والذى ذكروه هو خارج[٢٤٩] عن هذا الباب داخل فى حدِّ الكذب والامتناع فى بنية العالم .

وفى بعض كتبهم المعظمة عندهم أن « زارح » ملك السودان غزا بيت المقدس فى ألف ألف مقاتل ، وأن « أسابن » ابن الملك[٢٥٠] خرج إليه فى ثلاثمائة ألف مقاتل من « بنى يهوذا » وخمسين ألف مقاتل من « بنى بنيامين » فهزم ملك[٢٥١] السودان . وهذا كذب فاحش ممتنع ، لأن من أقرب موضع من بلد السودان ، وهو[٢٥٢] النوبة إلى « مسقط » النيل فى البحر نحو مسيرة ثلاثين يوماً ، ومن مسقط النيل إلى بيت المقدس نحو عشرة أيام صحارى ومفاوز ، وألف ألف مقاتل لا تحملهم إلا البلاد المعمورة الواسعة ، وأما الصحارى الجرد فلا ، ثم فى مصر جميع أعمال مصر فكيف يخطوها إلى بيت المقدس هذا ممتنع فى رتبة الجيوش وسيرة الممالك ، ومن البعيد أن يكون عند ملك السودان حيث يتسع بلدهم ، ويكثر عددهم اسم بيت المقدس ، فكيف أن يتكلفوا غزوها لبعد تلك البلاد عن النوبة ، وأما بلد النوبة والحبشة والبجاة فصغير الخطة[٢٥٣] قليل العدد . وإنما هى خرافات مكذوبة باردة .

وفى كتاب لهم يسمى « شعر توما » من كتاب « التلمود » ، والتلمود هو معولهم وعمدتهم فى فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم . وهو من أقوال أحبارهم بلا خلاف من أحد منهم ، ففى الكتاب المذكور أن تكسير جبهة خالقهم من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع حاش لله من الصور والمساحات والحدود والنهايات .

---

(٢٤٧) فى (ب) [وذا] .
(٢٤٨) فى (ب) [يعلمون] .
(٢٤٩) فى (أ) [وهم] .
(٢٥٠) فى (أ ، ب) [ابنا] .
(٢٥١) سقطت كلمة [ملك] فى (ب) .
(٢٥٢) فى النسختين (أ ، ب) [وهم] .
(٢٥٣) فى (خ) [الخطب] .

وفى كتاب آخر من التلمود يقال له « سادر ناشيم » ومعناه تفسير أحكام الحيض أن فى رأس خالقهم تاجاً فيه ألف قنطار من ذهب ، وفى إصبعه خاتم له فص(٢٥٤) تضيء منه الشمس والكواكب ، وأن الملك الذى يخدم ذلك التاج اسمه « صندلفون(٢٥٥) » تعالى الله عن هذه الحماقات .

ومما أجمع عليه أحبارهم – لعنهم الله – أنَّ من شتم الله تعالى وشتم الأنبياء يؤدب ، ومن شتم الأحبار يموت أى يقتل . فاعجبوا لهذا ، واعلموا أنهم ملحدون لا دين لهم ، يفضلون أنفسهم على الانبياء عليهم السلام ، وعلى الله عزَّ وجل : [ومن الأحبار(٢٥٦)] فعليهم ما يخرج من أسافلهم ، وفيما سمعنا علماءهم يذكرونه ، ولا يتناكرونه ، معنى أن أحبارهم الذين أخذوا عنهم دينهم ، والتوراة ، وكتب الأنبياء عليهم السلام . اتفقوا على أن رشوا « بولس » البنياميني – لعنه الله – وأمروه بإظهار دين « عيسى » عليه السلام ، وأن يضل أتباعهم ، ويدخلهم إلى القول بالإلهية ، وقالوا له : نحن نتحمل إثمك فى هذا ، ففعل وبلغ من ذلك حيث قد ظهر .

واعلموا يقيناً أن هذا عمل لا يستسهله ذو دين أصلًا ، ولا يخلو أتباع المسيح عليه السلام عند(٢٥٧) أولئك الأحبار – لعنهم الله – من أن يكونوا على حق أو على باطل ، لابدَّ من أحدهما . فإن كانوا عندهم على حق فكيف استحلّوا ضلال قوم محقين . وإخراجهم عن الهدى والدين إلى الضلال المبين . هذا والله لا يفعله مؤمن بالله تعالى أصلًا ، وإن كانوا عندهم على ضلال وكفر فحسبهم ذلك منهم . وإنما يسعى المؤمن ليهدى الكافر والضال(٢٥٨). وإما أن يقوى بصيرته فى الكفر ويفتح له فيه أبواباً أشد وأفحش مما هو عليه فهذا لا يفعله أيضاً من يؤمن بالله تعالى قطعا ، ولا يفعله إلا ملحد يريد أن(٢٥٩) يسخر بمن سواه ، فعن هؤلاء أخذوا دينهم وكتب أنبيائهم بإقرارهم ، فاعجبوا لهذا ، وهذا أمر لا نبعده عنهم لأنهم قد راموا ذلك فينا وفى ديننا ، فبعد عليهم بلوغ أربهم من ذلك ، وذلك بإسلام « عبد الله بن سبأ »(٢٦٠) المعروف بابن السوداء اليهودى

---

(٢٥٤) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [له فص] .

(٢٥٥) فى (ب) [صندلفوت] بالتاء المثناة .

(٢٥٦) فى (خ) بزيادة [ومن الأحبار] والكلام معها لا ينسجم .

(٢٥٧) فى (أ) [منه] .

(٢٥٨) فى (أ) [أو] .

(٢٥٩) سقطت [أن] فى (ب) .

(٢٦٠) هو رأس الطائفة السبئية التى كانت تقول بألوهية على رضى الله عنه ، أصله من اليمن كان يهوديا قبل الإسلام رحل إلى الحجاز والبصرة والكوفة ، ودخل دمشق فى أيام عثمان بن عفان فأخرجه أهلها فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته ، وقال للإمام على : أنت خلقت الأرض ، وبسطت الرزق فنفاه إلى « ساباط » وكان يقال له « ابن السوداء » لسواد أمه ، ويقال للطائفة السبئية : الطيارة لأنهم يعتقدون أنهم لا يموتون ولكنهم يطيرون ، ويقولون بالتناسخ والرجعة (الاعلام ٤ / ٢٢٠) .

الحميرى لعنه الله ليضل من أمكنه من المسلمين . فنهج لطائفة رذلة كانوا يتشيّعون فى علىٍّ رضى الله عنه أن يقولوا بالإلهية على ، كما[٢٦١] نهج « بولس » لأتباع المسيح عليه السلام أن يقولوا بإلهيته ، وهم الباطنية ، والغالية إلى اليوم ، وأخفهم كفراً الإمامية[٢٦٢] – على جميعهم لعائن الله تترى – .

وأشنع من هذا كله نقلُهم الذى لا تمانع بينهم[٢٦٣] فيه عن كثير من أحبارهم المتقدمين الذين عنه وعن أصحابه[٢٦٤] أخذوا دينهم ، ونقلوا[٢٦٥] توارتهم ، وكتب الأنبياء – بأن رجلاً اسمه « اسماعيل » كان إثر خراب البيت إذ خربه طيطش فيذكرون عنه أنه أخبرهم عن نفسه أنه كان ماشياً فى خراريب ببيت[٢٦٦] المقدس فسمع الله تعالى يئن كما تئن الحمامة ، ويبكى وهو يقول : « الويل لمن أخرب بيته ، وضعضع ركنه ، وهدم قصره ، وموضع سكينته ، وَيْلى على ما أخربت من بيتى وَيْلى على ما فرقت من بنىَّ وبناتى ، قامتى[٢٦٧] منكّسة ، حتى أبنى بيتى وأردّ[٢٦٨] إليه بنىِّ وبناتى » .

قال هذا النذل الموسخ ابن الأنذال إسماعيل : فأخذ الله تعالى بثيابى ، وقال لى : أسمعتنى يا بنى يا إسماعيل ؟ قلت : لا يارب . فقال لى : يا بنى يا إسماعيل ، بارك على ، قال هذا الكلب[٢٦٩] والجيفة المنتنة فباركت عليه ومضيت .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : «لقد هان من بالت عليه الثعالب» والله ما فى الموجودات أرذل ولا أنتن ممن احتاج إلى بركة هذا الكلب الوضر ، فاعجبوا لعظيم ما انتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع .

فمنها : إخباره عن الله تعالى أن يدعوَ على نفسه بالويل مرة بعد مرة ، الويل حقا على من يصدّق بهذه القصة ، وعلى الملعون الذى أتى بها .

---

(٢٦١) فى (ب) [ونهج] وسقطت [كما] منها ، وفى (خ) [كالذى] .

(٢٦٢) الباطنية والإمامية والغلاة : مختلطة بعضها ببعض ، نشأ مذهبهم فى منتصف القرن الثالث ، من دعاتهم : ميمون بن ديصان القداح الثنوى ، وظاهر مذهبهم فروع الشريعة ، ولكن عقيدتهم عقيدة الفلاسفة والملاحدة ، وكان ميمون يسر اليهودية ويظهر الإسلام ، وكان يخدم إسماعيل بن جعفر ، وظهر أيام قرمط فاجتمعا ، وأخذا ناموسا يدعون إليه ، فسمُّوا بالقرامطة ، وألقابهم : الاسماعيلية الباطنية الإباحية ، القرامطة الملاحدة ، الزنادقة ، نادوا بإلهين قديمين ؛ العقل والنفس ، وذهبوا إلى أنه لابد من إمام معصوم يرجع إليه ، وهو كالنبى فى عصمته إلّا أنه لا ينزل عليه الوحى ، أباحوا جملة اللذات والشهوات ، وأباحوا لهم نكاح البنات والأخوات ، وأسقطوا فرائض العبادات . (الملل والنحل : للشهرستانى حـ ١ ص ٣٣٣) .

(٢٦٣) سقطت كلمة [بينهم] فى (أ) .

(٢٦٤) فى (أ ، ب) [عنهم] وسقط [وعن أصحابه] .

(٢٦٥) فى (ب) [ونعل] .

(٢٦٦) سقط الكلام من [إذ خربه إلى خراريب بيت] فى (أ ، ب) .

(٢٦٧) فى (أ ، ب) [فأمتى] وهو .

(٢٦٨) فى (ب) [وأردد] .

(٢٦٩) سقطت كلمة [الكلب] فى (ب) .

ومنها : وصفه الله تعالى بالندامة على ما فعل !! وما الذى دعاه إلى الندامة ؟ أتراه كان عاجزًا عن أن يردّهم[٢٧٠]؟ هذا عجب آخر ، وإذا كان نادما على ذلك – فلِمَ تمادى على تبديدهم ، وإلقاء النجس عليهم حتى يبلغ ذلك إلى إلقاء الحكة فى أدبارهم ، كما نص فى آخر توارتهم ؟

ما فى العالم صفة أحمق من صفة من يتمادى على من يندم عليه هذه الندامة .

ومنها : وصفه الله تعالى – بالبكاء والأنين .

ومنها : وصفه لربه تعالى بأنه لم يدر هل سمعه أم لا ؟ حتى سأله عن ذلك .

ثم أظرف شيء إخباره عن نفسه بأنه أجاب بالكذب ، وأن الله تعالى قنع بكذبه ، وجاز عنده ولم يدر أنه كاذب .

ومنها : كونه بين الخرب ، وهى مأوى المجانين من الناس وخساس الحيوان كالثعالب والقطط[٢٧١] البرية ونحوهما .

ومنها : وصفه الله تعالى بتنكيس القامة .

ومنها : طلبه البركة من ذلك المنتن ابن المنتنه والمنتن .

وبالله الذى لا إله إلّا هو ما بلغ قط ملحد ولا مستخف هذه المبالغ التى بلغها هذا اللعين ، ومن يعظمه . وبالله تعالى نتأيد .

ولو ما وصفه الله تعالى من كفرهم وقولهم : « يد الله مغلولة[٢٧٢] » و« الله فقير ونحن أغنياء[٢٧٣] » . ما انطلق لنا لسان بشيء مما أوردنا . ولكن سهَّلَ علينا حكاية كفرهم ما ذكره الله تعالى لنا من ذلك . ولا أعجب من أخبار هذا الكلب – لعنة الله – عن نفسه بهذا الخبر ، فإن اليهود كلهم يعنى الربانيين منهم مجمعون على الغضب على الله ، وعلى تعييبه[٢٧٤] وتهوين أمره عزَّ وجلّ فإنهم يقولون ليلة « عيد الكبود[٢٧٥] » وهى العاشرة من تشرين الأول وهو أكتوبر يقوم « الميططرون » ومعنى هذه اللفظة عندهم « الرب الصغير » – تعالى الله عن كفرهم .

قال : ويقول وهو قائم ينتف شعره ويبكى قليلا قليلا : « ويْلي إذ خرّبت بيتى ، وأيتمت

(٢٧٠) فى (أ ، ب) سقطت كلمة [عن أن يردهم] .
(٢٧١) وفى (خ) [والقطاط] .
(٢٧٢) جزء من آية فى سورة المائدة : ٦٤ .
(٢٧٣) جزء آية فى سورة آل عمران : ١٨١ .
(٢٧٤) فى (ب) [تلعيبه] .
(٢٧٥) فى (ب) [الكبور] بالراء . وفى (خ) [الكبير] .

بنّى وبناتى ، قامتى[٢٧٦] منكسة لا أرفعها حتى أبنى بيتى ، وأردّ[٢٧٧] إليه بنّى وبناتى » . ويردّد هذا الكلام .

واعلموا أنهم أفرادوا عشرة أيام من أول « أكتوبر » يعبدون فيه ربًّا آخر غير الله عزَّ وجل . فحصلوا على الشرك المجرّد .

واعلموا أن الرّب الصغير الذى أفردوا له الأيام المذكورة يعبدونه فيها من دون الله عزَّ وجل هو عندهم « صندلفون » الملك خادم التاج الذى فى رأس معبودهم ، وهذا أعظم من شرك النصارى ، ولقد أوقفت بعضهم على هذا فقال لى : « ميططرون » مَلَكٌ من الملائكة . فقلت : وكيف يقول ذلك الملك ؟ وَيْلِي على ما خرَّبت من بيتى ، وفرَّقت بنيَّ وبناتى !! وهل فعل هذا إلا الله عزَّ وجل ؟

فإن قالوا : تولّى ذلك الملك ذلك الفعل بأمر الله تعالى .

قلنا : فمن المحال الممتنع ندامة الملك على ما فعله بأمر الله تعالى ، هذا كفر من الملك لو فعله . فكيف أن يحمد ذلك منه ؟ وكل هذا إنما هو تحيُّل منهم عند صكّ وجوههم بذلك . وإلَّا فهم فيه قسمان : قسم يقول : إنه الله[٢٧٨] تعالى نفسه فيصغرونه ويحقرونه ، ويعيبونه ، وقسم يقول : إنه ربٌّ آخر دون الله تعالى .

واعلموا أن اليهود يقومون فى كنائسهم أربعين ليلة متصلة من « أيلول » و« تشرين الأول » وهما : « سبتمبر ، وأكتوبر » فيصيحون ويولولون بمصائب ، منها قولهم : « لأى شىء تسلمنا يا الله هكذا ، ولنا الدين القيم ، والأثر الأول ؟ لم يا ألله تتصمَّمُ عنا وأنت تسمع ؟! وتعمى وأنت مبصر ؟! هذا جزاء من تقدم إلى عبوديتك ، وبدر إلى الإقرار بك ؟! لم يا ألله : لا تعاقب من يكفر النعم ؟ ولا تجازى بالإحسان ثم تبخسنا حظنا ، وتسلمنا لكل معتد ، وتقول : إن أحكامك عدلة .

فاعجبوا لوغادة هؤلاء الأوباش !! ولرذالة هؤلاء الأنذال الممتنين على ربهم عزَّ وجلّ ، المستخفِّين به وبملائكته وبرسله .

وتالله ما بخسهم ربّهم حظهم ، وما حقهم[٢٧٩] إلا الخزى فى الدنيا ؛ والخلود فى النار فى الآخرة ، وهو تعالى موفيهم نصيبهم غير منقوص .

---

(٢٧٦) فى (ب) [فامتى] بالفاء الموحدة .
(٢٧٧) فى (ب) [وأردد] بفك الإدغام .
(٢٧٨) فى (أ) سقطت كلمة [الله] .
(٢٧٩) فى (أ) [وما حظهم] .

واحمدوا الله على عظيم منته علينا بالإسلام الملَّة الزهراء[٢٨٠] التى صححتها العقول ، وبالكتاب المنزل من عنده تعالى بالنور المبين ، والحقائق الباهرة ، نسأل الله تثبيتنا على ما منحنا من ذلك بمنّه إلى أن نلقاه مؤمنين غير مغضوب علينا ولا ضالين .

قال « أبو محمد » (رضى الله عنه) : هنا انتهى ما أخرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر ، والمناقضات اللّائحة التى لا شك معه فى أنها كتب مبدَّلة محرَّفة مكذوبة ، وشريعة موضوعة مستعملة من أكابرهم ، ولم يبق بأيديهم بعد هذا شىء أصلًا ، ولا بقى فى فساد دينهم شبهة بوجه من الوجوه والحمد لله رب العالمين . وإيّاكم أن يجوز عليكم تمويه من يعارضكم بخرافة أو كذبة ، فإننا لا نصدّق فى ديننا بشىء أصلًا ، إلّا ما جاء فى القرآن ، أو ما صح بإسناد الثقات ثقة عن ثقة حتى يبلغ إلى رسول الله ﷺ فقط وما عدا هذا فنحن نشهد أنه باطل لا نلتفت إليه[٢٨١].

واعلموا أننا لم نكتب من فضائحهم إلّا قليلا من كثير ، ولكن فيما كتبنا كفاية قاطعة فى بيان فساد كلّ ما هم عليه ..

وبالله تعالى التوفيق .

تمَّ الجزء الأول من كتاب « الفِصَل فى المِلَل والأهواء والنّحل » للإمام « أبو محمد على ابن حزم الظاهرى المتوفى ٤٥٦ هـ » فى اليوم الثانى والعشرين من صفر ١٣٩٧ هـ الموافق ١٠ من فبراير سنة ١٩٧٧ م . بالرياض . والله الموفق والهادى سواء السبيل .

(٢٨٠) فى (خ) [البيضاء] .
(٢٨١) سقطت فى (أ ، ب) [لا نلتفت إليه] .

فهرس الآيات القرانية

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٨	وإن من أمة إلا خلا فيها نذير	فاطر	٢٤	١٣٩
١٩	لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل	النساء	١٦٥	١٣٩
٢٠	لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها	البقرة	٢٨٦	١٤٠
٢١	علمنا منطق الطير	النمل	٦٦	١٤١
٢٢	يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم	النمل	١٨	١٤١
٢٣	وإن من شيء إلا يسبح بحمده	الأسراء	٤٤	١٤٢
٢٤	ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض	الحج	١٨	١٤٢
٢٥	انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان	الأحزاب	٧٢	١٤٢
٢٦	ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طاعين	فصلت	١١	١٤٢
٢٧	ولكن لا تفقهون تسبيحهم	الإسراء	٤٤	١٤٤
٢٨	وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم	الإسراء	٤٤	١٤٤
٢٩	ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعًا وكرهًا	الرعد	١٥	١٤٤
٣٠	واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون	فصلت	٣٧	١٤٤
٣١	ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعًا وكرهًا	الرعد	١٥	١٤٤
٣٢	وظلالهم بالغدو والآصال	الرعد	١٥	١٤٥
٣٣	أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله وهم داخرون	النحل	٤٨	١٤٥
٣٤	ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم	الكهف	٥١	١٤٥
٣٥	وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم	النور	٤٨	١٤٥
٣٦	وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله	البقرة	٧٤	١٤٦
٣٧	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا	الإسراء	١٥	١٤٦
٣٨	فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها	فصلت	١٢	١٤٧
٣٩	ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء	البقرة	١٧١	١٤٧
٤٠	وإذ يمكر بك الذين كفروا	الأنفال	٣٠	١٤٧
٤١	يا أبت لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر	مريم	٤٢	١٤٧

رقم مسلسل	الآيــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٢	أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون	الزمر	٤٣	١٤٧
٤٣	جدارًا يريد أن ينقض فأقامه	الكهف	٧٧	١٤٨
٤٤	وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون	الأنعام	٣٨	١٤٩
٤٥	وإذا الوحوش حشرت	التكوير	٥	١٤٩
٤٦	ورسلاً قد قصصنا هم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك	النساء	١٦٤	١٥٣
٤٧	يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم	المائدة	١٠٩	١٥٣
٤٨	وجيء بالنبين والشهداء	الزمر	٦٩	١٥٣
٤٩	يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك	الانفطار	٦ – ٨	١٥٦
٥٠	جعل لكم من أنفسكم أزواجًا ومن الأنعام أزواجًا يذرؤكم فيه	الشوره	١١	١٥٦
٥١	لا يسأل عما يفعل وهم يسألون	الأنبياء	٢٣	١٧٠
٥٢	ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون	العنكبوت	٤٦	١٧٢
٥٣	وإن من أمة إلا خلا فيها نذير	فاطر	٢٤	١٧٤
٥٤	منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك	غافر	٧٨	١٧٤
٥٥	وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى	الأنفال	١٧	١٧٥
٥٦	اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر	القمر	٤	١٧٥
٥٧	فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم	الجمعة	٦ ، ٧	١٧٦
٥٨	وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون	الإسراء	٥٩	١٨٣
٥٩	وإن من أمة إلا خلا فيها نذير	فاطر	٢٤	١٨٦
٦٠	ورسلاً قد قصصناهم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك	النساء	١٦٤	١٨٦
٦١	يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا	الأعراف	١٥٨	١٨٨
٦٢	ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين	آل عمران	٨٥	١٨٨
٦٣	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر : إلى قوله : حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون	التوبة	٢٩	١٨٨

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٨٣	فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلاً جسدًا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا أمرى ، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى قال « يا هارون » ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى	طه	٨٨ ، ٩٤	٢٤٨
٨٤	يا ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى	الأعراف	١٥٠	٢٤٨
٨٥	إن هؤلاء لشرذمة قليلون	الشعراء	٥٤	٢٥٣
٨٦	إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى	مريم	٧	٢٦٩
٨٧	أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين .	مريم	٩	٢٦٩
٨٨	قال رب اجعل لى آية قال آتيك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا .	مريم	١٠	٢٦٩
٨٩	أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيا قالت ربى أنى يكون لى غلام	مريم	١٩ ، ٢٠	٢٧٠
٩٠	قال كذلك قال ربك هو على هين	مريم	٢١	٢٧٠
٩١	ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بنى إسرائيل	آل عمران	٤٨ ، ٤٩	٣٠٢
٩٢	يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم	المائدة	٦٨	٣٠٣
٩٣	قل فأتوا بالتوراة فأتلوها إن كنتم صادقين	آل عمران	٩٣	٣٠٣
٩٤	إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء	المائدة	٤٤	٣٠٤
٩٥	وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون	المائدة	٤٧	٣٠٤
٩٦	ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم	المائدة	٦٦	٣٠٤
٩٧	يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم	النساء	٤٧	٣٠٤
٩٨	وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله	المائدة	٤٣	٣٠٤

رقم مسلسل	الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
٩٩	صحف ابراهيم وموسى	الأعلى	١٩	٣٠٤
١٠٠	وإنه لفى زبر الأولين	الشعراء	١٩٦	٣٠٤
١٠١	يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم	المائدة	٦٨	٣٠٥
١٠٢	قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين	آل عمران	٩٣	٣٠٦
١٠٣	إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله	المائدة	٤٤	٣٠٦
١٠٤	وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا . ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة	المائدة	٤٨	٣٠٦
١٠٥	ولا تتبع أهواءهك واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك	المائدة	٤٩	٣٠٧
١٠٦	وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه	المائدة	٤٧	٣٠٧
١٠٧	ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم	المائدة	٦٦	٣٠٧
١٠٨	يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم	النساء	٤٧	٣٠٧
١٠٩	يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون	آل عمران	٧١	٣٠٨
١١٠	وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون	البقرة	١٤٦	٣٠٨
١١١	وإن منهم لفريقًا يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله	آل عمران	٧٨	٣٠٨
١١٢	يحرفون الكلم عن مواضعه	المائدة	١٣	٣٠٨
١١٣	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار	الفتح	٢٩	٣٠٨

فهـرس الأحاديـث

فهرس الفرق والملل والمذاهب

فهرس الأشعار

فهرس البلدان والأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

فهرس الكتب

فهرس الأعلام

حرف الألف

الفصل الاول ٢٣

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حروف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الكنى

ثبت بالمراجع

	اسم المرجع	المؤلف والطبعة
١	القرآن الكريم	كتاب الله جل من أنزل
٢	فتح البارى بشرح صحيح البخارى	رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب من المكتبة السلفية
٣	صحيح مسلم	حقق نصوصه ورقم أبوابه محمد فؤاد عبد الباقى نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية
٤	سنن الترمذى	حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف [دار الفكر ١٣٨٤ هـ]
٥	سنن ابن ماجه	حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقى [عيسى البابى الحلبى وشركاه]
٦	سنن الدارمى	أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى [دار الفكر ش سليمان الحلبى القاهرة ١٣٩٨ هـ]
٧	سنن أبى داود	راجعه على عدة نسخ محمد محيى الدين عبد الحميد [دار إحياء السنة النبوية]
٨	جامع الأصول فى أحاديث الرسول	حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤطى [مكتبة دار لبنان ١٣٩٢ هـ]
٩	كشف الخفا ومزيل الألباس	أحمد القلاس [مكتبة التراث الإسلامى – حلب]
١٠	المسند للإمام أحمد بن حنبل	شرحه – أحمد محمد شاكر [دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ]
١١	الموطأ للإمام مالك	صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقى [دار إحياء الكتب العربية]
١٢	سنن النسائى	بشرح الحافظ السيوطى [المكتبة التجارية ١٣٤٨ هـ]
١٣	الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة	الشوكانى – تحقيق عبد الرحمن بن يحيى [مطبعة جدة ١٣٨٠ هـ]
١٤	مفتاح كنوز السنة د . ا . ى فنسنك	نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقى ادارة ترجمان السنة – لاهور ١٣٩٧ هـ

١٥	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى	ابتدأ ترتيب وتنظيمه ونشره [أ . ى . ونسنك و ى . ب . منسخ [مطبعة بريل لندن ١٩٦٧]
١٦	البداية والنهاية لابن كثير	الطبعة الثانية ١٩٧٧ مكتبة المعارف بيروت
١٧	دائرة المعارف الإسلامية	أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية جماعة من المستشرقين النسخة العربية إعداد إبراهيم زكى خورشيد [دار الشعب بالقاهرة]
١٨	الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر	تحقيق على محمد البيجاوى [مكتبة نهضة مصر بالقاهرة]
١٩	الطبقات الكبرى لابن سعد	دار التحرير للطباعة والنشر – القاهرة
٢٠	وفيات الأعيان لابن خلكان	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مكتبة نهضة مصر ١٩٤٨ م]
٢١	تهذيب التهذيب للإمام ابن حجر العسقلانى	للإمام ابن حجر العسقلانى
	المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد	حققه محمد محيى الدين عبد الحميد [مطبعة المدنى بالقاهرة]
٢٢	الإعلام للزركلى	الطبعة الثالثة
٢٣	جمهرة أنساب العرب لابن حزم	تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون [دار المعارف ١٩٦٢ م]
٢٤	جوامع السيرة لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس [دار المعارف بمصر]
٢٥	طوق الحمامة فى الألفة والآلاف	تحقيق الدكتور الطاهر مكى [دار المعارف بمصر]
٢٦	المفاضلة بين الصحابة لابن حزم	تحقيق الأستاذ سعيد الأفغانى [بيروت سنة ١٩٤٠ م]
٢٧	نقط العروس لابن حزم	تحقيق الدكتور شوقى ضيف القاهرة سنة ١٩٥١ م
٢٨	أعلام النساء لعمر كحالة	الطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٨ هـ
٢٩	الإحاطة فى أخبار غرناطة	لسان الدين الخطيب تحقيق عبد الله عنان القاهرة ١٩٥٥ م
٣٠	بغية الملتمس	أحمد بن يحيى العتبى دار الكتاب العربى ١٩٦٧ م
٣١	تراجم إسلامية	محمد عبد الله عنان [مكتبة الخانجى]
٣٢	تذكرة الحفاظ	الذهبى [طبعة حيدر أباد الهند]
٣٣	تاريخ بغداد	الخطيب البغدادى دار الكتاب العربى بيروت
٣٤	تاريخ الفكر الأندلسى	ترجمة الدكتور حسين مؤنس [القاهرة ١٩٥٥ م]
٣٥	تاريخ الشعوب الإسلامية	بركلمان الطبعة السابعة دار العلم للملايين
٣٦	ابن حزم – حياته وعصره وآراؤه وفقهه	الشيخ محمد أبو زهرة [دار الفكر العربى]
٣٧	ابن حزم الأندلسى	الدكتور زكريا إبراهيم – القاهرة سنة ١٩٦٦ م اعلام العرب
٣٨	دولة الإسلام فى الأندلس	الأستاذ محمد عبد الله عنان الطبعة الرابعة ١٣٨٩ هـ
٣٩	طبقات الشافعية للأسنوى	تحقيق عبد الله الجابورى بغداد ١٣٩١ هـ
٤٠	عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى اصيبعه	دار مكتبة الحياة بيروت
٤١	معجم الأدباء لياقوت الحموى	طبعة دار المأمون
٤٢	مروج الذهب للمسعودى	تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – كتاب التحرير سنة ١٣٨٦ هـ
٤٣	المعجب فى تلخيص أخبار المغرب للمراكشى	تحقيق محمد العريان – القاهرة – سنة ١٣٦٨ هـ

٤٤ تفسير الطبرى : لابن جعفر محمد بن جرير الطبرى — حققه محمود محمد شاكر : دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م

٤٥ تفسير القرآن العظيم : لأبى الفداء اسماعيل ابن كثير — طبع دار احياء الكتب العربية

٤٦ التفسير الكبير : للإمام محمد الرازى — المطبعة العامرة الشرقية ١٣٠٨ هـ

٤٧ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : للإمام جلال الدين السيوطى — دار المعرفة للطباعة – بيروت – لبنان

٤٨ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل — للإمام محمود بن عمر الزمخشرى – ط مصطفى حسين أحمد مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣ هـ

٤٩ الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى — ط . دار الكتب العربية – القاهرة ١٣٨٧ هـ

٥٠ زاد المسير فى علم التفسير – عبد الرحمن ابن الجوزى — المكتب الإسلامى – على نفقه الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى – أمير دولة قطر المعظم

٥١ فى ظلال القرآن — سيد قطب دار الشروق ١٣٩٤ هـ بيروت

٥٢ تفسير القرآن الحكيم — محمد عبد المنعم خفاجى – مكتبة النجاح الطبعة الأولى

٥٣ تفسير النسفى — للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى : مكتبة محمد على صبيح ١٣٨٥ هـ

٥٤ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز — مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى – تحقيق محمد على النجار القاهرة ١٣٨٩ هـ

٥٥ التفسير والمفسرون — د . محمد حسين الذهبى – دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٣٨١ هـ

٥٦ معترك الأقران فى أعجاز القرآن — للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى – تحقيق : على محمد البجاوى – دار الفكر العربى

٥٧ تأويل مشكل القرآن — شرحه ونشره : السيد أحمد صقر – الطبعة الثانية – د ر نترث – القاهرة ١٣٩٣ هـ

٥٨ فتح القدير : الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير — تأليف : محمد بن على الشوكانى : دار الفكر ١٣٩٣ هـ

كتب العقيدة

٥٩ المواقف — للقاضى : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجى . الطبعة الأولى : مطبعة السعادة بمصر – ١٣٢٥ هـ

٦٠ المقاصد — سعد الدين التفتازانى . نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحمل رقم ٥٣٣١٣ علم الكلام

٦١	التقريب لحد المنطق والمدخل إليه	نشر وتحقيق الدكتور إحسان عباس – بيروت ١٩٥٩ م
٦٢	الرد على ابن النغريلة اليهودى لابن حزم	تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار العروبة – ١٣٨٠ هـ
٦٣	رسالة فى ابطال القياس والرأى والاستحسان لابن حزم	تحقيق الاستاذ سعيد الأفغانى سنة ١٩٦٠ دمشق
٦٤	أصول الفكر الفلسفى عند الرازى	د . عبد اللطيف محمد العبد – مكتبة الأنجلو سنة ١٩٧٧ م
٦٥	الأسفار المقدسة	د . على عبد الواحد وافى – دار نهضة مصر سنة ١٩٧١ م .
٦٦	آراء بن العربى الكلامية	عمار طالبى : الشركة الوطنية – الجزائر
٦٧	إغاثة اللهفان	لابن القيم الجوزيه – تحقيق محمد حامد الفقى
٦٨	أصول الدين	للبغدادى : الطبعة الأولى – استنابول – مطبعة الدولة ١٣٤٦ هـ
٦٩	تحقيق ما للهند من مقولة	للبيرونى ط حيدر أباد بالهند ، ١٣٧٧ هـ
٧٠	تبين كذب المفترى	لابن عساكر : ط دار الكتاب العربى : بيروت ١٣٩٩ هـ
٧١	التلمود	ظفر الإسلام خان ط . الثالثة – دار النفائس
٧٢	التوراه السامرية	ترجمة الكاهن السامرى – تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا – دار الأنصار : الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ
٧٣	تهافت الفلاسفة	لحجة الإسلام الغزالى – طبعة دار المعارف تحقيق الدكتور سليمان دنيا
٧٤	جذوة المقتبس	للحميدى : الدار القومية – ١٩٦٦ م
٧٥	رسائل فلسفية	للرازى : منشورات دار الإنسان الجديد : بيروت ١٣٩٣ هـ
٧٦	الرد الجميل	للغزالى : ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٣ هـ تقديم وتحقيق الأستاذ : عبد العزيز عبد الحق .
٧٧	الإشارات لابن سينا	ط دار المعارف . تحقيق د . سليمان دنيا
٧٨	الفكر الدينى الإسرائيلى	د . حسن ظاظا : ط . معهد البحوث سنة ١٩٧١ هـ
٧٩	الفرق بين الفرق	للبغدادى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة ومطبعة محمد على صبيح – القاهرة
٨٠	ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى	د . عوض الله حجازى : سنة ١٣٨٠ هـ
٨١	مناهج الجدل فى القرآن الكريم	د . زاهر عواض الألمعى : مطابع الفرزدق التجارية – الرياض
٨٢	المعجم الفلسفى	د . جميل صليبا – دار الكتاب اللبنانى – بيروت
٨٣	محاضرات فى النصرانية	للشيخ محمد أبو زهرة – دار الفكر العربى
٨٤	الملل والنحل	للشهرستانى : تخريج الدكتور محمد بن فتح الله بدران مكتبة الأنجلو – القاهرة – ١٣٦٦ هـ
٨٥	المسيحية	للدكتور أحمد شلبى : الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ م مكتبة النهضة
٨٦	مقالات الإسلاميين	لأبى الحسن الأشعرى : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية – ط ثانية ١٣٨٩ هـ
٨٧	المغنى	للقاضى عبد الجبار – الدار المصرية للتأليف والترجمة – بإشراف د . طه حسين

٨٨	نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام	د . على سامى النشار . دار المعارف الطبعة السابعة – ١٩٧٧ م
٨٩	مذاهب الإسلاميين	د . عبد الرحمن بدوى . دار العلم للملايين بيروت ط الثانية – ١٩٧٩ م
٩٠	معارج القبول لشرح سلم الوصول فى التوحيد	للشيخ حافظ بن أحمد الحكمى من مطبوعا الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية
٩١	الحقيقة فى نظر الغزالى	د . سليمان دنيا : دار المعارف بمصر ط ثالثة
٩٢	الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية	د . عبد الفتاح عبد الله بركة . من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية
٩٣	فتح المجيد – شرح كتاب التوحيد	للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – محمد حامد الفقى – دار الكتب العلمية بيروت
٩٤	المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية	للاستاذ الدكتور محمد الصادق – دار التراث الإسلامى – بيروت
٩٥	فى التوحيد ، ديوان الأصول	لأبى رشيد سعيد بن محمد النيسابورى : تحقيق محمد عبد الهادى أبو ريدة . مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ م
٩٦	الصلة بين التصوف والتشيع	د . كامل مصطفى الشيبى – دار المعارف مصر ط ثانية
٩٧	الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى	د . محمد البهى – دار الكتاب العربى للطباعة والنشر
٩٨	الابانة عن أصول الديانة	لأبى الحسن الأشعرى . تقديم وتحقيق د . فوقية حسين محمود – دار الأنصار – مصر
٩٩	شرح العقيدة الطحاوية	حققها جماعة من العلماء : المكتب الإسلامى ط : الرابعة ١٣٩٩ هـ
١٠٠	صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان	محمد بشير السهسوانى الهندى – مطابع نجد التجارية – الرياض

فهرس الموضوعات

الخطأ والصواب

لفهارس : « الآيات » و« الأحاديث » و« الفرق » و« البلدان » و« الكتب » و« الأعلام »

رقم الصفحة	الصواب	رقم الصفحة	الصواب	رقم الصفحة	الصواب	رقم الصفحة	الصواب	رقم الصفحة	الصواب
١	٣	١٠٤	١١٤	١٧١	١٨١	٢٢٠	٢٣٠	٢٦٩	٢٧٩
٢	٣ و ٤ و ٥	١٠٧	١١٧	١٧٢	١٨٢	٢٢١	٢٣١	٢٧٠	٢٨٠
٣	٣	١٠٨	١١٨	١٧٣	١٨٣	٢٢٢	٢٣٢	٢٧١	٢٨١
٥	١٣ و ١٤	١٠٩	١١٩	١٧٤	١٨٤	٢٢٣	٢٣٣	٢٧٢	٢٨٢
٦	١٤ و ١٥	١١٠	١٢٠	١٧٥	١٨٥	٢٢٤	٢٣٤	٢٧٣	٢٨٣
٧	٢١ و ٢٢	١١١	١٢١	١٧٦	١٨٦	٢٢٥	٢٣٥	٢٧٤	٢٨٤
٨	٢٢	١١٣	١٢٣	١٧٧	١٨٧	٢٢٦	٢٣٦	٢٧٥	٢٨٥
٩	١٨ و ١٩	١١٤	١٢٤	١٧٨	١٨٨	٢٢٧	٢٣٧	٢٧٧	٢٨٧
١٠	١٩	١١٥	١٢٥	١٧٩	١٨٩	٢٢٨	٢٣٨	٢٧٨	٢٨٨
١١	١٩ و ٢٠	١١٦	١٢٦	١٨٠	١٩٠	٢٢٩	٢٣٩	٢٧٩	٢٨٩
١٢	٢٠	١١٧	١٢٧	١٨١	١٩١	٢٣٠	٢٤٠	٢٨٠	٢٩٠
١٣	٢٣	١١٨	١٢٨	١٨٢	١٩٢	٢٣١	٢٤١	٢٨١	٢٩١
١٤	٢٤	١١٩	١٢٩	١٨٣	١٩٣	٢٣٢	٢٤٢	٢٨٢	٢٩٢
١٥	٢٥	١٢٠	١٣٠	١٨٤	١٩٣ و ١٩٤	٢٣٣	٢٤٣	٢٨٣	٢٩٣
١٧	٢٧	١٢٤	١٣٤	١٨٥	١٩٥	٢٣٤	٢٤٤	٢٨٤	٢٩٤
١٩	٢٩	١٢٥	١٣٥	١٨٦	١٩٦	٢٣٥	٢٤٥	٢٨٥	٢٩٥
٢٢	١٠	١٢٦	١٣٦	١٨٧	١٩٧	٢٣٦	٢٤٦	٢٨٦	٢٩٦
٢٣	١١	١٢٧	١٣٧	١٨٨	١٩٨	٢٣٧	٢٤٧	٢٨٧	٢٩٧
٢٤	١٢	١٢٨	١٣٨	١٨٩	١٩٩	٢٣٨	٢٤٨	٢٨٨	٢٩٨
٢٧	٣٧	١٣١	١٤١	١٩٠	٢٠٠	٢٣٩	٢٤٩	٢٨٩	٢٩٩
٢٨	٣٨	١٣٣	١٤٣	١٩١	٢٠١	٢٤٠	٢٥٠	٢٩٠	٣٠٠
٣٣	٤٣	١٣٤	١٤٤	١٩٢	٢٠٢	٢٤١	٢٥١	٢٩١	٣٠١
٣٧	٤٧	١٣٥	١٤٥	١٩٣	٢٠٣	٢٤٢	٢٥٢	٢٩٢	٣٠٢
٤٩	٥٩	١٣٦	١٤٦	١٩٤	٢٠٤	٢٤٣	٢٥٣	٢٩٣	٣٠٣
٥١	٦١	١٣٧	١٤٧	١٩٥	٢٠٥	٢٤٤	٢٥٤	٢٩٤	٣٠٤
٥٤	٦٤	١٣٩	١٤٩	١٩٦	٢٠٦	٢٤٥	٢٥٥	٢٩٥	٣٠٥
٥٦	٦٦	١٤٠	١٥٠	١٩٧	٢٠٧	٢٤٦	٢٥٦	٢٩٦	٣٠٦
٦٣	٧٣	١٤١	١٥١	١٩٨	٢٠٨	٢٤٧	٢٥٧	٢٩٧	٣٠٧
٧١	٨١	١٤٢	١٥٢	١٩٩	٢٠٩	٢٤٨	٢٥٧ و ٢٥٨	٢٩٩	٣٠٩
٧٦	٨٦	١٤٣	١٥٣	٢٠٠	٢١٠	٢٤٩	٢٥٩	٣٠٠	٣١٠
٧٧	٨٧	١٤٤	١٥٤	٢٠١	٢١١	٢٥٠	٢٦٠	٣٠١	٣١١
٧٨	٨٨	١٤٥	١٥٥	٢٠٢	٢١٢	٢٥١	٢٦١ و ٢٦٢	٣٠٢	٣١٢
٧٩	٨٩	١٤٦	١٥٦	٢٠٣	٢١٣	٢٥٢	٢٦٢	٣٠٣	٣١٣ و ٣١٥
٨٠	٩٠	١٤٧	١٥٧	٢٠٤	٢١٤	٢٥٣	٢٦٣	٣٠٤	٣١٣ و ٣١٤
٨١	٩١	١٤٨	١٥٨	٢٠٥	٢١٥	٢٥٤	٢٦٤	٣٠٥	٣١٥
٨٣	٩٣	١٤٩	١٥٩	٢٠٦	٢١٦	٢٥٥	٢٦٥	٣٠٦	٣١٦
٨٤	٩٤	١٥١	١٦١	٢٠٧	٢١٧ و ٢١٨	٢٥٦	٢٦٦	٣٠٧	٣١٧
٨٧	٩٧	١٥٢	١٦٢	٢٠٨	٢١٨	٢٥٧	٢٦٧	٣٠٨	٣١٨
٨٨	٩٨	١٥٣	١٦٣	٢٠٩	٢١٩	٢٥٨	٢٦٨	٣٠٩	٣١٩
٩٠	١٠٠	١٥٤	١٦٤	٢١٠	٢٢٠	٢٥٩	٢٦٩	٣١٠	٣٢٠
٩١	١٠١	١٥٥	١٦٥	٢١١	٢٢١	٢٦٠	٢٧٠	٣١١	٣٢١
٩٢	١٠٢	١٥٦	١٦٦	٢١٢	٢٢٢	٢٦١	٢٧١	٣١٢	٣٢٢
٩٣	١٠٣	١٥٨	١٦٨	٢١٣	٢٢٣	٢٦٢	٢٧٢	٣١٣	٣٢٣
٩٤	١٠٤	١٥٩	١٦٩	٢١٤	٢٢٤	٢٦٣	٢٧٣	٣١٤	٣٢٤
٩٩	١٠٩	١٦٥	١٧٥	٢١٥	٢٢٥	٢٦٤	٢٧٤	٣١٥	٣٢٥
١٠٠	١١٠	١٦٧	١٧٧	٢١٦	٢٢٦	٢٦٥	٢٧٥	٣١٦	٣٢٦
١٠١	١١١	١٦٨	١٧٨	٢١٧	٢٢٧	٢٦٦	٢٧٦	٣١٧	٢٢٧
١٠٢	١١٢	١٦٩	١٧٩	٢١٨	٢٢٨	٢٦٧	٢٧٧	٣٥٣	٣٦٣
١٠٣	١١٣ و ١١٤	١٧٠	١٨٠	٢١٩	٢٢٩	٢٦٨	٢٧٨		